

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة
مجلس الدراسات العليا الشرعية

قام الطالب بمطبع
منه من تصحيح وتعديل

سيد محمد
أحمد الطار
حرره

انذار الفكر الغربي

في انحراف المجتمع المسلم عن سبيل القادر الرشد

الرسالة

مقدمة ليدور حرسه الذنوراة في العقيدة الإسلامية

إعداد

خادم حسين الهني نخش

إشراف

للأستاذ محمد طيب

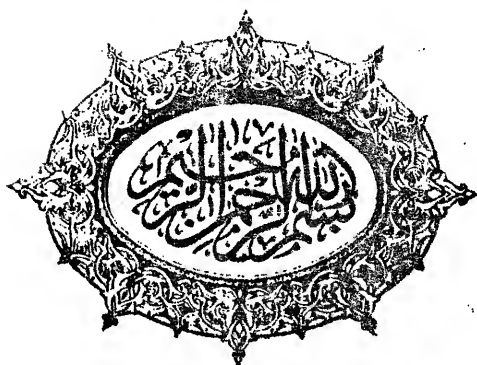
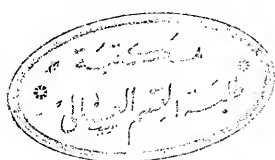
٩٥٥

لعام ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ



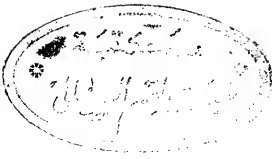
عمر

١٥٣



كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله الأمين وعد : اعترافا بالفضل
 وعرفانا بالجميل أتقدم بالشكر والتقدير لكل من مد اليّ يد العون والمساعدة ،
 أو النصح والارشاد والتوجيه أثناء البحث وجميع المعلومات .
 واسجل شكري للاستاذ محمد قطب الشرف على هذه الرسالة ، على الرعاية
 والعناية التي شملتني بها ، والتوجيهات النيرة التي أرشد اليها أثناء البحث ،
 كما اسجل شكري لمستولى جامعة أم القرى حفظهم الله ، الذين هيئوا لي فرصة
 اكمال الدراسات العليا في بلد الله الحرام ، جزى الله الجميع خيرا الجزاء ، ووفقهم
 لما يحبه ويرضاه .



((المقدمة))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا
ونبينا محمد وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم
ونهج مناهجهم الى يوم الدين .

أما بعد : فإن تتابع الرسالات الالهية يدل على أن الأمم تنحرف عن جادة الحق
كلما تباعد الزمن ، وطالت الأحقاب بين صاحب الدعوة واتباعه ، ولم يكن المسلمون بدعا
في هذا الباب ، إذ أخذ الانحراف يفزوهم منذ قيام الدولة الأموية ، فبدأ بأمور
لا تلفت النظر ، ولا تهزكيان الاسلام ، واستمر خط الانحراف يتسع كلما انحدر وسفل .
وساعد في ايجاد هذا الجو وجود العداء المستحكم بين الحق والباطل ، الذي
لا يخلو منه عصر من العصور ، فما أن جهر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته حتى حارته
قريش ، واضطرته الى ترك مكة أحب بلاد الله اليه ، وفي المدينة تظاهر المنافقون بالاسلام
للنيل منه ومن دعوته الحق ، ثم اتخذ العداء أشكالا مختلفة عبر مسيرة المسلمين التاريخية
فمن حروب وقتال لسد الدعوة الاسلامية ، وأفكار ومعتقدات منتحلة على دين الله عز وجل .
هذا وقد نالت الهند حظها من دعوة منقذ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ فتحها
المسلمون بالجهاد حينما ، والدعوة أحيانا أخرى ، وحاربهم المعادون لهم ولدعوتهم فسى
العلن مرة ، ومن وراء الستار باسم الاسلام لهدمه مرة أخرى ، وظهرت الصورة المدائية
المكتملة في استيلاء المسيحيين الغربيين على الهند المسلمة ، وذلك حين فرضوا الانحراف
عن دين الله على المسلمين فرضا ، وحاولوا إقامة التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية
بين الهنود .

ولدعم هذا الاتجاه وجهوا التعليم وجهة تخدم المسيحية ، أو تعادى الاسلام وبياديه
الخالدة ، ولتعميم الانحراف عن الاسلام صبغوا الحياة الاجتماعية الاسلامية بصبغة حياتهم
المنحلة ، ولجعل الانحراف مصيرا محتملا لا مفر منه نحو شرع الله وقضاه المعادل عن جميع
شعب الحياة الا ما كان متصلا بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق ، ولبقاء الدين
الحق بعيدا عن حياة المسلمين والمحافظة على مخططهم الاقصائى أبرزوا فرقا تفسر
الاسلام بما يتناسب مع فكر الغرب وحضارته المادية ، وتدافع عنه في كل معترك .

وظهرت نتيجة كل ذلك فى انحراف المسلمين عما رسمه لهم الاسلام ، فغاب عنهم هديه فى أغلب نواحي الحياة ، فتأثروا بالايحاءات الغربية وحضارة الماديين الملحديين وقلدوا الغرب تقليد المغلوب للغالب ، وتطلعموا الى منهجه فى الحياة كتطلع الجائش الى الطعام ، ومن هنا أثرت ان يكون موضوع الدكتوراة بعنوان : " أثر الفكر الغربى فى انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية "

والذى دفعنى الى الخوض فى الموضوع أمور أهمها : ^{في عصر الحديث}
١ - ظهر لى أثناء رسالة الماجستير أن فكرة انكار حجية السنة ، والتشكيك فى متونها وروايتها ما هى الا جزء من فكر غربى استهدف سلخ المسلمين من دينهم ، والانحراف بهم عن شرع الله ، فاستشرفت نفسى للبحث عن الأصول التى نفذها الانجليز المستعمرون وأعاونهم لتوجيه المجتمع المسلم الى غير الاسلام .

ب - انفصلت باكستان بشطريها - باكستان وبنجلاديش - عن الهند عند نيل الاستقلال على أساس العقيدة ، وأن المسلمين أمة متميزة ، يختلفون عن الشعوب الوثنية فى التوحيد والتشريع والخضوع للواحد الأحد ، ويريدون التخلص من كل فكر دخيل على حياتهم الاسلامية ، غير أن ذلك لم يتحقق حتى الآن لقلّة من يعنى المشكلة فى اطارها المحكم ، وأرجو أن أكون بهذه الدراسة قد شرحت المشكلة وأبعادها ، وعينت وضعنا الحالى من الاسلام .

ج - تنبيه الغافلين الى ما هم فيه من الولاء لغير الاسلام ، والتبعية لغير المسلمين واعادة الثقة الى النفوس المتأرجحة التى تظن أن الاسلام فقد صلاحيته ، وأنه محتاج الى اطار جديد ، وشرح يتلائم مع حضارة العصر المادية .

د - اعلام العالم الاسلامى أن مشكلته واحدة ، تختلف فى الفروع والشكليات وتتفق فى الأسس والأصول فالتصير هو التصير سواء كان فى باكستان أو اندونيسيا أو مصر أو الأردن ، والقانون الوضعى هو القانون سواء كان فى نيجيريا أو العراق أو بنجلاديش ، ومشكلة التعليم وتغذية الطلاب بالعلم والمعرفة واحدة فى كل البلدان الاسلامية ، والتغريب فى القضايا

الاجتماعية قلما يختلف من بلد الى آخر ، فما دامت المشكلة واحدة فلتتضم الجهود الاسلامية الخيرة بعضها الى بعض فى البحث عن الحلول للمشاكل المتماثلة .

ولاحراج هذه الدراسة فى هذا الاطار الجامع واجهتنى عقبات كثيرة تتلخص أهمها فيما يلى :

- ١ - سعة الموضوع وكثرة تشعباته ، اذ عنوان كل فصل من فصول الرسالة يستحق كتابة رسالة مستقلة ، غير أن تسابق الزمن والشعور بالمسئولية " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... (١) حملنى على مواصلة العمل ليل نهار حتى استخلصت هذه الحصيلة ، وحاولت أن تكون مركزة فى كل فصل من فصول الرسالة ، تأخذ بامهات المسائل ، وتتحاشى الغرور وما يتصل بالأطراف .
- ٢ - كثرة الترجمة وتعريب النصوص غير العربية الى العربية ، ولا يقدر هذه العقبة حق قدرها الا من مارس الترجمة ، ناهيك اذا كانت الترجمة فى موضوعات متنوعة ، ومن مؤلفات مختلفة الأهواء والنوازع .

- ٣ - شح المصادر ولا سيما فى باب الفرق ، وقد استعنت لتذليل هذه العقبة بالسفر الى كل دولة كانت مظنة لحصول المقصود ، وقد نجحت فى ذلك بحمد الله ، وازدادت غبطة حين درست تلك المجتمعات دراسة ميدانية فى مواطنها وأمهات مراكزها فى المدن والأرياف ، فى كل من آسيا وأفريقيا وأوروبا .

ومنهجى فى البحث مبنى على أمور أذكر منها :

- أ - الاكتفاء بسنى الأحداث عن التراجم ، لأن سنة الحادثة أو التحديد بالعدد (بعيد كذا سنة) يشعر بالمشدث عنه ، وعن أعماله والعصر الذى عاش فيه ، لذا لم أرداعيا لذكر التراجم وتحديد عام الولادة والوفاة ، وما شذ عن ذلك ذكرت له ترجمة مختصرة .

- ب - طبيعة الترجمة الحرفية لا تنفى بالمقصود ، ومن هنا التزمت بترجمة المفهوم بدقة وأمانة علمية ، دون ترجمة الحروف والكلمات ، ووضعت تلك الترجمة بين قوسين ، واعتبرتها نصا من نصوص المؤلف ، ونسبته الى المصدر الذى ورد فيه ، وإن كانت الترجمة بتصرف لتوضيح

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ج ٢١٥/١ كتاب الجمعة باب الجمعة فى

المفهوم ، وأردت الإشارة الى أن المعلومة المذكورة أو الحادث المنوه عنه ورد في المصدر أو المرجع الفلاني عزوت كل ذلك بلفظة " انظر "

ج — ترجمت عنوان المصدر والمرجع غير العربي عند المزو أول مرة ، واذ تكرر المزو نسبته الى اسمه الأعجمي ، ومن استشكل عليه شيء من ذلك فليرجع الى قائمة المراجع ، حيث يجد أمام عنوان كل مصدر ومرجع ترجمته العربية .

د — اذا اختلفت طبعات المصادر أو المراجع عند الاستخدام نبهت على ذلك في محله وما لم أنبه عليه فالمعتمد طبعة قائمة المراجع ، وهذا الاستخدام نادر في الرسالة .

هـ — في تخريج الأحاديث حاولت الالتزام بمزوه الى مصدر من مصادر السنة ، وذلك بذكر المجلد والصفحة والكتاب والباب .

و — الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر والحواشي يشير الأول منها الى رقم المجلد والثاني الى الصفحة (ج ٦١/١٠) المجلد العاشر الصفحة الحادية والستون ، وما شذ عن ذلك بينته في محله .

هذا وقد تضمنت الرسالة مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على بيان الموضوع ، وأهميته لواقعنا المعاصر ، والأسباب الداعية لاختياره ، وذكر العقبات التي اعترضت طريق البحث ، ومنهجى فيه .

وأما الباب الأول فقد خصصته لدراسة المجتمع المسلم في الهند ، قبل تحول السلطة

عنه الى الانجليز عام ١٢٧٣ هـ ، ١٨٥٢ م وجعلته في ثلاثة فصول : تضمن الأول منها دراسة المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية ، وضم ضمن ابحائه كيفية دخول الاسلام الى الهند ابان حكم الخلفاء الراشدين والفرزوقيين والغوريين ، ثم عرجت بالبحث الى ذكر مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الغزنوية فالملظاهرا المميزة لعهد الغوريين ، والمماليك ، ثم اتبعت ذلك بذكر مميزات عهد الخليجين وبنى تغلق ، ثم أفردت الملوك فيروز تغلق وعهد الميمون ، وأخيرا مميزات عهد الامارات المستقلة .

وجاء الفصل الثاني مبينا للمجتمع المسلم في عهد سلاطين المغول ، وشملت أبحاثه

سياسة المغول في الحكم ، والملك أكبر ونتائج انحرافه ، ورسوم العصاة وآثاره ، والتنصير وموقف الملك أكبر منه ، ومقاومة انحراف أكبر ونتائجها ، ومميزات المجتمع المسلم في عهد جهانكير وشاهجهان ، والملك الصالح اورنگ زيب ومميزات عهده الميمون ، وأخيرا اورنگ زيب في نظر أعدائه .

وجاء ختام فصول هذا الباب موضحا لحالة المجتمع في عهد شركة الهند الشرقية ، وجاءت نقاطه الرئيسية موضحة مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب ، وبيان موقف المسلمين من مطامع شركة الهند الشرقية ، واقتضى ذلك تعيين الموقف الرسمي ، ثم تحديد الموقف الشعبي وما قام به المسلمون من الأعمال الجهادية لطرد الدخلاء ، وجاءت خاتمة الفصل في ذكر المحور والاتجاهات التي سلكها الحكام البريطانيون في حكم الهند .

أما الباب الثاني فقد جعلته خاصا بدراسة أثر الفكر الغربي في حياة المسلمين ، وقسمته الى أربعة فصول : تضمن الأول منها أثر النشاط التنصيري في الأفكار والعقائد ، وشملت مباحثه الاساسية التنصير في عهد المغول ، فالتنصير أثناء الحكم الانجليزي المباشر ، واتبعت ذلك بذكر طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال ، فالسبل الحديث ليه ليه الانجيل ، ثم الطرق المعاصرة لنشر المسيحية اليوم ، وختمت الفصل بذكر أسباب نجاح التنصير في المنطقة . وأوردت في الفصل الثاني أثر الفكر الغربي في مجال التربية والتعليم ، وتضمنت نقاطا الرئيسية موقف الدول الاسلامية في الهند من التعليم ، والدرس النظامي ، وطرق القضاء عليه ، ودار العلوم ديونند ، ومنهجها التربوي والتعليمي ، ودار العلوم ندوة العلماء ومنهجها التعليمي ، ومداية التعليم المصري ، وتوصية اللورد ميكالى التعليمية ، وموقف السيد أحمد خان من التعليم ، وأهداف التعليم عند الانجليز ، ومحاولات اصلاحية في التربية والتعليم ، ودور المعاهد التنصيرية في العملية التربوية والتعليمية ، والتعليم بعد الاستقلال ، ونظرة فحص في المنهجين التعليميين المصريين والديني ، وختمت الفصل بذكر بعض المميزات للتعليم الاسلامي .

وجاء الفصل الثالث مبينا لأثر الفكر الغربي في مجال القضايا الاجتماعية واحتوت مباحثه قضية تعليم المرأة ، وعملها ، والحجاب ، والزواج ، والقوامة ، ودية الانثى ، وارشها

وسفرها بدون محرم ، وشرب المسكرات والاقتصاد ووسائل الاعلام .

وكان آخر فصول هذا الباب موضحا أثر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية ، وشملت نقاطه الرئيسية قضاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى ، واتفاقية بكتس — وخيانة شركة الهند الشرقية فى تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء ومداية التحريف فى التشريع وآثاره الوخيمة ، وفتوى السيد رشيد رضا المصرى حول القوانين الوضعية ، ومناقشة الفتوى فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام .

وتبع ذلك ذكر جهود الملما فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة وقانون المقومات الباكستانى ومحتوياته ، ومادة خير فى اصلاح القانون ، والجوانب التشريعية الحديثة فى القانون الرسمى وموقف الشريعة منها ، ونماذج مقارنة من الجرائم والمقومات بين القانون والشريعة ، وقانون الاثبات ومعض محتوياته ، وعدد الشهود بين القانون والشريعة فى اثبات قضية من القضايا ، وشهادة المرأة وشاهد الملك فيهما .

واتبعت ذلك بذكر الاصلاحات المطلوبة فى القضاء كالغاء المحاماة الحرفية ، والغاء الرسم القضائية ، وتكوين مجمع علمى قضائى ، واصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق والمدارس الدينية .

وأخر أبواب الرسالة أتى موضحا لأثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام ، وانتظم عقده فى خمسة فصول ، كان الأول منها فى الشيعة — الاثنى عشرية والبهرة والأغاخانيق وأثر الفكر الغربى فيها ، وتضمنت مباحثه ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة ، ومعنى التشيع ، والشيعة الاثنى عشرية وأثر الفكر الغربى فيها ، والبهرة وظاهرة اخفاء ما يدنون به ، والبهرة والاستعمار ومناذرة البهرة لأهل السنة ، والبهرة والربا ، وتقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج ، والبهرة والتعليم .

وتلا ذلك ذكر المرتكزات الاغاخانية المعاصرة ، والتعاون المسكرى بين جيش أغا خان وشركة الهند الشرقية ، ودور الانجليز فى دعم امامة أغا خان وموقف أغا خان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى ، وولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف

الغربيين في الحرب العظمى الثانية وبعض الأسس لديانة الأغاخانية ، وأخيرا نشاطات الأغاخانية المعاصرة في باكستان .

وجاء الفصل الثاني في الصوفية وأثر الفكر الغربي فيها ، وشملت نقاطه الرئيسية طريقة صوفية الهند في الدعوة إلى الاسلام ، والصوفية وعدم تصادمها بالسلطة وعلوم الصوفية وصلتها بالشرع ، وحال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزي ، والنظرة السلبية الصوفية إلى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربي .

وكان أوسط فصول هذا الباب في البريلوية وأثر الفكر الغربي فيها ، واحتوت مباحثه التعريف بمؤسس البريلوية أحمد رضا خان ، وشعاعون البريلوية مع الاستعمار ، وتكفيرهم المسلمين ، وأهم الأسس للفرقة البريلوية ، وتأثير الفكر البريلوي لصالح الفكر الغربي في الأمة .

ورابع الفصول جاء في القرآنيين وتأثيرهم بالفكر الغربي ، وكانت نقاطه الرئيسية هي : السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين ، والقرآنيون وصلة فكرهم بالغرب وأبرز زعماء القرآنيين ، ونماذج من التغريب في أفكارهم .

وأتى الفصل الختامى للرسالة في القاديانية وإخلاصها للفكر الغربي وشملت مباحثه فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام ، وغلام أحمد القادياني ودعاواه ، والهدف الرئيسي من دعاوى الغلام ، وموقف القاديانية من الجهاد بعد موت غلامها ، والغلام ودعاء النبوة ، وتفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " ونماذج من وحى الغلام ، وختمت الفصل بذكر ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام .

وقبل الخاتمة ذكرت الكلمة الأخيرة ، وبينت فيها الوضع الحالي للبشر لصالح الاسلام ، وجاءت الخاتمة متضمنة بين طياتها نتائج البحث ، وصفا انتهيت الرسالة التي أتقدم بها إلى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، لنيل درجة الدكتوراة في فرع العقيدة الاسلامية ، وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفيت الموضوع ما يستحقه من العناية والاهتمام ، وعلى الله قصد السبيل وه نستعين .

١١ جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ

الموافق لـ ١ فبراير ١٩٨٥ م .

الباب الأول

المجتمع المسلم في الهند قبل الفكر الغربي

الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية :

- ١ - دخول الاسلام الى الهند .
- ٢ - الهند في الخلافة الراشدة .
- ٣ - فتح السند في العهد الأموي .
- ٤ - جهاد الغزنويين في فتح الهند .
- ٥ - مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الغزنوية .
- ٦ - المظاهر المميّزة لعهد الغوريين والماليك .
- ٧ - مميزات عهد الخلاجيين وبنى تغلق .
- ٨ - فيروز تغلق وعهد الهميون .
- ٩ - مميزات عهد الامارات المستقلة .

دخول الاسلام الى الهند :

أشرق نور الاسلام على الهند عن طريق المسلمين من البحار الغرب ،
الذين استوطنوا ساحل مليبار قبل دخول المسلمين اليها من جهة
الغرب في اواخر القرن الأول من الهجرة ، والامة النائية الهندية هي
أول الامم ايماناً برسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام . (١)

غير أن أشعة ذلك النور الوهاج ظلت مغطاة بؤمية الهند ،
المهاجرة من الشمال الى الجنوب حتى القرن الثاني عشر من الهجرة ،
حين قامت دويلات اسلامية في كل من ولايتي ميسور ومدراس ، فرحب
الجنوب عندئذ بديانة التوحيد والمساواة بين البشر . (٢)

الهند في الخلافة الراشدة :

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة
احتك المسلمون بالهنود الوثنيين على شواطئ تانه (بومباي) ومروص
(بروج) (٣) ، وخوبر الديبل (٤) (كراتشي) ، ومحمد مضي ثمان سنوات

(١) انظر عبد الحليم السندوي ، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية ،
والدينية في الهند ص ١ ، ومسعود عالم السندوي مجلة الفتح
القاهرة ص ١٠ / ٦١ .

(٢) انظر الدكتور محمد اسماعيل افندي الهند القديمة حضارتها
وديانتها ص ٢٦٢ .

(٣) مدينة من مدن الهند على خليج كيمبايت .

(٤) انظر ابا الحسن البلاذري فتوح البلدان ص ٤٢٠ والمستشرق - ل

١ - سيد يو تاريخ العرب العام ، امبراطورية العرب حضارتهم
مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ص ١٧١ .
رطب عليه اسم بھنصور على بعد ٧٠ كم من مدينة كراتشي

من هذا الاحتكاك نرى مبشر فتح مكران يصف السند المجاورة لأصير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا " أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها قَل . (١) وعدوها بطل ، وغيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير فيها قليل ، والقليل فيها ضائع ، وما وراءها شرمها ، فقال عمر أسجاع أنت أم مخبر ؟ لا والله لا يفرزوها جيش لى ابداء ، وكتب الى سهل والحكم بن عمرو الا يجوزن مكران احد من جنودكما " . (٢)

وهذا أول فتور بثه المخبر فى ضد الجهاد ، لفتح السند ، فخوف الخليفة وجنوده المجاهدين من امة لم تكن تتمتع بتلك القوة آنذاك ، فحدث تأخرا فى وصول رساله الحق الى تلك الديار قرابة بضع وسبعين عاما ، ولعل الحدود الطبيعية حالت دون رؤية الحقيقة ، وسترت المداخل الضيقة الضيقة الضيقة ضحف السند عن انظار المخبرين وصرفت الجبال الشامخة المستدة على مساحات واسعة هم المجاهدين الى غير السند مدة من الزمن ، وتكررت الحادثة ذاتها أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حين طلب من نائبه بالمراق أن يوجه الى ثغر الهند من يحمله احواله ، ونصف اليه بخيره ، فكان الرسول كرسول عمر وحديثه كحديثه (٣)

(١) الوشل : الماء القليل ، والدقل أردأ التمر ، والمراد قلة المياه ورداءة الثمار .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ٢٣٣/٢٣٣ .

(٣) انظر فتوح البلدان ص ٤٢٠ ، وعبد الحى الحسنى ، الهند قس العهد الاسلامى ص ١٣٠ .

فتح السند في العهد الأموي :

وفي خلافة معاوية رضي الله عنه عام ثلاث وأربعين من الهجرة حصل المسلمون على الهند مرة أخرى ، ففوزوا السيقان وسيند ، والاهور (١) واصابوا مفسنا ، واهدا ، للخليفة خيلاقية ، غير أن السنود قضوا على تلك الفئة المجاهدة قضاء مبرها (٢) ثم استمرت الحرب تباعا بين المسلمين والهنود يغلبون ويغلبون ، دون أن يتمكن المسلمون من تخطي تلك الحدود الطبيعية حتى ولي الحجاج بن يوسف أمر العراق . وقبل فتح محمد بن القاسم جرت محاولتان لفتح الهند على يد عبد الله ابن ابي بكر امير سجستان عام ٧٨ هـ ، وعبد الرحمن بن الاشعث ، وكادت الاخيرة أن تكفل بالنجاح ، لولا كتب الحجاج التي أخذت ترد الى الجيش وتنسب اليه الجبن والوهن ، لتوقفه عن التوغل مدة من الزمن ثم عودته الى قتال الحجاج بدير الجماجم (٣) فلو تمهل الحجاج ومالج الامور بحكمة ، لكان حديث الاسلام اليوم في الهند كحديثه في الدول العربية الافريقية ولكن قدر الله وما شاء فعل .

وفي أواخر التسعينات من القرن الأول الهجري تمدى بعض أهل السند على بعض العزل من المسلمين ، مما أثار حفيظة الحجاج ، فجهز

(١) اسم مكان في منطقة بلوچستان بباكستان ، لا تبعد عن مدينة كلات الباكستانية كثيرا . وهي مدينة بنون المعروفة اليوم الواقعة جنوب مدينة بشار في منطقة سرحد بباكستان ، والاهور قرية عتيق مرند بنون على نهر اندك في باكستان . انظر عهد المجيد ما لك مسلم ثقافت هندیستان من : الثقافة الاسلامية في الهند (ص ٧٨

(٢) انظر الكامل ج ٢١٨/٣ و ج ٢٢١/٣ ، وفتح البلدان ص ٤٧١ .

(٣) انظر الكامل ج ٣٦/٤ ، ٧٢ - ٧٨ . وشريف الدين بيزداد نشأة باكستان ص ٢٢ .

وله ابن عمه محمد بن القاسم بستة آلاف مقاتل بكل ما يحتاجون اليه حتى الأبر والخيوط لفتح المنطقة ، فبدأ محمد منذ عام تسع وثمانين من الهجرة يفتح السند مدينة تلو أخرى ، حتى وصل الى الملتان ، وأتم فتحها عام ثلاث وتسعين من الهجرة (١) ، يقول الحافظ بن كثير " ثم سار محمد ابن القاسم فافتتح مدينه الكونج وبرها ٠٠٠ وغير ذلك ، فكانت سوق الجهاد قائمة في بنى امية ، ليس لهم شغل الا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وحرها " . (٢)

ولم تجر اية محاولة بعد فتح محمد بن القاسم لتوسيع هذه الرقعة ، ولا تحد ثنا مصادر التاريخ عن اضافة العباسيين جديدا من خضراء الهند الى الدولة الاسلامية . رغم جهادهم في بعض الفترات .

يقول صاحب البداية والنهاية : " قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ٠٠٠ ، مثل الشام ومصر والمراق واليمن واورائل بلاد الترك ، ودخلوا الى ما وراء النهر ، واورائل بلاد المغرب ، واورائل بلاد الهند ، فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة ، الى انقضاء دولة بنى امية وفي أثناء خلافة بنى العباس ، مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده في بلاد الروم والترك والهند " (٣)

(١) انظر الكامل ج ١١١/٤ ، وتاريخ العرب العام ٠٠٠ ص ١٧١ ، وستانلي لين بول الدول الاسلامية مع اضافات بارتولد وخلييل ادهم التركي ج ٨١٦/٢ . وفتوح البلدان ص ٤٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨٧/٩ .

(٣) ابن كثير ج ٨٧/٩ .

جہاد الفزنیوں فی فتح الہند :

ثم أخذت السند وحده وهن الدولة السياسية تتبع ولاية سجستان -
سجستان (۱) قوة ضعفا ، والظاهرة التي تلفت النظر في هذا
المشهد أن الخوارج (۲) أخذوا يتجمعون - بعد التشييت الذي أصابهم
على أيدي الدولة الصفارية - في مدينة قصدار (ضبط) (۳) ، لضمف
السامانيين وانفراط عقدهم بعد قوة ، فما كان من سبكتكين والد محمود
الفزنى إلا أن قضى على السامانيين وعلى الخوارج ، الذين يتاخمون حدوده
قبل ضرب الہند ، وقيام الدولة الفزنوية القوية .

ولما توفي سبكتكين عام ۳۸۷ هـ خلفه على الملك ابنه محمود الفزنى
وسلك الابن مسلك أبيه في الجهاد وفتح البلاد ، فحمل على الہند
سبع عشرة حملة لنشر راية الاسلام ، واحلال التوحيد محل البرهمية ففى
المصايد الرشنية .

وصف صاحب الكامل بدايه جہاد محمود تجاه آله الہنود ، وما يدور
فى خلا عن الوثنية فيقول : " عام ۳۹۲ هـ أوقع يمين الدولة محمود
ابن سبكتكين بجييال ، ملك الہند وقعة عظيمة . وسبب ذلك أنه

(۱) منطقه تقع بين جنوب افغانستان وشرق ايران .

(۲) الخوارج فرقة من الفرق الاسلامية ، لها آرائها المعينة فى الامامة
والامام واصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ظهورهم ففى
عهد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(۳) وتذكر هذه المدينة باسم الملتان فى فتوحات الفزنويين ، وهى غير
الملتان الشهيرة اذا كانت على مسافة عشرين منزلا منها انظر السيد
سليمان السندوى عرب اورهند کے تملقات " صلة العرب بالہند "

لما اشتغل بامر خراسان (١) وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد (٢) وخلا وجهه من ذلك ، احب أن يفتزو الهند تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فشنى عنانه نحو تلك البلاد ، فنزل على مدينة برشور ، بشار - فأتاه عدو الله جيبال ٠٠٠ فالتقوا في محرم ٠٠٠ ، واسر جيبال وجماعة كثيرة من أهله وعشيرته " . (٣)

ويميز بعض مؤرخي الأفرنج بين فتوحات محمود وفتوحات اسکندر المقدوني فيقول :

" ان محمودا كان اسکندر الاسلام ، فإنه فتح الهند كما فتحها اسکندر ، الا أن فتوحات اسکندر ذهبت بذهابه ، واما فتوحات ابن سبکتکین بقيت الى اليوم ، وكان همه من فتح الهند نشر كلمة التوحيد فيه وقلع عباده الاصنام منه " . (٤)

ويقدم لنا كارل بروكلمان خلاصة أعمال محمود الجهادية ومغازيه في قوله " كانت حياة محمود حافلة بالمغازي ، ولقد سار بجيوشه الى الهند مرة بعد اخرى ، ففي سنة ١٠٠١ م تم له فتح كابلستان ، وبعد ذلك بقليل فتح ملتان وقشمبر ، - كشمير - وسعى الى أن ينشر لواء الاسلام ويحل محل البرهمنية في كل مكان ٠٠٠ ، ومهما يكن فقد اندفع محمود في فتوحاته بعيدا الى ما وراء نهر الكنج ، لسيختم فتوحاته في الهند عام ١٠٢٥ م باحتلال كجرات " (٥) فلما هلك من ثلوج هماليا

(١) للقضاء على الثورة المناوئة لحكمه في تلك البلاد .

(٢) أمير سجستان .

(٣) ابن الأثير ج ٢ / ٢١٣ .

(٤) الامير شبيب ارسلان حاضر العالم الاسلامي ج ٤ / ٢٨٨ وانظر حسن

ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

ج ٣ / ٩٤ .

(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦٨ .

الى أقصى الجنوب الشرقي من الهند .

ويمكننا أن نعد محمود أول مسلم فاتح دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية ، وفتح من الهند ما امتنع على غيره ، وعبد طريقا سلكه كثيرون بعده ، امثال محمد بن سام القررى وخلفائه ، الذين تولوا حكم (دلهي) ونشروا العقيدة الاسلامية في المناطق النائية من شمال الهند . (١)

مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الفزنوية
=====

(١) ظل الاسلام محور كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين الاجتماعية والقضائية والسياسية . لا يعرفون مرجعا سواه ، فهو الممّدة في العقيدة والتشريع وفصل النزاعات بين الافراد والدول - فحققوا العدل بين المحكومين ، وسووا بين البشر في الحقوق والواجبات ، وازالوا الامتيازات الطبقية الهندوسية من الارض التي حكموها باسم الاسلام .

(٢) شاركت السند غيرها من الولايات الاسلامية في خدمة الكتاب والسنة ولم تتترك فرصة الا استغلّتها لذلك الهدف النبيل ، فحين طلب ملك السند الثاني من ولاية ضرورة السلطنة مترجما يقوم بترجمة القرآن الى لغة الهندو والسنود ، لبى الطلب بأسرع ما يمكن لتسبيته ، وأعطى كل اهتمام الدولة وعنايتها . (٢) كما شارك علماء السند غيرهم في خدمة السنة جمعا وترتيبا وتدوينا ، يقول الاستاذ محمد اسحاق "في هذه الآونة - بعد انفصال

- (١) انظر تاريخ الاسلام السياسي ج ٣/ ٩٤ ومحمد بن احمد البيهقي ، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مردولة ص ١٦ .
(٢) انظر عرب اورهند كـ تعلقات ص ٢٤١ .

السند عن الخلافة المباسية سنة ٢٢٨ هـ - دخل علم السنة الى السند غير أنه لم يأخذ مكانه المرموق الا عند قيام امارتى منصوره وملتان - المستقلتين ، فى اواخر القرن الثالث من الهجرة ، واستمرت السند تخدم السنة كبقية الولايات المسلمة ٠٠٠ ، غير أن المسلمين السنود لم يوفقوا فى ذلك على ما يرام مدة طويلة ، لأن الاسماعيليه (١) استولت على الامارتين ، وسددت سهامها المسمومة الى السنة وعلومها دون هواة (٢)

(٣) اغاز الجهاد الاسالى الى نهاية الدولة الفرتيه بتخليفتا قاتحين علماء فى البلاد المفتوحة بعد الفتح ، يقومون بالدعوة الى الاسلام وتعليم من يسلم من أهلها امور الدين ، وما يجب عليه عمله فى حياته الاسلاميه . (٣)

(٤) انصب جهاد الفرتيين على محاربة أهل البدع والنحل الدخيلة على الاسلام ، فانفقوا حياتهم فى مقاومة تلك الطوائف التى تحمل بين افكارها الكثير من الافكار الشرقيه الوثنيه العوارثه ، وتحلها مكان بعض المعتقدات الاسلاميه . (٤)

(١) سيأتى الحديث عنهم فى الباب الأخير .

(٢) علم حديث مسين باك وهندكا حصه " مساهمة الهند وباكستان فى خدمة السنة ص ١٠ - ١١ .

(٣) انظر عر رضا كحالة ، العالم الاسلامي ج ١٨٢/١ ، وعبد الحى الحسنى الشافقة الاسلاميه فى الهند ص ٩١ ، والكامل ج ٢٢٦/٢ . وابن خلدون تاريخ ابن خلدون ج ٢٨٤/٤ .

(٤) انظر آدم مستزاد الحضارة الاسلاميه فى القرن الرابع الهجرى ص ١١٩ ، وتاريخ الشعوب الاسلاميه ص ٢٦٩ .

المظاهر المميزة لمهد الثوريين والماليك :-

ومهد فقد الفرتويين السلطة على أفغانستان عام ٥٥٠ هـ ، وعلى الهند عام ٥٧٩ هـ ، خلفهم الثوريون الافغان في حمل السراية الاسلاميه ، وأول فاتح غوري حاول أن يضم شتات الهند في دولة واحدة هو محمد بن سام شهاب الدين الثوري .

وباستيال الشهاب في مستهل القرن السابع الهجرى طوى بساط الثورية ، وأعلن كل ملوك استقلاله بما تحت يده ، وظلت الهند على هذه الحال بضماً وثمانين عاماً . ومميزات هذا المهد كثيرة أهمها :

- (١) ظل الاسلام هو المظلة الوحيدة التى يستظل بظلها المسلمون ، وساسهم الحكم بهذا المنطلق الفريد ، ويتلألاً أبرز نواحيه فى باب القضاء وانصاف المظلومين ، وارجاع الحقوق الى أهلها الشرعيين ، والضرب على يد الغابت دون استثناء ، وذلك بنصب القضاة فى الأقاليم النائية ، ومراقبة تصرفات الناس العلنية فى كل صغيرة وكبيرة (١) ومن الحكم من بنى دوراسماها " دار الأمن " من دخلها خائفاً أمن ، ومن دخلها وقد ارتكب جنائية ارضى عنه أولياءه المجنى عليه ، حتى سار الناس فى اطراف الدولة بأمان ، لا يخافون على أنفسهم أو مستلكاتهم الا الوحوش الضواري أو الكوارث الكونية . (٢)

(١) انظر الكامل ٠٠٠ ج ٢٧٣ / ٩ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٧٥ .

(٢) انظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٤ ، وعبد الحى الحسنى

نزهه الخواطر وبهجه السامع والنواظر ج ١ / ٢٢٨ ، ١٩٢ ،

والسهند فى العهد الاسلامى ص ١٨٣ .

أضف الى ذلك أن الماليك ملأوا أرض الهند بفن معمارى بديع ،
ما يزال بعضه قائما يرد على المفسرين ، وينوه بعظمة الماليك ، وصلتهم
الوثيقة بالاسلام . (١)

ولكن على الرغم من البساط الاسلامى المريض ، الذى احاط
بالمسلمين من كل جانب ، فهناك بعض المظاهر القريبة عن الاسلام
نوجزها فيما يلى :-

(١) بروز ظاهرة البناء على قبور العائلة المالكة ، كبناء شهاب الدين
على ضريح زوجته ، ابنة ملك "آجره " وقد نوه ابن الأثير النسي
ذلك فقال : " فلما تسلمه - البلد - أخذ الصبية فاسلمت
وتزوجها وحملها الى غزنة ، وأجرى عليها الجرايات الوافرة ،
وكل بها من علمها القرآن ، وتشاغل عنها فتوفيت والدتها
ثم توفيت هى بعد عشر سنين ٥٠٠ ، فبنى لها مشهدا ودفنها
فيه ، وأهل غزنة يزورون قبرها " . (٢)

وهذه الظاهرة رغم أنها وجدت قبل الفوريين ، غير أن بناء من
قبلهم كان يختص بالرجال المالحين ، ولا سيما من كان من أهل
السبب رحمه الله ، فابتدع الفوريون البناء على قبور الملوك
ومن ينتسب الى بيت الملك ، ولم تزل هذه الظاهرة تمتدو بخطى وطيدة
حتى العصر الحديث (٣)

(١) انظر علم حديث مسين ٥٠٠ ص ١٢. ونزهة الخواطر ج ١/ ١٣٨ ترجمة حسن
الصافى .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٣٦/ ٩. وانظر تاريخ ابن خلدون ج ٨٥٤/ ٤

(٣) كستجد يد محمود الفزنوى انبناء على مشهد على بن موسى الرضا
بطوس ، وكان أبوه قد خربه انظر الكامل ج ٣٤٧/ ٧. وكبناء السقبة
على قبر الملكة المخلوعة رضية بنت التمشى .

انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٤ والهند فى العهد الاسلامى ص
١٨١ ، وكالبناء على مدافن ملوك المغول وغيرهم .

(ب) وثاني الظواهر التي أحدثها الفوريون في الهند ابان حكمهم واقتدى بهم من جاء بعدهم من الملوك هي ظاهرة الاقطاع واعطاء الأرض منحة للمالك شريطة أن يدفعوا مالا معيناً كل سنة وأن يمدوا الجيش المسلم المحارب بجند وسلاح محدودين ، فاجبر الممالك المباد على الكد لصالحهم ، دون النظر الى المصلحة العامة ، وحاجة الكادين ، مما أدى الى انهيار رباط الود بين الحاكم والمحكوم . (١)

(ج) وفي عهد التتمشي ظهر أبو الرضا رتن بن كربال الهندي ، الذي ادعى صحة النبى وطول العمر بدعائه عليه الصلاة والسلام ، والى الف الرسالة الرتيبة " فادرج فيها الأحاديث التي ادعى سماعها من النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، فصدقه اناس وانكر عليه آخرون ، وكان وجوده وظهوره شار جدل بسين العلماء ، وفتنه لعامة المسلمين . (٢)

(١) انظر التكمال ٣٦ / ٩ و ٢٢٣ والهند في العهد الاسلامي ص ١٢٦ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ١٤٧ / ١ ومن قبيل رتن هذا عبد العزيز علمبر دار المكى الذى يقال عنه أنه ادرك زمن الخليل وعيسى بن مريم ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وحصل راية من راياته الجهادية ، وكان من أهل الصفة ، وأنه غلبته عيناه عدة مرات وكان ينام كل مرة أربعين سنة ، وكان ظهوره اخيراً في القرن السابع ، واليه تنتسب القلندرية — الموفية .

انظر لمزيد من التفصيل عنه نزهة الخواطر ج ١ / ١٢٢ .

• اجتمع اiban حكم ^{الشمس} صفوة الصوفية الهنود والمهاجرين ، الذين قاموا
 بخدمة الاسلام عن طريق الدعوة السلمية ، فالشيخ معين الدين حسن
 ابن الحسن الجشتي الأجميري السجستاني اتى الى الهند بعد أن ساح
 في منطقة ما وراء النهر والمراق ، وقدم الشيخ قطب الدين الكمي من
 تركستان ، بعد أن اجتمع برؤساء التصوف آنذاك في بغداد ، كما
 اشتهر الشيخ بهاء الدين زكريا بن محمد الملتاني ، واصبح مزار الناس
 في الولاية وكسب " الانوار الروحية " ، واصطليح التصوف منذ عصر
 هؤلاء الشيخ بصيغة تصوف الهندوس ، ومجاهداتهم الصعبة الصماء •
 فاجتهد هؤلاء الصوفية وغيرهم من تأثر بهم واقتدى بنهجهم في جلب
 الناس الى الاسلام ، وتقديم المعتقدات الاسلامية الى جميع طبقات الشعب
 الهندوسى دون تمييز ، فالتصق بهم الهندوس كالتصاقهم بقس دينهم ،
 لعدم الفارق بين دعاة الاسلام ودعاة الهندوسية في طرق التقديم وسبل
 الدعاية كابتداع بعض رجال الصوفية المسلمين الرقص والوجد والفناء
 عند المباداة والذكر ، مشابهة بقس الهندوس زاعمين أن الفاية تسبرر
 الوسيلة ، ويصف الشيخ عبد الحى الحسنى هذا الوضع عند الشيخ الكمي
 فيقول : " وكان من الأولياء السالكين المرتاضين ، يقوم الليل ويصوم
 النهار ، ويشغل بالذكر والفكر على الدوام ، فارغا قلبه عن هواجس الخطرات
 زاهدا متورعا عزبا ، يستمع الفناء ويتواجد ويستغرق في بحار المصارف ،
 حتى انه توفي في تلك الحالة " . (١)

ولم تكن تلك الصفة تخص الصوفية وحدهم ، بل هى خاصة ذلك العصر
 استظل بظلمها اعلام المسلمين آنذاك ، يشترك فيها الفقيه والمحدث ،
 رغم عرفانه أن السماع محمية يسأل عنها يوم القيامة ، ولا يستثنى من ذلك

الا من رحمه الله ، فهذا محمود بن ابي الخير البليخي الامام العالم المحدث الفقيه الذي تلقى علم السنة من أعلم أهل زمانه - حسن ابن محمد بن الحيدر الصاغاتي اللاهوري - وأخذ الفقه عن صاحب الهداية برهان الدين المرغيناني ، يفتتح صباحه بالاستماع الى الفناء ، ويسرى عنه صاحب نزهة الخواطر قوله : " ولا أسأل يوم القيامة عن كبيرة الاستماع الفناء بصبح " . (١)

وكانت بغداد وما جاورها من البلاد حصن التصوف وما صفته ، وكثيرا ما كان المتصوفة يرحلون اليها ، للكسب الاشباع الروحي ، وكان ذلك يركز في لبس خرقة الخلافة ، - مكارم العباد - ولا يمنح ذلك الاشعار الا لمن يفقد الحس في ذكر الخالق ، ويتواجد ويذوب - بالمعبادة والتفكير ، كما تذوب الشمعة بالنار .

والخرقة اشبه ما تكون بمترجم ينبئ عن افتراق السلطة الدينية من السلطة الدينية ، واختصاص أحدهما بعالم الروح والآخر بعالم البدن ، لذا ترى أن قطب الدين بعد أن فرغ من تلقى العلم والتلمذ على المشايخ رحل الى بغداد لأخذ الخلافة الروحية . ويصف مؤرخ الهند ^{عبدالحسن} ذلك الحفل والتنصيب بقوله : " ثم رحل الى بغداد ، وسمع بملازمة الشيخ معين الدين حسن السنجرى الاجميرى في مسجد الفقيه أبي الليث السمرقندى ، فلبس منه الخرقة ، وكان المجلس محفوا بالشيوخ ، كالشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، والشيخ اوجده الدين الكرمانى ، والشيخ برهان ^{الدين} الجشتى ... " . (٢)

(١) عهد الحسن الحسنى ٢٣٠ / ١

(٢) نزهة الخواطر ج ١ / ١٩٧

كما خلق المتصوفة ظاهرة الاعتكاف على القبور ، وقضاء المديد من
السنين عندها ، للتمتع على التقشف والزهد ، وكسب الولاية والأنوار
الروحانية من تلك البقاع ، ويصف عهد الحى الحسنى هذه الملازمة
عند الصوفى الاجميرى فيقول : " ودخل هارون قرية من أعمال نيسابور ،
وادرك بها الشيخ عثمان البهارونى ، فلأزمه واخذ عنه الطريقة وصحبته
عشرين سنة ، ثم قدم الهند ، وأقام بمدينة لاهور ، واعتكف على قسبر
الهجويرى والزنجانى ، ثم قدم دهلى ثم سار الى اجمير وسكن بها ،
وكانت تحت سلطة الهنود فى ذلك الزمان ، فاسلم على يده خلق كثير " (١)

(هـ) دخل الى الاسلام التصوير والتشيل المنحوتان بصورة غريبة ، وذلك
شئ لم يكن لسلطان الهند عهد به ، ويصف الرحالة ابن بطوطة الرضا
القضاى والتصوير المنحوت فيقول : " ومن مآثره - الشمس - أنه
اشتد فى رد المظالم وانصاف المظلومين ، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا
مصبوغا ، واهل الهند جميعا يلبسون البياض ، ثم إنه أعيا فى
ذلك ، فقال ان بعض الناس تجرى عليهم المظالم بالليل ، وارىس
تجليل انصافهم ، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام ،
وفى اعناقهما سلاسلتان من الحديد ، فبهما جرس كبير ، فكان المظلوم
يأتى ليلا فيحرك الجرس فيسمع السلطان ، وينظر فى أمره وينصفه " (٢)

(١) نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ١٣٦/١ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٢ وانظر الهند فى العهد الاسلامى

مميزات عهد الخليجيين ونبي تفليق :-

ثم خاف الخليجيون الماليك في الحكم مدة ثلاثين سنة ، وفي عهدهم
حطم سيل التتار الجارف سور الهند الطبيعي ، غير أن الخليجين تمكنوا
من رد عدوانهم ، ودحروهم الى خارج الهند (١) ويحتبر عهدهم عهد
الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، التي جمعت تحت رايتها اغلب اطراف
الهند ، وقد اعترف بهذه الحقيقة الكتاب الاوربيون . يقول هامرطن
" وفي نهاية القرن الثالث عشر غزا علاء الدين
الخليجي الدكن ، وتم له فتح الاقليم كله ابان حكمه ، حتى بلغت
جيوشه اقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية ، كما اخضع الكجرات " .
ويمتاز هذا العهد بامور بينه منها :-

- (١) ظلت راية الدعوة الى الاسلام تسير سيرها الطبيعي في فتح
الهند بالسيف حيناً ، وبالموعظة أحياناً اخرى ، ولا سيما في
منطقة " ورنكل " و " نلنك " وولايات جبال هملايا وحدود
الصين ، (٣) ولم يكن قتل آخر ملوك الخليجين عام ٧٢١ هـ
الا شاهداً من تلك المواهد ، فما أن ابدى " خسروخان " -
أكبر امراء قطب الدين رغبة نفي من الهندوس اعتناق الاسلام
حتى رجب بهم السلطان ، الا ان الأمير تمالي باستحياء الهندوس
نهاراً فسمح له بالاتيان بهم ليلاً ، ليكسوهم كسوة الاسلام ،

- (١) انظر نزهة الخواطر ج ٢ / ١٥٠ - ١٥٢ .
- (٢) تاريخ العالم ج ٥ / ٦٢١ . وانظر الامير شكيب ارسلان حاصر العالم
الاسلامي ج ٤ / ٢٩٣ والدول الاسلامية - ٢ / ٦٣٥ .
- (٣) انظر احمد محمود السادات ، تاريخ المسلمين في شبه القارة
الهندية وحضارتهم ج ١ / ١٧٧ .

ان كانت المادة كما حكاه ابن بطوطة " أن الهندي اذا أراد الاسلام
ادخل الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ، ويمطيه قلادة واساور من ذهب
على قدره " (١) غير ان الامير غدر به فقتل غيلة على ايدي الهندوس .

(٢) عادت امور الدين والتمسك بها أكثر شانه من بعض اليهود
السابقة لا سيما في عهد التغلقين ، كاهتمامهم باقامة
الملوك بالجماعة وتحريف الناس اركانها وواجباتها ، ورفع
المكوس غير الشرعية عن العباد ، ومد الفلاحين بالبذور
والأموال ليستمينوا بها على حفر الآبار وتنمية الزراعة . (٢)

(٣) الاهتمام بشئون العباد المميشية ، وذلك بوضع حلول يمكن
العمل بها حتى اليوم ، كتحزين الدولة قوت الناس -
وحاجياتها في أماكن تمدها لهذا الغرض ، لا تفتحها الا حين
تخشى ارتفاع الاسعار ، اضع الى ذلك وضعها التسمية
القدنية الممينة ، لتكون امور المميشية في متناول الجميع ،
وبالتالى تفسد على المحتكرين خططهم الاستغلالية ، فيمودون
الى السوق وتسفيرة الدولة اودونها . (٣)

(٤) استطاع القرامطة تجميع افرادهم المشتتين في اطراف البلاد ،
وتمكنوا من نشر ما يدينون به سراً بين الناس في العاصمة دهلى

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٤ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٩ و ٥٠٢ .

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٠ . والهند في العهد الاسلامي

- كإباحة الفحشاء وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ومساندة الهندوسية في بعض معتقداتها - ففضى عليهم علاء الدين الخلجي وطهر المجتمع المسلم من هذه المنظمة. (١)

غير أن هذا المجتمع المسلم بهذه الصفحة الإسلامية البيضاء لم يخل من مظاهر لا تتماشى مع شرع الله ، أهمها :-

(١) تجاوز بعض الحكام في العقوبة الشرعية لبعض الجرائم ، بحجة أن الناس يستخفونها ، فحبس شارب الخمر وبائعيها في الآبار ، وعاقب الزناة بقطع أعضائهم أو إعدامهم دون تفریق بين المحصن وغيره. (٢)

(٢) واغرب ظاهرة يمكن لمسها في هذه الحقبة هي تقبيل الأرض بين يدى السلطان ، كإظهار للاتباع وتجديد الولاء ، وتكيفت هذه الظاهرة مع مرور الزمن ، وبرزت أخيراً في صورة السجود أو ما يقاربها بين يدى السلطان ، ونتج عن ذلك ترفع الملك عن الناس وعد نفسه وأسرته وعائلته أفراداً مختارين ومفضلين ، يجب على الرعية تعظيمهم وتبجيلهم ، واستحدثت لهذه الظاهرة اصطلاح " الخدمية " ولم يستثن من ادائها احد ، وقد امدنا الرحالة ابن بطوطة ببيان غير واف لها حين قال :

(١) انظر خلسيق أحمد نظامى سلاطين دهلئ کے مذہبی رجحانات "المیول الدینیة عند سلاطین دهلئ" ص ٢٤٦ .

(٢) انظر نزہة الخواطر ج ٢ / ١٦٦ .

" ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير ... ،
وهو يجلس السلطان الجلس المام ، فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب
رأسه من الأرض ، وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا اصابعنا الى الأرض ،
وخدمنا لناحية سرير السلطان ، وخدم جميع من معنا " (١)

ولم تقتصر " الخدمة " على الملك وحده ، بل تجاوزت السى
جميع أفراد الاسرة الهالكة ، فأوجبت لام السلطان واخته ... على
من أراد التشرف برؤيتهم ، حتى ولو كان التشرف زواجا ومعلا (٢) ،
بل اتخذت الخدمة مفاهيم أوسع واشمل فقرضت لسرير السلطان الذى
خلا من صاحبه ، وظلته التى طهت لقدم الحاجة اليها ، وأخيرا
لجهة السلطان . (٣)

(٣) وفى هذا العهد نلص كثرة ارتياد الناس لقبور الصالحين
شعبا وحكاما ، لالتماس البركة والدعاء ، ورحلة السلطان محمد تغلق
لزيارة قبر الشيخ الصالح " البطل سالار " التى اشترك فيها
ابن بطوطة نفسه مثال من تلك الاشلة . (٤)

(٤) حدث فى الصوفية فكرة الانقطاع عن الناس ، والاتجاه الى الكهوف
والغابات ، والتخلى عن جميع مستلزمات الحياة ، حتى وصل
الأمر ببعضهم الى التمرى ونهد اللباس ، بحجة التجرد التام
عن هذه الحياة . (٥)

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٠٢ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٥ .

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٨ .

(٤) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٤ .

(٥) انظر نزهة الخواطر ج ٢ / ٩ .

فيروز تغلق وعهد اليمين

ويعتبر فيروز متفردا بين ملوك الهند ، فقد بذل الجهود المضنية في ابطال كل ما وجد ، مخالفا للشرع الخفيف ، فلم يرق دما حواما ، ولا عاقب مجرما الا من احدى على شئ مسن محارم الله ، وأصدر مرسوما سلطانيا أوقف به العمل بجميع العقوبات التي كان الملوك السابقون يحاقبون بها ، وقد دون ذلك ببنتانه فقال : " ان الله عز وجل قد أنعم على هذا المبدأ ، اخذ الرجاء ، موضع الخوف ، والأمن انتشر ظله على البلاد " ، فلم يبق حاجة الى التمييز والقتل والضرب والايام . . . ، فلا عقاب اليوم يمثل ما جرى به العمل في سالف الزمان ، انما يعاقب اليوم من احدى على شئ من حدود الله ، حسب ما يقتضيه الشرع ، فيجرى القضاء بحيث لا يحيد عن حدود الشريعة ولا قيد شمرة " (١)

وأمر أن لا يجمع في بيت المال الا ما أخذ بطريق مشروع ، كالخراج والمشر والزكاة والجزية وخمس الغنائم . . . ، وأبطل ستاً وعشرين نوعا من انواع الضرائب ، كانت تجبيها السدول السابقة ، مما لا يسمح به الشرع ، ولم يكن له أصل في الكتاب والسنة . وفي عهد ظهر الاحاد والزندقة بصير مختلفة ، من اسماعيلية اباحية ، ورافضة اطلقت لسان القدح في الخلفاء الراشدين ، وفي ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، وفي اعيان الاسلام وكانوا يجتمعون رجالا ونساء ، لتعاطي الخمر والفحشاء في ليال معينة ، ومن متكبر يدعى الالوهية في بهار ، فيتبمه عدد غير قليل ، وصوفي يزعم (انا الحق) فيجيبه أهمل كجرات (انت انت) ، ومدع للنبوة في دلهي ، يحترف بالاثم غير هيا ، فقضى فيروز تغلق على جميع هؤلاء ، واتباعهم بالقتل والجلاء ، وظهر المجتمع المسلم من درن المتطقلين ولو الى حين (٢)

ومن البدع التي حاول السلطان التخفيف من ارتكابها زيارة المسلمين لمشاهد الأولياء ، ومراقدهم أيام الأعياد والمواسم ، فأصدر أمرا بمنعهم من الزيارة ، وتمنيز كل من تجاسر منهم على ركوب هذا المسلك البور ، وتحقيقا لمطلب الشرع ، وسد الباب الفتنة والقضاء

(١) نقلا عن مسعود عالم الندوي تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٣١ .

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٤ - ٣٥ . سلاطين دهلي ص ٤٢٨ .

على ما يخالف شرع الله . (١)

كما طهر رحمه الله حياته الشخصية السلطانية مما يخالف الشرع ، فنع استمالة أواني الذهب والفضة وملابس الحرير وما نهى الشرع عن ارتدائه ، ومنع تصوير ذوات الزوج على الاثاث والستور . . . ، وقفاً عند أوامر الله عز وجل ، فلا ترى بنا ن النقد ترتفع اليه الا في اتفاق الاموال الطائلة لتجديد ما اندرس او تهدم من مهاد أهل الله ومراقد الملوك ، (٢) ولعل فيروز أول سلطان هندي وقف الموقف الصحيح حول فرض الجزية ، وصنف الناس طبقات وفق أوامر الشرع ، وأعلن اسقاطها عن مسلم من أهل الذمة (٣) كما حذاد موقف الشرع من معابد الوثنيين ، فأمر بحفظ السليلد وهدم الحديث ، وما أقيم بعد قيام الدولة الإسلامية ، وقفاً عند امر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٤) ومن هنا لم تكن راية الجهاد نشيطة في عهده اذ أكثر تطبيق الاسلام على التوسع في الفتوح اسوة بحمر ابن عبد العزيز رحمه الله .

مميزات عهد الامارات المستقلة :

ما أن لحق فيروز تغلق بخالفه حتى نجم قرن الفتن ، وانفرد عقد الدولة الإسلامية ذات الولايات الثلاث والعشرين ، وهات القرصة مهية لتدخل المفل عام ٧٩٩ هـ وتم لتيمور لنك فتح دهلى عام ٨٠١ هـ ، بعد أن غاب جيشه فسادا في منطقة البنجاب سنتين كاملتين . وعهد الامارات هذا تميز بامر منها :

(١) ظل الاسلام محط الانظار يسعى اليه كل الامارات المسلمة ، حسب فهمها للاسلام لدخول التشيع وغيره من الافكار المنحرفة الى بعض هذه الامارات ، وكان اشرف مساعيها يتثل في تحقيق العدل في مجتمعاتها على الأسس الإسلامية ، فسمى القضاء الى تطبيق الشرع في فصل النزاعات واقامة الحدود دون تمييز بين الحاكم والرعية . (٥)

(١) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية ص ٣٦ .

(٢) انظر ضياء الدين بزي تاريخ فيروز شاهى ص ٧٥٦ ، ٧٦٤ .

(٣) انظر تاريخ العالم ٦٢٥ / ٥ .

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٣٧ .

(٥) نزهة الخواطر ٣٥٠٠ ج ١٣٩ / ٤ ، ٣٥٦ .

(٢) بذل الكثير من القضاة والتجار واصحاب المناصب العليا في هذه الامارات جهوداً مشكورة لخدمة العلم ، من اقامة المكتبات ، وجلب العلماء الاكفاء ، وبناء المدارس لنشر الوعي بين الأمة ، ومنهم من الزم نفسه بدفع نفقات الطلاب والمعلمين العلمية والمعيشية ، لتعم المعرفة كل طبقات الشعب ، ومنهم من تولى عن جميع ممتلكاته لخدمة هذا الجانب من الاسلام . (١)

(٣) تقدم أفراد من الأمة فعقدوا الالوية الطوعية للجهاد ورد المدوان ، دون الانضمام الى الجيوش النظامية ، التي أصبحت لا تتحرك الا لمصالح سياسية ، فخدم التطوعون المقيدة في احلك الظروف ، وضحو في سبيلها بكل غال ورخيص ، حتى الأهل والامارة ، ومدوا يد العون الى كل منطقة مسلمة أصيبت بمكروه من اغلبية عدة الأوثان . (٢)

(٤) كثر الاستدريد على البدع ، فكم من منكر على تخصيص القبور بغير بالتبذير فيما انفق عليها من اموال بيت مال المسلمين ، وكم من مند بالافناء والتواجد الصوفيين ، مرجعهم في ذلك الكتاب والسنة وسلف الأمة ، رحمهم الله . (٣)

غير أن هذه الاتجاهات الطيبة الكثيرة صاحبت القليل من المظاهر التي لا يرتاح اليها الاسلام منها :-

(١) وجد التصوف منفصلاً جديداً في الحياة ، لا يثار مسلم الشمال حياة التمسك والهدوء على النزول والحركة من جهة ، ولعدم مساس تيمم حياة المتصوفة بسوء يذكر من جهة أخرى ، فنشأت الرغبة الملحة في الانقطاع والتجرد ، نتيجة الفراغ الذي اعقب الفزوة فساد التصوف حياة مسلم الشمال ملكاً وشعباً وامراً بالجملة ، يقول احمد محمود السعدا د اتنى عن آخر سلاطين السادات نواب تيممور " وقصد المتآمرون من بعد ذلك الى السلطان علاء الدين بقامه في بيانه (٤) يعلنون

(١) انظر نزهة الخواطر ٠٣٠ ج ٣ / ٧١ و ٩٩ . ج ٤ / ٢٩٩ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ٣ / ١١٠ - ١١٤ و ١٤٩ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ٣ / ٤٥ و ٨٦ / ٤ .

(٤) لمل الصواب مدينه بدايون انظر نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ٣ / ٤٣ .

ولاهم له ولكنه كان من الزاهدين " (١)

ويقول صاحب نزهة الخواطر ٠٠٠ عن الامير الصوفي سارنك اللهنوى " احد كبار المشايخ الجشتية " كان من امراء السلطان فيروز شاه الدهلوى ملك الهند ٠٠٠ ثم أخذته الجذبة الربانية ، فترك الامارة وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكروى ، وتلقى الذكر منه " (٢)

(٢) اتخذ التصوف شكلا جديدا فى حياة المسلمين ، فبدأ يحول دون اكتساب العلم والمعرفة ، وينحصر فى الذكر واعادة ما لا يفقه كثيراً ، وقد حكى صاحب نزهة الخواطر عن الامام الصوفى أحمد بن عرانة سافر الى دهلئى لتلقى العلم من أخيه تقي الدين " فأقسام عنده مدة ولم يبلغ درجة العلم ، لميلاله الى الزهد والمجاهدة " (٣)

بل تقدم التصوف خطوه أخرى حين لم يلق النجاح المطلوب من الناس عن العلم ، فزحف الى يتابعه لتجفيفها ، حيث ترى نفرا من أهل العلم يترك منصة التدريس وفساده الامه ، وينقطع الى الذكر والمجاهدة ، وكأنه فى الآخرة قبل الآخرة ومنهم من لَوْن مياه الأنهر بكتبه التى كان يملكها ، لثلاث تحول دون الاستغراق وشمس المألى الأعلى . (٤)

ومن لم يصل الى الوجد والطرب " كنه الحقيقة " اباح له دين بعض الصوفية السكر وشرب ما يذهب بعقله ، للوصول الى الهدف المطلوب ، وقد طفق هذا المحذور الشرعى عند شيخ الصوفية السدائرية ، فأتى اصحاب هذا المسلك كل ما يأتية فاقد العقل من كشف العمرة والهديان ٠٠٠ ، فادعى بديع الدين المدار الحلبي أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العالم ، وأن تصوفات الكون لا تعدوه ، وأنه يحى الموتى ، ولا يحتاج الى طعام ، ويقول عنه اصحابه " ان على وجهه أنوار الله ، فمن يراه يرى فى وجهه جمال الله ، ولذلك يضطر الى السجدة له " . (٥)

(١) تاريخ المسلمين فى ج ٣٣٨/١ .

(٢) عد الحى الحسنى ٧٦/٣ ، وانظر أيضا ج ٣٢/٣ .

(٣) عد الحى الحسنى ج ٨/٣ و ج ٣٠٧/٤ ، ٢٣ .

(٤) انظر نزهة الخواطر ج ٤٥/٣ ، ٨٧ ، ١٦٩ ، ١١٢ .

(٥) انظر نزهة الخواطر ج ٣٧/٣ و ٨٥ .

وانى لاستشف من الصفات التى وصف بها الشيخ المدار أنه أحد أقطاب الاسماعيليه الأفغانيه الذين اضطروا للهجرة الى الهند حفاظا على حياتهم امام ضربات اسماعيل بن حيدر الصفوى الفارسى .

(٣) وأهم خطر داهم جنوب الهند وسواحلها الغربية فى عهد الامارات المسلمه هو التشيع وحمل الناس قهراً على اعتناق المعتقدات الاماميه الاثني عشرية ، كما وقع فى اماره بيجابور المكتوبه :
ابان حكم عادل شاه ، وعلى عادل شاه ، رغم أنهم ينتسبان الى الاتراك اعداء الاماميه دون نزاع . (١)

وشمال هذه الامارة وشرق بومباي تقع اماره أحمد نكر ، التى حملت لواء نصر التشيع الاسماعيلى الأفغانى ، حين أوت امام الافغانيه طاهر بن رضى القزوينى الهندانى الفارسى من تسوية اسماعيل الصفوى ، فأمن بدعته "برهان نظام أمير" أحمد نكر ، ثلاثة آلاف من خدمه وأهل بيته ونفقاته الأرض بما رحبت على أهل السنة ، ويصف مؤرخ الهند ذلك الوضع فيقول : "تشيع وبالح فى ذلك حتى أنه امر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة فى المساجد ، والخوانق والاسواق والشوارع ، وجعل الارزاق السنيه للسايين من خزائنه ، وقتل وأسر خلقا كبيرا من أهل السنة والجماعة" (٢)
وفى ولاية كجرات وما والاها شمالا وجنوبا وجد دعاة الاسماعيليه البهرة أرضا خصبة لث أفكارهم فنقل يوسف بن سليمان السده ببرى الدعوة الطيمه من اليمن الى الهند . (٣)

(٤) وفى هذا التشيع غير الواعى خط البرتغالون رجالهم فى مرفأ جواة كستجار سافرين ، ليس لهم هدف سوى التجارة ، بيد أنهم تشبهوا بذلك الميناء لمسالمة أهله . (٤)
وازدادوا تحكينا لمدهم يد العون للشخصيات الشيعيه البارزة ، التى قصدتهم فرارا من سيف اسماعيل الصفوى ، فاضى السواردون بدورهم اتباعهم بمسالمة أصحاب المرفأ ، وعد من مصالحهم بسوء ، شكراً لمنهم وتقديراً ، وتلك هى بدايه استقرار الاوربيين فى

(١) انظر مسعود عالم الندوى مجله الفتح ٣٩١/١٠ . نزله الخواطر ٣٩٧/٤ ١٣٢٦ .

(٢) عبد الحى الحصى نزله الخواطر ٥٣/٤ .

(٣) انظر نزله الخواطر ٣٩٥/٤ و ٦٩ و ١٠٧ .

(٤) انظر مانوراموداك الهند شمسها وأرضها ص ١٢٠ .

الهند . (١)

(٥) وإذا اتجهنا الى أقصى الشرق نجد من حكام البنغال عند أوائل القرن العاشر من الهجرة حسين شاه ، الذي اختلق مذهبا جديدا بمنح المعتقدات الوثنية وحقائق التوحيد ، كل ذلك لتوطيد السلطة ، وارضاء الهندوس على حساب الاسلام . (٢)

وعانت كشمير قبل البنغال بقليل من مثل هذا الاجحاف ، حين تودد زين العابدين أمير كشمير الى الهندوس بمنح ذبح البقر ، والسماح لنساءهم باحراق أنفسهن حسب ديانتهن الوثنية ، واجازة القمار الذين اسلموا هربا من الجنية في عهد أبيه أن يرتدوا عن الاسلام ، ويهودوا الى ماكانوا عليه قبل التوحيد . (٣)

(٦) وانتج هذا التساهل أن وجد مؤسس الفرقة النوربخشية الشيعية ارضا خصبة لبث أفكاره في كشمير ، وما جارورها شرقا وغربا وشمالا من المناطق الجبلية النيمه ، ابان عهد السلطان زين العابدين ، فادعى المهدية واحقيقه الخلافة ، وتوسط بين أهل السنة والشيعه الامامية الاثنى عشرية في فروع الفقه المختلفه . ويؤمن مؤرخ الافغانية على محمد جفارا أن محمد نور بخش هو احد دعاة الاسماعيليه ، اشترك معه كمال الدين الثاني في وضع الأسس المذهبيه النوربخشية ، وبذا ينتسب هؤلاء الى الاسماعيليه إن صح الخبر . (٤)

(٧) قد استغل هذا الوضع المصاب بالتمزق والوهن في وسط الهند السيد محمد ابن يوسف الجونبوري ، فادعى المهدية عند انسلاخ القرن التاسع من الهجرة ، وشطّر الامة المسلمة بحملاتها وقضاتها وامرائها الى شطرين ، مصدق ينصر دعوته ويمد حركته بالرجال والعتاد ، ومكذب يفتى بأرهاق روحه وينسب اليه الزندقة والالحاد .

(١) انظر ارنولد تونبي مختصر دراسة التاريخ ج ٢٩٥ / ٣ ، والقسيس بركة الله مفاهيم سلطنة اورمسيحيات (الاستنصار والدولة المقلوية) ص ٦٦ ونزهة الخواطر ج ١٦٣ / ٤ ، وذلك برسو الرحالة فاسكودي جاما البرتغالي عام ١٤٩٨ م - ٩٠٥ هـ بجوا أولا ثم كالي كوت ثانيا .

(٢) انظر تاريخ المسلمين ج ١ / ٢١٨ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ج ٢ / ٢٢٢ .

(٤) انظر محمد بن ملاطبات نورية لمر احوال نوربخشية ص ١٩٥ - ٢٨٠ وعلى محمد جفارا نورميين جبل الله المتين ص ٥١٥ ونزهة الخواطر ج ١ / ٤٢٢ .

وكانت أشد المناطق اقتتانا بهذه الحركة هي مناطق جنوب الهند وغربها - أماكن التشيع والرفض المذمومين - ويصف عبد الحى الحسنى موقف الأمة من هذه الدعوة فيقول : " وادعى - محمد بن يوسف - فيها - في مدينة فتن بكجرات مرة رابعة أنه مهدي من الكره فقد كفسره فتمعبه العلماء وباحثوه ونفوه من ذلك المقام أيضا ، فرحل الى بلاد السند ودخل الناس في دينه أفواجا ، فأمر بقتله صاحب السند ، فشغل له نداماؤه . وأمر بإخراجه من أرض السند ، فرحل الى خراسان ومعه ثمانمائة رجل من أصحابه " (١)

ولم يزل أعقاب هؤلاء في دكن وكجرات وجى بجر وكراتشى يؤمنون بمهدية السيد حتى اليوم ، ويقوم مذهبيهم على ترك الحياة العاجلة ، والعزلة عن الخلق ، والهجرة عن الوطن ، وصحبة الصديقين ، ودوام الذكر ، واعطاء العشر ، وطلب مشاهدة البارى عز وجل . (٢)

(٨) وأهم انحراف وضعت لبننة بنائه في هذا العهد المنحل ان سمح بعض ذوى الفقه من العلماء لاتباعهم بالسجود لهم تعظيما وتكريما ، ولم تجد هذه الظاهرة اليد الحديدية التى توقفها عن الزحف ، وتطهر البلاد من امثال هؤلاء المتلاعبين ، وتوقفهم عند حدودهم فى شريعة الله . (٣)

(٩) شارك بعض ملوك هذه الامارات فى اللطرب والغناء ، حتى ضرب بسهم ملموسا ليفا واختراعا ، ومن العلماء من شارك فى الكتابة عن اباحة الغناء (٤) ، وكان الأمر من قبل لا يعد والمشافهة والمناقشة ، اللتين كثيرا ما أفضتا الى تغليب جانب الحرية على غيره .

(١٠) وآخر ما نلمسه من المظاهر غير المتشعبة مع الاسلام ابان حكم هذه الامارات هو بدعة دفن المشائخ والعلماء فى ركن من أركان المسجد أو المدرسة ، أو غرفة من غرف الدار المسكونة ، عوضا عن المقابر وأماكن الدفن البعيدة عن العمران . (٥)

- (١) نزهة الخواطر ج ٤ / ٣٢٣ .
- (٢) انظر الدكتور شيخ محمد اكرام رود كوشر (نهر كوشر) ص ٢٧ - ٣٠ وعبد الشكور سيواتى احسن البيان فى تنبيه الفرق والاديان ص ١٦ ونزهة الخواطر ج ٤ / ٣٢٥ .
- (٣) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٦٩ .
- (٤) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٦٣ و ج ٤ / ٤٩٧ .
- (٥) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٢١ ، ٥٠ ، ١٤٩ ، ١٧٣ و ج ٤ / ١٢٠ .

الفصل الثمانى

* المجتمع المسلم فى عهد المغول *

ومشتمل

(علمى النقاط الرئيسية التالية)

- (١) سياسة المغول فى الحكم .
- (٢) الملك أكبر ونتائج انحرافه .
- (٣) مرسوم العصمة وآثاره .
- (٤) التنصير وموقف أكبر منه .
- (٥) مقاومة انحراف أكبر ونتائجها .
- (٦) مميزات عهد جهانكير وشاهجهان .
- (٧) اورنگ زيب ومميزات عهده اليمون .
- (٨) " " فى نظر أعدائه .

الفصل الثانى

سياسة المغول فى الحكم :

منذ اكتسب بابر مؤسس الدولة المغولية معركة "بانى بت" من اللودهيين عام ٩٣٢ هـ سهل عليه اخضاع الولايات المستقلة ، ولم يمت حتى ضمت دولته أغلب تلك الولايات . وأهم ما يوقف الدارس من أعمال هذا الفاتح هو وصيته ، التى غلت محور الحكم وسياسة الدولة تجاه المحكومين قرابة قرن من الزمان ، فقد أوصى بابر أبناء الملوك عند الموت فقال : " ابنائى إن من نعم الله عليكم أن منحكم سلطة الهند ، وملكنكم على أهلها المختلفين فى الديانة والمذهب فراعوا الأمور التالية :-

- (١) سلوا التعصب المذهبى من سويداء قلوبكم ، وأعدلوا بين الناس مع مراعاة مذاهبهم ووجدانهم .
- (٢) اياكم وذبح البقر ، وسيجد ترففكم عنه مكانا محترما فى قلوب الناس ، فيشكروكم بالامتثال والطاعة .
- (٣) اياكم والتعرض لمعابد القوم بسوء ، وأعدلوا بين من تحكمونهم لتبقى صلة الصفاء بينكم فيعم الأمن اطراف البلاد .
- (٤) إن نشر الاسلام بسيف الرأفة والاحسان أفضل من سيف الظلم والتعدي .
- (٥) غضوا طرفكم عن اختلاف الشيعة والسنة ، ففى اثارته قتل للاسلام .
- (٦) وليكن ما تختص به امة من امم رعاياكم ، كفصول السنة حتى تسلم الدولة العلة والوهن " (١)

وانك لتشعر بالاجحاف المكشوف فى الوصية تجاة الاسلام . لذا مدح ريتان الفرنسى بابر فى ضوء كتابه بابرنامه " فقال : " فتجد فى تلك الأسطر كلاما معقولا مع اصالة الرأى

(١) انظر نص الوصية محمد ميان ، علماء حق اوران كى مجاهد انه كارنامة العلماء الربانيون وأعمالهم البطولية ص ١٣ . ورود كوش ص ٢٣ . ومسلم ثقافت ص ٤٧٩ .

ورقة الطبع وشدة الجلد ، بدون تعصب ديني ومع عدم اهتمام زائد بالاسلام ، الا في احايين يظهر عليه فيها اثر الثدين (١)

الملك اكبر ونتائج انحرافه :

تولى اكبر سدة الحكم بعد موت والده همايون بن بابر عام ٩٦٤ هـ ، وهو حدث لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، فتاب عنه وزيره الشيعي بيرم خان ، فطلق يحابي أبناء مذهبه ويخصصهم بالمناصب الرفيعة في الدولة ، ويمعن في اضطهاد السنيين ، أصحاب الغالبية بين مسلمي الهند (٢)

وفي عام ٩٦٩ هـ تسلم اكبر زمام الحكم في يده ، وكان اميا صرفاً نشأ على حب الاستطلاع والتطلع الى المعرفة لجبر النقص الذي أصابه من عدم التعليم في صباه ، فحشد جملة من المشائخ في بلاطه ، وأخذ يسألهم ويناقشهم في مسائل الدين ، حتى جنح الى أن الأديان كلها حق وأن الاسلام لا يمتاز على غيره بشئ ، فسعى الى ايجاد ثقافة موحدة بين الهندوس والمسلمين لازالة ما بينهما من عوامل التمييز والتفرقة .

والذي بلغ باكبر الى ما وصل اليه من اختلاق مذهب يجمع بين المعتقدات المتضاربة والنحل المختلفة أموراً همها :

(١) جمع العلماء في النادي "عاجد تخانه " على لباس التنافس ، وابراز العضلات العلمية فنتج عنه تنقيص بعضهم لبعض وشم بعضهم بعضاً ، دون وازع من الدين أو الضمير أو الانسانية ، مما ازال هيبة الاسلام ، ووقاره من عقل الملك وزنه . (٤)

(٢) نشوء اكبر في بيئة شيعية اذ ولد من أب سني وأم شيعية ، واحكم الحلقة وزيره بيرم خان ، اذ عين له عهد اللطيف الشيعي مربيا ومعلما .

(٣) كثرة لجوء علماء الشيعة البارعين في المنطق والفلسفة الى أرض الهند ، محتمين بحمل

- (١) لوثراب حاضرم العالم الاسلامي ٢٩٨/٤ ج
- (٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٦٠ وتاريخ المسلمين ج ١٠٣/٢ .
- (٣) انظر رودكوتير ص ١٢٦
- (٤) انظر ه ج ولز معالم تاريخ الانسانية ٩٥٩/٣ ج

أكبر ، أمام ضربات اسماعيل الثانى الصغوى ، الذى أعلن تَسَنُّه امام الملأ ، واطهر كراهيته للمذهب الشيعى والشيعة دون وجل . (١)

(٢) زواج أكبر باميرات هندوسيات ، ظللن متمسكات بعبادة الأوثان داخل القصر الملكى ، وهؤلاء لم يدخرن جهدا فى تهنيده وصرفه عن وجه الحق ، ومنهج الصواب .

(٣) حركة الترجمة الضخمة للكُتب غير الاسلاميه من البرهمية والبوذية والنصرانية الى اللغة الفارسية ، فقد أمر بنقل " أَتَهَرِينَ وَيَد " - رابع كتب الهندوس المقدسة - " وَمَهَابَهَارَت " ، " رومائن " - فى تاريخ الهند - كما أمر بترجمة الانجيل وكليلة ودمنة والتناجك فى التجسيم - " وَمَهَاكُوت كِيَتَا " وَرَأَك سَاكِرَ فى الموسيقى . (٢)

(٤) مضافا الى ذلك اميته وجهله ، وعدم معرفته الكتابة والقراءة ، اذ أدى اضطراب حياة ابيه الى حرمانه من التعليم ، فتولى الملك صبيا ، فنعمه غرور السلطان وابهة البلاط من أن يذعن لأحد من العلماء ، ويأخذ عنه امور الدين .

(٥) أخيرا لحوق الدهاة من دارسى الفلسفه والحكمة بأكبر عن طريق " عبادتخانه " كبارك ابن خضر الناكورى ، وابنيه ابى الفضل وفيضى الشيعيين ، والحكيم ابى الفتح ، والملاحم محمد البيزدى ، وتاج الدهلوى ، ونير محمد شريف الآملى الوجودى ، وكان أكبر قبل لحوق هؤلاء به لا يشغل نفسه الا بالمعروف من الشرع ، ومعد لحوقهم به شغلوه بعلوم الفلسفه والأسرار الصوفية الحلولية الوجودية ، زاعمين الوصول الى الحق المجرد وكنس الحقيقة .

مرسوم العصمة وآثاره :

ولهذه الأسباب وغيرها جرت السنن الالهية الكونية ، فاحدثت زعزعة فى كيان أكبر الداخلى ، فاستغل الشيخ مبارك الفرصة فوجهه وجهة معينة - أثرت تنفيذ حكم الاعدام فى البرهمى الذى سب صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، رغم عدم استحسان أكبر لذلك الحكم - بتقديم مرسوم

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلاميه ص ٥٠١ .

(٢) انظر معالم تاريخ الانسانية ٩٥٩/٣ ونزهة الخواطر ج ٧٨ / ٥ و ٢٣٨ .

العصمة اليه عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م مذيلاً بامضاءات أشهر العلماء ، وتضمن " ان الهند أضحت بسياسة عدل السلطان بلاد الدعة والأمن ، فقصدتها رجال العلم من العرب والعجم... " ولأن يعلن جمهور العلماء الذين تظلّموا في العلوم النقلية ، وفاقوا أقرانهم في الفنون العقلية ٥٠٠ ، بعد ما تدبّروا معاني الآية الكريمة " اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولسى الأمر منكم " وامنوا في مغزى الأحاديث الشريفة " ان أحب الناس الى الله يوم القيامة إمام عادل " ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني " وتغفطوا الى غيرها من الشواهد العقلية والدلائل النقلية .

" ان السلطان العادل أرفع درجة عند الله من المالم المجتهد ، ويصرحون بأن سلطان الاسلام أمير المؤمنين ظل الله في الأرض الملك الفازي ابا الفتح جلال الدين محمد أكبر - خلد الله ملكه - أعدل الملوك وأعقلهم وأعلمهم .

" فاذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين ، وأراد الملك أن يعزز جانباً ، ويرجح رأياً مستنداً الى ثقب ذهنه ٥٠٠ ، تسهيلاً للأمة وتحسيناً لإدارة السلطة ، وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به .

" وإذا أصدر الملك أمراً لا يعارض النص ويحتوي على ما فيه ترفيه الشعب وجب العمل بمقتضاه ، وان من يخالف أمره من رعيته يستحق العذاب في الآخرة ، والخسران في الدارين والدنيا جميعاً " (١)

ولو نظرت الى المرسوم بتمعن قلن يصعب عليك الحكم بأنه صحيح ليكون الملك محور التشريع ينقض من أحكام الشريعة السمحاء ما يشاء ، ويضيف اليها تحت ستار الاجتهاد والمصلحة ما تملئ عليه نفسه وهواه ، وإنك لتشتتم من كلمات المرسوم " إمام " " المجتهد " " ظل الله في الأرض " " الترفيه " انها تومئ الى الفكر الشيعة بنوعيه ، الاسماعيلي والامامي - كما أنها تشير الى الفكر الحلولي .

(١) انظر ، تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٨٣ الى ٨٥ بتصرف بسيط بعد مراجعة النص الفارسي في رود كوثر ص ١٠٣ وترجمته في نزعة الخواطر ج ٥ / ٧٥ .

وملاحظ في قصة الحضارة ص ١٤٢ .

وسرعان ما أخذ المحضر طريقه الى العمل ، فابيحمتعة النساء ، ونكاح المسلم بالوثنية (١) والغيث الجزية عن المشركين ، وحرم على الناس أكل لحوم الحيوانات الأليفة من البقر والشيء ... ، وأباح أكبر البغاء والخمر والربا والقمار ، وأسقط العقوبات الجسدية الإسلامية جميعها ، وحرم على المسلمين التزويج بينات العم والعمة والخال والخالة وأسقط الاغتسال من الجنابة ، بسل أمر بالاغتسال قبلها ، وزعم أنها أوفق للصحة ، وأنشط للسجدة ، كما حرم صيام رمضان بحجة نقصان الانتاج ... (٢)

والقول الفصل ان الامثال لاحكام الاسلام مع مراعاة تشريعات أكبر اصبح محالا وضربا من العبث ، فما من تشريع الهى الامسته يد التحريف ، وأزاحته عن ميدان العمل وساحة الدين الحنيف ، وتدرج صاحب المراسيم فى الاجتهاد من الفروع الى الأصول فقال بخلق القرآن ، والتشكيك فى النبوات باستحالة الوحى ، وانكر الحشر والنشر والمعجزات والملائكة والجن وسائر المفنيات ، وجوز التناسخ على الطريقة الهندوسية . (٣)

وأخطر هذه التشريعات هو تشريع السجود للملك ، كالسجود لرب العالمين ، واستبدال " كلمة لا اله الا الله أكبر خليفة الله " بكلمة الشهادة ، والسماح للناس بالارتداد عن الاسلام ، وانهم مخيرون فى اختيار الديانة بين الاسلام وغيره .

المتنصير وموقف أكبر منه :

ولأول مرة فتح باب المتنصير ، وأصبح قس، المسيحية يحومون الهند ، ويقومون بتبليغ التثليث ، ويتهجمون على الاسلام وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بمساندة الدولة ، وقد ذكر القس بركة الله نتائج البعثة المسيحية الثالثة فقال : " عندما وفد على أكبر الوفد المسيحى الثالث بلاهور عاصمة ملكه رجب بهم ، وسمح لهم بتبليغ مذهبهم الى الناس ، وأمر ألا يضايق ولا يمانع من يقبل المسيحية ، كما سمح لهم ببناء كنيسة عند قصره " . (٤)

- (١) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ٣٠٢ .
- (٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٧١ الى ص ٨١ .
- (٣) انظر حاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ٣٠٢ . ونزهة الخواطر ص ٧٧ / ٥ .
- (٤) مغلبة سلطنة اوسحيت ص ٢٠٠ وانظر العمل التنصيرى بالتفصيل ابان عهد أكبر فى رود كوثر ص ١٣٨ - ١٥٦ وتاريخ المسلمين ج ٢ / ١٣٤ ، ١٣٦ .

هذا وقد تعمقت تشريعات أكبر في أبرز اظهرتين خطيرتين : ظاهرة القول بوحدة الوجود ، وظاهرة التشيع . وتعنى الأولى أن للوجود ظاهراً وباطناً ، وأن الباطن هو النور ، وأنه بمنزلة الروح لجميع العالم ، وأن ظل ذلك النور هو الوجود الظاهر الذى يشاهد فى صور الممكنات ، وأن الاسماء والصفات والأفعال الظاهرية بمنزلة الأمواج من البحر والجملة فإن أفراد الكائنات هى صور متجلية للحق تبارك وتعالى ، سبحانه الذى خلق الأشياء وهو عينها ، وأن الكثرة الاعتبارية هى الوحدة والتوحيد فى الحقيقة والواقع ، وأن وجود الممكنات هو عين وجود الواجب تعالى وتقدس جل وعز . (١)

وقد يكون لعقيدة التناسخ الوثنية الهندوسية دخل فى شد أفور هذه النظرية ، إذ التناسخ الهندوسى يصل بالارواح الطاهرة فى المقامات العليا الى الاتحاد بالرب عز وجل ، كما تعود بالنجسة لتشكل حلقة الحياة فى صور الحيوانات الكريهة .

وترأس هذا الاتجاه الخطير الشيخ محب الله الله أبادى ، وأمان الله البانى بتي ، فقاما بنشره بين الأمة ، معتقدين بالوحدة المطلقة من أن العبد عين الرب ، وأن الرب عين العبد ، يتوسم بعضهم فسى كل ما وقع تحت بصره الهأ ، فتبعمهم العديد من المشائخ والصوفية ، وأصبح النكير عليها ضرباً من العبث ، وصنفت العديد من الرسائل والكتب لاثبات هذا التوحيد المزعوم . (٢)

أما ظاهرة التشيع الاثنى عشرى فقد ورثها أكبر من تركه أبيه ، إذ لم يمد طمها سب شاه الصفوى - شاه ايران يد العون الى همايون لاسترداد الهند - الا بعد أن أخذ عليه العهد بمؤازرة التشيع ، وسواء اعتنق همايون التشيع أو لم يعتنقه فقد أذن بنشره بين السنيين الهنود ، وذلك بفتح باب الهند أمام علماء الشيعة المهاجرين ، ليثبوا نزعاتهم تحت حماية الدولة فى عهده وعهد ابنه وحفيده . (٣)

(١) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٣١١ ، ونزهة الخواطر ج ٤ / ١٧٤ و ٢٣ و ٣٢ و ٤٩ و ١٦٦

(٢) انظر للتفصيل نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ٥ / ٣٢٢ و ٦٩ و ١٦٦ و ٣٢٤ و ٣٢٨ و ٣٥٣

(٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٥٦ و نزهة الخواطر ج ٥ / ٤٢ و ٧٣

مقاومة الأمة لانحراف أكبر نتائجها :

وكان من الطبيعي اثر هذه التشريعات والسماحات من حاكم أتى الى منصة الحكم عن طريق انتسابه الى الاسلام - أن هبت رياح المعارضة والمقاومة في العديد من أجزاء الهند المسلمة ، وعلى جميع المستويات شعبا وعلما وامراء ، كل في دائرته حيث وقف الكثير من الأمراء موقف المقاوم المعاند لأفكار أكبر وتشريعاته ، فترى ميرشهباز خان كهو ينزع يده من يد أكبر خشية فوات فريضة المغرب ، رغم الحاج أكبر بأدائها قضاء ، والأمير مرزا عزيز الدين - رئيس الوزراء وأخو أكبر من الرضاع - كان يغلظ عليه القول فيما يخالف الشرع فعزله السلطان لذلك ، فقبل تلك التحيية باستيشار صيانة للدين والشرع الحنيف ، ولم تكن ثورة الأمير جلال الدين المسلحة في " سَوَات " و " بَاجُور " الا من هذا القبيل . (١)

وكان العلماء أشد جراءة من هؤلاء جميعا ، فترى القاضي يعقوب المانكجورى يفتى بتحريم المتعة خلافا لباحة أكبر اياها ، ويفتى قاضي القضاة محمد اليزدى الشيعي على المساء بكفر أكبر عام ٩٨٠ هـ ، ويوجب شهر السيف في وجهه ، ويتصدى المحدث ابراهيم الأكبر آبادى والشيخ حسن الأجميرى للملك في تحيته السجودية . (٢)

وتكاتف علماء الجنوب جميعا تجاه هذا الطغيان فحدث ثورة شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وقد تداركها أكبر بالمكر والخديعة ، والدهاء والوقية ، نفى رؤساء العلماء كشيخ الاسلام مخدوم الملك عبدالله السلطانجورى ، وصدر الصدور الشيخ عبدالنبي ، وكثيرا غيرهم الى الحجاز ، بعد أن هيا لهم الزاد والراحلة بحجة وجوب الفريضة ، وأمرهم ألا يمردوا الا بآذنه ، ودفن الآخرين في كهوف وهم أحياء ، وسجن من تبقى منهم كالقاضي يعقوب والشيخ حسين الأجميرى في القلاع النائية . (٣)

(١) انظر للتفصيل رود كوثر ص ١٤٢ ونزهة الخواطر ج ١٧٠/٥ و ٢٢٢ و ١١٥ .

(٢) انظر رود كوثر ص ١٠٥ ونزهة الخواطر ج ١٣٥/٤ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ج ١٣٥/٥ - رود كوثر ص ١٠٥ .

وقد أنتج هذا الاضطهاد حدثا فتخربه الهند حتى اليوم ، إذ دخل علم السنة بصورة منتظمة إليها ، وذلك بعد تأمين الطريق البحرى لاداء فريضة الحج ، فحمل العديد من العلماء علم الحجاز بالحديث الى الهند ، واجدر هؤلاء بالتنويه تلامذة المحدث أحمد بن حجر الهيتمى المكي وعزيز الدين عبدالعزيز الزمزمي ، اللذين كانا موظفين من قبل السلطان محمود الكجراتى بمدرسته فى مكة حرسها الله - والمحدث عبدالحق الذى خدم السنة - فى كتيبه المتعددة خمسين عاما بعد أن تحملها من الحجاز . (١)

ولم يفارق أكبر الحياة حتى شاهد انهيار دعوته ، وفشل تشريعاته بام عينيه ، وقد ندبه ول ديورانت بقوله " وهكذا قضى الملك أكبر دون أن يجد من يصى على روحه ، بسين انصارية عقيدة أو مذهب ، ولم يشيع جنازته عدد كبير من الناس ٠٠٠ ، مع أنه أعدل وأحكم حاكم شهدت آسيا فى كل عصورها " . (٢)

مميزات عهد جهانكير وشاهجهان :

لم يرض أعيان الأمة المسلمة بمياعة جهانكير من أكبر عام ١٠١٤ هـ الا بعد أن أخذوا عليه العهد بالعودة الى الاسلام ونبت كل ما يخالفه من التشريعات الاكبرية ، وتميز مجتمع هذا العهد بأمر أهمها :-

(١) ركز العلماء جهودهم على اصلاح التصوف ، ورد ما فقه الحلول والتشيع وعظمة الملك ، فوقف الشيخ أحمد السرهندى - مجدد الألف الثانية - والشيخ أحمد محمد البجورى ومن على شاكلتهما موقف العزيمة من سجدة التحية ، وأبوا أن يأخذوا بالتأويل والرخصة ، وفضلوا الغريمة والسجن على السلامة والامان . (٣)

(١) انظر للتفصيل علم حديث مين باك وهند كاحصة ص ١٢ ، ونزهة الخواطر ج ٢ ، و ٢٨٧ و ٣٥١ .

(٢) قصة الحضارة ٣ / ١٤٤ وانظر حاضر العالم الاسلامى ٣٠٦ / ٤ .

(٣) انظر بدر الدين سرهندي حضرات القدس ص ٨٩ - ٩٠ ورود كوتر ص ٢٦٩ ، ونزهة الخواطر ٤٣ / ٥ ، ٦٨ .

وشاركهم الشيخ آدم بن اسماعيل البنورى والشيخ عبد الباقي السهارنبورى ، والمحدث عبد الحق الدهلوى فى ارجاع التصوف الحلولى الى ديانة التوحيد ، بإنشاء الطرق الصوفية الحديثة ، وإنما القديمة الوثيقة الصلة بالاسلام ، تلبية للاعتقاد السائد آنذاك أن اسلام المرء لا يقبل عند الله ما لم يكن على صلة بطريقة من طرق التصوف (١)

(٢) رغم عدم اعتناء الدولة بالدين ، ولا سيما فى باب بعض الحدود - نجد أن بوادر العودة الى الشرع وضعت بذورها فى أوائل هذا العهد ، اذ بذل العلماء ورجال الاصلاح العديد من المحاولات للعودة الى الاسلام ، وما يخدم أهدافه السامية ، فم ترجمة القرآن الى الفارسية واعانة الايامى على الزواج وتحمل نفقات النكاح الاجزء من تلك النهضة الشاملة ، التى أعادت الاسلام بجميع فروعه الى حياة المسلمين ايام حفيد جهانكير . (٢)

(٣) ادرك المجتمع المسلم عن طريق العلماء ، خطر التصير والتشيع ، اللذين كانا ينخران عقيدة التوحيد ، فحاول الحد منها بالجهاد حيناً والنصح والارشاد أحياناً اخرى ، فما معارك شاهجهان فى " هوكل " ضد البرتغاليين ومعاركه فى "غو" لكندة " وميجابور " ضد الشيعة الاجزء من ذلك الحد ، ومنع للانحراف من الانتشار . (٣)

غير أن الحاد أكبر هياً فرصاً لأمر مبتدعة ، لم يكن للمجتمع المسلم عهد بها نوجزها فيما يلى :

(١) تهذير الأموال على بناء المشاهد والقبور ، وانفاق ما يغى بنفقات الدولة عدة سنوات على مقبرة من المقابر ، وكأن بساطة الاسلام وهديه لم يعد لهما وجود فى وسط هذا البذخ والاسراف ، رغم أن مثل هذه البنايات كانت موضع ترحيب واعتزاز عند الفنانين والمشتغلين بفن العمارة الاسلامية .

(١) انظر نزهة الخواطر ١/٥ - ١٩٩ - ٢٠٦ .

(٢) انظر تاريخ المسلمين ١٧٩/٢ ونزهة الخواطر ١٢١/٥ ، ١٣٤/٥ ، ٣٠٩ .

(٣) انظر Ishwari Prasad. "A Short History of Muslim Rule in India"

ايشورى براساد مختصر تاريخ الهند فى العهد الاسلامى ص ٣٨٨ ، وخافى خان منتخب اللها ب ص ٢١٢ وتاريخ المسلمين ١٩٥/٢ ونزهة الخواطر ١٧٢/٥ ، ٣٨٥ ، ٣٤٩ ، ١٢٢ ، ٧٣/٥ .

(٢) عمت ظاهرة نقل الاجساد بعد الوفاة من موضع لآخر بين المسلمين ، قد يصل الى مسافة بضعة الاف من الكليومترات ، وقد ينقل الجثمان بعد الدفن بستة أشهر وما شابه ذلك . وكأنه خفى على الامة دفن الصحابة وسلف الامة رضى الله عنهم فى اطراف الدولة الاسلامية المتراصة (١)

اورنك زيب ومميزات عهده الميمون :
=====

معمن النظر فى شخصية اورنك زيب — من مخالف ومؤيد — لا يسمعه الا الاقرار باسلامه وأمانته وعدله وتقواه ، يقول عنه دل يورانت " لقد كان فى السياسة بارداً ، (هادئاً) — يقدر عواقب الأمور تقديراً دقيقاً ٥٠٠٠ ، امتنع عن كل ما يحرمه دينه من الوان الطمامم والشراب وأسباب الترف امتناعاً كان يرقبه فيه ضميره ، والظاهر أنه نفذ ما صمم عليه وهو الا يتفق على نفسه الا ما كسبت يده بالعمل " . (٢)

ويقول الساداتى احمد محمود : وقف اورنك زيب عالمكير حياته كلها على اعلاء شأن السنة ، ونشر لواء الاسلام خفاً علانياً ، ومجاهدة عبادة الأوثان ، والخارجين على اجماع أهل السنة من أصحاب المذاهب الشيعى وغيرهم ، وقضى ايامه على خير ما يقضيها مسلم تقى ، يحفظ القرآن ، ويصوم أغلب ايامه .

وما ان تسلم عالمكير زمام السلطة عام ١٠٦٨هـ حتى أمر بالفاء شائين نوعاً من المكوس المفروضة على المسلمين والهندكة ، وأمر ألا يؤخذ من أموال الناس الا الزكاة والجزية ، وفرض على المسيحيين جزية ثلاث رويات فى السنة ، كما أصدر أمره بمنع زراعة الأفيون وشرب أى مسكر ٥٠٠٠ ، وتقديم خطوة فتنع الفحشاء ، وأصدر مرسومه لمرتكبات هذا الجريمة

(١) انظر نزهة الخواطر ج ١/٨٤ و ١٦٩ و ٢٠٣ و ٢٥١ و ٢٧١ و ٢٩٠ و ٣٠٦ و ٣٢٢ و ٣٧٧ .

(٢) قصة الحضارة ج ٣ / ١٤٩ وانظر مغلية سلطنة اورمسيحيات ص ٣٢١ ونشأة باكستان ص ٢٥ .

(٣) تاريخ المسلمين ج ٢ / ٢٤٤ وانظر رودكوثر ص ٤٥٥ .

بالزواج أو النزع من دولته .^(١) وتركزت اهتمامات عالمكير على أمور أهمها :-

١ - المودة الى الشرع فى أمور القضاء الدقية والعظيمة ، وتعيين القضاة فى القرى ، والأرياف فضلا عن المدن والمقاطعات ، ولا يقل عدد من انتسب الى هذا المنصب فى عهده عن عشرين الآلاف ، وذلك أصبح المعدل يطرق أبواب الناس عوضا عن أن يطرقوا بابه ، ولتوحيد المحاكم القضائية اختار نخبة من العلماء ممن توسم فيهم أورنك زيب الفهم السليم لنصوص الشرع لتصنيف قانون الدولة القضائى فبرزت " الفتاوى الهندية " كقانون يفصل القضاة فى ضوءها بين البشر ،^(٢) ولتكيف حياة الناس وفق الشريعة ضاعف عالمكير جهوده فى تعيين المفتين ، للاجابة عما يجد للناس من الأمور فى الحياة اليومية^(٣)

ولحاجة المجالين الى العلماء ورجال العلم نشط التعليم الاسلامى فى طول الهند وعرضها ، فظهرت العشرات من المدارس والمئات من المكاتب ، وكان للدولة ورجال الخير الأثرياء أيد مملوسة فى ادارة هذه المدارس ، وبديد المون لابقائها تفيض بالمطاء والخير ، بوقف العديد من القرى وتميين رواتب مقطوعة للمشتغلين فى تلك المعاهد ، وتقديس الهيئات العينية والمالية اليها بين الحين والآخر ، وما زال " الدرس النظامى " الذى وضعت أسسه ايان عهد عالمكير أحد الطريقين فى التعليم ، وكسب المعرفة فى شبه القارة الهندية ، بيد الأمة بأئمة المساجد ورجال الافتاء .

٢ - أ تطهير المجتمع المسلم مما اختلط به مما ليس منه بالضرب بيد قوية على الصوفية الوجوديين ومن يسير سيرهم ،^(٤) فلم يكن الأمر الملكى بمنع قراءة مكتمات الشيخ أحمد السرهندى ودوران الحافظ الشيرازى وقتل سريد اليهودى المسلم وحسن محمد فياض الهزكافى الا نتفا من ذلك التطهير الشامل .^(٥)

(١) انظر للتفصيل فيما نهى عنه عالمكير من الأمور المخالفة شرعا محمد اسحاق بهتى فقهاء هند ٥٠٠ هـ والهند فى العهد الاسلامى ص ٣٨٩ ورود كوثر ص ٤٥٨ وتاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٣ وما بعدها .

(٢) انظر نزهة الخواطر ص ٢٨/٦ و ٧٧ و ١١١ و ١٢٧ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٧٩ و ١٨٩ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٨٢ و ٣٠٣ و ٣١٩ و ٣٧٢ و ٣٨٠ و ٣٨٩ و فقهاء هند ٥٤ / ٥ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ص ١٤٣/٦ و ٣٧٩ .

(٤) سياى تفصيله فى فصل التعليم .

(٥) انظر رود كوثر ص ٤٨٢ و ٤٨٥ ونزهة الخواطر ص ٢٦٧/٦ .

ب - انتفضى البهرة الاسماعيليه بعد أن شرب شاه جى الكجراتى - أمامهم المستور -
سألتل نفسه ، إثر استدعاء أورنك زيب اياه عام ١١١٤ هـ ، بسبب مظهر منه من الأعمال غير
الشرعية ، كالسترواء الحجاب وإبراز رجله عند الالتاح للتقبيل والقاء النذور ٥٠٠٠
فامتطى الاسماعيليه الحسام لموته ، وقتلوا الدولة حتى غلبوا ، فلم يكن من الملك الصالح
الا أن أمر " أن ييمت أهل العلم الى أحد أباد ونواحيها ، ليعلموا ذرايبهم - أى -
ذراى المقتولين - العقائد الصحيحة " . (١)

ج - سعى عالمكير الى اللوصول على الحدود الطبيعية للهند المسلمة ، وذلك بعد زاية
الاسلام الى أقصى الجنوب ، والقضاء على الجيوب الهندوسية المحتمية بامارتى غو كده ،
ميجابور الشيعيتين ، وقد استغرق تحقيق هذا الهدف النبيل أكثر من ربع قرن ، يزعم
بعض الناس ان " قضاء أورنك زيب على امارات دكن الشيعية كان بمثابة هدم سور حصين
أمام قوة مراهته - الهندوس - المتصاعدة (٢) وقد خفى عليهم ان عالمكير قد اكسح الجنوب
كله ، بما فيه اماره مراهته ، فقد سقطت راجكسر ، عاصمتهم عام ١١٠١ هـ فى أيدي المسلمين
وصلح الجيش الاسلامى تنجورة اقصى المدن الجنهمية الساحلية ، انما يكمن سر انهيار الدولة
المغولية بعد اورنك زيب فى حروب الوراثة التى اتت على اليابس والأخضر ، ومن خلفه
من الابناء غير الاكفاء ٥٠٠
أورنك زيب نظر اعدائه :
=====

ولشدة وطأة عالمكير الاسلامية حاول اعداؤه النيل منه ، والغض من منجزاته ، وقد تكفل
ول ديورانت بتوجيه الاتهامات الهندوسية اليه قائلا : وظل خلال نصف القرن الذى حكم
البلاد فيه يحارب فى سبيل محو الديانات كلها من الهند الا ديانتته ، وأمر عماله فى الأقاليم
وغيرهم من اتباعه أن يقوضوا كل المعابد التى تتبع الهندوس أو المسيحيين ، وأن يحطموا
الأصنام جميعا ، وأن يفلقوا مدارس الهندوس ، بغير استثناء ٥٠٠٠ وأقام مسجدا اسلاميا

(١) نزهة الخواطر ج ١٠٢/٦

(٢) شمس بريلوى أورنك زيب خطوط كآ ثيت مين (اورنك زيب فى ضوء مذكراته) ص ٦١ .
وانظر أحمد ابراهيم البشيشى الهند خلال المصور ص ٩٩ .

فى مكان معبد كان قائما فى بنارس ، وكان موضع قدسية خاصة عند الهندوس بغية الاساءة
التمعة اليهم " . (١)

والعودة الى مرسوم عالمكير الذى نشره المستشرق فلت عام ١٩١١ فى الصحف الأوروبية
تتضح حقيقة التهمة ، وهذا المرسوم خير سبيل للكشف عن موقفه تجاه هذه المعابد ، وجاء
فيه " بناء على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية لا يجوز بناء معابد جديدة للهندوس ، وقد
بلغنى ان بعض العمال تعدى على البراهمة والهندوس وعلى معابدهم فى بنارس وضواحيها
ويودون اخراجهم منها ، مما سيجعلهم يتيهون فى الأرض حائرين ، فيا أبا الحسن حاكم
بنارس ، مرك بضبط الأمور ، حتى لا يتعدى احد على البراهمة والهندوس ولا على معابدهم
وتظل طائفة البراهمة فى مكانها من القيادة لبني ملتهم " . (٢)

واما ما يتصل بتحطيم الأصنام فلم يقدم أعداء اورنك زيب حادثة معينة هدمت فيها الأصنام
من غير نزال أو حرب ، وانما جل الحوادث التى ساقوها لاثبات هذه التهمة يعود تاريخها
الى الحرب أو نتيجة الحرب ، اذ كانت المعابد مركز القيادة ونقطة انطلاق المقاومة
الهندوسية ، وقد تصدى شيلى نعمانى لبيان واقع هذه الوقائع فقال : " واشنع رسوم
يوجه الى اورنك زيب هو أن الرجل كان شديد التعصب لدينه ، هدم معابد الهندوس ، مما
أجبرهم على الثورة ، وسل سيف المقاومة فى وجهه ، بيد ان الحقيقة عكس ذلك اذ كانت
السياسة والدين أمرين لا ينفك احدهما عن الآخر ، وكان المسجد والمعبد محطا انظار
الشعوب وعقر دار الثواب ، فحينما ثار الهندوس من خلال أماكن العبادة اصطدمت المعابد
بالجيش فكسرت الأصنام ، وازيلت المعابد " . (٣)

ويعود أمر قفل المدارس الهندوسية والمسيحية الى ما كانت تتجهجه هذه المدارس فى
سياستها التعليمية منذ عهد أكبر ، الذى أنشأ مثل هذه المعاهد لانزعاج أبناء المسلمين

(١) قصة الحضارة ٣ / ١٤٩ .

(٢) مسلم ثقافت ص ٤٨٣ . واورنك زيب خطوط . . . ص ٦٠ .

(٣) اورنك زيب عالمكيرايك نظر (نظرة فى اورنك زيب) ص ٧١ وانظر فقها هند

من الدين الحنيف ، فلم تؤسس " آيات شال " الا لهذا الغرض ٥٠٠٠ ، اذن لم يكن غلق هذه الدور الا من باب الحفاظ على العقيدة الاسلامية . غير أن المؤرخين الشيعة البعاد دولتهم اطلقوا عنان اقلامهم في الكتابة عن موضوع القفل فعمموا المعين المحدود والخاص المعدود ، لتحويل الصفحة السنينة الناصعة وحماية الشرع الى الحق وظلم العباد . (١)

وثاني التهم التي سود بها بياض هذا المسلم أنه حذر على الهندوس أبواب التوظيف لدى الدولة " وأمر عام ١٠٨٢ هـ جميع حكام المقاطعات بالاعيين لخدمة الحكومة الاسلام والعودة الى الأمر الملكي ينجلي أن المنع لم يأت الا لوظيفه جمع أموال الدولة (الخراج) ، وذلك للحد من الرشا التي كان يتقاضاها الهندوس الممتنون على هذه الوظيفة ، وعدمضي بضع سنوات نرى الأمر قد عدل فوظف هندوسى جوار كل مسلم ، فلو كان الهدف هو حرمان الهندوس فما معنى جعلهم شركاء فيما بعد مع المسلمين في هذه المهنة الوظيفية ، وما معنى جعلهم امراء وأصحاب المناصب العليا في الدولة . والمقارنة والاحصاء تجد أن عدد امراء الهندوس اiban حكم عالمكير بلغ واحدا وستين ، بينما لم يتسلم الامارة في عهد أكبر الا اثنان وخمسون اميرا هندوسيا ، بل لم تكن اماره كاهل التسلمة الا تحت تصرف أمير من امراء الهندوس . (٢)

وملصق التهم من المسلمين يدور كلامه بين قتل عالمكير اخوته ، ووضع ابيه تحت الإقامة الجبرية بعد تسلّم الحكم وتحويل من سلم عليه بالنسبون — السلام عليكم — الى الشرطة ، وقراءة الكتاب المجيد لا يزال ثوابها للفقير ونكاحه بالمغنية زين آبادى (هيرا بايى) وتكميله بناء الاضرحة (٣) وقهرها من الامور التي يمكن تبهرها في ضوء الملك والسلطة وظروف المجتمع المسلم المحاط بسياج التصوف آنذاك ، والقول الفصل : ان اورنگ زيب رغم سميه الحثيث في نشر الاسلام واقامة الشرع الحنيف كان يشرأ ، يخطئ ويصيب غير معصوم في تصرفاته .

-
- (١) انظر شيل نعمان اورنگ زيب برايك نظر ص ٦١ و ٦٦ وما بعدها .
 (٢) انظر فقهاء هند ٣٤/٥ و ٦٨ . اورنگ زيب برايك نظر ص ٦٢ و اورنگ زيب خطوط ٦١ .
 (٣) انظر الامير شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامى ٣١٠/٤ و فقهاء هند ٧٨/٥ وتاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٧ ، و اورنگ زيب خطوط ص ٣١ و ٢٦٤ و رود كورث ص ٤٢٧ .

ظل رحمه الله يجاهد لاعلاء كلمة الله في جنوب الهند وشمالها طوال خمسين عاما
قضاها في السلطة والحكم ، فاختضع المراهته وشدته الخفاق على البريطانيين حين ناهضوا
الدولة في فرض الجزية ، فدحرتهم قواته في كل مراكزهم ، فضاعت منهم مصانعهم في "هوكلي"
"سوليياتام " غير أن دهاة الانجليز بتسكنهم تمكنوا من أخذ اذن السماح باقامة حاكم لهم
عند قرية كلكوتة وظلت القرية تتسع في تدرج سريع حتى أصبحت عاصمة المستعمرة البريطانية
في عهد خلفائه قبل انتقال كرسى الحكم الى العاصمة دهلي . (١)

(١) انظر تاريخ المسلمين . ٢٤٩/٢ .

الفصل الثالث

- { المجتمع المسلم في عهد شركة الهند الشرقية } -

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية:

- (١) مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب .
- (٢) موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية .
 - (أ) الموقف الرسمي .
 - (ب) الموقف الشعبي (حركة السيد بين الجهادية) انتفاضة ١٨٥٧م وأثارها في المسلمين .
- (٣) محور اتجاهات النواب البريطانيين في حكم الهند .

الفصل الثالث

مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب :

رفرت راية التوحيد في عهد عالمكير من جبال هماليا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، ومن آسام ببورما شرقا الى كابل غربا ، وتعتبر دولته أوسع دولة مسلمة حكمت الهند على الاطلاق ولكن دخول هذه المناطق لم يأت الا بعد ان وُخط الشيب عالمكير ، ومَلَّ من الحروب أكثر القادة والجنود . (١)

وتتميز فترة خلفاء اورنگ زيب المعاصرة لعهد شركة الهند الشرقية ، وقبل انتقال السلطة الى الحكم البريطاني المباشر بأمر منها :-

(١) ظل الاسلام مطلقا لدولة الرسمية في تسيير شئون البلاد ، كما ظل القضاء وأصحاب الافتاء يمينون لفصل المنازعات والاجابة على ما يستفتون فيه من أمور الحياة المستجدة .

(٢) فقد الحكام والأمراء تلاحم الشعب وساندته ، حين نفذ بعضهم فرض التشيع الأثني عشرى بقوة السلاح ، فجرت بين الطرفين مصادمات دموية حيناً وكلامية أحيانا أخرى . (٢)

(٣) وجد التشيع أثنى فرصة لاقامة دولته في الهند ، اذ كان أغلب امراء الدولة من الشيعة وازدادوا رسوخا فيها بعد غزورنادر شاه الفارسي الشيعي للهند ، والتالى اعاد سلاطين الهند دور الخلفاء العباسيين مع بنى بويه ، أو فاقوهم في الولاية والعزل . (٣)

(٤) يمكنك تصور مدى التدنى والانحطاط الذى وصل اليه المجتمع المسلم ، من الخطابين اللذين أرسلهما الشاه ولي الله - عالم الهند ومؤسس دراسة السنة الحديثة فيها الى أحمد شاه ابدالي سلطان أفغانستان والى السيد أحمد على زعيم الروهيلا الافغانيين في الهند ، بعد أن راقب الوضع الخطير بمعاصرته عشرة من ملوك هذا العهد ، فسمى الى استعادة الاسلام

(١) انظر فقهاء هند ٣١/٥ وتاريخ المسلمين ٢٥٢/٢ .

(٢) انظر رود كوثر ص ٦١٧ ونزهة الخواطر ج ٤٦٩/٦ .

(٣) انظر مناظر حسن كيلاني . هند وستان مين مسلمانون كأنظام تعليم وترتيت " نظام التربية والتعليم عند مسلمي الهند ٢٧٨/١ والهند في العهد الاسلامي ص ٢١٤ وتاريخ المسلمين

ج ٢٦١/٢ رود كوثر ص ٦١٨ ونزهة الخواطر ٢٨٥/٦ و ١٩٧/٢ .

وتشكيل مجتمع اسلامي من واقع قيادة اسلامية واعية .

وكتب الى الأول يقول : " قد بلغ السيل الزين اذا تساهل الامراء في جمع الخراج ، كما تمادى الفلاحون في عدم الدفع ، فضاع بذلك دخل الدولة ، وخلت الخزنة من المال ، وتفرق الجند شذر مذر ، وليس وضع العامة من العمال والصناع والتجار أفضل من عمال الدولة وان الأمر يتطلب من الناحية الشرعية وجود سلطان مسلم يعيد الى الاسلام شوكتيه ومجده ، ويهزم المشركين بخططه البعيدة ، ولم يبق من رجال هذا الميدان لك ، واني لعلني ثقة أنك ستقوم باداء هذا الواجب ، وتقصد الهند لهذا الهدف النبيل ، وتزيل عين المسلمين الظلم والاستبداد ، وتقطع المراهته اربا اربا بسيفك السلول ، وأتوب الى الله من عمل نادر شاء الذي فرق المسلمين شرقا غربا ، وترك المراهات والجات - الهنداس - قواهم دون أن يطالبوا بسوء ، وان الكفار لم يقو ساعدتهم الا بعد نادر شاء ولم تضمف دولة الاسلام الا بعده ، وان دهلي اليوم كلمة أطفال يتقاذفها الصبيان اني يشاؤون " (١)

وكتب الوالثاني يقول : " واني لاشكرك على جهودك المضنية في مد الجيش الاسلامي بالزوهيلا وانك بهذا العمل حفظت على المسلمين دماءهم وأموالهم ٥٠٠٠ ، وان تلك الثقة الشقية (الحكام والمراهة) جمعت جميع خصال الشر ، من قطع الطريق والغدر والامشعانة بغير المسلمين وتفریطهم في الحفاظ على بلاد الاسلام ، وان استهزاهم بتهادي الاسلام بلغ مدى لا يمكن التسامح فيه ، وكان من الطبيعي أن تهبطهم في الله ، وتسعى في ادالة دولتهم بكل الوسائل المتاحة " . (٢)

(٥) وفي الأمور الاجتماعية نجد الاسراف والتبذير في الزواج والوفاة ، والكراهة والشقاق في نكاح الأراذل والرغبة الملحة في تعقيب القبور وقراءة القرآن على الأموات . والاستشفاء بالتناغم والمعلقات . والتواكل في الأخذ بسنن الله الكونية في الحياة ، والبعد عن حقيقة التوحيد في قضاء الحاجات ، كل ذلك ظاهرة هذا العصر المشتركة بين أغلب المسلمين .

(١) شاء ولي الله كسي سياسي مكتمات (رسائل الشاه ولي الله السياسية)

٩٠/١ جمع وترتيب خليل أحمد نظامي .

(٢) شاء ولي الله كسي سياسي مكتمات ١٣٨/١

موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية :

(١) الموقف الرسمي ، وفي هذه الغربة الاسلامية دخل البريطانيون الساحة بعد دراسة دقيقة ، فخرجوا من حيزهم بكلكتة يزحفون على البنغال حتى ابتلموها فجرت أولى - المعارك الحاسمة بينهم وبين ملك الهند ، شاه عالم (على جوهر بن عالمكير الثانى فى ساحة بلاسى عام ١١٧٠ هـ ، ولم يضمن الانجليز النصر الا بعد أن استمال كلايف مدير شركة الهند الشرقية قائد ^{شاه عالم} سرجمو خان برشوة قدرها ثلاثة ملايين روبية . (١) وتلت بلاسى معركة بكسر بسنوات سبع وكانت القاضية على قوة الدولة ، ان تنازل شاه عالم للبريطانيين بموجب معاهدة الصلح المنعقدة فى مدينة الهاباد ، باطلاق أيديهم فى جمع خراج البنغال وسهارواريسه ، مقابل ضمان الانجليز له معاشا سنويا قدره ٢٦ مليون روبية (٢) واعادته الى دهلى أثر تفويض أحمد شاه ابراهيم الى نيابة حكم الهند . ووقفت ميسور آخر الولايات المسلمة بعزم وصمود تعاند النوايا الانجليزية التوسعية وظلت تنشئ المراقيل امام زحف البريطانيين الى الجنوب بضعاً وثلاثين سنة ، وقضى ^{الامير} حيدر على نجه فى محاولة طرد هولاء الدخلاء ، فخلفه ابنه تيبو سلطان الذوقل يجالدهم بسيفه وسنانه طوال ثلاثة عشر عاماً ، ولم يتقدم الانجليز الى الشمال حتى خضبت دملوه أرض المعركة عام ١٧٩٩ م فسقط شهيدا فى الدفاع عن عاصمته سرنجبا تم المحاصرة (٣) ولم يبق على وفاة هذا المغوار ست سنوات حتى دخلت القوات البريطانية دهلى متخطية جميع العقبات ، ووجدت " شاه عالم " على حافة القبر فتركه يلفظ انفاسه الأخيرة لسنة من الزمن ، فمات سنة ١٨٠٦ م بعد أن ظل سلطاناً صورياً خمسا وأربعين سنة . ولحده لحد الحكم الاسلامى فى الهند اذ لم يكن ابنه أكبر شاه الثانى وحفيده بهادرشاه ايسو ظفرا لاغلو بسيفه ^{امير} شركة الهند الشرقية ، يتقاضيان مرتباً معيناً . (٣)

Dumbar, G.H. History of India from the Earliest Time to the Present Day.
P. 341.

(١) دمبرج - ه - تاريخ الهند بين الماضى والحاضر ص ٣٤١

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٥٤

(٣) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ج ٣١٨ / ٤ وأبا الحسن الندوى

مجلة المنار ج ٣١ / ٦٣٥ .

الموقف الشعبي :

أ - حركة السيدين الجهادية : ورث الشاه عبدالعزيز أكبر أبناء الشاه ولي الله جمع أفكار والده تجاه الدولة الإسلامية . وما أن أيسر رحمه الله من رفع لواء الجهاد بين الأمراء المستقلين حتى أخذ يعمل لهذا ^{لبن} الروح الجهادية في الستمعين لحلقته العملية ، وكان لفتواه أثر فعال إذ أعلن فيها " إن الأجزاء التي احتلها غير المسلمين من الهند هي دار حرب ، يجب السعى لاستردادها ، وإن الوضع الحرجي قائم بينها وبين بقية الهند ، حتى يعود إلى حكم الاسلام " . (١)

ويعترف هنتر - الذي كلف بالتحقيق حول الحركة الجهادية - بمكانة بيت الشاه ولي الله القيادية في هذه الحركة فيقول " حين استفتى الناس اعلم علماء الهند السيد عبد العزيز وابن أخيه (٢) عبدالحى افتيا أن الهند دار حرب " (٣) فلم يضيغ السيد فرصة لاشغال الروح الجهادية في الشعب الا اغتنمها ، وسأقت القدرة الالهية السيد أحمد بن عرفان زعيم حركة الجهاد اليه عام ١٢٢٢ هـ ، فلم يتوان الشيخ في تربيته ، بل خص أخاه - عبدالقادر لهذا الغرض ، واعد الزعيم بعد فراغه من التعليم بمعالين نابيهين من أسرته ، هما ابن أخيه عبدالغنى وختنه عبدالحى ، فجال الشيخ أحمد أطراف الهند يمتار للحركة من اشتاتها . (٤)

ويلخص هنتر أهداف الحركة وما كان يقصده السيد أحمد بن عرفان من أعماله الجهادية فيقول " يجب أن يعلم كل طالب صراط الله المستقيم . . . أن معنى البيعة على يد شيخ من المشائخ هو طلب رضا الله عز وجل وذلك منحصر في اتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وينبني أتباعه على أصلين : هما ألا يمس مع الله أحد ، ولا يتخذ دستور أو منهج لم

(١) شاه عبدالعزيز المحدث فتاوى عزيزى ص ٤٢٢ وانظر مسلم ثقافت ص ٦٢٤ .

(٢) الصواب ختنه وهو زوج ابنة الشاه عبد العزيز ، ولا يوجد في احقاد الشاه ولي الله

من تسمى بهذا الاسم .

(٣) همار سے ہندوستانی مسلمان ص ٢٠٨

(٤) انظر نزہۃ الخواطر - ٢٩/٧ .

يكن في زمنه أو زمن خلفائه ، ويعنى الأول الا يطلب ازالة مكروه ٠٠٠ من ملك أو شيخ أو استاذ أو ولي من الأولياء أو نبي من الأنبياء ، ويعنى الأخير أن الطريق الأمثل للمسلم أن ينظم حياته المعيشية و العبادية وفق ما كان في زمن النبوة وأن يجنبها جميع تلك البدع ، التي استحدثت في الزواج والوفاة وتعظيم المشاهد وتقيب القبور والتبذير في قراءة القرآن للموتى عند نهاية كل سنة . (١)

وتلاقت أفكار السيد مع أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية على أرض الحجاز ، بعد وفاته^{بعدة} لا تعد وربع قرن ، ومن غير المستبعد أن يكون السيد أحمد قد التقى ببعض أفراد حركة الشيخ ، وتأثر بهم في استعجال العودة الى الحياة الاسلامية الأولى ، اذ لم يمض على ايامه من الحجاز ثلاث سنوات حتى أعلن الجهاد بالسيف عام ١٨٢٦ لطرده الحكام غير المسلمين من أراضي الاسلام ، فبدأ بالهتاج واتخذ منطقة سرحد الهاكستانية مركزا لجيشه الهاسل .

وتحددت أغراض السيد أحمد بن عرفان القتالية في اعلانه الذي نشره بين المسلمين فقال : " وصل ظلم الشيخ الى نقطة لا يسع المسلم تحمله فقد استولوا على لاهور وما جاروها ٠٠٠ ، وقتلوا الألوف من المسلمين دون ذنب ، واذلوا الآخرين دون جريرة ، منعوا الاذان من المساجد ، وحرموا ذبح البقر البتة ولما تجاوز ظلمهم الحدود البشرية وأصبح لا يطاق ، أخذ السيد أحمد ايده الله بنصره في ايقاظ المسلمين من سبات النوم في بشار و كابل وما جاروها من البلاد ، ونفخ فيهم روح التضحية والفداء ، فلبى نداء بضعة آلاف من المسلمين مستعدين لئذل مهجهم في سبيل الله " (٢)

ويصف هنتراسهامات عامة المسلمين تجاه الجهاد بالمال والنفس بقوله : " أخبرني أحد تجارنا الاثرياء من المنطقة الشمالية الغربية ، الذي يدير مصنعا للإصباغ ، أن عماله المسلمين كانوا ينحون جزءا من مرتباتهم لمخيم ستهانة (عاصمة المجاهدين) بين عامي ١٨٣٠ -

(١) همار هندوستانى ص ٨٤ وانظر الشيخ محمد اكرام موج كوثر ص ٢٠ .

(٢) موج كوثر ص ٢٤ وهمار هندوستانى مسلمان ص ٢٥ .

- ١٨٤٦م ، وأن التحسين منهم يذهبون لخدمة الامام (الجهاد) لمدة شهر أو شهرين باجازة اعتذارية ، كالتى تمنحها للهندوس لاقامة الحفل السنوى لأبائهم الاموات (١)

وهذه الروح رفعت راية الجهاد ، وتأسست دولة الاسلام البسطة بعد فتح مدينة بشار عام ١٨٣٠م فاقتلت حوانيت الخرابوا بها وعدمت مصانع الخمر من يعمل فيها ، وقاب البغاء عن الانظار ، وعين من يجمع العشر من المناطق الزراعية ، والقضاة لفصل الخصام ، وأهم من ذلك كله القضاء على ما يشبه بيع البنات عند الامة الباتانية اذ كان الأولياء يجحفون فى طلب العوض من الزوج عند العقد على المولية ، وكثيرا ما كانت الزوجة تشيب أو تتوفى قبل أن يضمها عش الزوجية لعدم استطاعة الزوج أداء البلغ المحدد فصدر الشيخ أحكاما صارمة لوأد هذه المادة وصرف الزوجات الى أزواجهن الشرعيين (٢)

وأقام اتباع السيد تحت قيادة تنوير (الفرائضيون) دولة أخرى عند فيروز آباد ، شمال شرق كلكتة عام فتح بشار ، فحمل عليهم البريطانيون ثلاث حملات مكثفة ، منوا فى الأوليين بالفشل ، وتغللبوا فى الثالثة واستشهد تنوير ، وشق نائبه وحكم على اتباعها بمعوقات سجن مختلفة مع تأمين ممتلكاتهم جميعا . (٣) وتبع بشار مسير اختها نتيجة الغدر الذى دبره رؤساء القبائل ، فضاعت بارقة الأمل بعد أن رويت منطقة بشار بدماء الشهداء ، ولم تطل الحياة بالبقية المهاجرة اذ لاقت ربها دفعا عن عقيدتها فى ساحة بالاكوت ، فاستشهد السيد أحمد ، والسيد الشيخ اسماعيل وأكثر من ثلاثمائة مجاهد من أصحابهم فى ١٢/٢٤ - ١٢٤٦ هـ - ١٨٣١م ، نتيجة اعداء الجيش السيكى بهم تحت قيادة ونور Yantoral أحد قواد ناهليون الشهير . (٤)

٩

(١) همار سے ہندوستانی مسلمان ص ٢٥ .

(٢) انظر قدم رسول مہتسر جماعت مجاہدین (جماعة المجاہدین) ص ٤٥ وموج کوثر ص ٢٩ .

(٣) ہمار سے ہندوستانی مسلمان ص ٦٩ .

(٤) انظر أبا الحسن الندوی : اذا هبت ريح الايمان ص ٢٣٨ .

فخدمت حركة الجهاد بضماً وعشرين سنة ، تستعيد فيها أنفاسها وتجمع شملها من جديد ، فما ان انتزع الانجليز منطقة بنجاب عام ١٨٤٩م من السيخ حتى اشتبكوا مع المجاهدين ، وأرسلوا عشرين حملة عسكرية الى نهاية عام ١٨٦٣م ، وبلغ عدد الجنود المشاركين في هذه الحملات ستين ألفا حسب التقديرات الرسمية ^(١) ، وظل الجهاد قائماً حتى نهاية عام ١٨٦٩م ، وتمكن التجسس الانجليزى من كشف خطوط التموين ، ومراكز التدريب فى المناطق التى يحكمها الانجليز ، فزج بالالوف من المسلمين فى السجون ، وصودرت أملاك كل من حامت حوله الشبهة ، وحكم على العديد المباشرين للجهاد بالشنق والسجن المؤبد بجزر اندمان ، رحم الله المجاهدين وأدخلهم فسيح جناته .

وكان التشهير والدعاية أفكك سلاح استعمله الانجليز لفصل التلاحم المقدى بين المجاهدين وبين سائر المسلمين ، ولم يأت المفوالعام عنهم وعن ينتمى الى الجهاد فكراً عام ١٨٧٢م الا مشروطاً بعدم اختلاط المجاهدين بغيرهم من سائر المسلمين فى أماكن العبادة ^(٢) مضافاً الى ذلك وسّمهم امام اخوانهم المسلمين ، وفى وثائق الدولة الرسمية " بالوهابية " اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفيين الذين هدموا قباب الحجاز فى أوائل القرن التاسع عشر — مسبّة وعارا ، فانزعج لذلك الشيخ محمد حسين البتالىوى وطلب من الدولة استبدال " أهل الحديث " بالوهابية ^(٣) ومازال أثر تلك الدعاية سارى المفعول فى كثير من مناطق شبه القارة حتى اليوم .

ب — انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها فى المسلمين :

وأخر انتفاضة شارك الجنود المسلمون الجنود الهندوس التابعين لشركة الهند الشرقية لطرد المستعمرين اتت عام ١٨٥٧ — ١٢٧٣ هـ ، حين ثار الجنود على اسيادهم ، وابعوا آخر ملوك المغول الاجير لادى الشركة ابا ظفر بها دَرشاه ، وتحمل المسلمون تبعه قيادة

(١) انظرهما ر — هندوستانى مسلمان ص ٤٠ .

(٢) انظر كارسان وتاسى الفرنسى مقالات كارسان ٣٨٣/٢ .

(٣) انظر مجلة اشاعة السنة المجلد ١٩ ، العدد ٩ ص ٢ ، لعام ١٩٠٢ و صديق حسن خان ترجمان وهابية ص ١٩ و ١٢٠ ، ومحمد أيوب قادري كالا بانى (الماء الأسود) ص ٢٥ .

حرب التحرير هذه ، فاضطهدوا في جميع ميادين الحياة فسلبت منهم أراضيهم ، واقتلست الدوائر الحكومية أبو ابها عن التوظيف في وجههم ، حتى أضحت النسبة عام ١٨٧١ م في الوظائف فردا من المسلمين يقابله سبعة هندوس وأربعة عشر أوربيا ، بل إن من الادارات ما خلا من المسلمين كالساحرة والشرطة والهندسة والتعليم والبحرية بشهادة من وكل اليه التحقيق الرسمي عن مظالم المسلمين (١)

محور اتجاهات النواب البريطانيين في حكم الهند :

ومعد فشل الممارك نتيجة عدم التكافؤ في الأسلحة والآلات الحرب في سلطان المسلمين الشيخ المعمربها درشاه " مع أفراد أسرته إلى خارج الهند (٢) وثولت الحكومة البريطانية الحكم المباشر على الهند ، وتشكلت سياسة الحكام الجدد في ضوء تصريحات "مفردى هملتن وحاكم الهند بعد الانتفاضة اللورد اللبرو فيما يلي :

يقول الأول " لقد قدمت أن الهناك لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة ١٨٥٧ م ، ولم يكونوا مصدرها ، ساءت بهذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة اسلامية ٠٠٠ وأن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفيه لحكومة تدبر بغیر الاسلام ، لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن " ، وصرح الأخير " أن العنصر الاسلامي هو عدو بريطانيا الاصيل ، وأن السياسة الانجليزية في الهند يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية اليها ، لتستعين بهم في القضاء على الخطر الذي يهدد بريطانيا في هذه البلاد . (٣)

ومعد سلب السلطة من المسلمين بذل الانجليز جميع ما يملكون من طرق الاغراء والتحذير لقطع صلات الامة الموحدة عن الاسلام ، واحلال التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية بين المسلمين ، ولتبرئنا شقة عن الماضي اليمون بثوا المدارس اللادينية في القرى والار ياف ، فضلا عن المدن

(١) انظر همار هندوستانى مسلمان ص ٢٢٦ و ٢٤٥ - ٤٦ محمد فضل حق باغى هندوستان

(الهند الآبقية) ص ٢٥٥ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ١٧/٧ والهند في العهد الاسلامى ص ٢٩٣ .

(٣) نقلا عن أبى الحسن على الحسنى الندوى ، المسلمون في الهند ص ١٧٥ - ١٧٦ وعلماء حق ص ٣٨ .

والامصار حاشين الالباء على ارسال اطفالهم الى تلك المدارس ، لكسب العلوم الاوربية الحديثة وامعاناً في الفصم بين الماضى والحاضر ، وزيط المنزل بالمدرسة غير الاسلاميـــــة هدموا الاسرة وسلبوا المسلمة حنوالامومة ورعايتها المنزلية ، باخراجها من البيت لتششارك الرجال فى أعمال لم تخلق من أجلها ، ولتحقيق هذه الغايات ومساندتها احلّوا القوانين الوضعية مكان التشريع الاسلامى ، واستبدلوا القضاة القانونيين بالقضاة الشرعيين . وجميع هذه التطورات موضع الحديث فى الباب التالى .

الباب الثانى

مسألة } أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين (مسألة

الفصل الأول : أثر النشاط التصيرى فى الأفكار والمقائد .

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - التصير فى عهد المنول .
- ٢ - التصير أثناء الحكم الإنجليزى المباشر .
- ٣ - طرق نشر المسيحية قبل الإستقلال (الجامعات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، التطبيب ، الإعانات المالية ٠٠٠)
- ٤ - السهل الحديث لىث الانجيل (التوظيف ، المشافى ، دور الأيتام معاهد التعليم ، الصحافة ٠٠٠)
- ٥ - الطرق المعاصرة لنشر المسيحية .
- ٦ - أسباب نجاح التصير فى المنطقة .

الفصل الأول

التنصير في عهد المغول :

ارتبط نشر المسيحية وتحويل ديانة شعب الهند الاسلامية والهندية بالجبر والاكراه ، منذ وطئت أول قدم أوربية أرض الهند ، فما أن خضعت منطقة جوا الساحلية للبرتغاليين عام ١٥١٠م حتى اكرهوا زوجات الجنود المقتولين ومئاتهم على الزواج بالجنود البرتغاليين بعد اجبارهن على اعتناق ديانة التثليث ، ويوجد ألوف النصارى من نسلهن على ساحل الهند الغربى حتى اليوم . (١)

وفتح الباب على مصراعية للنشاط التنصيرى عن طريق أعمال التطبيب والإستشفاء ، فقد وضع السلطان اورنگ زيب الجزية عن المسيحيين عام ١٦٨٦م ، جزاء لهم لنجاح الطبيب الأوربى فى علاج امرأتين من أسرته (٢) ، كما أن فرنج سیر لم يؤكد هذه المنحة فحسب بل وهب لمعالجه هاميليين الانجليزى ثمانيا وثلاثين قرية ، بجوار كلكته ، وأعطى البضائع الانجليزية من الضرائب كمجازاة -

لخدماته الطبية . (٣) وأول مبشر انجليزى وصل الى أرض الهند فى التنصير هو الأب توماس ستيفرز (Thomas Stevers) عام ١٥٧٩م (٤) غير أن حركة الارتداد ظلت منحصرة فى الجنوب الغربى من الهند حتى وهنت الدولة الاسلامية ، فخرج الانجليز من عزلتهم بكلكته ، وأخذ دعاة التنصير يرتادون الهند أثر استنهاض القيسيس كارى Cary اللهم ، بعد أن فتح باب الاكتتاب لهذا الغرض ، وخلص ادوين بلس أعمال كارى بقوله " المستر كارى هو الذى فاق أسلافه فى مهنة التبشير ، فدرس لغة اللاتين واليونان ٥٠٠ ، ولما نشر كتبه فى التحريض على التبشير قولت بالاستحسان ، ففتح له باب الاكتتاب ، وذهب الى الهند لهذا الغرض ، وصارت الأموال ترسل اليه ، ثم طلب أن يرسل له اناس يؤازرونه فى التبشير ، فتأسست سنة ١٧٩٥م جمعية لندن التبشيرية (لوندرة) (٥) وما عتقت أن تأسست جمعيات على شاكلتها فى اسكوتلندة ونيويورك ، وانتشرت هذه

الفكرة فى المانيا والدانمارك وهولنده والسويد ونرويج وسويسرا وغيرها . (٦)

- دلائل أن هذا خلاصه رحلته
- (١) انظر الهند شعبها وأرضها ص ١٢٠ . (٢) انظر مغلية سلطنة اورمسيحيات ص ٤٢٩ .
 - (٣) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ . (٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ .
 - (٥) انظر مجلة المنار المصرية ٢٦٥/١٥ حيث سميت المجلة هذه الجمعية بجمعية لوندرة .
 - (٦) ١٠١ شاتليه الفارة على العالم الاسلامى ص ١٣ ومجلة الفتح المصرية ٦٣٠/٥ ج

وفى الثانى والعشرين من يونيه عام ١٨١٣م منحت الدولة الانجليزية الاذن العام لنشر المسيحية فى الهند ، وجدد هذا الاذن فى كل من عام ١٨٣٣م و ١٨٥٣ و يعتبر عهد جارس كرانست والقائد جانشور أكثر من مأكبقات الهند بدعاة التنصير ^(١) ويذكرم • هورى نتائج هذا الاذن فى قوله "ابدأ - التبشير - منذ مائة سنة عندما نال جيروم كزافيه اليسوعى اذنا بالتبشير فى لا هور ، ففتح باب الجدل فى مسائل التوحيد والتثليث والوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة" ^(٢) وتلاجيروم المبشر هنرى مارتن ، الذى ترجم الانجيل الى الفارسية والأردية ثم جاء بمعدده المناظر فندر صاحب "ميزان الحق" الذى هاجم القرآن من جهة محتوياته ، وزعم أن معلوماته مقتبسة من الانجيل بدون وحى من السماء كما بذل جهودا مضنية للتقليل من قيمة تشريمات الاسلام الخلقية ، والقول بأنها عادية لا امتياز فيها وأن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم اكسبها من يهود المدينة بحكم الجوار ، ^(٣)

التنصير فى الحكم الانجليزى المباشر :

ولم يستهل عام ١٨٤٩م عقب سقوط البنجاب حتى انتهالت حركات التنصير ، كافواه الغرب على الهند ، ففزيت باثنتين وثلاثين حركة تنصيرية ، يحمل جميع أفرادها الشهادة الجامعية "بكالوريوس" B . A وازداد فكا الكماشة تضيقا حين استصدر المبشر "ايدمند" مرسوما ملكيا ، ثم نشره فى صورة خطابات مخلقة بين عمال الدولة وموظفيها جاء فيه "ستكون الهند موحدة فى جميع الأحكام والقوانين والمنافع والبرق وطرق المواصلات ، لذا يجب أن تكونوا مسيحيين جميعا" ^(٤)

وخطب منى كلس أحد أعضاء الحكومة فى صالة البرلمان العامة عام ١٨٥٧م مستبشرا بسيادة الانجليز على الهند حاثا بنى جلده على نشر الانجيل فى تلك الأرجاء فقال : —
"لقد أرانا الله ذلك اليوم الذى أصبحت فيه الهند تحت السيادة الانجليزية"

-
- (١) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وباكستان (تاريخ التبشير فى الهند وباكستان) ص ١٥٠ وميجردى باسوتا تاريخ التعليم ايسند انديا كهنى عهد مين " تاريخ التعليم فى عهد شركة الهند الشرقية " ص ٢٨٤ ، والهند فى العهد الاسلامى ص ٢٨٦ .
 - (٢) الفارة على العالم الاسلامى ص ٣١ .
 - (٣) انظر فندر ميزان الحق ٢٥٥ و ٢٦٣ .
 - (٤) علماء حق اهورن كى مجاهدانه كارنامے ص ٢٥ .

وليرفرف علم المسيح من أقصى الهند الى أقصاها ، ويجب على كل شخص منا أن يضحي بجميع قواه لنشر المسيحية في الهند ، وصرف الهنود أجمعين الى الانجيل المبارك ولا ينبغي التساهل في هذا العمل الميمون طرفة عين . " (١)

وما أن فشلت انتفاضة (حرب) التحرير بعد الخطبة ببضعة اشهر حتى أدين المسلمون بجريرة قيادة تلك الحرب ، وبلغ حقد وشهوة الابادة الجماعية بالانجليز ان أخذوا يقتلون كل من أطلق عليهم لفظ " نصارى " كتابة أو نطقا من المسلمين ، ولم تتوقف تلك المذبحة حتى نشر زعيم الحضارة الغربية السيد أحمد خان خطبة " تحقيق لفظ نصارى " باللغتين الانجليزية والأردية ، فبين أن اطلاق المسلمين لفظ " نصارى " على المسيحيين لا يعنى الامتهان والاحتقار ، وأنه ليس من قبيل اطلاق اليهود " ناصرى " نسبة الى قرية ناصرة - على عيسى ابن مريم عليه السلام ، بل أنه من باب النصر والاعانة حسب استعمال القرآن . (٢)

طريق نشر المسيحية قبل الاستقلال :

بعد دخول الهند في الحكم الانجليزى أثر حرب التحرير أخذت الحكومة الانجليزية على عاتقها مهمة تنصير المسلمين ، فأنشئت فروع خاصة لتنشئة دعاة النصرانية بالمدارس والجامعات الأوربية ، وأخذ مجلس اللوردات يترأس الجلسات السنوية للمنظمات التى كانت تتولى نشر المسيحية في الهند (٣) ، وأهم طرقهم فى ذلك ما يلى :

(١) انشأت الجامعات والكليات الأوربية فروعاً خاصة لدراسة اللاهوت ، ولم تهدف هذه الفروع الا الى ايجاد منصرين ومبشرين للمسيحية ، وارسالهم الى العالم الاسلامى (٤) وأسهمت الكنائس فى ذلك اسهاماً مباشراً ، فأسست كليات منفصلة لبلاغ رسالة الانجيل الى ما وراء البحار ،

(١) علماء حق ص ٢٥ .

(٢) انظر سرسيد أحمد خان مقالات سرسيد ١٥ / ١٨٨ .

(٣) انظر مقالات كارسان وتاسى ٢ / ٢٠٢ و ٣٠٨ .

(٤) انظر مجلة المنار ١٥ / ٦١٨ .

ثم مدت تلك الكليات نشاطها الى الهند ذاتها ، فأنشأت لها فروعاً هناك ، ويعتبر مدلتون Middleton أول مبشر فتح فرعاً في كلية بشباهيكية لدراسة التنصير في الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وامتاز متخرجوا الكليات الهندية بالجمع بين التعليم النظري والعمل في ميدان التنصير .

(٢) - لم يأت عام ١٨٧٥م حتى كانت ستمائة وست بعثات ارشالية تجوب أطراف الهند لاحتلال - التثليث محل التوحيد (١) ووقع كل هؤلاء في بداية الأمر في الحيرة ، لأنهم لم يعلموا بمن يبدؤون وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي ، وأخيراً اهتموا الى التقاط الأطفال والبالغين الذين غضم ناب الفاقة والمعوز ، فأخذوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم الى الحظيرة المسيحية . (٢)

وزاد نشاطهم تخلى كثير من الناس عن أولادهم أثر الجفافين في كل من عام ١٨٧٧م - و ١٨٨٧م حتى ترى رجل التفريب السيد أحمد خان يشكو من وضع الأطفال ويبدى أسفه على التقاط المسيحيين لهم ، وتنصيرهم ، لصغرهم ، ويتمهم وعدم قدرتهم على المقاومة بقوله : " لو تنصير بالغ عاقل أو أسلم لا حرج عليه " واقترح لحل تلك المعضلة بانشاء ملجأ لايتام الهندوس ، وملجأ لأيتام المسلمين تحت رعاية اسلامية هندوسية ، تشارك فيه جميع الأمة حسب طاقتها ، ويسهم فيه أغنياء الهند وفقراءها على السواء . (٣)

وفي الجفاف الثاني وكلت الدولة عملية توزيع الأطعمة الى دعاة المسيحية ومن ييثون التنصير في شعب الهند ، فاستغل هؤلاء هذه الفرصة فاشتروا على المستفيد منها أن يتنصر ويعتق المسيحية عوضاً عن ديانتهم السابقة ، وتصف مجلة "منشور محمدى " الوضع فتقول : " في العام الماضى اصيبت الهند بجفاف معدم ، واشترط موزعوا الأطعمة التنصير على من يأخذها ، فتنصر كثير من الناس خشية الفاقة وخوف الموت " (٤)

٣ - جلب الأوروبيون المطبعة من بلادهم واحتكروا أعمالها لنشر المسيحية بين أبناء الهند ،

(١) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ١٨٥/٢ ش

(٢) انظر " مختصر دراسة التاريخ ج ٣٠٦/٣ ومجلة المنار ج ٢٦٨/١٥ .

(٣) انظر مقالات سرسيد ١٤٠/٥ والطاى حسين حالى سرسيد كى كهانى انكى ابني زيانسى " حكاية السيد الشفهيته لحياته " ص ١٠٠ .

(٤) مجلد ١٤ الجزء ٢٦ ص ٣٠١ بتاريخ ١٨٨٨/٦/٢٩م .

فاستنسخوا العديد من الكتب لمحاربة الاسلام ، ولم يحل عام ١٨٧٣م حتى تم نشر ١٩٥ كتابا ،
يهاجم فيها أصحابها شرع الله في شتى نواحيه بلفات مختلفة . (١) ^{المدد} بلغ عام ١٨٨٢م بموجب
تقرير الدولة الرسمي الى ٢٨٥ كتابا ، ولم يكف رجال التنصير بالكتاب بل اتخذوا الصحافة
غرضا لخدمة الانجيل ، فصدرت العشرات من المجلات نصف الأسبوعية والأسبوعية ، ونصف الشهرية
والشهرية والتي تصدر ثلاث مرات في الشهر في جميع أطراف الهند أهمها . " وكيل هندوستان "
البرتسرية و " نورافشان " - النور المنتشر - اللود هيانية الأسبوعية ، التي كان يشرف عليها
مبلغ المسيحية وهري " Wherry " وخير خواه أطفال " (مرشد الاطفال) بلغاتها المتعددة ،
وهندي ميكسزين " للبعثة اللندنية التي كان يرأسها داعية التنصير ديودن (Dudden) .
وشمس الأخبار " للبعثة الأمريكية اللكنوية وتخزن مسيحي " الاله ابادية . (٢)

كل هذه المطبوعات وغيرها كانت مبنية أساسا بهدم الاسلام ونقص أسسه ، ومنظرة سريضة الى
فصول " ميزان الحق " الذي يدعى المنصرون أنه زلزل ايمان كثير من المسلمين ترى أن مؤلفه
تندر عقد الفصل الثاني من الباب الثالث لتحقيق " هل في القرآن ما يذلل على أنه من الله " ،
ووصل ببحثه الى تكذيب تحدى القرآن (وان كنتم في ريب مما ٥٠٠) (٣) وادعى أن البشر قادرون
على أن يأتيوا بمثل القرآن وعضد رأيه بقول المزدارية المعتزلة الذين زعموا أن في وسع الناس أن
يأتوا بمثله . (٤)

ثم اتجه الى موضوعات القرآن فنفي أن تكون أخبارا عن أمور لا يعرفها البشر ، بل اتهم النبي
صلى الله عليه وسلم بأخذها من اليهود والمسيحيين ، فقال : " والحاصل أننا قد أثبتنا أن القرآن
هو مجموع ما يرشد اليه العهد القديم والجديد ، وأن كان مشاعا بين اليهود والمسيحيين والمجوس
والعرب من الأحاديث والتقاليد والمعادات جمعها محمد ، فتكون منه القرآن تحقيقا لرغبة الجع
بين الأديان الثلاثة - اليهودي والمسيحي ووشية العرب والرئاسة الموثقة على جميع البشر . (٥)
وخلص محمد بعد أن هدم الحقيقة القائلة أن القرآن كتاب الله على النيل من خصائص

(٣) البقرة آية ٢٣ .

(١) انظر مقالات كارسان دناسي ٣٨٨/١ .

(٤) انظر فندر ميزان الحق ص ٢٥٥ .

(٢) انظر مقالات كارسان ٢٢٤/١ و ٤٤/١ .

(٥) ميزان الحق ص ٢٢٢ .

المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فنفى عنه النبوة ووصفه بأنه غير نزيه النفس ، يحمل الحقد والحسد على أعدائه ، وأن العهد القديم والجديد لا يدلان على رسالته البتة ، وختم فصول الكتاب يصل بالقارئ الى أن انتشار الإسلام رهين بتقديم محمد الى الناس ما كانوا يرغبون فيه .

ويصل المبشر سكندره آرنفنج في كتابه " دين حق كي تحقيق " البحث عن الدين الحق الى تأييد النتائج التي توصل اليها فندر ، فيؤكد ان دين محمد ليس من عند الله ، لخلوه من علامات دين الحق ، وان القرآن ليس كلاما لله عز وجل ، ولكنه لا يخلو من أمور حسنة ^(١) ويؤزم كارسان دناسي الفرنسي في مقالاته ان الاسلام هو الصورة المشوهة للمسيحية ، ويتألم ممن يسلم من بنى جلدته لنبذهم الاصل الوطيد والتوجه الى الفرع غير الثابت ، ^(٢)

بل لم يتورع دعاة التنصير من طبع ترجمة للقرآن تخدم أغراضهم الدنيئة ، ولو بحذف كلمات منه ، فترى وهري منصر منطقة لود هيانة يطبع ترجمة محرقة يعتمد فيها لاثبات نبوة المسيح من القرآن ، الى حذف كلمة " قالوا " من الآيتين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ^(٣) وقالوا اتخذ الله ولدا ^(٤) ووضع داعية هوز مقدمة لتلك الترجمة ، أشار فيها الى نقاط الاعتراض على الشريعة السمحاء ، ومواضع النقاش مع علماء الاسلام ، ^(٥)

هذا وتسربت سموم المنصرين الى المسلمين عن طريقين محاولة اثبات صحة الكتب المقدسة وعدم التحريف فيها ، وأن التثليث هو الواقع في الفطرة ، كالشجرة اذ لها جذع وفروع وأوراق ، والأعداد الكتابية لها طول وعرض وعمق ، والانسان عبارة عن الروح والجسد والقوة الخيالية ^(٦) فلا يدرك كنه التوحيد عندهم الا من تجرع التثليث .

وكانت الطريق الأخرى أشد وقعا وأبعد مرمى ، اذ زرعوا الشك بين المسلمين في العديد من جزئيات الاسلام ، كالرق وتعدد الزوجات والحجاب وحجية السنة في التشريع ، وعدم ابدية أحكام

(١) انظر سكندره آرنفنج دين حق كي تحقيق (البحث عن الدين الحق) ص ٦٢ .

(٢) انظر مقالات كارسان ٧٥ / ١ .

(٣) البقرة آية : ١١٦ .

(٤) يونس آية : ٦٨ .

(٥) انظر مجلة منشور المحمدى المجلد ١٦ العدد الرابع ص ٣٤ ٥ صفر عام ١٣٠٤ هـ .

(٦) انظر محمد قاسم نانوتوى ميله خدا شناسى (حقل معرفة الاله) ص ٤٠ .

القرآن وعصمة الأنبياء ، وختم الرسالات الاكهية بالرسالة المحمدية ، وانكار الجن والملائكة والجنة والنار ، وانكار كل ما غاب عن أنظار البشر ٥٠٠٠ ، وقد أفلحوا فى خلق جيل يتبنى هذه النظريات ويدافع عنها مع انتسابه الى الاسلام .

٤- وكلت الدولة أمور التعليم الى المبلغين المسيحيين فى المنطقة ، ففتحوا المكاتب والمدارس والكليات ، وما فتح من قبل الدولة لم يكن يخلو من دراسه الانجيل الاختيارية على الورق والاجبارية فى الواقع والعمل ، ولم يحل عام ١٨٧٦م حتى تم افتتاح ٣٥٠٠ معهد ، لتلقى العلم والمعرفة تنصرف فيها الهيئات التنصيرية كما تشاء^(١) ، وقد انتج هذا النوع ما خطط له المستعمرون ، وأثبت فعاليته ، وعقد " ويتبرشت " فى مؤتمرات القاهرة التنصيرية عام ١٩٠٦م أما على الطلاب المسلمين الوافدين الى أوروبا ، للاعتراف من معين المعرفة وخدمة المسيحية فى بلادهم عند الاياب فقال : " ان تعاليم أوروبا تقرب المسلمين من النصرانية ، ويجب علينا أن ننشئ جسرا فوق الهاوية التى تفصل بين العناصر ، وللتوصل الى ذلك يجب أن ننتفع من وجود الطلبة المسلمين فى انكلترا " .^(٢)

وسريت مع اللغات الأوروبية : الانجليزية والألمانية والفرنسية والهولندية ١٠٠٠ الأفكار المسيحية نشر بها الاحداث دون ادراك ، واستساغها الآباء بحجة الاطلاع على علوم الأعداء ، وقام تعام تلك اللغات مقام جسور العبور الى التنصير دون وعى ، وأدرك هذه الحقيقة كثير من الأوروبيين ويشير الدكتور كروفورد الى ذلك فيقول " ان المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ، ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالأنجيل ، فان الاستعداد لاقباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها " ^(٣) ولخص القسيس ولسون فى تقريره بمؤتمر لكهنو ١٩١١م أثر التريسة والتعليم الغربيين فى مناهضة الاسلام فقال : " ان التريسة الغربية هى من قبيل قوة تنحل

(١) انظر مقالات كارسان ج ٣٠٢/٢ .

(٢) الفارة على العالم ص ٣٣ .

(٣) الفارة على العالم ص ٦٥ .

بها عرى الروابط الاسلامية * (١)

لذا علق مؤتمركهون نجاح التنصير بين المسلمين على نجاح حركات الاصلاح الاسلامية ، وطلب الثريث من دعائه حتى تنضج ثمار تلك الحركات . يقول القسيس ولسون " ان الحركة التي تتمخض بها الأرجاء الهندية لم تأت بشجرة للآلن ، ولم تظهر الا بشكل أفكار وأعيال ونزعات ، ولكي يتسنى لنا الوقوف على ما يكون من تأثير هذه الحركة في أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار ، ريثما تحقق مآرب حاملي لواء الاصلاح في الهند * (٢) وحلل زويمر أعمال حركات الاصلاح فوسم أعضائها بأنهم مبشرو الاسلام الجديد في مصر والهند وجاوة وفارس ، وأنهم ينون أسسهم على رسم الطرق المقولة ، وان شيعة الاسلام هؤلاء يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الفرق . (٣)

ومنظرة سريعة الى المنهاج الجديد للمدارس المسيحية الابتدائية الذي نفع بعد شكواى اسلامية ، وحل مكان المنهج القديم عام ١٩٣٠م ثرى الطالب يبدأ كتابه التعليمي بعنوان " محاربة الأعداء " فيدرس انجيل متى الباب الثالث عشر وتلخص المؤلفه الهدف المنشود بقولها " الغرض هو تهيئة الطالب لتحمل المشاق دهنيا ، حتى يتهيأ لحملها في المستقبل ، والبحث عن طرق الخلاص منها " (٤) وفي الدرس الأخير الثاني والخسين يلقي الطالب بدأية انجيل لوقا حتى الفقرة الثامنة عشرة وتحصر المؤلفه الغاية من الدرس فتقول : " وظل يؤحنا وغيأ لصاحبه " فالتعليم التنصيري لم يهدف سوى ايجاد متعلمين يوالون المستعمرين ، ويحاولون الحفاظ على الثقافة التنصيرية .

٥- لم يقتصر رجال المسيحية على هذا القدر من افساد التعليم ولكن تقدموا خطوة الى الامام ، ففتحوا العديد من المكتبات العامة وخصصوا الكثير منها لبيع الكتب بأسعار زهيدة ، وهدايا لا تقدم بثمن ، وقدموا المطبوعات الى جميع طبقات الشعب ، الى الفلاح بلغة الفلاحة ، والى الصانع

(١) الفارة على العالم ص ٧١ .

(٢) مجلة المنار ج ١٥ / ٦٧٥ .

(٣) انظر مجلة المنار ج ١٥ / ٦١٢ .

(٤) السيدة أي - اے - اينت انديا سند سے سکول يونين (اتحاد مدارس التنصير الهندية)

(٥) ص ١٩٠ .
انديا سند سے سکول يونين ص ١٣٣ ،

بلغة الصناعة ، والى المتعلم بلغة التعليم ، والى رجال التجارة بلغة التجارة الى كل حسب مهنته (١) والمتتبع لمؤلفات المسيحيين يدرك بيسر أنها دأبت على الشتم وتكذيب المصطفى وانكار معجزاته ، ورفع مكانة عيسى ابن مريم والثالوث المقدس ، وتبرير كل ما يمت بصلة الى المسيحية وخلق موافقة بينها وبين العقل ، وقراءة أسماء المؤلفات تشف عما تحتها من الخلق باسم الثمين ، فمن " اعجاز القرآن " الى تكذيبه ، ومن " تعليم محمد " الى هدم أسس الاسلام ، ومن " تاريخ محمد " الى تشويه خلقه ، ومن " تحقيق الايمان " الى التعميد والتثليث ومن " مكاشفات يوحنا " الى اثبات معجزاته ، ومن آثار القيامة الى صلب المسيح ، كفارة عن ذنوب البشر . (٢)

والنقوم لأعمال المنصرين لايسته الا أن يقول إن عماد الدين هو الركن الركيز للأعمال المسيحية في الهند ، إذ خدم الانجيل قرابة بضع وثلاثين سنة وقدم الى مكتبته ما يقارب نيفا وثمانين كتابا ، فمحتة إحدى جامعات إنجلترا درجة الدكتوراة في اللاهوت ، فمن هنا كان موضع اشادة عند الدكتور ويتبرخت الالمانى وعلق أمانى وآمالاً على ما سودت به يدا العماد فقال " واهمية هذه المؤلفات كبيرة ، لأن الذين يكتبونها هم مسلموا الهند المتنصرون مثل عماد الدين " (٣) ويلي عماد الدين في الموقبة وارث على الذى تسمى بوارث الدين ، ثم داعية التنصير محمد بخش الذى تسمى بطالب الدين ، وأشهر كتبه " معجزات المسيح " وأتمم هؤلاء الثلاثة المكتبة المسيحية تأليفا وترجمة نظما ونثرا . (٤)

٦ - ومن الطرق التى تبناها المسيحيون لنشر الانجيل في الهند الذى حاولت فيه الدولة فرض المسيحية على الشعب أن يخلو غلاف الكتاب من اسم المؤلف أو المترجم ، وإن وجد شئ من ذلك فأنك تجد معه لقب " مولوى " الشيخ لايهام القراء أن الكتاب يتحدث عن الاسلام ، وأنه لأحد النصارى على الدين ، أضف الى ذلك أن العديد من المؤلفات المسيحية وضعت بأسماء علماء الاسلام لتتخطى الحواجز المفروضة على كتب التنصير ، وتتغذى الى قلوب الامة للنيل من الاسلام

(١) انظر محمد أيوب قادري ، تبليغى جكاكات كاتاريخى جائزة (استمرارى تاريخى لجماعة التبليغ) ص ٦٤ ، وانظر النداء الذى وجهته جمعية حماية الاسلام فى مجلة منشور محمدى مجلد ٢٤ جزء ٢٥ صفحة ٢٧٤ فى ٢٥ شعبان ١٣٠٣ .

(٢) انظر مقالات كارسان ج ٨٧/١ و ج ٢١٨/٢ .

(٣) مجلة المنار ج ٣٥/١٥ وانظر مقالات كارسان ج ٣٨٥/١ (٤) انظر تبليغى جماعت ص ٦٧ .

باسم أحد حماته .

٧- فتح دعاة ^{التنصير} باب الترجمة للكتب قدامى النصارى ولا سيما الذين كان لهم نفوذ فى بلاط ملوك المسلمين ، وقد موا الجوائز المغرية لترجمة كتب الطبي الكندى - ^{هبرين بن شيوخ} الذى ظل على مسيحيته فى قصر هارون الرشيد - للتأثير فى عقلية من يقوم بالترجمة وتشويه صورة الدولة الاسلامية من ناحية وتكثيف الأدب المسيحى الاردى من ناحية اخرى ، ولم يكن أمام المسلم المثقف سبيل الى كسب عيش الكفاف سوى خدمة المسيحية . (١)

٨- بنى رجال الانجيل على ^{التنصير} المجادلة والمناظرة ، وأعلنوا للملأ صحة التثليث والوهية المسيح وعدم تحريف الكتب المقدسة ، وحشروا الأدلة الجدلية لاثبات دعواهم ومطلان ما ينافيها ، وظللت الجدليات تساير التنصير منذ الاذن العام لنشر المسيحية فى الهند ، واشتد ساعدها حين دخل الساحة المناظرون ذوو اللجاجة كفندر ، ونولس ، وجورج الفردليفرى ، وأهم مناظرات الأول هى ما وقعت بينه وبين الشيخ رحمة الله صاحب "اظهار الحق" عام ١٨٥٤م ، وأهم مناظرات الأوسط هى ما وقعت بينه وبين الشيخ محمد قاسم نانوتوى عام ١٨٧٦م ، وأهم مناظرات الأخير ما عقدت بجوار دهلئ العاصمة عام ١٨٩٠م بينه وبين الشيخ اشرف الحق (٢) واستمرت المناظرات مع علماء الاسلام يهزم فيها ^{التنصير} تلو الآخر حتى عقد مؤتمر القاهرة ، اذ غير القسيس هاريك خطط السير بقوله " لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التى وضعها الدكتور بفنندرالبشره ، ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية فى وجه المبشرين ، أو الذين ينتمون اليهم " (٣)

وقبيل الاستقلال ترى القبضة الحديدية المسيحية قد شددت الخناق على الاسلام ، حتى بدت واضحة تلفت نظر الزائر الغربى ، وهذا ما حمل وكيل رئاسة قضاء الحجاز الشيخ محمود شويل حين زار الهند على الاستفسار من أحد أئمة المساجد فى عدم استعمال التلقين كلمة التوحيد لمن يريد اعتناق الاسلام ، ووضع العديد من الأسئلة التى لم يأمر بها الشارع الحكيم أمامه ، فأجاب الامام بقوله " هناك أوامر حكومية توجب عليهم القاء كل ما سمعته اذناى على مريدى الاسلام ، فلا بد من فعلها وتقييدها فى ورقة خاصة ، تقدم الى الحكومة عند الطلب " . (٤)

(١) انظر مجلة منشور محمدى المجلد ١٦ العدد الثالث ص ٢١ للعام ١٣٠٤هـ

(٢) انظر تليفى جماعت كا ٠٠٠ ص ٦٦ . (٣) الفارة ص ٢٨ ، وانظر مجلة المنارج ٣٧٨/١٥

(٤) مجلة الفتح ج ٦٠٢/٨ .

٩ - بعد تحطيم المسلمين سياسيا واقتصاديا أغرت ارساليات التنصير العديد من الشخصيات الاسلامية المتعلمة ، التي دلت بعد عز وافتقرت بعد غنى ، بفتح أبواب التوظيف الكنسى أمامهم ، بعد أن أغلقت الدولة فى وجههم أبواب الرزق الشريف ، فتتصر من كتب عليه الشقاء وخدم الانجيل بعد خدمته القرآن ، ومن أبرز هؤلاء المنصرمين عماد الدين لاهز وجانى على ، اللذان ضحيا بالاجلة الباقية من أجل العاجلة الفانية ، وقبل الأول توظيف الكنيسة عام ١٨٦٨ م ، والأخير عام ١٨٧٧ م من الميلاد أثر انسداد سبل المعيشة المشروعة أمامهما (١)

١٠ - كثفت كثير من الجمعيات أعمال التنصير أثر نداء زويمر فى مؤتمر لكةهنسو ، واتخذوا خدمة الانسانية ، وأعمال التطبيب مهنة لزرع المسيحية بين مرضى المسلمين ، وقضوا الساعات الطوال بجوارهم ، رجاء التنصير والدخول فى الحظيرة المسيحية ، ويوجز الدكتور اراهارس طبيب الارسالية بالشام وطرابلس مهمة الطبيب المنصرف يقول : " يجب على طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك " (٢) وأدرك رجال النصرانية ما للنصرة والطببية المسيحية من تأثير فعال فى الأسر الاسلامية لزيارتهم للمسلمات فى البيوت وتردد الأمهات اليهن لعلاج الأطفال ، وعدم اهتمام المسلمين من الرجال بأعمال النساء المنصرات أو اساءة الظن بهن ، فغطوا المنطقة بالتنصير النسائى تحت ستار العلاج ، وتصف الآنسة ولسن أعمال البلغات فتقول : " إن النساء البشرات يستمن فى الهند بالمدارس ، والعيادات الطبية ، وزيارة قرى الفلاحين ، لينشرن النصرانية بين طبقات الناس " (٣)

بل من الجمعيات ما حصرت أعمالهن فى التطبيب " كجمعية التوراة الطبية " وجاء فى تقريرها السنوى أنها تقوم بتبليغ المسيحية بين المسلمين والهندوسيات على السواء ، ويقوم مبلغوها ومبلغاتها بأكثر من ٦٠٠٠ زيارة منزلية ، وتعتنى بتعليم ٦٠٠٠ شخص ، وتعالج ٣٢.٠٠٠ امرأة (٤)

(١) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وباكستان ص ١٥٩ وهمارى هندوستانى

مسلمان ص ٢٢٠

(٢) مجلة المنار ج ٣٧٥/١٥ (٣) مجلة المنار ج ٣٢٦/١٥ وانظر ج ١٥/١٧٣

(٤) انظر مرزا مهدى على خان كزيتر ممالك محروسة ص ٤٧ والغارة ص ٨٥

١١ - منحت الدولة الحاكمة الاعانات السخية لرجال الانجيل ومُحَدِّثِهِم بِالْجَاهِ وسلطة الشرف ، حتى اكتسب دعاة التنصير ثوب الراحة والأمن على يديها . يقولون ما يشاؤون ويشتمون من يريدون ويكذبون ما يحلو لهم تكذيبه ، ولا يجسر أحد أن ينبس بنبت شفه تجاههم ، وقد اعترف بهذا التأييد والأيدى البيضاء التي قدمت لهؤلاء الدعاة الاستاذ شلاتار في مؤتمرا دنبره المنعقد عام ١٩١٠م فصرح : " أما في الهند فالمشرون متمتعون بالراحة ، لأن الحكومة تساعدهم وتعضدهم بالاعانات ، وتشرف على المكان الذي تصرف فيه هذه الاعانات " . (١)

١٢ - خرجت على اثر الكوارث الطبيعية فكرة انشاء دور الأيتام لتربية الأطفال وتنشئتهم على الديانة المسيحية ، واستولت الارساليات على أبناء المسلمين والهندوس الأيتام على السواء ، ولم تجف الاحتجاجات وأصوات المعارضة نفعا تجاه أعمال المنصرين التربوية ، كما أنه لم تجد أنفة السيد أحمد خان وصيحاته المدوية اذنا صاغية ، بل وقع منزله أول ضحايا الاحتجاج ، اذ سلب من بيته ما يربو على أربعة أطفال ، لتتولى البعثات المسيحية تربيتهم لحساب المسيحية والتثليث . (٢)

١٣ - ولقطع صلة المسلمين بالماضي شجع دعاة التنصير اللهجات المحلية المهجورة باسم الادب الشعبي ، لخلو تلك اللهجات من الكتابات الاسلامية ، فترجموا الكتاب المقدس وقصصه الشعبية والفرازية الى اللهجات التي لم تعرف التدوين طوال حياتها ، ولخص الاستاذ حميد الله الغاية المنشودة من وراء هذا الأدب فقال : " إن كارسان دناسي كان عالما بالمخططات الانجليزية ، وما تهدف اليه من الغاء الفارسية ٥٠٠ ، ونشر اللغات المحلية وتشجيعها اذ لا وجود لأدب ديني في تلك اللغات ، ومن وراء ستار الأدب ينهض تشجيع القصص والفكاهيات والشعر ، حتى نزول العقبات أمام نشر المسيحية بين أبناء تلك البلاد " . (٣)

(١) الفارة ص ٤٧ .

(٢) انظر سرسيدكي كهاني ص ١٠٠

(٣) مقالات كارسان دناسي ج ٤٠٦/١ .

وأقدم نسخة اطلعت عليها باللهجة المحلية البنجابية هي صحف الزبور صهبت في قالب شعري شعبي نشرته " بنجاب ريلجنس بك سوسائتي " عام ١٩١٦م غير أن ترجمة التوراة تمت الى اللغات الحية الهندية عام ١٨٢٢م ، ثم تلتها ببيع سنوات ترجمة الكتاب المقدس مركله ، وقامت جيوش التنصير بإبلاغه الى الناس بالقاء الخطب في الشوارع الرئيسية بالمدن وتقاطع الطرق وعقد المحاضرات وتوزيع المنشورات ، والدعوة الى المآظرات العلمية في الأرياف وعواصم المقاطعات ، ولم يكن يلد التجوال في الأسواق الهندية الا لجيش الاخضاع والسياح الانجليز ورجال التنصير . (١)

١٤ - جبلت النفس الهندية على حب الالحان وسماع النغم ، وقد شغل حل السماع وحرمة الحيز الأكبر من حياة العلماء الصوفية ، وأدرك منظمو التنصير ما للموسيقى من تأثير على النفس الهندية ، فدربوا الدعاة عليها وأمروهم بالعزف لجمع الناس ، وايصال صوت الانجيل الى الخلق بسهولة وأضافوا لتيسير المهمة عرض مناظر الفانوس السحرى - السينما في صورتها البدائية - ممثلا في صورة عيسى المسيح وامه البتول وأعمالهما الخيرية دون مقابل ، وحاولوا جمع أكبر حشد ممكن بالطريقتين للتأثير فيهم بالصوت والصورة . (٢)

١٥ - استباح رجال ^{المسيحية} كل وسيلة لتنصير المسلمين ، ولما اعترض بعض السلاطين طريقهم أزاحوه عن المنصة وخلصوه كما يخلص الثوب ، لذا لم يرض على قرارات مؤتمر القاهرة زمن طويل ، حتى حدث الانقلاب الفارسى والعثمانى وعزل السلطان عبدالحميد وانهدم الصرح الذى ظل يهدد أعداء الدين باعلان الجهاد لطردهم من بلاد الاسلام ، وهذا ما جعل مخططو التنصير يعمدون تقويم أعمالهم وتنفيذ خططهم في مؤتمر لکنهو ، وصرح رئيسه القسيس زويمر أن - السنوات الخمس التى اعقبت مؤتمر القاهرة أتت بتغييرات خطيرة في العالم الاسلامى ، منها الانقلابان ومدسكة حديد الحجاز ، وانشاء عدة مجالس ادارة واستشارة في الهند ٥٠٠٠ ، وان هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد في أمر التنصير . (٣)

(١) انظر حاضر العالم الاسلامى ج ٢٨/١ والفارة ص ٨٤ .

(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٧٢/١٥ .

(٣) انظر مجلة المنار ج ٦٧١/١٥ .

١٦ — نشأت فكرة عقد المؤتمرات التنصيرية — أثر تقويم أعمال التنصير في الهند خلال قرن من الزمان — للبحث عن ازالة المشاكل التي حالت دون تعميم التنصير بين المسلمين والهندوس

١٨٨٨م وخاض المجتمعون في العديد من جزئيات الاسلام كخوضهم فيما لو تنصر الزوج هل يفرق الاسلام بينه وبين زوجته المسلمة ، ثم تلاه اجتماع كلفلند بحث المؤتمرين فيه أوضاع العالم الاسلامي كله وأوصوا باتخاذ الاجراءات الكفيلة لتنصير المسلمين جميعا . (١)

وعقد بعد كلفلند مؤتمر الأديان بشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٣م ومثله من الهند المبشر عماد الدين وقرا على المؤتمرين صحيفة أعماله التنصيرية بذكر خمسين اسما مسلما ارتد أصحابها عن الاسلام ، وأخلصوا للنصرانية ، وتلا شيكاغو مؤتمر تاشفيل في فبراير عام ١٩٠٦م وخرج بندا يستنهض هم الأمة الأوربية ، ويطلب منها التطوع لايجاد فئة يوقفون حياتهم لخدمة الأنجيل ، ويضحون بدمائهم وراحتهم لايلابح المسيحية الى العالم الاسلامي كله وجاء عقد مؤتمر القاهرة لتأكيد نداءات شفيل بعدة لاتعد وستين يوما ، وكان انعقاده تلبية لطلب زويمر — رئيس ارسالية التنصير البحرينية الذي حث في طلبه على عقد مؤتمر عام يجمع البعثات التنصيرية البروتستانتية كلها ، فوضعت فكرته على بساط البحث في ميسور — ولاية تيبو سلطان المسلم — ثم عرض الاقتراح على مؤتمر مدراس الذي كان يعقد كل عشر سنوات ، فأجازه . وافتتح مؤتمر القاهرة التنصيري أعماله في منزل غرابي باشا ، يوم ١٩٠٦/٤/٤م ، وبلغ عدد المندوبين ٦٢ بين رجال ونساء ، وترأسهم زويمر وشمل برنامجهم : الاسلام في أفريقيا وفي الدولة العثمانية ، وفي الهند وفارس وملايو والصين والارتداد عن الاسلام ووسائل انقاذ المتنصرين المضطهدين ، وشئون نسائية اسلامية ، وموضوعات تتعلق بتربية المتنصرين وعلاقة بعضهم ببعضهم وتعيين النشرات التي ينبغي نشرها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين من عامة الناس . (٢)

وفي عام ١٩١٠م عقد المؤتمر العالي — مؤتمر أدنبره — بانجلترا لجميع المنظمات التنصيرية وحضره ألف ومائتا مندوب منهم ٥٠٢ من الانجليز والأمريكيين ، وهاقيهم بين فرنسي وهولندي وألماني . واعتذر الرئيس روزفلت الأمريكي عن الحضور واشترك المستر براين الذي رشح نفسه أكثر

(١) انظر مجلة المنار ج ٣٧٨/٣٨٠ - (٢) انظر مجلة المنار ج ٣٦٩/١٥

من مرة لرئاسة الجمهورية ، وكان أهم المباحث وأقدها حلا أمام المؤتمرين هي كيف تقاوم الاسلام الذى يقف سدا منيعا فى وجه التنصير ، ^(١) وامتدح رئيس الشرف لمؤتمر أدنبره اللورد بلفور أعمال المنصرين ، وعين مكانتهم فى كل دولة فقال : " ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن فى حاجة الى لجنة دائمة ينام بها التوسط والعمل بما فيه مصلحة المبشرين . ^(٢) وخرج مؤتمر أدنبره بتشكيل لجان دائمة العمل ، منها لجنة الاحصائيات ، ولجنة النشر والتوزيع ولجنة التربية والتعليم ، ولجنة دراسة العقبات التى تحول دون نشر الانجيل بين المسلمين ، ولمتابعة أعمال أدنبره انعقد مؤتمر المانيا الاستعماري ظاهرا ، والتنصيرى غاية وهدفا بعد بضعة شهور ، وحضر شكال رئيس غرفة التجارة الألمانى بها مهورج غرض المؤتمر فى قوله " ان نمو ثروة الاستعمار تتوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمانة ادخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة ، لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الامنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية " ^(٣)

وكان آخر المؤتمرات التنصيرية العلنية هو مؤتمر لكهنو بالهند ، وبدأت جلساته فى مدرسة " ايزابلانوربون " للهنات البروتستانتية ، واستمرت مناقشاته الى ١٩١١/١/٢٩م على امتداد تسعة أيام متتالية ، واشترك فيه ١٦٨ مندوبا عن أربع وخمسين جمعية تنصيرية وترأس مناقشاته ومداولاته زويمر ، واشترك فيه العديد من الأساتذة المستشرقين والدعاة المنصرين كالدكتور وتبربرخت الألمانى ، والدكتور وهري .

هذا وضع الصحفيون بما فيهم الانجليز والأمريكيون من حضور جلسات المؤتمر ، ولم ترسل اليهم مذكراته الا بعد تنقيح وتطهير ، وشعار المؤتمر الذى وزع على المشتركين ينص على :
دار بين جدار تلك المدرسة ، ان كتب على جهة منه تذكار مؤتمر لكهنو ١٩١١م ، وعلى الجهة الأخرى عبارة " اللهم يامن يسجد لك المالم الاسلامى خمس مرات فى اليوم بخشوع ، انظر يشفقة الى الشعوب الاسلامية ، اللهممها الخلاص بيسوع المسيح " ^(٤) وخرج المؤتمر بتوصيات تحث على نشر المسيحية فى أفريقيا وجلب أكبر عدد

(١) انظر رئيس أحمد جعفرى على برادران (الاخوان العليان محمد على وشوكت على) ص ٢١٣.

(٢) انظر مجلة المنار ج ٥٢٠/١٥ (٣) مجلة المنار ج ٥٢١/١٥ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

يمكن من النساء لهذا الغرض .

ولأول وهلة يرى المتبع لأعمال المؤتمرات أنها استهدفت جمع المعلومات عن العالم الاسلامى واقتناص الثغرات التى يمكن بواسطتها هدم التوحيد ، والحث على اجتتاب كل طريق تبعد المسلمين عن المسيحية ، فمن قائل بوجوب ارتداء داعية التنصير زيا غير زى رجل الدولة (١) ومن ناصح أن المبلغ الذى يعد نفسه لمجادلة المسلمين يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية ، والاستقامة التامة على المزايا العقلية ، وأن يكون مقتنما بصحة البراهين التى يستدل بها ، وأن يضع الفوز على خصمه نصب عينيه (٢) ويجمل زويسر أوصاف رجل الأنجيل الناجح فيوصى بوجوب جلوسه أثناء الخطبة ، ليكون تأثيره أقوى وأنفذ فى قلوب السامعين ، والا تتخلل خطبته كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبدل العناية فى اختيار الموضوعات وأن يكون مستحضرا لآيات القرآن والأنجيل ، عالما بمحل المناقشة ، وأن يلقى الخطبة بصوت رخيم ومنفصحة تفهم عنه كل كلمة (٣) تلك هى الطرق التقليدية القديمة ، التى أنتهجتها المنظمات المسيحية حتى الاستقلال ، وتقسيم شبه الجزيرة الهندية الى جمهوريتين — باكستان والهند — عام ١٩٤٧م ، وبعد بروزهما على خارطة العالم اختلف طرق التنصير ، وتغيرت خطط المسيحيين لاستقلال الدولتين على أسس دينية ، فلم يعد يؤثر اليوم ما كان ذا تأثير عام الى اس القريب من ناحية ، ومن ناحية أخرى تطورت الطرق التقنية الداعية وسهل الوصول الى كل بيت ، ومن هنا اقتضى الحديث الفصل بين الجديد والقديم من طرق التنصير .

الميل الحديث لهي الانجيل :

ما تزال جل الطرق القديمة سارية المفعول ولوعلى نطاق ضيق ، ولا زال أمر البعثات وتوزيع المطبوعات وفتح المكتبات العامة واقامة دور الضيافة (Hostels) للأيتام ٠٠٠ قائما على ما كان ، ولم يختلف من الطرق القديمة الا الفروع التى اختصت فى الكليات لتخريج دعاة المسيحية ، واعانة الدولة المالحة لاغراض التنصير .

(٢) انظر الفارة ص ٢٧ .

(١) انظر مقالات كارسان ج ١ / ٢٢٠ .

(٣) انظر الفارة ص ٢٠ .

١ - من السبل ما تغيرت جهاتها كاستبدال التوظيف لدى الادارات الحكومية بالتوظيف
لكسى ، ويعتني دعاة التنصير ندو النفوذ والمتخرجين في الكليات غير المسيحية ، رجاء
جلبهم الى الانجيل ، فيتوسطون لدى الحكام حيناً ، ويوظفونهم في اداراتهم المسيحية أحياناً
أخرى ، ويصبح الموظف المسلم أسيراً لحسانهم ، يتألم من الحرمان الذي أصابه من اخوانه المسلمين
وتزداد الحركة المسيحية به حفاوة وتكريماً ، حتى يقع في شباكهم فيفترس بالمال ، فيعين لكل
فرد من أفراد أسرته منحة مالية يتسلمها عند نهاية كل شهر ، ويعفى أبناءه من ضرائب التعليم ،
وكثيراً ما يسّاح به في الدول الأوروبية على حساب المسيحية ^(١) . ولو أردت حصر من تنصر عن
هذا الطريق لتجاوز الآلاف منذ الاستقلال حتى اليوم .

٢ - تعنى العيادات والمستوصفات والمشافى المسيحية بالمرضى المسلمين ذكورا وإناثاً ، ويحاول
العاملون في تلك الدور كسب ثقتهم بكل وسيلة ، غير أن جرعات العلاج لا تخلو من جرعات التنصير ^(٢)
وإذا اقتضى الامر ادخال مريضة مسلمة في إحدى تلك المستشفيات فإن العناية الطبية
تحيط بها من كل جانب ، وما أن تحس المصابة بتحسّن حتى تحوم الاستفسارات عن أسرتهما ،
وصلة الوفاق أو الخلاف بينها وبين الأسرة ، فإن وجد أن المريضة على خلاف مع أسرتهما وإن
المودة لا تغمر المنزل ، فإن العاملين من الأطباء والمرضات ٠٠٠ يبدلون كل ما في وسعهم
تأجيج نار الشقاق ، وترغب المريضة في الالتجاء اليهم عند الخصام ، وكم من أسرة تهدمت
وطفل فقد حنان الام وولّى هربت منه موليته لحماية تلك الدور العلاجية اياهن ، وتهربيهن الى
الجهات المسيحية المأمونة ، ليأخذن طريقهن الى التنصير والتعميد . ^(٣)

اضف الى ذلك اثاره الشبهات في اذهان المرضى المقبلين على العمليات الجراحية والولادة
في اللحظات الحرجة ، فترى الأطباء ومعاونيهم يرددون كلمة " انا نطلب من الاله المسيح
نجاح هذه العملية ، ونستجلب عونه " في السويقات التي تسبق العملية ، وكثيراً ما ترسخ تلك

(١) انظر الدكتور نادر رضا . باكستان مبن مسيحيت (التنصير في باكستان) ص ٣٣٥ .

(٢) انظر ابا الاعلى المردودي مكاتيب ترتيب عاصم نعماني ج ١ / ٢٢٠ .

(٣) انظر مجلة اردود أنجست الشهرية اللاهوتية ص ١٦٨ عدد أبريل ١٩٦٧ م .

الكلمات فى العقول غير المدركة معنى كلمة التوحيد ، فتجرى على ألسنتها كلمات المستشفى عن غير قصد عند كل اصابة .

ويرى الدكتور نادريان دور العلاج الانجيلية كلها تعطى الجرعات الأولى للمريض خالية من العناصر العلاجية ، وتقدمها الممرضة المسيحية قائلة " تناولها باسم الله واسم رسوله " وتستمر العملية الخداعية عدة أيام حتى يضجر المريض ويزداد ألاماً على ألم ، فيسعف عندئذ بالدواء ، ويقال له " اشربه باسم الاله يسوع المسيح " فيبدأ باذن الله لاصابة الدواء الداء ، ويظل أثر تلك الكلمات مرتسxa فى مخيلة المريض ^(١) يحمدها عند كل حدث ونازلة .

والأمر الملفت للنظر أن هذه الدور الشفائية لا تمتثل للأوامر الرئاسية الا اذا رافقتها مصلحة التنصير ، لذا لم تدمج جمعية " سنت جان ايبولنس " الطبية فى الهلال الأحمر الباكستانى حتى اليوم رغم صدور الأمر الرئاسى بذلك عام ١٩٧٩ من المبلاد . ^(٢)

٣ - صاحب اقامة دور الأيتام دخول دعاة المسيحية الى الهند ، غير أن فترة ما بعد الاستقلال بدت كفرصة ذهبية لذلك العمل إذ فقد العديد من الأبناء آباءهم ابان الهجرة من الهند الى باكستان ، أو العكس نتيجة التضادم بين المسلمين والهندوس ، واستمر التشاحن بضع سنين حتى تمت عملية نقل السكان ، ولو حاولت أن تقارن بلغة الاعداد بين الفترتين فى جزء من أجزاء باكستان ، لا تضح لك أن الكاثوليك لم يكن لهم قبل الاستقلال سوى دار واحدة فى كراتشى ^(٣) ، وبلغ العدد فى المقاطعات الباكستانية الأربعة ٦٢ داراً لهذه الطائفة فى الثمانينات من هذا القرن ، ثلاثون منها للبنات ، وسائرهما للولاد ، وبلغ عدد القاطنين بها أكثر من ٣٤٠٠ بين طالب وطالبة متنصرين أو ينتظرون التنصير . ^(٤)

إذا كان هذا ما يملكه الكاثوليك الذين لا تعد ونسبتهم ٣٩ ٪ بين الفئات العاملة للانجيل فماذا عسى أن يملك ٦١ ٪ من المسيحيين العاملين للتنصير فى باكستان ؟

(١) انظر باكستان مهن مسيحيت ص ٣٣٨ .

(٢) انظر صحيفة جارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩ المالحق الخاص عن التنصير فى

باكستان ص ١ Alcuin Van Miltenburg, Rt. Rev. MGR In the Land of Sindh and Balochi . P 26.

(٣) انظر : الكوئين ون فى أرض السندى والبلوشى ص ٢٦

(٤) انظر باكستان مهن مسيحيت ص ٤٧٣ الى ٤٧٦ .

ولتموين هذه الدور بالبشر طرق عديدة أهمها :-

أ - ما يولد من الأطفال غير الشرعيين فى المستشفيات المسيحية يوهبون لهذه الدور ، سترأ على الزانية وحفظا لكرامة الأسرة ، وما يولد من هؤلاء فى مستشفيات الدولة تسمى الممرضات المسيحيات لتسلمه من الأسرة ، وأدارة المستشفى بكل السبل الممكنة .

ب - ما يلتقط من الأطفال فى الأزقة والشوارع العامة نتيجة اللقاء الجنسى المحرم ، يأخذ طريقه لملء فراغ تلك الدور ، وكثيرا ما يجول رجال الانجيل فى مناطق مظان الفساد ، والأماكن المظلمة ليلا لهذا الغرض ، بينما دور الأيتام الحكومية لاتقبل الا ما يأتيها عن طريق الشرطة أو القضاء .

ج - يهرول دعاة التنصير الى الأماكن المصابة بالكوارث تحت ستار تقديم الاسعاف والمعونة العاجلة للمصابين ، فيستغلون تلك الظروف الحرجة ويحوزون الأيتام الاحداث دون معاناة ، وحرب انفصال بنجلاديش كانت أعظم فوز أفلحت فيه الحركات المسيحية فى تسلم الأطفال .

د - يشير التقرير الهندى لولاية مد هيه برديش أن المسيحيين كثيرا ما يرتكبون حوادث الأختطاف للأطفال والنساء ، لتعميم المسيحية وتكثير عدد نفوسها فى الهند ،^(١) وهناك حادثة مشهورة فى منطقة كراتشى اذ اختطف المسيحيون عام ١٩٥٥م فتاة تسمى قمر الضياء ، وغيروا اسمها بعد تنصيرها بالقوة - الى ايسنهر ، ثم قتلوها فى مدينة جيحة وطنى عام ١٩٠٩م حين سمعوا منها ما ينبئ عن رغبتها فى زيارة أسرتها المسلمة . وأمثال هذا الحادث كثيرا ما يتكرر لحساب التثليث (٢) .

٤ - ظل التعليم بعد الاستقلال بضع عشرة سنة موافقا لما كان عليه قبل ذلك فى الباكستان ، وفى أوائل السبعينات حاولت الدولة الزام المدارس والكليات تدريس مادة " إسلاميات " الثقافية الاسلامية ، غير أن جميع الكليات المسيحية احتجت على فرض هذه المادة عليها ، وأعلنت ان كل ما يلزم لتدريس تلك المادة يجب أن تتحمل الدولة نفقته ، من دفع ايجار المكان وجلب الأشياء

(١) انظر: Govt. of Madhia Perdesch. Report Enquiry Committee on Christain Missionary Activities. P. 1.

حكومة مد هيه برديش الهندية ، تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحيين ص ١ .

(٢) انظر باكرستان مهن ص ٣٨٦ .

والكتاب المقرر ودفع رواتب المدرسين الذين سيتولون التدريس ٠٠٠ وقد صرح بهذه الحقيقة المرة وزير التعليم الباكستاني ، مشيراً الى أن الدولة قدمت اعانة تقدير — ٦٧٨٩٤٠٩ روميه الى المدارس المسيحية ، لتدريس الاسلاميات للفترة ما بين ١٩٦٢ — ١٩٦٦ م^(١) بينما لا تزال العديد من المعاهد تدرس الانجيل لأبناء المسلمين حتى اليوم ، وتقوم العديد من الهيئات بفتح مدارس جديدة لها متحدة مشاعر جميع الأمة المسلمة .

وتقوم حالياً جل المدارس المسيحية بطبع دراسات مستقلة (Course) عن المسيحية ذات مراحل متعددة ، ويعلمون عنها في الصحافة ومواسطة مبلغهم بين الحين والآخر، وترسلها المدارس مجاناً الى كل من ابدى الرغبة في الحصول عليها ، ويحتوى كتاب المنهج البدائى " السلسلة الأولى " على خمسة وعشرين درساً ، فتسئله سهلة عاممة يمتحن الدارس عند نهايتها بالمراسلة ، ويعطى شهادة مزخرفة ذات ألوان جذابة وتنسب كفى المصحح عند الدخا لادخال الفرحة الى صاحبها ، وكسبه للمسيحية ، ويعقب نهاية المرحلة الأولى السلسلة الثانية التى عنوان لها " سيرة المسيح وظروفه المعيشية " وتأتى الثالثة تحت اشعار " طريق النجاة " مطمعة الدارس فى ارسال نسخة من الكتاب المقدس كهدية تذكارية عند اجتياز الامتحان لهذه الدراسات ، وتأتى الحلقة الرابعة من هذه الدراسات تحت عنوان " حياتك اليومية " وتصل الحلقة المكملة لهذه الدراسة الى الدارس باسم " الأسس المسيحية " وذلك يتم المقصود ، ويصيب السهم مرماه .

٤ — تحول عرض الأفلام ، ومناظر الفانوس السحرى من الساحات العامة الى الكنائس ، ومراكز العمل الكنسية ، ويرغب فى رؤيتها بالاعلان عنها فى الصحف المسيحية ، وارسال البطاقات الخاصة لمن يتوهم فيهم السكوت على العرض المشاهد ، ويقوم المنصر المسيحي عقب انتهاء الشريط السينمائى بالقاء محاضرة عن أحد دروس الانجيل ، لغرس المسيحية فى المستمعين ، ولتهيئة التربة للقاء البذر ثم التعميد فى القريب العاجل .

٥ — اتقنت العديد من المسيحيات الضرب على آلات العزف والموسيقى ، واختصن بتنظيم

(١) انظر صحيفة جنك اليومية عدد ١١/٦/١٩٦٦م وسيأتى تفصيل هذه المدارس فى فصل

أنشيد الكتاب المقدس ، وأخذن في الآونة الأخيرة في جوب قري الفلاحين على شكل فرق وجماعات ، تضمن رجالهن في كل قرية أسبوعاً أو أكثر ، ويعتبر هذا المنهج أمضى سلاح وقع في الأيدي المسيحية لخدمة مسيحياتهم بين الأرياف والقرى في شبه القارة .

٦ — تطورت طرق ابلاغ الكلمة الانجيلية من الخطبة وتوزيع الكتاب واللقاء المحاضرات العامة الى ارسال الصحف المسيحية دون مقابل ، وكمن من متحير لا يدري عن الكيفية التي تمكنت بموجبه تلك المجلات من أخذ عنوانه ، وكثيراً ما تُخدّم هذه الجهة من قبل المكتبات الأميركية والبريطانية وأدلة الهاتف وإدارته المحلية .

الطرق المعاصرة لنشر المسيحية :

=====

تلك هي أهم السبل التي اختلف وضعها بعد عهد الاستقلال ، ولكن هناك طرقاً استحدثت في المنطقة بعد التقسيم ، لم يكن للهند بها عهد من قبل ، وهذا ما سيمر بك في الأسطر التالية :

١ — التحمت شبه القارة بعد الاستقلال بالدول الأوروبية والولايات المتحدة أكثر من ذي قبل ، وأخذ الهنود يجهون تلك البلاد سياحاً وتجاراً مصدرين ومستوردين وتمت الحلقة حين أقدم العديد من المتعلمين ورجال الدولة الأغنياء على الزواج بالمسيحيات في تلك البلاد ، إن شاءت الإرادة الالهية اسلام هؤلاء الزوجات ، ونطقن بكلمة التوحيد فان عاداتهن وتقاليدهن الاجتماعية تظل على حالها ، لا تختلف بالاسلام عما كانت عليه قبله ، بل تبقى على صلة بالوهبان والراهبات وأبناء بلادها المسيحيين ، يزورونها بين الحين والآخر ، وفي الأعم الأغلب تبقى على عقيدتها لاشرائط القسيس عليها بذلك عند الاذن بالعقد ، ويصل الضغط الكسبي أحياناً الى أن يقبل المسلم تربية أولاده على عقيدة أهمهم المسيحية . (١)

وفي السبعينات من هذا القرن ازداد الوضع سوءاً حين أقدم الموظفون العاملون في السفارات الأجنبية بهاكستان من ذوي الدخل المحدود على البناء بالمسيحيات الأوروبية بصورة تلفت النظر ، مما حمل الدولة على تشريع قانون يمنع ذلك الزواج ويضع العديد من الشروط في طريقه ، قلما تتوفر في المقدم عليه . (٢)

(١) انظر باكستان ميم مسيحيت ص ٣٥٥ . (٢) انظر صحيفة جنك عدد ٤ / أغسطس / ١٩٦٥ م .

ولاقتصاص عامة الشعب اغرت الكنيسة الكثير من الشباب بالعقد على المسيحية المحلية المتعلمة ، اذا اعتنق التثليث ، ويعترف تقرير الهند ضمن طرق نشر المسيحية بعرض نبات الصليب على الشباب ، اذا رضى بتحويل عقيدته الى عقيدة من سيمنى بها ^(١) وقائمة الاساتذ نادرا لمثل هذا العرض أو من تنصر عن هذا الطريق غرفة من حوض ، وغيب من فيض ^(٢) لذا يحصر البروفيسور ج سويليو - فيوك تعليم البنت الأوروبية في أن تهباً عن طريق التدريس وتلقى العلوم ، حتى تستطيع اقتناص أحد المسلمين البارزين ، بواسطة النكاح ^(٣) .

٢ - والمصدر الآخر الذى ينفذ منه التنصير ويحاول التأثير على مسلمي شبه القارة هم أساتذة الكليات والجامعات والاختصاصيون في مختلف الميادين ، المستقدمون لأهداف التعليم والزراعة والبت الاذاعى والتعمير ومختلف الميادين التقنية ، وأيضا حل امثال هؤلاء بذلوا كل ما فى وسعهم في محاولات التخريب ، وتمثيل بلدانهم المسيحية في كل مركز من مراكز العمل ، وأغلبية هؤلاء يأتون كمستشارين ومخططين فتم البلوى جميع طبقات الشعب ، لسيار الدولة على وفق ما يرسم لها أولئك المسيحيون ، وتلك حقيقة يدرك مرهاها كل مسلم ينعم النظر في بعد المسلمين عن الاسلام وقربهم من المسيحية ان لم ~~تستقوها~~ .

٣ - يزور السواح الغربيون معاقل التعليم والمدارس والكليات في شبه القارة بطرق شتى ، ويتطرقون الى طرح سؤال أو أكثر على الصفوف الدراسية ، وتشجيعا للطالب المجد فى الظاهر ، وخدمة للمسيحية فى الباطن على المدى الطويل ، يعلن الزائر عند نهاية الزيارة صرف مكافأة شهرية للطلاب المجدين طوال مدة الدراسة ، فيقع الاحداث رجال القيادة فى المستقبل أسرى للنمن الغربية ، ولو تتبع تلك المنح لوجدت أنها مقدمة من الحركات التى تدير دفعة التنصير فى العالم ، ونسبة المهتئين لتلقى الدراسات العليا من هؤلاء الأسرى أكثر من غيرهم فيما تحتاج اليه دول المنطقة ، ونقاش هؤلاء فى استسلامهم للمسيحية أو عودتهم متنصرين أمر لا يجدى كثيرا ، اذ أنهم وقعوا فى الشباك منذ حداثة سنهم ، ونعمومة أظفارهم بأخذ تلك المكافآت منذ بداية حياتهم الدراسية .

(١) انظر Report Enquiry : P. 1. (٢) انظر باكستان ميم مسيحيت ص ٤٩ و ٤١٠

(٣) انظر قمرالدين أحمد نبات الصليب ص ٢٤ .

٤ — تقيم حركات التنصير بين الحين والآخر مباريات للألعاب المثلثة المحببة الى الشعب ، وامتلكوا لهذا الغرض الملاعب الرياضية فى أغلب المدن الكبيرة ، ويحشد الجم الغفير لرفسح صوت التشجيع بما يثبت صلة الملعب بالانجيل ، ويقوم المبلغ الرياضى بالقاء موعظة عند نهاية كل مباراة ويتقرب الى السامعين بشتى طرق الاغراء ، من توزيع الجوائز والصحف الرياضية عند نهاية الكلمة ، بل لم تتورع هذه الحركات من عقد دورات للقمار لبث المسيحية فى المقامر من ، فضلا عن الألعاب المباحة ، وشهدت مدينة كراتشى هذه الدورات الأسبوعية العلنية فى منتصف الستينات ، ولا أظنها تخلو منها خلف الكواليس اليوم .

٥ — استغلت المنظمات المسيحية عوز المنطقة وفقرها ، فانشأوا الكثير من المراكز لخدمة الفقراء ، ولتلبية حاجاتهم المعيشية ، من تقديم الملابس الصيفية والشتوية ، والحنطة والحبب المجفف والمناظر الطبية والأحذية ٥٠٠ ، كل ذلك فى مناسبات مسيحية معينة ، وتخرج المبلغات العاملات فى هذا الميدان لزيارة البيوت عند خروج الرجال الى العمل ، فتختار كل منها منزلا متواضعا فتعين صاحبة البيت فى أعمالها المنزلية ، من الكس والطبخ وغسل الأطفال الملطخين بالطين ، والباسهم الثياب المهداة منها ، وتسعى العاملة الى نيل حب أطفال البيت جميعا غير مبالية بما يصيب ثيابها النقيمتن أو ساخ لتترك أثرا نفسيا على ربة البيت ، فتصفى الى سماع نصيحتها فى كل شأن من الشؤون ، وتمثل لحلولها ثقة بتعليمها فى كل معضلة من معضلات الحياة المنزلية .

٦ — يغفوز المسيحيون افتتاح العديد من مشاريعهم الاجتماعية ، ومراكز العاملة فى مختلف الميادين الى الحكام لكسب الثقة ، وتبرئة أعمالهم التى ينفذونها لغرض التنصير ، وإعلان نزاهتها أمام عامة المسلمين ، ويهدى الكتاب المقدس فى هذه المناسبات الى رؤساء الشرف والوفود المشاركة ، فيعد الكثير منهم بقراءة الهدية ومنهم من يقطع العهد بوضع نسخها فى جميع مكبات الجيش (١)

٧ - يؤخذ تعهد خطي على كل مسيحي سنويا في باكستان ومنجلاديش على النهوض بشروح المسيحية ، وعرض معتقداتها على غير المسيحيين مرة كل اسبوع ، وصيغة اليمين التعهدية التي يجبر كل انجيلي على توقيعها هــنـسـى كالتالى " اتعهد لمدة سنة بتفسير اسس الاله المسيح ، وتوضيحها أمام غير المسيحيين مرة كل اسبوع على أقل تقدير " (١)

٨ - وأوسع الطرق وأسهلها لا يصل صوت الانجيل الى كل بيت في شبه القارة يأتي عن استخدام البث الاذاعي ، لقد غزا المنصرون بالمذيع كل مدينة وقرية ، وأرسلوا نشراتهم على الموجات المتوسطة الى جميع العالم ، وترسل محطه F.E.B.A. فيا " بشها المكثف الى المتكلمين بالاردية والسندية والبنجابية والبنغالية ولغة الباتان ، على فترتين لا تقل مدة كل منها عن ساعة ، كاتعين منظمة " اليونسيف " البث المرئي في اعداد البرامج لتعليم الكبار في باكستان ويتولى التدريس مسيحي يلحن فولأردية بصورة مخزية ، ولم تجد احتجاجات جامعة العلامة محمداقبال المفتوحة وادارة البث المرئي وصراخ العامة في تغيير الوضع شيئا . (٢)

وان اردت المعلومات الاحصائية فان عدد من تنصر خلال خمس سنوات (١٩٦٠م - ١٩٦٥م) في بنجلاديش كان ١٢٤٧٩ شخصا ، وفي باكستان ١٩٦٣ شخصا ، حسب اعتراف الدولة ، وقد صرح وزير الداخلية أثناء جلسة البرلمان يوم ١٩٦٥/٦/٢٥م بعدم وجود هيئة تكافح التنصير ، وترصد حركات دعائه في باكستان . (٣)

بلغ التساهل حدا يتحير فيه اللبيب حين يصرح وزير السياحة والاقليات الباكستاني هشام ١٩٧٣م بعدم وجود سجل لدى الحكومة المركزية أو الاقليمية ينبئ عن عدد المرتدين ، فضلا عن انتمائهم العرقي ، (٤) ويشير احصاء ١٩٨٢م الى أن ٤٩٠ مبلغا بروتستانتيا وقرابة ١٤٠٠ مبلغا كاثوليكي من غير الباكستانيين يعملون لصالح التنصير على الأرض الطاهرة (باكستان) (٥)

(١) انظر : باكستان من مسيحيت ص ٣٣٠ .

(٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩م الملحق الخاص عن التنصير في باكستان ص ١

(٣) انظر باكستان من مسيحيت ص ٣٧٩ .

(٤) انظر شيخ الحديث مولانا عبد الحق قومي اسمبلى مين اسلام كامعركة (المعركة الاسلامية في البرلمان) ص ٣٢٤ .

(٥) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩م الملحق الخاص عن التنصير في باكستان ص ١ .

هذا ويكون المسيحيون ١٤٪ من مجموع سكان باكستان ، ويقدر أن بحوالى مليون نسمة بينما لم يكونوا يعدون ٨٤٨٣٨٨٤ نسمة حسب احصاء الدولة لعام ١٩٦١م وهذه الزيادة المذهلة يمكن سرها في كثرة الانجاب عند المسيحيين ، وجلب غير المسيحيين الى الحظيرة المسيحية ، ومن هنا كانت نسبة الزيادة عند المسلمين في عدد نفوسهم ٢٢٪ في السنوات الأحد عشر (١٩٦١-١٩٧٢) بينما النسبة للفترة ذاتها ٥٥٪ عند المسيحيين ^(١) وللحركة التنصيرية بضخ وثلاثون صحيفة ما بين يومية واسبوعية وشهرية ٥٠٠٠ ، تصدر في أشهر ثمان مدن باكستانية ، وتتصدر القائمة مدينة لاهور ، اذ يحمل صوتها بضخ عشرة صحيفة ، لأطفال النصارى وشبابه وشبابه وشيوخه ونسائه .

ويعمل في بنجلاديش أكثر من ١٥٠٠ قسيس لا يغطى المحليون الا ثلث هذا العدد ، وجلبت المنظمات الكاثوليكية العاملة للتنصير تحت ستار المساعدات في بنجلاديش ما يربو على ١٤ مليوناً من الدولارات في عام ١٩٧٣م ، وخصت في ميزانيتها السنوية لعام ١٩٧٨م ١٣٦٠٠٠٠ ر. ١٣٦٠٠٠ ر. تكلفه بنجلاديشية لخدمة الفقراء والمعوزين ، و ١٨٤٠٠٠ ر. ١٨٤٠٠ ر. تكلف لمشروعات التطوير ، وتعمل عدا هذه المنظمة أكثر من ٣٥ منظمة بروتستانتية لصالح الانجيل ، وجميع هذه المنظمات كانت تنفذ أكثر من ١٤٠ مشروعا لتطوير بنجلاديش وأكثر من ١٨٠ مشروعا لرعاية شعبه ، ومن هنا ندرك مكن الخطر الانجيلي على بنجلاديش المسلمة التي يخنفها الجوع والجوائح الطبيعية ، ولا تجد من يقدم لها يد المساعدة الا رجال الانجيل . ^(٢)

ويبدو أن الهند قد نجت من الضغط الصليبي منذ الثمانينات ، إثر ظهور تقرير مد هيه برديش ، فحرمت العديد من الولايات العمل التنصيري في أراضيها وأصبحت جواً المسيحية ودمناً وديولالائى تبلغ نسبة المسيحيين فيها ٣٧٪ - مورد حثف دعة التنصير ، ويوجز الوضع القائم في الهند الشيخ كوتر نيازي فيقول : " لا تجيز الهند تعميم هندوسى البتة ، من قبل أى منصر أو قسيس ، حتى أضحى مسيحيو جوا يحثون عن طرق الحصانة والصيانة ، لما وجوههم وجلودهم وأموالهم فلا يصح منهم بلاء رسالة المسيح في جوا ودمن وديو فضلا عن بقية الهند " . ^(٣)

(١) انظر ريبورت هودم شارى لعام ١٩٦١ و ١٩٧٢م (احصاء الدولة لعام ١٩٦١م ١٩٧٢م) .

(٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/٢/٥م الملحق الخاص عن التنصير في بنجلاديش ص ١ .

(٣) " آئينة تثليث (مراة التثليث) ص ١٣٠ .

أسباب نجاح التنصير في المنطقة :

=====

ومن تلمس الأسباب التي هيأت فرص النجاح لحركة التنصير ، وقلبت الميزان لصالحها منذ الاستقلال الى اليوم ، يجد أنها تعود الى النقاط الرئيسية التالية .

أ - أغلب موظفي المنطقة وحكامها تلقوا علومهم الدراسية في الكليات المسيحية ، أو اكتسبوا المعرفة عن طريق الكليات الحكومية التي كانت تديرها الدولة المستعمرة قبل الاستقلال ، ووضعت خططها بما يخدم مصلحة المستعمرين ^(١) ، وبعد رحيل الانجليز توفرت الفرص أكثر من ذي قبل ، إذ أصبح التلاميذ ولاية يحكمون قوسهم ، فلم يجسروا على المعارضة في منهج المعلمين ، ولا وضعوا العراقيل للحد من مسيحيتهم - إن لم يمدوا يد العون لتذليل العقبات التي تعترض طريق التنصير - فهب المعلمون المسيحيون يطالبون بما تعذر عليهم حصوله قبل الاستقلال ، كالإذن لهم بالتبليغ وفتح المدارس في الولايات المسلمة التي لم ترتضى وجودهم أبان عهد الاستعمار . ^(٢)

ب - توقفت برهة من الزمن مساعي التنصير بعد استقلال باكستان انتظارا لما تكشف عنه الأحداث في الدولة المسلمة ولكن الغبطة عمت رجال الإنجيل حين ضمن الدستور الباكستاني حرية التبليغ لجميع المذاهب ، وعدم الحد من انتشار معتقد على آخر أو تفضيل مذهب على مذهب ، وقد أبان الخطوط العريضة لهذه الحرية لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان في أول خطابه عن دستور الدولة حين قال : " إنا نعتقد بأن الآراء يجب أن يفسح عنها دون قيد أو شرط ، عولنا على ألا نمنع أحدا من التصريح بما يريد أن يعبر عنه من مكنون صدره ، كما عولنا ألا نقف حجر عثرة بين أي فرد كان وبين استعماله حقه في تأليف الجماعات والهيئات ، ما دامت في حدود القانون لا تهدف الا لأغراض نبيلة مشروعة " ^(٣) فضمن هذا الدستور الحرية بمفهومها الشامل وأتاح للنصرين مالم يتح لهم بنو جلدتهم قبل الاستقلال .

ج - أخذ جهاد العلماء تجاه المسيحية ورجالها يخدم منذ الاستقلال ، لتوهم العلماء أن البناء

(١) انظر أبا الأعلى المودودي رسائل ومسائل ج ١٠٥/٤ .

(٢) كولاية بنها ولهور وخيبر نور الباكستانيتين ، انظر باكستان مين مسيحييت ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) محمد حسن الأعظمي حقائق عن باكستان ص ١٠٩ .

قد اكتمل ، وأن مسئوليتهم قد انتقلت إلى الحكام في المحافظة على الاسلام ، وإقامة معالمه وتطبيق قوانينه في كل صغيرة وكبيرة في الحياة ، فحولوا قواهم إلى إقامة المدارس الدينية وتشجيع الدور لها لتنشيط الدراسات الاسلامية حتى تغطي بتخرجيها ما تحتاج إليه الدولة في القريب العاجل ، فأنحصروا في زوايا المدارس والمساجد وتركوا قيادة الشعب فخلال الميدان للمسيحية تعمل فيه ما تشاء .

ولكن على الرغم من السلطة والافراء والتحذير ظل الشعب المسلم أشاء الحكم الأجنبي وفيها لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأثر بالقدر الذي كانت ترجىه الارشاليات ، وظل يتبع العلماء ويسترشد بأقوالهم طوال حكم المستعمرين ، فأكسب مناعة من سمومهم ولكن هذه المناعة ظلت تضعف يوما بعد يوم بعد إقامة دولته المستقلة ، غير أن المقاومة ما زالت قائمة بطرق شتى رغم تغريب التعليم وفساد منهجه وخلو معلميه من الأخلاق الاسلامية ، ووجود فصل تام بين العلوم الشرعية والعلوم المدنية ، للتخريج متململين سلبت من سويدهم قلوبهم الدينية ونزعت من عقولهم الغيرة الخلقية وهذا ما سترأه في فصل التعليم .

* *

*

الفصل الثانى

مقدمة أثر الفكر الغربى فى مجال التربية والتعليم

مشمتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - موقف الدول الاسلاميه فى الهند من التعليم .
- ٢ - الدرس النظامى .
- ٣ - طرق القضاء على الدرس النظامى .
- ٤ - دار العلوم ديونند ومنهجها التربوى والتعليمى .
- ٥ - دار العلوم ندوة العلماء .
- ٦ - بداية التعليم المصرى .
- ٧ - توصية اللورد ميكاللى التعليمية .
- ٨ - موقف السيد أحمد خان من التعليم .
- ٩ - أهداف التعليم عند الانجليز .
- ١٠ - محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم .
- ١١ - دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية .
- ١٢ - التعليم بعد الاستقلال .
- ١٣ - نظرة فحص فى المنهجين (الدينى والمصرى)
- ١٤ - بعض مميزات التعليم الاسلامى .

الفصل الثانى

موقف الدول الإسلامية فى الهند من التعليم :

تحلى المسلم بالعلم يعود الى أول آية نزلت من القرآن الكريم ، " اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • " (١) تحض على المعرفة والعلم ، وتشكلت حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام لتجسد أحكام القرآن كواقع مشاهد ، فلم يكن امره صلى الله عليه وسلم فى فداء أسرى بدر المصيرين بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة الاخلقة من حلقات بسطة التعليم بين المسلمين •

وحمل الصحابة هذا المشغل معهم الى كل جهة اتجهوا اليها ، هنا قليلين للسنة قولاً وعملًا ، مفسرين لآيات الكتاب حسبما سمعوها ممن نزلت عليه ، وتحمل عنهم هذا العبء التابعون فمن جاء بعدهم رحمهم الله ، وكان المجاهدون الذين فتحوا الهند من حملة هذه المنحة لربانية ، وعلى أيديهم استنمات الهند بنور الاسلام ، وتعلمت العديد من العلوم التى لم يكن لاهلها عهد بها من قبل • ولم يحفظ لنا التاريخ الكثير من الأعلام الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم فى السند منذ فتح محمد ابن القاسم الى نزوح المسلمين عنها ، وانكماش دولة الاسلام فى الهند أثناء الخلافة العباسية ، بل اكتفى المؤرخون بذكر بعض من عثر المساجد من الأمراء ورجال الثراء من المسلمين ، اذ المسجد كان محور كل شئ آنذاك فى الاسلام ، فهو منبع العلم ، وسكن رجاله ، ومنطلق الدعوة وألوية الجهاد صيت الفقراء والمساكين • • • ، ولم يكن المعلم المسلم يهدف من وراء التعليم سوى ارضاء ربه ، وتبرئة ساحته أمام الخالق يوم القيامة ، لا يأخذ أجراً ولا يلتبس شهرة ، يكسب قوته من غير طريق التدريس وفى الدولة الفزنوية صاحب التعليم الفتح والجهاد ، فما من مدينة اكتسبت للإسلام حتى خلف فيها الفاتحون ورثة الأنبياء ، للقيام بشرح أحكام الدين واقامة الحياة الإسلامية ، ولإزدهام المتعلمين فى المساجد ، وكثرة اقبال الناس على تعلم أحكام الاسلام اضطر العديد من المعلمين الى فصل التعليم عن المسجد ، فخرجت المدارس الى حيز الوجود وأصبح المتعلمون يلقون دروسهم فى حجر خاصة تم بناؤها لهذا الغرض ، فاستقلت المدرسة عن المسجد بل فاقتته فى نواحي التعليم ، وأهم مدارس الدولة الفزنوية على الاطلاق هى مدرسة غزنة المحمودية ، التى كانت بمثابة مجمع على كبار العلماء والأدباء ، ضمت بين جدرانها أمثال المنصورى والمسجدى والفردوسى والبيرونى ، ولم تغفر آسيا

كلها بجمع بلغ درجة كمال هذا المجمع . (١)

وبناء المدرسة فى تلك الأزمنة يعنى بناء فصول دراسية وبناء وحدات سكنية للمعلمين وأخرى للمتعلمين ، وموارد دخل ثابتة تتوفر للمدرسة جميع ما تحتاج اليه من كتب وحبر وأوراق بيضاء ، وطعام وشراب وملابس حسب فصول السنة ، وجراية شهرية - راتب ومكافأة - حسب مكانة المعلم وأجادته للعلوم ، ورغبة الطالب واجتهاده فى تلقى المعرفة ، فكلما انتهى فناء ارتفعت مكافأته ، فتسابق الملوك والأمراء والوزراء والأثرياء الى رعاية العلم لكسب الثواب فى الأجلة والمنزلية الرفيعة فى العاجلة بين المجتمع المسلم خدمة للعقيدة الاسلامية واخراجا للبشرية من ظلمة الوشية الى نور الاسلام .

وأهم ما يميز المعلم المسلم فى هذه الفترة هو الجمع بين العلوم المختلفة فتبحر الشيخ فى التفسير والحديث ، لا يمنعه من تعلم الطب والهندسة والهيئة والفلك ، وتلقى آخر ما وصلت اليه هذه العلوم ، ومن هنا اكتسب المعلم المكان المرموق فى المجتمع ، وتسنى له أن يرتقى الى أعلى المناصب فى الدولة ، وشاركه فى هذه الفضيلة الصوفى بزاوئته فى أداء السهام التعليمية ، بل فاق المعلم فى نواحى الدعوة الى الله والى دينه حسب فهمه ، ولعل أولى لزوايا المشهورة بأرض الهند لهذه الخدمة هى زاوية الشيخ الفقيه الزاهد على بن عثمان الهجويزى اللاهورى ، صاحب كشف المحجوب المتوفى عام ٤٦٥ من الهجرة .

ويعتبر عهد الغوريين ومولايهم عهد تكثير المدارس وتنظيمها ، وربطها فى سلك معين لتخريج عينات معينة ، بعد أن حولوا الجرايات من الشهرية الى السنوية ، وأهم مدارس هذا العهد هى المدرسة المعزية التى أسسها قطب الدين ايبك ، وشيدت مبانيها السلطانة رضية بنت التمش ، ويبدو ممن وشدها وعدد المقتولين بها أساتذة وطلابا أثر غارة القرامطة عليها أنها أشبه ما تكون بأحد الجامعات العصرية ، ينتقل الطالب فيها من صنف الى آخر وينال اجازة عامة فى النهاية . (٢)

وأصبحت دهلوى ومدينة اوج السندية فى عهد الخليجين مركزين علميين هامين ، لنشر العلوم الاسلامية واهتمت المدارس التابعة للمركزين بدراسة التفسير والفقه والاصول واللغة العربية والحديث والتصوف ، فترى الطالب يدرس الكشاف فى التفسير والهداية فى الفقه ، وأصول البزدوى فى الأصول ،

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٨٨ والهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩ .

(١) انظر الدول الاسلامية ج ١/٦٢٤

والكافية والشافية في اللغة ، ومشارك الأنوار في الحديث ، وعوارف المعارف في التصوف . (١)

وتتبعك ميزانية التعليم السنوية التي بلغت ٣٦٠٠٠٠ ر. ٣٦٠٠٠ شكة (٢) ذهبية ابان عهد فيروز تغلق عن مدى اهتمام الدولة المسلمة بالعلم فقد حجز السلطان لجمع هذه الميزانية للخدمة جميع ما يدخل خزانة الدولة عن طريق ضريبة الري بالقنوات التي حفرتها الدولة لتطوير زراعة الهند ، ولم يتوان رحمه الله في جلب أشهر المعلمين من منطقة ما وراء النهر ، (٣) وبلغ عدد المدارس التي تولت الدولة لإنشاءها ، وتكفلت بصرف مرتبات العاملين بها ، من المعلمين والطلاب والخدم بين الثلاثين والخمسين ، أشهرها المدرسة الفيروزي ، ومدرسة فتح خان ووصل من حب هذا السلطان للمعرفة أن أمر بترجمة ٣٠٠ كتاب من السنسكريتية الى الفارسية — لغة الدولة — عندما حازها كغنيمة من غنائم معهد "جوالا مكي" بمدينة لنكر كوت .

وسايرت العلوم والابتكارات علوم الشريعة جنبا الى جنب وعلى ايدي علماء الاسلام . ومن نوادر — ابتكار الصهد الفيروزي ساعة زمنية ، كانت تحلم اوقات الليل والنهار والصوم والافطار ، وزيادة اليوم ونقصا . به حسب فصول السنة ، وكانت مفصصة بساحة فيروز آباد العاصمة (٤)

وتضاعف المنهج المدرسي بعد تولى عز التغلقين فترى المنهج اضاف الى الهداية كلا من القدوري " وجمع المحرين في الفقه ، والى أصول البزدوي الحسامي (٥) في الأصول ، والى الكشف مدارك التنزيل في التفسير ، والى عوارف المعارف الرسالة المكية في التصوف ، والى مشارق الأنوار مصابيح السنة في الحديث ، ودخل ساحة التعليم مواد جديدة لم يكن للمدارس الهندية عهد بها من قبل ، غير أن الحياة اليومية المتبدلة وتسابق الزمن اقتضيا ادراجها في المنهج الموسع ، فدخلت الرياضيات والعقيدة والبالغة كمواد اجبارية مستقلة ، وقرر وضع المنهج لدراسة المادة الأولى شرح التذكرة " وشرح الاقليدس " ولدراسة الثانية " المعقائد النسفية " ولاجتياز الأخيرة مفتاح العلوم . (٦)

غير أن هذا التغيير لم يشمل جميع مناطق الهند ، حيث ترى على المتقن ودراسات الحدیثية محور

(١) انظر نزهة الخواطر ج ١٨/٢ و ١١٣ و ١١٤ . (٢) اسم عملة استعملت في عهد التغلقين .

(٣) انظر مسلم ثقافت ج ١٩٥ و ٦٧٩ .

(٤) انظر الهند في العهد الاسلامي ص ١٩٩ . ونزهة الخواطر ج ١١١/٢ .

(٥) المنسوب الى حسام الدين الاخسيكتي . (٦) انظر نزهة الخواطر ج ٣/١٩٩ و ١٨٣ .

المناهج في المناطق الساحلية من الهند ، وحمل راية هذه النهضة المباركة بعد هجرته الى مكة تلامذته ، كالمحدث محمد طاهر فتحي الكجراتي ، والمنتبين الى مدرسته والى مدرسة الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي ، ولكن سرعان ما انطفأ هذا المشعل من كجرات ، اثر مقتل المحدث محمد طاهر على أيدي الاسماعيليين وتخافت صوته نتيجة تعديل المناهج الدراسية على يد الشيخ عبد الله تينى والشيخ عزيز الله بمنطقة دهلي أيام السلطان أسكندر اللودهي (١)

وأنت أولى الضربات القاصمة لظهور التعليم الاسلامي على يد السلطان أكبر المغولي ، حيث أصدر مرسوما ملكيا لتحقيق الوحدة القومية في التعليم ، جاء فيه " يجب على كل طالب أن يدرس الأخلاق والحساب والزراعة ، والهندسة ، والنجوم ، وتدير المنزل وسياسة المدن والطب والمنطق والتاريخ " (٢) فترجع من المنهج علوم الدين جميعا ، غير أن الفشل كان مصير هذا المرسوم إذ لم يمثل له الا بضعة مدارس في دهلي ، دون الآلاف من المدارس المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، ويعزو هـ - ج ، ولز هذا الفشل الى أن عقيدة أكبر الفطرية التي جعلته " يعتقد اعتقادا بينا أن ليس في الامكان ربط الهند في شعب واحد الا على أفكار عامة ٠٠٠ ، ولكن أثبت له المعرفة التي يمكن بها خلق مثل هذا التماسك والابقاء عليه حيا ، بإنشاء المدارس العامة والكتب الرخيصة ، وإقامة نظام جامعي يجمع بين خلتي التنظيم وحرية الفكر " (٣) ولكن الحق أن فشل المنهج الأكبر يعود الى سيادة الاسلام ، الذي كان يحكم أغلب مناحي الحياة في الدولة الاسلامية ، أضف الى ذلك خلو الهند من أفكار غازية تناهض شرع الله وتبعد المسلمين عن الاسلام .

وتتميزت المدارس الدينية في الدولة المغولية بتعليم ابن الهند وصى ما يرقب فيه كتعليم ابن المسلم سواء بسواء ، ومن هنا برزت شخصيات هندوسية في العلم والأدب ، نتيجة عدم التمييز في التعليم بين أبناء الديانتين ، واعترف بهذه الحقيقة أغلب الباحثين الهنود ، يقول رتن لال : " لو حاولنا البحث عن من يعاثل السلاطين المغول في نشر العلم والثقافة في الهند لما أمدنا التاريخ بشئ من ذلك ، إذ كان ابن الهند وصى يتلقى العلم كابن المسلم جنبا الى جنب حتى أثمر ذلك

(١) انظر المسامون

(٢) انظر

(٣) معالم تاريخ الانسانية ج ٩٦٠/٣

في السند ص ٩٥ .
مجلة اسلامي تعليم عدد سبتمبر واكتوبر للعام ١٩٧٢ .

السعى في مدجسم الهندوس بدم ثقافى جديد " (١) .

وقد تمتعت مدارس عهد المغول بدخل سنوى مضمون ، كوقف البانى عليها عقارا يفى بنفقات المدرسة وجميع متطلباتها ، أو بناء الدكاكين والدور تكرى لحسابها (٢) فاشتغل رجال العلم براحة بال ، فاتخمو المكتبة الاسلامية التى تعتمد على العقل أكثر من النقل ، بحواشيهم على حواشى السابقين ، ولفتح الله الشيرازى - الذى دخل الهند واحتفى به السلطان أكبر ولقبه بعضه الملك - دخل بيتن في توجيه المنهج على هذا المنوال ، ولكثرة من تلقى عنه العلم من الرجال البارعين شاع ترويج ما خطط له هذا الشيخ ، ولا زال منهجه أحد الرافدين اللذين تستقى منهما الأمة المسلمة العرفان حتى اليوم ، وقد اكتسب رافد الشيرازى الشهرة أخيراً باسم " الدرس النظامى " (٣) .

الدرس النظامى :

تلقى المشاهج الجديد للمدارس الدينية الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوى الذى تصل نسبته العلمية الى الشيرازى بواسطة تلميذ أبيه الحافظ امان الله عن قطب الدين ، عن عبدالسلام اللاهورى عن فتح اللعالم شيرازى قتل قطب الدين والد صاحب الدرس النظامى قبل أن يبلغ الأبن الرابعة عشر من سنه ، أثر نزاع على قطعة أرض بقرية سهال القريبة من مدينة كهنو عام ١١٠٣هـ . فانتقلت الأسرة الى مدينة كهنو وبعد أن منحهم السلطان أورنگ زيب قصراً مهجوراً لتاجر أفرنجى غادر الهند الى بلاده ، ومن هنا اطلق على من تعلم بحى ذلك القصر عالم " فرنكى محل " .

بعد استقرار الأسرة خرج الشيخ نظام الدين لاكمال علومه الدينية على تلامذة والده ، ولم يمض على خروجه عشر سنوات حتى أنهى جميع المقررات المدرسية ، وصرغ فى الأصول والمنطق والكلام ، واشتهرت شروحه لمسلم الثبوت ، وبنار الأصول وتحرير الأصول وهداية الحكمة وشرح العضدية والشمس البازغة ، واستمر مزاوياً للتدريس قرابة نصف قرن ، وتلقى العلم على يديه علماء الهند الذين يشار اليهم بالبنان ، كالسيد كمال الدين العظيم آبادى والعلامة

(١) محمد حفيظ الله سلاطين هندكى علم برورى (احتفاء سلاطين الهند بالتعليم) ص ١٧ .

(٢) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٢ . (٣) انظر رود كوثر ص ٦٠٦ .

كمال الدين الفتح يورى ، والشيوخ وجيه الدين الدهلوى ٥٠٠ ، ولهلىق الشيخ نظام الدين ربه عام ١١٦١ هـ حتى شاهد ترأس تلامذته فى أغلب مدارس الهند . (١)

وظم الدرس النظامى الذى نسب الى الشيخ نظام الدين تجاوزا — بين دفتى ^{منهج} كلام النحو والمنطق والحكمة (الفلسفة) والرياضيات ، والمبالغة والفقه والاصول ، والكلام والتفسير والحديث ، وكان يركز على الصرف فالمنطق فالرياضيات فالنحو فالكلام ، ولا يزيد الكتاب المقرر فى بقية المواد عن كتابين ونالت السنة أقل حظ من المنهج ، اذ اكتفى فيها بدراسة مشكاة المصابيح ، غير أن الله هيا لرفع هذا الاجحاف الشاه ولى الله الذى عاصر الشيخ نظام الدين وتوفى بعده بخمسة عشر عاما ، فأقام لدراسة السنة مدرسة مستقلة فى دهلى ، يقصدها طلاب الحديث بعد الانتهاء من الدرس النظامى ، وخلفه أنجاله الميامين من بعده فى هذه الخدمة المباركة حتى عمت دراسة السنة الهند من أقصاها الى أقصاها ، فما من شارح للسنة أو ناقد لرواياتها الا وهو مدين لهذا البيت ، تصل نسبة تلمذه اليه من قريب أو بعيد .

ولغة الكتاب النظامى آنذاك بين العربية والفارسية ، ومن المرجح أن تكون لغة القاعة هى الأخيرة دون الاولى ، لأنها لغة الامة والدولة ، ولغة البيت والشارع والعمل والسوق ، وأغلب لغة الكتاب النظامى ، وظل الدرس النظامى يتقدم يوما بعد يوم متغلبا على جميع العقبات التى تعترض طريقة قراءة قرن من الزمن .

طرق القضاء على الدرس النظامى :

وما أن أسرا الانجليز أكبر شاه الثانى بمرتب مقطوع عام ١٨٠٦م — ١٢٢١ هـ حتى أخذوا يكيدون لهذا المنهج فى الخفاء ، لعلهم أن مبناه العقيدة وحصة القرآن ، والمتخرجون عليه لن يستسلموا لدخيل لا يدين بالاسلام فخططوا لابعاده عن الساحة ، ثم القضاء عليه بأمر أهمها :-

١ — أغت الدولة المسلمة جميع الأراضى الموقوفة على المدارس من دفع الخراج منذ انشائها حتى اتفاقية اله آباد عام ١١٨٥ هـ — ١٧٧١م التى استحققت شركة الهند الشرقية بموجبها جمع خراج منطقة بنغال وسها وراريسه على منوال جمع الدولة المغولية ، بيد أن الشركة لم يرق لها ذلك

الاعفاء ، الذى يتجاوز ربع خراج المنطقة ، ولا سيما اتفاق المدارس له فى تنمية العداء تجاه البريطانيين ، واستحقاقه فى عقول الدارسين ، وهذا ما حمل اللورد وارن هستينكر عام ١٧٧٢ م على اتخاذ اجراءات تعيد الى الشركة سيادتها الخراجية على تلك الاراضى غير أن مساعيه لم تغلح ، فأعقبه اللورد كارنوالس عام ١٧٩٣ م فى اتخاذ خطوات للحد من ظاهرة الوقف ، فصرح قائلاً : " أى أرض توقف دون اذن الدولة (الشركة) تعتبر ملكاً لها " وأعيد التحذير ذاته عام ١٨١٥ م ، غير أن الشركة لم تستطع أن تحرك ساكناً تجاه الوقف ، (١)

ثم اتخذت مساعى مجلس التشريع والتنظيم الادارى عام ١٨٢٣ م لالغاء الأوقاف التعليمية فاستخدموا لتحقيق هذا الهدف جميع الحيل البهاحة وغير البهاحة فى عرف البشر ، على حد قول من وسد اليه التحقيق فى مظالم المسلمين ، يقول هنتر " فأقننا المحاكم الخاصة ، وأرسلنا الجواسيس وهياً لنا شهود الزور ، ونتج عن ذلك ارتفاع الخراج الى ثلاثمائة ألف جنيه استرليني ، وفقدان مئات العائلات موارد المالية ، وشهد نظام تعليم المسلمين ، الذى كان عصب حياتهم هذه الاراضى المعفاة ، وقد استمر هذا الوضع فى محاكنا ثمانية عشر عاماً ، حتى اقررت تلك المدارس واحدة تلو الأخرى (٢)

لم يقتصر الاستيلاء على الاراضى المعفاة فحسب بل تجاوز ذلك الى الهبات والعطايا المقدمة للمدارس فما أن وهب الوزير فضل على خان وزير بلاد اودھ عام ١٨٢٩ م منحة ١٧٠٠٠٠ روبية لمدرسة جده غازى الدين الواقعة خارج مدينة دهلى — حتى أسرع الانجليز للاستيلاء على هذه المنحة وتحويلها الى كلية انجليزية ، ودون رضا المدرسة وصاحب العطية . (٣)

ب — عبرت الفارسية الى الهند بعبور حملة الاسلام ، وازدهرت بازدهار دولة المسلمين ، وتضاءلت عند اضمحلال دولتهم (٤) ، وسددت أول ضربة للقضاء عليها عام ١٨٣٧ م بعد توصية اللورد ميكالسى التعليمية (٥) فازيحت عن منصة الدولة فى الاراضى الواقعة تحت تصرف الشركة واوعز بعدم استعمالها فى الولايات التى تشرف عليها الشركة ، وأعلن اللورد هاردنك عام ١٨٤٤ م أن أرجحية التوظيف

(١) انظر همارسى هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ . (٢) همارسى هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ .

(٣) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٣ وماغى هندوستان ص ١٥ .

(٤) انظر رجال السند والهند ص ٢٤٦ وتاريخ العالم ص ٦٢٨ .

(٥) ويرى صاحب موج كوثر أنها الغيت عام ١٨٣٤ م انظر موج كوثر ص ٢٨٨ .

د - الهند بلد زراعى أكثر سكانه فى القرى والأرياف . ودهى أن حاجة هؤلاء التعليمية لاتبى الا عند مساكنهم ، ومن هنا كثر عدد المدارس الاسلامية فى الريف دون المدينة ، ومن الصعب على مثقف اليوم أن يصدق تقارير الانجليز التعليمية لمنطقة من مناطق الهند أبان عهد المسلمين غير أن ما ذكره هو الحقيقة قلما تدخله البهاغة فقد صرح المستر وارد (Rev. W. Ward) فى تقريره التعليمى عام ١٨٢١م أن منطقة ندبا متلثة بالمدارس ان لكل واحد وثلاثين تلميذا مدرسة مستقلة ^(١) ويقدر تقرير ميكس ميولر (Max - Muler) وجود ثمانين ألف مدرسة بالبنغال ^(٢) بينما تقرير المستر آدم للمنطقة يصل بالرقم الى مائة ألف مدرسة اسلامية ^(٣) ولتجفيف هذه التبايع الفى الانجليز فى مشروعاتهم التعليمى جميع مدارس الريف الا ما كان فى كثافة سكانية معينة فحرم أبناء الريف من العلم مما جعل منظمة " اعادة تثقيف الهند " تهيب بالدولة عام ١٨٥٣م باقامة الهديل لتلك المدارس فكتبت تقول : " أقام الهنود أيام سلطانهم مدارس متنوعة لكل كثافة طلابية غير أنا قطعنا الصلة بين القرية والمدينة بهدم نظام البلدات الذى تسبب عنه حرمان أبناء تلك المناطق النائية من التعليم ولم نقم بدىلا لتلك المدارس القديمة " . ^(٤)

هـ - امعاننا فى التشكيل بالثقافة الاسلامية والنيل من حاملها سحت الدولة لمن ألح عليها بالتوظيف فى ادارتها من أبناء الأسر الكريمة ، فاستخدمتهم كقراشين وحراس ترغيبا عن التعليم فى تلك المدارس النظامية ^(٥) وانقلب الحال ظهر البطن بعد بركان الثورة عام ١٨٥٧م فنفى أشهر معلمى هذه المدارس والعلماء الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى الى جزر اندمان ومنهم من لقي ربه على جبل المشنقة ، وحول المتخلبون كثيرا من هذه المدارس الى مرابط الخيل وسكن الجنود، وذكر شاهد الميان الشيخ عبدالحى الحسنى أن مدينة دهلى وحدها شهدت طمس ما يربو على واحد وعشرين مدرسة مشهورة من الدرس النظامى أيام الثورة ، منها ما أزيل انقاضها ومنها ما حول لغير أغراض التعلم ^(٦)

ونتيجة لهذه الضربات المتتالية أخذ عدد المدارس النظامية

-
- (١) انظر سلاطين هندكى علم برورى ص ٢٩ . (٢) انظر مسلم ثقافت ص ٦٧٥ .
 (٣) انظر سلاطين هندكى علم برورى ص ٢٨ . (٤) مسلمانون كاروشن مستقيل ص ١٦٢ .
 (٥) انظر مسلمانون كاروشن مستقيل ص ١٨٣ . (٦) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩ .

ينقص كل سنة عن التي قبلها ويتبع ذلك نقص المقلين على قاعاتها حتى انتهى الوضع الى نقطة تنذر بالابادة التامة واقتلاع التعليم من صفوف المسلمين فهب المخلصون من أبناء الاسلام ينعمون النظر في مسيرتهم وما ستلاقيها من المستقبل المظلم في القريب العاجل ، فمنهم من اقترح الأخذ بيد الأمة الى ساحل النجاة بالاغتراف من الثقافة الغربية واستثمار ما تنوى الدولة بذره في الهند (١) . وتجراً آخرون فضحوا بأموالهم وجهودهم لأنقاذ العقيدة الاسلامية وحيازة المفيد الصالح من منهج الشيخ نظام الدين وتطويره فوضعوا حجراً الأساس " لدارالعلوم ديوبند " التي يتبعها في المنهج الاف المدارس العربية اليوم في كل من باكستان والهند وبنجلاديش .

(٢) دار العلوم ديوبند ومنهجها التربوي والتعليمي :

برزت فكرة اقامة مدارس للعلوم الاسلامية نتيجة الهجمات المبيدة من الدولة المستعمرة تجاه الثقافة الاسلامية ، فلم يمس على فشل الثورة عشر سنوات حتى هب المخلصون من حملة الاسلام لدراسة فكرة " المدرسة العربية الفارسية الرياضية " حفظاً للعلوم الدينية من الفناء وابقاءاً للتراث الاسلامي حياً ينهض ويلبى حاجة المسلمين العاجلة والالجلة ففاثرت الجهود المباركة يوم ١٥/١/١٢٨٣ هـ (١٨٦٧م) حين اجتمع أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوى والسيد محمد عابد مولانا ذو الفقار على والشيخ فضل الرحمان لوضع حجر الأساس لهذه المدرسة . (٢)

ولخص أهداف المدرسة تلميذاً الأول الشيخ محمود الحسن شيخ الهند فقال : " اسست هذه الادارة - المدرسة - بعد فشل المجاهدين عام ١٨٥٧م لتقوم بتربية أفراد يتداركون الهزيمة الماضية (٣) وأثبت تقرير رولت أن حركة " الرسائل الحريية " (٤) التي كانت تعنى

(*) انظر رموز مجموعى (الاحصائية السنوية للدولة) عن عام ١٨٦٠ - ١٨٦١م ص ٤٠ وذكر الاحصائية أثناء معرض مقارنتها بين العامين التعليميين الحالين والمنصرم فقالت : " أن عدد الطلاب نقص بمقدار خمسة الاف طالب وأن عدد المدارس نقص بمقدار ثمان عشرة مدرسة كل ذلك في منطقة البنجاب وقس على ذلك بقية المناطق .

(١) وعلى رأس هؤلاء السيد أحمد خان وحركة عليكره العلمية وسيأتى الحديث عن ذلك قريباً .

(٢) اسم قرية تقع شمال دهلى على مسافة ١٤٤ كم .

(٣) انظر سيد محبوب رضوى تاريخ ديوبند ص ٣٢٠ .

(٤) مجلة محور ص ٨١ العدد الخاص عن التعليم عام ١٩٧٧م .

(٤) وسميت بذلك اذ أن مراسلاتها كانت تكتب على الحرير الأصفر امعاناً في الكتمان على الدولة المستعمرة .

طرد الانجليز من الهند بالهجوم المباغت على الحدود الهندية الأفغانية بعد تكوين اتحاد
بين أفغانستان وتركيا واشغال ثورة عامة داخل الهند أتت كثرة لجهود علماء الاسلام في
دارالعلوم ديوبند . (١)

واقضى تخطيط الحركة عام ١٣٢٧ - ١٩٠٩م اقامة جمعية الأنصار ، ثم نظارة المعارف ،
تشكيل الجيش باسم حزب الله " يقوده أحد ثلاثه شيخ الهند " ، وتحت الاتصالات بين
الحركة وألمانيا على أرض كابل واستحكمت الحلقة عند انشغال بريطانيا في الحرب العالمية الأولى
وكادت المياه تعود الى مجاريها الطبيعية لولا وقوع إحدى المراسلات المهمة السرية في أيدي
الانجليز عند اداء الشيخ محمود الحسن فريضة الحج فطلب المستعمرون من صديقهم الشريف
حسين حاكم مكة القاء القبض على الشيخ وأنصاره ، ودفعهم الى الحامية البريطانية فامثل الشريف
للأمر وألقى القبض على الشيخ في ١٣٣٥/٢/٢٣ هـ / ١٩١٦م وأسلمه مع زملائه الى الحامية
في جدة ومن ثم نقلوا الى القاهرة فجزيرة مالطة . (٢)

وتلك آخر محاولة قيادية مسلحة من علماء الاسلام حاولوا من خلالها طرد الدخلاء بالقوة
فلما خاب أملهم اتجهوا صوب التعليم وتأسيس المدارس الدينية حفاظا على العقيدة الاسلامية
من جهة وصيانة لأفلاك كبد هم الدين أخذوا يتجهون الى تلقى العلوم الغربية بلهم من جهة
أخرى فحاولوا تكييف المنهج حتى يتلائم مع الظروف الراهنة فجاء منهمج التعليمي يؤمن ما
يحتاج اليه المسلم تحت حكومة غير مسلمة .

ومنعم النظر في منهج ديوبند في الأيام المبكرة لا يشك في أن واضعية لم يهدفوا السبي
صيانة العلوم الدينية فحسب بل هدفوا الى توسيع الأفق وتلقى كل مفيد حتى تعليم الحرف
المهنية فترى الطالب آنذاك يتعلم الخط وتجليد الكتب والخياطة وعمل النسيج وأسس علوم
الطب . . . ليكسب قوته عن غير طريق التعليم ، بيد أن هذا النوع من التعليم ظل محدودا
ومحصورا لأوضاع المسلمين القاسية ، وخيل الى من خلف الواضمين رغم تبدل الأوضاع أن
هدف الدار ينحصر في التعليم الديني دون التعليم المميشي ، فلم يعملوا لتطويره بما يجعله
يسائر ركب الحياة ويتفاعل مع متطلبات العصر . فأخذ أحد هرفي التعليم الديوبندي يضمحل شيئا

(١) انظر تاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

(٢) انظر سيد أصغر حسين حيات شيخ الهند ص ٨٠ وتاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

فشيئا حتى كاد أن يتلاشى ويختفى عن الأنظار .

وسارت ديوبند تشق طريقها ، في منهج تدريسها على طريقة المدارس القديمة حيث يبدأ الطالب بتلقى العلم في كتاب معين فإذا انتهى منه انتقل الى غيره حتى يختم الكتب المقررة في المنهج وكثيرا ما انتهت مدة الدراسة على هذا المنوال في تسع سنوات قمرية^١ غير أن مجلس الشورى بديوبند قرر عام ١٣٩٠ هـ إيقاف التعليم على هذا المنوال وادخل نظام الجدول المدرسي ودراسة أكثر من مادة في اليوم الواحد ، كما قرر دراسة المديد من الكتب الحديثة لم تكن في المنهج من قبل ، مضافا الى ذلك فتح أربعة تخصصات في التفسير والدراسات الاسلامية والأدب العربي ، والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة . (١)

ومنهج ديوبند الحديث يقسم التعليم الى أربع مراحل : — ابتدائية ومتوسطة وأعلى وتكميل " . وطالب المرحلة الابتدائية بسنواتها الأربع يتلقى دراسة القرآن الكريم بالنظر وشيئا من الفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ والحساب والجغرافيا باللغة الأردية ، ويعقب هذه المرحلة مرحلة اللغة الفارسية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يتلقى الطالب خلالها اللغة الفارسية وآدابها ، وينتهي بدراسة مبادئ النحو والصرف والأدب العربي مضافا الى ذلك دراسة جميع مواد المنهج الابتدائي ، ماعدا العقيدة ، ومن ثم يعبر الى الهدف المنشود من دراسة ديوبند فيدرس في المرحلة العليا بسنواتها الثانية ثلاثا وعشرين فنا . وتنقسم هذه المواد الى قسمين عالية — أساسية — وأكيدة — موصلة ^{ومعينة} ومفنية لفهم تلك العلوم الأساسية — وتنحصر الأولى في التفسير وأصوله والحديث وأصوله والفقه وأصوله والمعائد والفرائض والتجويد وتضم الثانية الصرف والنحو والأدب والمنطق والتاريخ والجغرافيا والحضارة والعلوم وبعض أبواب دستور الهند والفلسفة وعلم المعاني والبيان والخط وأصول

(١) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ديوبند المجلد ٨ العدد ٤٤ هـ لعام ١٤٠٠ هـ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ص ٢٦٠ — ٢٦١ ومحمد تقي عثمانى

نظرة عابرة حول التعليم الاسلامي في باكستان ص ٢٠ .

الصحة العامة ^(١) وتخصص السنة الأخيرة من هذه المرحلة للفرور على أشهر كتب السنة ويطلقون على ذلك اسم " دورة الحديث " وتشمل كلاً من صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة وشرح معانى الآثار وشماثل الترمذى والموطأين للإمام مالك والاسام محمد صاحب أبى حنيفة رحمه الله .

ويدرس الطالب فى التفسير وأصوله ترجمة القرآن وتفسير الجلالين والبيضاوى فيما يتصل بالنصف الأول من سورة البقرة والفوز الكبير وتلخيص الاتقان ، وفى الحديث وأصوله يدرس مشكاة الآثار والفية الحديث وشرح نخبة الفكر ، وفى العقيدة يدرس الطحاوية والنسفية وفى الفرائض السراجى ، وفى الفقه وأصوله يدرس نور الايضاح والقدرى وكنز الدقائق وشرح الوقاية والهداينة وأصول الشاشى ونور الأنوار والحسامى .

ويدرس الطالب فى الصرف القاعدة العربية وميزان الصرف والمنشعب وبنج كنج وعلم الصيغة والفصول الكبيرة ، وفى النحو نحو مير وشرح مائة عامل وهداية النحو وابن عقيل ، وفى المنطق تيسير المنطق والمرقاة والتهديب وسلم العلوم ، وفى الأدب العربى روضة الأدب ومعلم العربية وشفحة الأدب والتمارين العربية وشفحة العرب ومقامات الحريري ودويان المتنبى ، وفى التاريخ تاريخ الهند وتاريخ الخلفاء ، وفى البيان والمعانى البلاغة الواضحة ، كما يدرس الطالب فى المواد المتبقية مذكرات وضعت من قبل هيئة التدريس . ^(٢)

ويبدو من التقارير التى أحصت المدارس العربية أنها فى ازدياد لا تخلو سنة من تأسيس عشرات المدارس فلم يكن على أرض باكستان قبل الاستقلال سوى ٤٢ مدرسة وبلغ الرقم عام ١٩٦٠م ٣٩٢ مدرسة واستحدثت منها ٢٢٦ وهاجر إليها بعد الاستقلال ٢٤ مدرسة ^(٣) عربية ، ووصل الرقم عام ١٩٧١م الى ٨٩٣ مدرسة ^(٤) وذلك حسب احصاء فرد من الأفراد ولكن الرقم فوق ذلك دون شك إذ لم أر اسما ثلاث مدارس زرتها فى منطقته غازیخان فى ذلك ^{الاحصاء} .

ومن المرجح أن ما يقارب هذا الرقم من المدارس موجود على أرض بنجلاديش وما يقرب

(١) انظر تاريخ ديهند ص ٤٣٦ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص ج ٢٦٠ و ٢٦١ .

(٣) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية اسلامية (استعراض المدارس العربية الاسلامية) ص ٧٣٥ .

(٤) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية ص ٦٨٩ .

من المجموعتين قائم على أرض الهند تؤدى وظيفتها التعليمية ، ومن المستطاع تقسيم تلك المدارس العربية الى مجموعتين شيعية وسنية حسب الفكر الدينى الذى يدرس بين قاعاتها المختلفة فالشيعية اما امامية واما اسماعيلية . (x) وتشعب السنية الى أربعة أقسام ديوبندية وندوية وبريلوية وأهل حديث ، وتتفق كلا المجموعتين فى دراسة أغلب كتب النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلسفة والطب والعروض والهيئة — علم الفلك — والهندسة وتختلف فيما عداها . وتركز المدارس الديوبندية على الفقه الحنفى فى موادها المقررة ، ويخلو منهجها ذو السنوات السبع من دراسة أى كتاب من كتب الصحاح الستة ، وما يدرس من كتب السنة فى دورة الحديث فى معظم تلك المدارس يشبه قراءة القرآن من غير العرب الذين لا يعرفون لغته وقد بلغ الرقم لمثل هذه المدارس ٢٣٣ (١) مدرسة تسلك طريق ديوبند مع تغيير يسير فى المنهج المدرسى أشهرها مظاهر العلوم بسهارن پور والجامعة العربية الاسلامية بداهيل ودار العلوم الأشرفية والجامعة النظامية بحيدرآباد دكن فى الهند والجامعة الأشرفية بـلاهور والمدرسـة العربية ودار العلوم كورنكى الكراتشيتين فى باكستان .

وتغترق المدارس البريلوية عن بقية المدارس السنية فى دراسة كتب العقيدة والتفسير ، اذ لا تبيح مدارسها الا ما كان محييا لما دعا اليه السيد أحمد رضا خان (x) وأغلب المسلمين فى شبه القارة من اتباع هذه الطائفة بيد أن نشاط مدارسهم محدود فلا يعد وعددها نسبة الثلث الى المدارس الديوبندية (٢) كما أن فقرهم فى التصنيف والتأليف شئ مكشوف اذ كل ما يدرسه أبناؤ تلك المدارس من الشروح والحواشى على الكتب المقررة هى مما ألغته ايدى ديوبندية ومن هنا ظلت مجلة "باسان" البريلوية تحض اتباعها من العلماء بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦م على انشاء دار مستقلة للتصنيف ، تعمل فى وضع الحواشى والشروح على الكتب المقررة للخلاص من تفسيرات الديوبندية واعادة الثقة الى الطالب البريلوى قبل أن يغزوه سوء الظن وضالة العلم لمن ينتسب اليهم فى الفكر والعقيدة . (٣)

(x) واجلت الحديث عن تعليم الطائفتين الى الباب الأخير لجمع أطراف الكلام فى مكان واحد .

(١) انظر جائزه مدارس عربية ص ٨٠٥ .

(x) وهو غير السيد أحمد خان صاحب جامعة عليكره ، وسأأتى الحديث عنه فى الباب الأخير .

(٢) انظر جائزه مدارس عربية ص ٢٩٩ .

(٣) انظر ابا الأوصاف روس ديوبند بريلى تك (من ديوبند الى بريلى) ص ١٠٨ .

وتتميز مدارس أهل الحديث بوفرة دراسة السنة جبرا للاجفاف الذي تتلقاه في المدارس الديهندية إذ الحظ الأوفر فيها للفقهاء دون الكتاب والسنة ، غير أن الذي لا يرضاه عاقل أن توضع دراسة السنة في المرحلة الابتدائية وتزداد الكآبة حين ترى اشتداد مدارس الحديث على مسائل الخلاف بين الحنفية وأهل الحديث كرفع اليدين في الصلاة والجهر بالتأمين والصلاة حاسرا للرأس والطلاق بالثلاث ٠٠٠ ، وبلغ عدد المدارس الحديثة هذه في أحصائية الحافظ نذر أحمد الأخيرة خمسا وخمسين مدرسة بباكستان ^(١) وما يقرب من هذا العدد في بنجلاديش وبنوبو عليه قليلا في الهند أشهرها الجامعة السلفية بفيض آباد في باكستان ، والجامعة السلفية بمنارس ، والمدرسة الأحمدية بلمهرايا سراي درهنگ في الهند ^(٢)

دار العلوم ندوة العلماء وشبهها التعليق :

=====

ونتيجة للنزاعات المحتدمة بين المدارس العربية من ديوندي وريلمية وأهل حديث وتقسيمها المسلمين الى نحل وطوائف مع عدم كفايتها في اشباع رغبة الطلاب العلمية وخلو منهجها من العلوم المصرية من ناحية ، ووجود كليات وجامعات عصرية لا تقيم للتعليم الديني وزنا ولا تلتفت الى رغبة المسلمين أي الثقافات ، نزع الدين من منهجها انتزاعا عن قصد أو من غير قصد ٠٠٠ كل ذلك حفز علماء الاسلام المغيرين على التفكير في وضع حد لهذا النور وتضييق شقة الخلاف بين الكلية والمعهد فبرزت مساعي هؤلاء البررة عام ١٣١١ هـ في صورة ندوة العلماء التي ضمت جميع قادة النحل المسلمة وفتحوا باب المشاركة لجميع من ينتسب الى الاسلام لإلتزام الشمل ورأب الصدع ، ووضعوا نصب أعينهم اصلاح مناهج التعليم في المعاهد الديوندي حتى تواكب الحياة فتجمع بين علوم الكتاب والسنة والعلوم الحديثة وبرزت الفكرة بعد عمل سنتين دائبتين في صورة تأسيس دار للعلوم عام ١٨٩٥ م ، كمعهد يتوسط بين الجامعات المصرية والمدارس الدينية المتبعة ^(٣)

(١) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٦ .

(٢) انظر المسلمون في الهند ص ١١٩ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٣٧ .

وتنقسم المراحل الدراسية بدار العلوم ندوة العلماء الى ثلاثة أقسام - بعد المرحلة الابتدائية -
أولها الثانوية تهدف الى تدريس جميع العلوم والفنون المقررة في المدارس الثانوية الهندية
مع العناية بالعلوم الاسلامية والعربية ، وتليها مرحلة الليسانس وتختص بالدراسات الاسلامية
والعلوم العربية مع شئ يسير من العلوم المدنية ، ومدة الدراسة لكل مرحلة من هاتين المرحلتين
أربعة أعوام وآخر هذه المراحل هي مرحلة التخصص ومدة الدراسة فيها سنتان يتخصص الطالب
خلالهما في الأدب العربي أو العلوم الشرعية .

وأشهر ما يتبع الندوة في المنهج المتطور بالهند مدرسة الاصلاح بسرائير التي أسسها
المفتي له المفسر حميد الدين الفراهي عام ١٩٠٩م ، والجامعة الرحمانية بمونجير ، وجامعة دار
السلام بمحضر آباد ، والجامعة المليية الاسلامية بدلهي قبل أن تتحول الى جامعة مدنية ، وفي
باكستان جامعة التعليمات بفيصل آباد والجامعة المباسية ببهاول بور قبل أن تتحول الى جامعة
عصرية وفي بنجلاديش المدرسة العالية بدهاكة وما يتبعها من المدارس قبل التمديد الأخير عام
١٩٨٠م .

هذا وقد أملت الأمة في الندوة أن تلبي حاجة المسلمين فتجمع بين الدين والدنيا لأن -
منهجها ظل يخوض معترك التجارب من حين لآخر فتخرج على منهاجها مؤلفون أعادوا كتابة السيرة
ونقحوها من الشوائب وما أثير حولها من الشبهات ، وتقدم هؤلاء خطوة الى الأمام فآظفروا موضوعات
تاريخية لبث حاجة الأمة الآتية آنذاك . كما أن منهاجها ركز على الأدب العربي فغطى حاجة
شبه القارة وما تزلو اليه من الترجمة من الأردية واليها ، ولكن ظل الهدف المنشود مفقوداً فأين
الشخصون في العلوم المدنية ، وأين الطالب الذي يمزج بين الثقافتين الدينية والدنيوية
الذي رمى الى تخريجه واضع المناهج الندوية ؟

وأخر المدارس المتطورة منهاجاً المليية لما يحتاج اليه المسلمون من العلوم المدنية والدنيوية
هي مدارس الجماعة الاسلامية في الدول الثلاث غير أن تأييد الحكومة الباكستانية للمدارس الأهلية
في اكتوبر ١٩٧٢م جاء ضربة قاضية لهارقة الأمل تلك ، ومقاؤها في بنجلاديش والهند لا يسمن ولا
يغنى من جوع لأن الدولتين ترقبان نشاطها عن كذب وتضييقان عليها بكل السبل الممكنة .

وحاولت الدولتين بنجلاديش قبل الانضمام معه كسب المدارس الدينية عموماً الى صفوفها
وتطوير منهاجها بين الحين الآخر فترى قبل سبتمبر من عام ١٩٨٠م أن الدولة كانت
تعادل شهادة العالم من المدارس العربية بالثانوية الدنيا ومرحلة الفاضل بالثانوية

العلما والكامل بشهادة الكلية (B.A.) ولم يأت كل هذا الاعتراف الا بعد أن تدخلت الدولة في مناهج تلك المدارس فادخلت فيها الرياضيات والحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية والتمارين الرياضية ونتج عن ذلك تكون منظمة المدارس العربية (Madrasah Board) وآخر قرار أصدرته الدولة تشجيعا لهذه المنظمة جاء في أواخر عام ١٩٨٠م حين رفعت الدولة معادلة مرحلة المعالم بالثانوية العليا (F.A.) والفاضل بشهادة الكلية والكامل بالماجستير (١) .

ولم تظرت الى المنهج المعدل الذي تدير عليه منظمة المدارس اليوم لخلت أنه منهج احدى المدارس الحكومية وأن اطلاق اسم المدارس العربية عليها مخالف لما يدرس في قاعاتها ، اذ جل المقررات الحكومية دخلت الى ساحة هذه المدارس بشكل أو بآخر فزاحت المواد الأساسية للمدارس وانقلبت كاهل الطالب وضحت به على حساب مستقبله المنشود ، ومن هنا فضلت أغلبية المدارس العربية عدم الانضمام الى هذه المنظمة رغم تعديدها مناهجها وادراج المواد المفيدة في مقرراتها دون أن تطغى على الهدف من تعليم المدرسة ، ولكن أثناء حرب استقلال بنجلاديش صعد استشهد الالف من العلماء — ظلما عدوانا — الذين كانوا عصب حياة هذه المدارس — فاقفرت قاعاتها ونزح عنها طلابها فخلا الميدان للدولة تعمل في تعليم المسلمين .

وزاد الطين بلة حين اشتدت الكوارث الطبيعية على بنجلاديش وما انفكت تغير عليها من وقت لآخر من جدد وفيضانات ورياح مدمرة تهلك الحرث والنسل ، وانصب ضرر هذه الكوارث على المدارس العربية بصورة مباشرة اذ أن المدارس في الدول الثلاث تجمع ميزانيتها السنوية من تبرعات المسلمين وليس لها دخل ثابت منذ سلب الانجليز أوقاف المسلمين التعليمية وما زالت الأيدي المسلمة تفيض بالخير والعطاء بما يغني بنفقات هذه المدارس نظرا لما قدمته وما تقدمه من خدمات تجاه الاسلام . ولغت مشكلة التعليم الديني في الهند حد الاستعصاء حين أبى دستورها الاعتراف باللغة الأردية وقررت الولايات الشمالية اللغة الهندية بحروفها السنسكريتية

(١) انظر خطة ومنهج الدراسة للمدارس والكليات الاسلامية لعام ١٩٨٠م ص ١ .

كأداة للتعليم وكان الفاؤها يعنى قطع المسلمين عن الثقافة الاسلامية وماضيهم المجيد ه فهب المخلصون من أبناء التوحيد عام ١٩٥٩م فألفوا مجلس التعليم الدينى تحت اشراف الهيئات الاسلامية المتنوعة وهيئة التعليم الدينى تحت اشراف جمعية علماء الهند ولكل منهما مدارس ابتدائية تربو على ثمانية آلاف مدرسة تغذى أبناء المسلمين بما يحتاجون اليه من الركائز الاسلامية الأساسية . (١)

والجانب الثمر للمدارس العربية الديوندية وأهل الحديث يتلأ فى خدمة السنة واستثمار ما جلبه الشاة ولى الله من علم الحجاز حتى شهد لها العالم المسلم بلسان الشكر والتقدير وعبر عن ذلك السيد رشيد رضا حين قال : " لولا عناية اخواننا علماء الهند لمعلوم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز من القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر . (٢)

واشترك فى أداء هذه الخدمة المشرفة كل من علماء المدارس الديوندية وأهل الحديث وان كان الأولون كثيرا ما لووا عنق السنة بالتأويل لتلائم المذهب الحنفى فى الجزئيات الفقهية وقد ما فتح اللهم شرح صحيح مسلم وعون المعبود شرح أبى داود وتحفة الأحوذى شرح الترمذى وفيض البارى شرح صحيح البخارى " الا ثمرة دانية من ثمار ذلك البستان المشترك أضف السى ذلك أن الكتاب المجيد كان موضع عناية عند هذه المدارس فترجمه العلماء الى لغة الشعب ووضعوا له حواشى مفسرة وتفسير مسهبة . (٣)

ذلك وضع التعليم الدينى المصائب الذى ما زالت الأمة ترجو منه حمل راية المعرفة مرة أخرى

(١) انظر المسلمون فى الهند ص ١٢٩ ومراكز المسلمين التعليمية ص ١٠٠

(٢) مقدمة مفتاح كنوز السنة ص ق .

(٣) انظر للتفصيل فى خدمة أهل الحديث للسنه ابابحى امام خان النوشهوى تراجم علماء

حديث هند ص ٢٢ وعلم حديث مبن باك هند كاحصة ص ٢٠٢ وفى خدمة الديوندية

للسنة مجلة الفتح ج ٢٠٥/١٣ .

لتفانى مدرسيه فى تعليم ما يعلمون ، شعارهم فى ذلك البساطة ولين الجانب والاكتفاء بمرتبات يسيرة تفى بحاجاتهم الضرورية ٥٠٠ ، ثم ان المتخرج على هذا النظام يكتسب التربية مع التعليم فتتمو فيه المواهب الخيره وتختفى غيرها .

أضف الى ذلك أن هذا الراقد من التعليم مجانى فى جميع مراحلہ وتقوم المدرسة بتوفير السكن والعلاج والغذاء والملابس طوال مدة الدراسة واعارة الكتاب المقرر فى المنهج حيناً ، وهبه أحياناً ، واعداد الطلاب الذين يرغبون فى أداء الامتحانات لمرحلة معينة من التعليم المدنى ، ذلك بعض ما تقدمه هذه المعاهد العلمية من الخدمات نحو المجتمع المسلم ، ولننظر الى الشق الآخر من التعليم وما يقدمه من المدنية والحضارة وما يتمتع به نظامه من صحة ومرض .

بداية التعليم المصرى :

قدم الانجليز الى الهند تجاراً يبتغون الربح والنماء لثرواتهم المتنوعة واقتضى الحال من بعضهم أن يكثر بالهند العديد من السنوات ومنهم من اتخذها موطناً لرغد العيش (١) وكانوا كثيراً ما يصطحبون عائلاتهم وأطفالهم خلال المكث والاستيطان ، ومن هنا نشأت الحاجة الى المدارس لتعليم الأولاد خشية فوات سن التعليم ، وأقدم مدرسة مستقلة انجليزية يعود تاريخها الى عام ١٧١٥م فى ممبائى وهى أول مدرسة اتخذت اللغة الانجليزية اداة للتعليم دون البرتغالية التى كانت تسود التعليم آنذاك ثم تابعت المدارس فى بمبائى وكلكتة حتى غمت كل المناطق التى تحكمها شركة الهند الشرقية . (٢)

ولما تحولت الشركة الى قوة سياسية تسير دفة الأمور فى بعض أجزاء الهند احتاجت الى أفراد يكونون واسطة بين الحكام والمحكومين ففكرت لأول مرة فى تعليم موظفيها الانجليز اللغات المحلية وتعليم بعض الهنود ما يؤهلهم للقيام ببعض مهام الشركة فخرجت الى حيز الوجود مدرسة لكلية سنسكرت وكلية فورث ولیم الكلكتية فى العقدین الأخيرین من القرن الثامن عشر (٣) ولكن ظل التعليم محذواً لغرض معين .

وفى العقد الثانى من القرن التاسع عشر رفع البرلمان الانجليز كل القيود المفروضة على الاساتذة

- (١) انظر هندوستان مين مسلمانون ٥٠٠ ص ١٦٣
- (٢) انظر الصیدنور الموجب - ب - ناولك تاريخ تعليم هند (تاريخ التعليم فى الهند) ص ٥٩
- (٣) انظر ممتاز منكلورى تاريخ ادبيات مسلمانون باكستان وهند (تاريخ أدب المسلمين فى باكستان والهند) ج ١٥/١٦ - محمد حسين خان زبيرى ، تاريخ تعليم وتربيت اسلامية " تاريخ التعليم والتربية الاسلامية " ص ١٠٠ و تاريخ تعليم هند ص ٦١

التنصيرية فسمح لرجالها بالذهاب الى الهند والمكث فيها دون قيد أو شرط، بل فتح الباب لجميع الارسلات في العالم لعمل لصالح التنصير كما تشاء^(١) وصادف دعاة التنصير النجاشي الطبقات السفلى من الشعب الفارقة في سبات الجهل فلم يكن لهم بد من تعليمهم وتهذيبهم للمشاركة في وظائف الدولة وقراءة الانجيل، ويوحز نور الله أسباب ايجاد هذه المدارس فيقول: "موجز القول ان الارسلات أدركت أن المدرسة وسيلة من وسائل تبليغ المسيحية ونتيجة مبین نتائجها وإن التعليم والتنصير يجب أن يسيرا متكاتفين جنباً الى جنب، وفي ضوء هذا الأحساس أسست مدارس التنصير".^(٢)

غطت الارسلات المنطقة بالمدارس حين بدأ يخف النبع الهندي القديم وقبل أن تتحمل الشركة مسؤولية التعليم^(٣) ويبدو الوضع منطقياً إذا عرفنا أن التعليم في بريطانيا ظل في الأيدي الكسبية حتى عام ١٨٢٣م^(٤) كما أن اجحام المسلمين عن هذه المدارس كان أمراً طبيعياً إذ كان الوازع الديني قوياً ولم تزل أزمة التوجيه الشعبى في أيدي الملأ فكشفوا للشعب بمكن الخطير

المعقدى في تلك المدارس، وحثوهم على العمل لاعادة الهند الى أهلها الشرعيين. والسؤال الذى يفرض نفسه هو: هل كان الخير في تطوير النظام القديم أو وضع نظام جديد للتعليم لا يمت الى السابق بصلة؟ ولعل تجربة بريطانيا ذاتها أفضل مجيب على هذا التساؤل إذ بنت نظامها التعليمى الجديد على النظام القديم بعد تطويره^(٥) ومعد تحلل الدولة فى انجلترا أعماء التعليم شكلت لجنة خاصة استهدفت التحقيق الشامل

عن التعليم فى الهند، وقدمت اللجنة تحقيقها بتوصية بتسييم التعليم وأحياءاً قديمه الى جوار الجديد، فظم

(٢) انظر ميجردى باسوتاريخ التعليم ص ٢٧٤.

(٣) تاريخ تعليم هند ص ٦٤.

(٤) انظر محمود عالم مجلة الفتح ١١/٤٩٦.

(٥) وتشير تقارير هذه الفترة أن عدد الطلاب فى مدارس الدولة لم يعد ثلاثين ألفاً بينما طلاب المدارس الارسلية قد تجاوز ثلاثمائة ألف طالب. انظر البروفيسور

خورشيد أحمد، مجلة محور ص ٧٦ العدد الخاص عن التعليم للعام ١٩٧٧م.

(٥) انظر تاريخ تعليم هند ص ١٢٨.

(٦) انظر تاريخ تعليم هند ص ٥٢.

على أثر ذلك كلية دهلئ للمسلمين عام ١٨٢٩م بيد أن الوضع ظل على محدوديته اذ لم يكن من صالح الشركة تفريغ الجيوب لصالح التعليم ، وساعدها في ذلك الوضع الأمانى المتردى الذى هوت اليه الهند فشغل الشعب به عن المطالبة بالمعرفة والتثقيف .

وتخبرنا فتوى الشاه عبد العزيز رحمه الله عن قلق المسلمين تجاه المدارس الحكومية واعراضهم عنها لقوة دينهم من شبهة الولاء بالد واسة لغير المسلمين حين استفتوه عن تعلم الانجليزية فأجاب بما فيه فلاح المسلمين فقال : "يجوز تعلم الانجليزية والكتابة بها على أن ذلك أمر مباح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود والنصارى ، وان كان يقصد من وراء التعليم التقرب الى أهل اللغة أو أن يختلط بهم فالأمر لا يخلو من الحرمة أو الكراهة (١)

وفصل رحمه الله أمر التوظيف لدى النصارى فقال " الخدمة لدى النصارى بل عند جميع الكفار على أقسام فإن كان المقصود من الخدمة اقامة الأمن وانصاف المظلوم واقامة الجسور ... ونحو ذلك فلا شك فى جواز هذه الخدمة بل فى استحبابها لأن يوسف عليه الصلاة والسلام طلب من ملك مصر الكافر ذلك ، وان كانت الخدمة تؤدى الى اعانة الظالم وارتكاب أمور مخالفة للشرع كالجنسية والتحرير وتعظيم الكفار وتذليل نفسه فلا شك فى حرمتها وان كانت تؤدى الى قتل المسلمين أو القضاء على امارة مسلمة أو البحث عن مكنى الطعن فى الاسلام فلا جزم أن مثل هذه الوظيفة كبيرة من الكباثر تكاد تكون كفرا " (٢)

توصية اللورد ميكالى التعليمية :

=====

وفى ضوء هذا الاستثناء سارت سياسة المسلمين فى التعليم والخدمة فاجحموا عن تعلم الانجليزية وتولى وظائف الدولة للواقع الذى كان يسود الدائرتين آنذاك ، (٣) وعملت توصية اللورد ميكالى التعليمية عام ١٨٣٥م على مزيد من اجحام المسلمين عن ارتياد تلك المدارس، حين

(١) فتاوى عزيزى ص ٥٧١ .

(٢) " " ص ٥٧٢ ، وراجع أيضا فتوى مؤسس جماعة التبليغ المشابهة بفتوى الشاه بهذا الصدد فى ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس " اقوال محمد الياس " جمع محمد منظور نعمانى ص ١٧

(٣) انظر للتفصيل شاهد حسين رزاقى سرسيده اصلاح معاشره (سيد أحمد وجهود والاجتماعية)

برميكاالى عدم اتفاق المبلغ ١٠٠.٠٠٠ روبية ،المخصص لتنمية الأدب العربى والسنسكرتى بقوله " انى على استعداد لاحصى جانب الدولة من جميع الجهات وأن أخدمها فيما يرغبها لدى الشعبغير أنى أرى يعين البصيرة أن ما وعدت به الدولة من التنمية للأدب هى تنمية للفاسات فاسدة ولا ترتبط بالحقيقة والواقع بأى رباط " (١)

من القرن العشرين حين أخذ الوضع يتحول الى صالح اللغات الهندية فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة . (١)

ويعتبر تعهد الدولة بمزيد العون الى هذا المرفق من التعليم وتحويل الأموال المعلن انفاقها على احياء الآداب المحلية وسد جميع أبواب التوظيف إلا هذا الباب مع محاباة الدولة للهندوس على المسلمين ومنحهم الأولوية فى جميع شئون الدولة وعدم مراعاة الشعور الاسلامى من قبل منهج التعليم سببا أوليا لتخلف المسلمين فى التعليم الحديث (٢)

موقف السيد أحمد خان من التعليم :

وأنت حرب التحرير عام ١٨٥٧م لتكمل الحلقة فحملت الدولة مسئوليتها المسلمين وكادت أن تستأصل شأفتهم وتبيد هم من ظهر الأرض ، وتردى الوضع الى حد أنه لم يبق من يجرؤ على استنكار الاعدامات الجماعية فضلا عن أن يتكلم عن حقوق المسلمين ، غير أن قدر الله كان على غير ما أرادوا إذ برز فى هذا الجوارح السيد أحمد خان وأظهر للمسؤولين أن تبعات الحرب تقع على عاتق الدولة أكثر من الشعب حين حرمته لثمة المهرج الشريف بل حملها جل مسئوليات الحرب فى كتابه " اسباب هزات هند " — أسباب الثورة فى الهند وقيل الكتاب باستحسان بين الأوساط الانجليزية المسؤولة نظرا لما تضمن من اقتراحات تحسم النزاع بين الحكام والمحكومين وتضع للمسلمات الاساسية التى تجعل الدولة مقبولة لدى الشعب وتروض الهنود على الخضوع والطاعة .

وعمل كهذا فى جو ملتهب كان كفيلا باكتساب احترام المسلمين فتمكن حب السيد من قلب أغلب المسلمين فى تلك الفترة حتى اعترفوا له بالزعامة وازدادوا به تعلقا حين أخذ يتكلم عن شئون المسلمين التعليمية على حدة مقترحا ادماج بعض علوم الشرع مع العلوم المصرية الحديثة فى المراحل الدراسية حتى غر المهتمون بشئون المسلمين باقتراحاته ، ومن المستطاع تقسيم أعمال السيد العلمية

(١) انظر تاريخ تعليم هند ص ٣٢٥ .

(٢) انظر ارنولد تونبى مختصر دراسة التاريخ ج ٢٩٧/٣ — والهند خلال العصور

نحو ملته الى فترات ثلاث . تبدأ الأولى بكتاب " جام جم " — تاريخ سلاطين المغول ، واستفرت سبعة عشر عاما تراه خلالها مسلما مدافعا عن آراء العلماء يرد على ما ظهر من النظريات غير الموثوقة فضلا عن التمسك بأبسط أحكام الدين فما " قَوْلِ مَتَيْنَ دَرِ اِبْطَالِ حَرْكَتِ زَيْمِنَ — القول الفصل فى ابطال حركة الأرض — الاجزء من تلك المجموعة التى حوت بضعة عشر مؤلفا تدور جميعها حول تأييد الآراء العلمية السالفة ورفض المستورد الحديث .

وتبدأ الثانية بفشل حرب التحرير وتمتد الى ما قبيل سفر السيد الى انجلترا عام ١٨٦٩م ، وتتميز مؤلفات هذه الفترة بمحاولة التأليف بين الحكام وبين المسلمين بل بين الاسلام والمسيحية وأهم مؤلفاتها : " تبين الكلام فى تفسير التوراة والانجيل على ملة الاسلام . " وأحكام طعام أهل الكتاب وتحقيق لفظ نصارى " فتراه خلال مؤلفات هذه الفترة محاميا عن الحكام مدافعا عن كل ما يقولون ، يحاول ايجاد جسر تستطيع الأفكار الغربية عبوره ليصطبغ الاسلام بصبغتها . وأخذت الثالثة الجزء الأكبر من حياة السيد العلمية وقد امتدت الى الوفاة عام ١٨٩٨م ، وتميزت هذه الفترة بأمرأهمها :
١ — الكره الشديد للعلوم الشرقية والنقد اللاذع لمتعلميها فقد حصر السيد التعليم الشرقى فى تلقين السلام والجلوس بأدب ووقار وأن من تجاوز ذلك من المتعلمين واكتسب القراءة والكتابة عدد من النخبة الممتازة المثقفة ، وإن تمكن من دراسة بضعة كتب عتيقة وضع اسمه فى قائمة علماء العالم ، وإن صادف أن درس بعض كتب الفقه والحديث وخنقته بعض التعصبات المذهبية ولاح على جبهته أثر الصلاة عدت مرتبته فوق مرتبة التابعين — رحمهم الله — (١)

فحين أعلنت الدولة فى أوائل التسعينات عزمها على تحويل كلية لاهور الى جامعة عصرية تشمل خططها التعليمية تدريس بعض العلوم الشرقية نرى السيد يشمر عن ساق الجهد لمحاربة الفكرة بواسطة مجلته " تهذيب الأخلاق " ويحفض على الالفاء قائلا " أى الثمرات جنيينا من كلية لاهور حتى اليوم ؟ ولن تجنى منها ثمرة بعد التحويل وأحياء العلوم العفنة ، ولا شك أن الكلية ظلت سدا تحجزنا عن التقدم والرقى وستكون حجر عثرة فى طريق تقدم الأمة والوطن بعد أن تنضم الى قائمة الجامعات بل ستكون بشير الموت وهلاك الأمة جمعا . " (٢)

ويصل حب السيد لملة الغرب حتى ليفضل المسيحية على المسلم فى كل شئ حتى اخراج الحروف من مخارجها فما أن مر بمصر فى رحلته الى لندن حتى

كتب مقارنا بين صوت المسلم والمسيحي المصريين فقال : " ولأول وهلة حين شاهدت المصريين يتحدثون فيما بينهم حسبت أنهم يتخاضعون ، وخيل إلى أن سقم ذلك التلفظ يعود الى كثرة الحروف الحلقية في اللغة العربية بيد أنى سرعان ما شاهدت المصري القبطى يتحدث فاذا رقة ولطف وناقة ودقة أداءه فى كل ما يقول فتقع حروفه على السمع كوقوع النسيم على العليل ، وأمانساؤهم فلم يك نطقهم بالحروف العربية الا كلالى تنضم بعضها الى بعض لتكون عقدا " . (١)

٢ - وكنتيجة منطقية لتكن حب الغرب من قلب السيد أحد خان طلب من أمة الاسلام أن تشاركه فى ذلك فمرة يرر مكن صدره بقوله : " إن الرقى والمشاركة فى الحكم أخوان شقيقان فاذا فقدت أمة الحكم والسلطة لم يبق طريق لرقيا الا أن تتعلم علوم الفاتحين ولغتهم حتى تستطيع المشاركة فسي تسير دفة الأمور . . . ويلزمها أن تأخذ بعاداتهم وتقاليدهم وتعمل كعملهم وتفكر كفكيرهم فتستطيع بذلك ايجاد حد من التنااسب بينها وبين الحاكيين " (٢)

ومرة يرر موقف الدولة أمام امته حين حرمت المسلمين من أتعف وظائفها لعدم اجادتهم الانجليزية فما أن شاع خبر حرمان أحد المسلمين من وظيفة مساح للأرض حتى كتب السيد يقول : " انا نحبذ اقتراح الدولة عدم اعطاء المناصب لمن لا يجيد الانجليزية وكلما شددت الدولة فى ذلك كان أصلح للوطن والأمة ، وانا نؤمن أن تلك أنفع وسيلة لرقى الأمة والتقدم بها " . (٣)

وهنا وضع السيد لعلاج الأمة والنهوض بها مشروع الكلية المحمدية الانجليزية الشرقية مدرسة العلوم التى تعرف اليوم بجامعة عليكرة الاسلامية بعد أن حصر طريق رقى الأمة فى اتباع الغرب واكتساب علومهم ونبد ما تركوه ، فضم مشروع الكلية معاهد ثلاثة : المعهد الانجليزى ، والمعهد الأردى ، والمعهد الفارسى ، ويبدو من المقارنة بين المواد التى أشار المشروع الى تدريسها فى المعهدين أنهما بمثابة سلم للالتحاق بالمعهد الانجليزى ، وكل ما فى الأمر أن لغة المعهدين هى غير الانجليزية وأن المواد تترجم من لغة الحكام الى لغة الشعب ولغة الدين فى المعهدين . (٤)

أما المعهد الانجليزى فقد فصل مشروع السيد المواد التى يتلقاها الطالب فى قائمته فجمعها فى ثلاثة " لا حاجة لنا فى البحث عما سنقوم بتدريسه فى هذا المعهد لأن جامعة كبرىج واكسفورد كفيلتان باننا نعلمين لذا يجب علينا اتباعهما والسير على خططهما فى تعيين المقررات وأن ذلك سيفى بحاجة معهدنا الميمون " (١) مقالات ج ٨ / ١٦٧ . (٢) مقالات ج ٨ / ٣٧ . (٣) مقالات ج ٨ / ٤٦ . (٤) انظر للتفصيل مقالات ج ٨ / ٩٠ - ٩١ . (٥) مقالات ج ٨ / ٩١ .

ومضيف فيحث الآباء على إرسال أبنائهم الى الكليات الحكومية ومدارس الدولة موهما إياهم أن تلك الدور لا تدرس سوى اللغة الانجليزية وأنها معاهد لاكتساب لغة الحكم دون نقل الأفكار وغزو الناشئة بما لا يرتضيه الاسلام . (١)

ويعتذر السيد عن الدولة لعدم تدريسها علوم الدين في كلياتها ، ومعاهدها المتنوعة فيقول :
” ومن العدل أن نقر من شفاف قلوبنا أن جانب الدولة برئ من جميع الاتهامات في باب التعليم لأن رعاياها يدنون باديان مختلفة ثم هي تدين بدين يختلف عن دين رعيته كل الاختلاف لذا لا يسعها ادراج تعليم الدين في معاهدها البتة . وان المنهج الذي اختارته في التعليم لا يضاويه منهج ولا يصل الى مستواه طريقة من طرق التعليم في خارطة العالم ” (٢)

وفي ضوء هذا التفكير أختط السيد أحمد خان منهج تعليم المسلمين بعد عودته من أوروبا عام ١٨٢٠م على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذاقها وعلى علاقتها ، وتفسير أسس الاسلام تفسيراً يطابق ما وصلت اليه علوم أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر غير آبه بأصول العربية والتواتر والاجماع وما ثبت بالسند الصحيح من قول المصطفى عليه الصلاة والسلام بل أخذ يستهين بما لا تثبته التجربة والحس ولم تقره علوم الطبيعة بنظرتها المادية السطحية من الحقائق المغيبة وأمر ما بعد الموت . (٣)

ولم يكن السهل اقناع المسلمين بالاسهام في مشروع مدرسة العلوم وغزو الناشئة باسم الدين مع هذه الترهات ، والخضوع الكلي للغرب والتخريب ، فوقف الملوك وحماة الشرع في وجهه دفاعاً عن الدين وعقيدة الألوهية الموروثة من سنن المرسلين ، فاتهموا السيد بالزندقة والخروج من الدين ، ومنهم من جلب فتوى تكفيره من ارض الحرمين ، غير أن الانجليز وجدوا في المشروع خير معين للقضاء على الشخصية الاسلامية ودين التوحيد .

(١) انظر مقالات ج ٩٢/٨ .

(٢) انظر مقالات ج ١٠٤/٨ .

(٣) انظر للتفصيل فيما ذهب اليه السيد أحمد خان من النظريات الغربية عن الاسلام / السيد أحمد خان / تفسير الجن والجنان على ما في القرآن ص ٥ ومقالات ج ١٢٨/١ و ١٦٩٥
و ج ١٥٨/٢ و ١٣٣/١٣ والاستاذ محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٢ ونزهة الخواطر ج ٣٨/٨

فأسرعوا في الاسهام فيه بالبذل والعطاء ، وتوظيف المتخرجين من قاعاتها ، ومنحهم المناصب القيادية لسوق الأمة المسلمة الى هوة التفريب .

ومن الصعب تصديق السيد وامثاله في تأخر المسلمين ابان حياته في ميدان التعليم ، لأن تقارير الدولة تعترف بأن التعليم ظل في أيدي المسلمين حتى عام ١٩٠٨م ، ويتحسر تقرير البنجاب لعام ١٨٥٢م على ذلك فيقول : " إن ميدان التعليم في الأيدي المسلمة ، حيث نرى جـسـل المدرسين من المسلمين ، والتفريب حقا أن الطلاب الهندوس يدرسون الفارسية على المسلمين بشغف ٥٠٠٠ ، وينبغي وضع حد لهذا التفرق " (١)

ويصرح آخر التقارير عن عام ١٩٠٨م أن نسبة المسلمين في الهند ١٠٪ غير أن ٨٣٪ من طلاب الكليات و ٤٥٪ من طلاب المدارس الثانوية و ٤٢٪ من طلاب المدارس الابتدائية من المسلمين (٢) . ويبدو أن الامر يمتد ليلا ، وأن ضجة التأخر لم تكن صادقة بل غطيت بالدعاية الواسعة حتى المسلمون أنها حقيقة فأخذوا يتقبلونها كواقع حزن ، وبدأوا ينخرطون في سلك التعليم الحديث ، الذي يمكن أيجاز اهدافه في النقاط التالية .

الاهداف التعليمية عند الانجليز

١ - أول هدف رمى اليه مخطوطو التعليم في الهند هو : أن يكون التعليم عاملا أساسيا لاختفاء الجذوة التي يخشى اشتعالها بين الحين والآخر لطرد الدخلاء والمغتصبين ، فوجه التعليم لازالة الجفلة وتحويل الأفكار من الكره والبغض الى الولاء والاذعان (٣) وقد اعترف بهذه الحقيقة نفسها هنري فانتج على الدولة قائلا : " في نظري لو أن الدولة أقامت خمسين مدرسة واستخدمت مدرسين مسلمين وتحملت نفقاتهم في شرقي البنغال لتحولت أفكار الناس من الكره والنفرة الى المحبة والولاء خلال جيل من البشر ولزالت جميع تلك الضغائن الموروثة لنظامنا الحاكم " (٤)

(١) مسلمانون كاروشن مستقبل ص ١٩٤ .

(٢) مهدي علي خان كريتر ممالك محروسة " تقويم المستعمرة البريطانية " ص ١٣٧

(٣) انظر كأمثلة واقعية لذلك نخبة من المفكرين ، محاضرات محمد بن ايجو كيشنل كانفرس (مؤتمر التعليم الحمدي) ص ١٩١ المنعقد في ١٢/٣٠/١٨٩١م والسيد مصطفى علي بريلسوي

انكيريون كي لسانى باليسى (سياسة الانجليز اللغوية) ص ٦٥ .

(٤) همارك هندو ستانى مسلمان ص ٣٠٣ .

(ويقول في موضع آخر) "وانى لعلى ثقة بمجيب ذلك اليوم الذى ستثمر فيه طريقة تعليمنا الحديثة التى آتت الآثار العكسية الى الآن غير أنها ستكون أول لبنة فى ولاء المسلمين ونزع التعصب الدينى من قلوبهم". (١)

ب - لتمكين السلطة وصرف الأنظار عن الحكم آثار الانجليز بواسطة الموضوعات التعليمية عداء مستحكماً بين المسلمين والهندوس متهمين حكام المسلمين الذين فتحوا الهند بالتعصب والجنون المذهبى ، واجبار الناس على اعتناق الاسلام ما نتج عنه الكره الشديد للحكام السابقين ، ومن ثم العراك بين الشعبين وعلت بذلك سياسة فرق تسد ، عليها فحكوا البلاد بعد زرع الفرقة بين أهلها (٢) يقول سرجان مينارد أحد أعضاء برلمان البنجاب "لا يخفى على من أنعم النظر فى الهند أن العداء مستحكم الآن بين الهندوس والمسلمين ولولا وجود هذا العداء لما قامت لنا دولة ، وما لا غبار عليه ان الخصام لم يصل الى ما وصل اليه الا فى عهد دولتنا الرشيدة رغم أن سلاطين الاسلام ساءوا الشعب بسوء القهر من فرض الجزية وذبح البقر وعقاب المناوئين ٥٠٠٠ ، وان الاحساس بالفرقة والشعور بالكره لم يبلغ حد هما الاقصى الا بنشر التعليم" (٣)

ج - احتاج المستعمرون لتيسير دفة الحكم فى الهند الى طبقة تقوم بدور الوساطة بينهم وبين الشعب وكان من الطبيعي أن تتعلم الأقلية لغة الأكثرية ، فهدلت شركة الهند جهودها ما تزال آثارها تشاهد على رفوف المكتبات حتى اليوم من معاجم وقصص مترجمة ٥٠٠٠ ، لذلك دفعت العديد من عمالها الانجليز الى اكتساب اللغة الهندية ، بيد أن جهودها ذهبت ادراج الرياح لكثرة التكاليف المالية التى لم يكن من صالح الشركة تحملها - وترفع الانجليز ورغبتهم عن تعلم لغة شعب محكوم ، وهذا ما جعل الشركة تعيد النظر فى منهج التعليم لاعداد الطبقة المترجمة ، فوضعت خطة تكفلت باخراج هذه الطبقة ، وما زال ايجاد أمثال هؤلاء مطمح التعليم .

(١) همار هند وستانى مسلمان ص ٣٠٨ .

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٠٣ .

(٣) نقلا عن علماء حق اوران من مجاهدانه كارنا ص ١٠ - ١١ .

يقول السيد أحمد خان ضمن الأسباب الداعية لفتح مدرسة العلوم : "لن يجد المسلمون المناصب العليا لدى الدولة ، ولن يكونوا ذوى مكانة مرموقة من الطبقة النبيلة حتى يتقنوا الانجليزية ٥٠٠٠ ، وليس أمام المسلمين طريق لاكتساب المناصب الا ذلك ^(١) وما زال التعليم قائما على ما كان ، لا يهدف الا لشغل منصب من المناصب ، ومن ثم اتجهت الجامعات اتجاها أدبيا محضا ، وسيطرت عليها نزعة التوسع فى الآداب فخرجت عددا لا يستهان به من الاداريين ، ولم تخرج بطبيعة الحال رجالا مبتكرين فى علوم الهندسة والميكانيكا والكيمياء والصناعات المفيدة التى كان الشعب فى شبه القارة فى أمس الحاجة اليها . (٢)

د - استحكمت سلطة الانجليز على الهند فى أوائل القرن التاسع عشر حين كانت أوروبا فى أوج مدنيته ، وفى ريعان الصناعات ، والمكتشفات الحديثة ، أثر فوز العلم وانهماز الكنيسة أبعد الخالق والمدير الحكيم من جميع الابحاث العلمية كرد فعل للكتك الكنسى وسلطة الرهبان على الناس فسأد الالحاد جميع ميادين التعليم وخلا الجو للمكتشفين كي يثاروا لأنفسهم من المعابد التى سلبت حرياتهم باسم الدين والنيابة عن الرب ، فاعلنوا للناس بملء فيههم عدم وجود يد تدير شؤون العالم بل عدم وجود موجد للكون أصلا ومن هذا المنطلق تأسست العلوم الحديثة على الشجرة والحس والادراك الملموس ونكران كل ما لا تثبته الاختبارات العملية من الأمور الغيبية وشؤون بعد الطبيعة ، ونقلت المعاهد الغربية قوانين المادة وشمل المكتشفات الى العالم بهذا الروح فغيرت مجرى أحداثه بمعاملها المخبرية . (٣)

وعلى هذا الأساس بدأت العلوم الطبيعية تدرس فى العالم كله بروح الغرب الملحدة ، ومن هذا المنطلق الالحادى شقت " الجامعة الاسلامية بعليكره " طريقها لتدريس العلوم ، ودفعت المسلمين دفعا لتلقيها كحل مؤقت لمشكلة التعليم ، ولم يكن منهجها يختلف عن منهج جامعات الدولة فى شئ الا فى تدريس بعض العلوم الدينية . رغم عدم توافقها مع الجو العام للدراسة

(٤) - مقالات سر سید - ٨ / ٨٧

(٢) انظر ملفوظات ص ١٧ ومناظر أحسن كيلاى مسلمانون ، كاتظام تعليم وتربية .

(٣) انظر الاستاذ محمد سليم ، مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة نظرة قصص فى فلسفة التعليم الغربية ص ٢٦ ومسلمانون كاروشن ٥٠٠ ص ٦٥ وحاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ١٨١

في الجامعة التي أخذت الاتجاه المادى الالحادى من الغرب فالفلسفة الحديثة تقوم على القول بوجود الخلق من غير موجد والعلوم تخضع للحس دون الغيب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والقانون ... كلها تختلف من الأصول الى الفروع عن أصول الاسلام ثم الجو الجامعى لَوْن بلون التفریب فى اللباس والاكل والشرب والعادات الاجتماعية ومبادئ اللعب ومعاملة الطلاب بعضهم لبعض .. فهل يعقل تخرج من يحمل الروح الاسلامية مع هذا الانغماس أو يظهر على المأى مسلما يطبق أحكام الاسلام فى شئون الحياة ؟

يصور الشيخ المودودى الوضع المؤلم لجامعة عليكره فيقول : " وفى نظرى أن تعليم الجامعة بشقيها الدينى وغير الدينى يخرج شخصا لا يؤمن بمعاليم لاسلام غير أن الجامعة تحمله بعض كتب الشرع خشية أن يقع عليها تهمة التكفير فإن صادف أن القى الحامل ذلك الثقل كان مورد اللوم والأخذ ، لا الجامعة التى شحنته بمعاداة الدين وتمجيد التفریب طوال مدة الدراسة " (١)

ويحمل الشيخ محمد اكرام وضع عليكره وما تسودها من النزعات غير الاسلامية فيقول : " لَوْن نائع فى طرف من أطراف العالم يدعو الى هدم الاسلام أو القضاء على المسلمين ... لوجد أول الملبين فى قاعات عليكره ... وانك لتلمس فى تلك الساحات ضعف الايمان وعدم القيام بالمهام الشرعية فلو غرقت العقول الممتازة من مدرسين وطلاب واستمعت الى أقوالهم لما خفى عليك كنه ما تريد تلك العقول ... ، ويجمعون كل ذلك فى قولهم : إن عليكره جامعة وليست معبدا " (٢)

محاولات إصلاحية فى التربية والتعليم :

وما ان شاهد المدركون الأثر الضار لحركة عليكره حتى أخذوا يبحثون عن طرق توصيلهم الى الساحل المأمون دون أن يصيب متخرجيهم ما أصاب متخرجى عليكره فمنهم من نفذ فكرة إقامة مهاجع خاصة للطلاب المسلمين يتلقون التعليم فى الجامعات الحكومية وينفردون عن طلابها بالسكن حتى يسهل تربيتهم على أسس الاسلام (٣) ومنهم من وضع الحل فى المطالبة بمقاعد خاصة للطلاب المسلمين فى

(١) تعليمات ص ٢٧

(٢) موج كوثر ص ١٥٢

(٣) كإقامة الشيخ سميع الله الجامعة المسكونة فى آله آباد بعد أن ترك عليكره نتيجة موافقه

الأعضاء على ترشيح محمود ابن السيد أحمد خان وحله مكان أبيه بعد الوفاة رغم انحرافه

الخلقى / انظر للتفصيل موج كوثر ص ٩٦ .

الكلية الحكومية حتى يمكنهم التناقص مع طلاب الد يانات الأخرى ومنهم من وضع الحل في انشاء جامعة اسلامية حديثة خالية من جميع عيوب عليكره لا تقبل مساعدة مالية من الدولة وتكسر طوق التعليم المتحصر في الوظيفة الى تعلم الصناعات والحرف التي تكسب العيش الشريف لمتخرجيها فخرجت الى خير الوجود الجامعة المليية الاسلامية عام ١٩٢٠م غير أن ضيق الموارد المالية أخذ يتلاييسها منذ الانشاء ، ثم تكاثرت الكليات الخاصة في جميع أطراف البلاد .

وليس من السهل حصر تلك الكليات أو المدارس التي أتاها المسلمون لتعليم أبنائهم المعلوم الحديث مع العلوم الشرعية ، ونحن نذكر بعضها ليقاس وضع الباقي عليها ، ففي شمال الهندسند أوجد المسلمون على نفقاتهم الخاصة جامعة عليكره ، والجامعة المليية الاسلامية بدلهلى وفسى الجنوب الجامعة العثمانية في حيدرآباد والكلية الجديدة وكلية البنات في مدراس ، والكلية الاسلامية في وايثم وكلية جمال محمد في ترشناپلى والكلية العثمانية في كرنول وكلية فاروق فسى ملابار (١) عدا الثانويات والمدارس المتوسطة والابتدائية البعثرة في جميع أطراف الهند ، وظلت قيادة هذه المدارس في الأيدى المسلمة حتى الاستقلال ، ثم أخذت حكومة الهند تستولى على هذه الجامعات والكليات والمدارس الاسلامية واحدة تلو الأخرى حتى ابتلعتها جميعا ، ولم تسبق مدرسة تختص بتدريس العلوم الحديثه للمسلمين فضلا عن الكليات والجامعات . فالجامعة المليية الاسلامية التي لم تنشأ الا لتفادى أخطاء عليكره أصبح ضمن كلياتها كلية الفنون الجميلة التي تضم قسم الرسم والتصوير والغناء وصناعة التماثيل ، وكلية البنات في مدراس التي تم انشاؤها بتبرع المسلمين بنسبة ٩٥% من تكاليفها الاجمالية لم تكن تعد ونسبة الفتيات المسلمات بها عام ١٩٢٧م ١٠% كما أن نسبة المدرسين والمدربات من المسلمين لا تتجاوز هذه النسبة (٢) ، وقس على هذا بقية المعاهد المسلمة .

دور المعاهد التنصيرية في العملية التربوية والتعليمية :

والتعليم المعصرى في الدولتين المسلمتين يتوزع بين طرفين : بين المدارس الحكومية وبين ادارات التنصير البعثرة في أطراف الدولتين ، ولو نظرت الى تقرير الكنيسة عن باكستان لعام ١٩٥٨ م

(١) انظر تفصيل هذه الكليات في المسلمون في الهند ص ١٣٣ .

(٢) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٢٩ و ٨٩ .

لرأيت أن للمسيحيين سبع كليات واحدى وخمسين مدرسة ثانوية وأربعين مدرسة متوسطة وخمسين مدرسة ابتدائية واشتت عشرة كلية صناعية (١) ، ولم تمض سنتان على هذا التقرير الكسى حتى بلغ عدد المدارس الكاثوليكية الابتدائية ١٢٣ يجتمع بين أسوارها ٢٤١٠٦ بين طالب وطالبة^{٥١} مدرسة متوسطة تضم أسوارها ٥٧٥١ مكتسب للعلوم والمعرفة و ٤٦ مدرسة ثانوية يدرس بمسـين قاطعتها ١٠٨٠٥ طالبا وطالبة ، وست كليات علمية تضم قاعاتها ٨٥٣ متعلما بين الذكور والإناث وتسع كليات صناعية يتردد إليها ٢٦١ شخصا . (٢)

وان قارنت بين هذه الأعداد وبين ما نشره الاستاذ نادر عام ١٩٧٤م ترى أن عدد المدارس الابتدائية الكاثوليكية قد انخفض الى ٨٥ والمتوسطة الى ٢٢ والكليات الى ٤ بينما ارتفع عدد المدارس الثانوية الى ٧٣ والكليات الصناعية الى ١٣ (٣) وتهدو من قراءات الأعداد بتدبر أن - حركات التنصير عدلت خططها التعليمية وأخذت تغض الطرف عن المرحلة الابتدائية وتركز على المرحلة المتوسطة والثانوية ومرد ذلك فيما يظهر قيام الرافد الحكومى للمرحلة الابتدائية بمسؤوليات ما تريده المدارس الارسالية من التخريب ، لذا ترى أن عدد طلاب المدارس المسيحية المتوسطة قد ارتفع الى ٦٨١ رغم التقليل من عدد المدارس - والثانويات الى ٣٧٠٢٤ بين طالب وطالبة ٨٠٪ منهم من أبناء ديانة التوحيد .

ويبدو الوضع أكثر تأزما في بنغلاديش وذلك لعاملين أساسيين :

١ - انطلقت عملية التخريب ، وتجسيد التفرج من منطقة البنغال قبل غيرها من مناطق شبة القارة وفيها وضعت اللجنة الأولى لنقل الأفكار والثقافة الغربية بافتتاح مدرسة سيرام بؤر الارسالية وفيها فتحت أول كلية انجليزية عام ١٧٩٣م ، وظلت البنغال بقسميها الهندى والبنغلاديشى تتصدر غيرها فيما يبيتته المستعمرون ، وبعد الاستقلال ارتبط مسير البنغال الشرقية بمسير باكستان ففترتها حركات التنصير باسم العلم ، وازداد الجو ظلمة أثر استقلال بنغلاديش ان - وجدت الارساليات أنسب وقت لتكثيف المدارس لكثرة الايتام وعدم تمكن الدولة الحديثة من تلبية طلبات الشعب في ميدان التعليم ، ومن غير المعروف على وجه الدقة عدد المعاهد والكليات التى

(١) انظر رينفرد كليساوى تواريخ (تاريخ الكنائس) ص ١٣٢ .

(٢) انظر باكستان مسيحيت ٥٠٥-٥٠٦ .

(٣) انظر من مسيحيت ص ٥٠٧ .

تديرها الأيدي المسيحية على أرض هذه الدولة المسلمة ولكن من المسلم به أن العدد لا يقل عما هو موجود على أرض باكستان .

٢ - تعتبر بنغلاديش من الدول ذات الكثافة السكانية الخانقة ، ومن الدول الفقيرة فقرا مدقعا ، ومن هنا فرضت الحاجة نفسها على الآباء بالتخلي عن الأبناء والتبرع بهم لمن يحفظ لهم أفلاذ كبدهم على قيد الحياة فاقترنت الرسائل هذه الأخصان الغضة النقية فربتهم في مدارسها ووجهتهم الى الالحاد والمروق عن شرع الله باسم العلوم وأن أردت وضع النقا ط على الحروف فثق أن هذه المعاهد الرسالية لازالت تخدم الأغراض السالفة التي أرادها مخططو التعليم في الهند اذ الانجليزية بآدابها وأفكارها مازالت هي اللغة التي يحرم التحدث بغيرها بين اسوار تلك المعاهد ، وتسلب على عقول الاحداث منذ الصغر فيشبهون في طوقها على التخریب متمسكين بكل الأسس والثقائليسدت الغربية .

ومن هذا المنطلق المستسلم يبدأ الآباء رحلة أبنائهم العلمية الى ساحل التخریب والولاء لفسير الاسلام ، ويشمر المجتمع بالحاجة الى هذه المعاهد التي تعودنا على سيطرة الغرب والتخلي عن الأخلاق الاسلامية حين يشاهد تفضيل الدولة لمتخرجي تلك المعاهد على غيرهم في التوظيف ومنح المناصب القيادية ، كل ذلك الحيف يقع على الأرض المكتسبة باسم الاسلام وعلى الناشئة الاحداث من أبناء هذه الأمة باسم التقدم والرقى وكسب العلوم .

تلك حال المعاهد التبشيرية أدق الرافدين في تدريس العلوم الحديثة - وما تمنحه لابنائها من المعلومات والتربية القيادية ، ويجمل الشيخ المودودي وضع هذا التعليم الرسالي وما تخرجه من النماذج فيقول : " من نتائج دولتنا التخطيطية ان العائلات المترفة ترى من العبث تعليم الأبناء اللغة الأردية وثقافة امتهم أو اكتساب المعرفة الشرعية ، كل ذلك لا يعنيمهم في قليل أو كثير بل انهم يحاولون تعليمهم تلك اللغة والتقاليد التي تحيلهم بعد التعلم الى بريطانيين أو أمريكيين وتحقيقا لهذا الهدف يرسلون أبناءهم الى المعاهد المسيحية التي لا يمت سيرها وتقاليدها بصلة الى الثقافة الاسلامية . فلا يجهل هؤلاء الصغار الاسلام فحسب بل يعاندونه ويقاومونه ، ومن ثم اذا لم يتنصر هؤلاء فانهم لن يكونوا مسلمين بل انهم أقرب صلة بالمسيحيين منهم

بالمسلمين " (١) وذلك لتعاضد المسلمين في باب التعليم .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما دامت الآداب والمعلوم الغربيتان تلقان باللغة الانجليزية فلم لا تخرج هذه المعاهد نماذج كالتى تخرجها المعاهد الغربية من المبتكرين والمكتشفين أو على أقل تقدير تخريج أفراد يتمتعون بصدق القول وعدم الارتشاء والاخلاص للأمة التى ينتمون اليها والأرض التى يفترضونها ؟ بل نراهم على عكس هذه الصفات يخونون ولا يوفون ويقدمون حاجتهم على حاجة الأمة . . . الخ

واجابة هذا التساؤل الموضوعى تعيدنا الى العقول المخططة للتعليم فى الهند ، فلم يكن من مصلحتها أن يخرج منهج التعليم أفراداً من أشكال ما يخرج منهج البريطانى ، بل يجب أن يخرج نماذج توالى الغرب وتفضل تقاليدهم وتفديهم بمهيجها ، وفى ذلك بقاء سلامتهم فى تلك البلاد ، وظل المنهج يسير على هذا المنوال حتى الاستقلال وكان المفروض بعد ذلك على الأمة المستقلتان تعيد النظر فى نظامها التعليمى كله اذ لم يوضع ذلك النظام ليرى أفراداً على الاخلاق الفاضلة يسمعون فى الحفاظ على مثل الأمة وتقلقهم وتتجافى عنهم عن المضاجع بحثاً عن سبل رقيها ، وانما يتأتى ذلك من نظام امة مستقلة يسعى تعليمها الى انشاء أفراد يحفظون تراث الماضى ، ويغذونه بما يقوى أسسه ، ويحلى بنيانه ، ويلبى حاجة الناس الآتية ، بيد ان الرياح جرت لا تشتهى السفن اذ ظل نظام المستعمرين بروحه وهيكله الأساسى يسرى فى جسد الأمة المالكه لنفسها . والتى لم تسع الى التعديلات الجذرية حتى اليوم .

التعليم بعد الاستقلال :

=====

والرافد الآخر الذى يغذى الأمة بالتعليم الحديث ويصب فى مجراه ٨٠ % من المدارس والكلليات المنتشرة على أرض الدولتين المسلمين ترى لغة تعليمه هى اللغة المحلية - الأردنية أو البنغالية لغة الشارع والمنزل ، وكان من المتوقع أن يغطى جميع متطلبات الأمة ويفوق نظام الارساليات اذ لا يضيع عمر الطالب فى اكتساب اللغة دون العلوم والمعارف ، ولكن الأمل خاب حين أخذ

(١) رسائل ومسائل ج ١٠٥ / ٤

يستمر كل شيء من خصه (١) ويرى واضعوه أن منارات الاشماع والنور هي المعاهد المسيحية فجعلوها قدوة يتأسسون بها في وضع النظم وتهيئة الجوالدارسى ، وتأليف المناهج التعليمية فلا يختلف نظام هذا الرافد عن الرافد الارسالى الا في لغة التعليم ووضع الاسماء الاسلامية بدلا من الاسماء الانجليزية ، وادراج قصص وحكايات تشير الى اسلامية المنهج .

لما أن باكستان أسبق من أختها بنجلاديش في محاولات جعل التعليم لا يتنافى مع الاسلام فقد خضت خطوات في هذا الميدان ، ولكنها ما تزال بعيدة عن الهدف ، فمثلا لو نظرت الى منهج اللغة الانجليزية للصف التاسع بالسند لعام ١٩٨٢م - الذى أعلن عن تطهيره وأخضاعه للاسلام لوجدت ان روح المنهج لم تختلف عما كانت عليه من قبل ، فما زال المنهج يبحث عن المثل العليا في الأمة الناطقة باللغة الانجليزية ، ولم يجد واضعه شخصية مسلمة اهتمت بشئون الموقنين الا هيلن كيلر الامريكية . (٢) ولم يجد من الآثار القديمة الاحضارة ما نجودار والتي تمثل عبادة الأصنام وهبوط العقل البشرى الى الهاوية المظلمة دون أن يشير الى شيء من تعاليم الاسلام تجاه هذه الحضارات الشركية (٣) كما أنه لم يجد من دعاة الاسلام ومن خدم الدعوة الاسلامية في الهند منذ القرن الأول الهجرى حتى اليوم الا الصوفى الشهير الشاه عبداللطيف بتائى الذى خدم الاسلام - على حد الكتاب المقرر - بالتنظيم والالحن وابتكر لأهل السندالة غناء تمجرو (Tombooro) عمت السند من أقصاها الى أقصاها . (٤)

وقس على هذا ما اقدمت عليه الحكومة الحالية من نقل مادة الاسلاميات من قائمة المواد الاختيارية الى قائمة المواد الاجبارية ، يجب على الطالب دراستها في جميع مراحل التعليم ، بيد أن المادة العلمية التى غذيت بها الاسلاميات ضحلة في بعض المراحل ، وغير دقيقة في مراحل أخرى ، فإن تصفحنا مقرر الصف التاسع لطلاب السنة بالبنجاب نرى أنها تضم مادة القرآن من سورة

(١) انظر محمد طفيل بمجلة اسلامى تعليم ص ٢٤ عدد سبتمبر واكتوبر ١٩٧٢م .

(٢) Secondary Stage English Book One. P. 28.

انظر للتفصيل كتاب اللغة الانجليزية الأول للمرحلة الثانوية ص ٢٨ .

(٣) انظر للتفصيل المصدر السابق ص ١٩ .

(٤) انظر للتفصيل ص ١٠ . من المصدر السابق .

حيث فتحت الدولة الباكستانية العديد من المدارس الابتدائية في المساجد لكن تعيين المدرسين لم يكن بالمستوى المطلوب لمكانة المسجد في الاسلام .

نظرة قحصى فى المنهجين (الدينى والعصرى)

ولو ألقينا نظرة قحصى وتدقيق على النظاميين التعليميين الدينى والعصرى بفروعهما المختلفة لظهرت لنا الأمور التالية :-

١ - الدرس النظامى يستطيع أن يلبي بعض حاجتنا الدينية من الخطباء والأئمة والمؤذنين ... غير أن الانزواء والتصفوف طغيا عليه حتى أصبح عديم الجدوى وصح فيه قول القائل "سلم الديونديون من ابتلاءات العصر لعدم اتصالهم بمشتميات الحياة العاجلة ، بل عمروا لأنفسهم قرية مستقلة يعيشون فيها حياة الأرياف والقرون التى لم تر نور العصرية والتقدم العلميين " .

٢ - يشخص السيد سليمان الندوى - أحد من ترأس ندوة العلماء - مفهوم التعليم والصفات التى يتمتع بها الدرس النظامى فيقول : " للتعليم مفهومان : أن تكون هناك صالات مرفهة لالقاء المحاضرات تحيل الدارس الى ذكرى القصور ، وأن تكون عمارات تناطح السحاب مع وفرة المراجع وجمع المال مثل قارون وتبديد الثروة على رواتب المعلمين وانفاق الملايين على شراء الأثاث والأمر المنظورة ، وصرف مثلها فى إقامة المختبرات وشراء الادوات اللازمة لمثل ذلك المكان ، والحاصل أن التعليم بمثل هذا المفهوم وسيلة لكسب المال ، وجمع الثروة ، ونقطة بدء هذا المفهوم ومنتهاه ينحصر فى الأمور الظاهرية المادية ، أما المفهوم الآخر للتعليم الذى عرفه الناس قديما وحديثا فهو لا يقيم لمثل هذه الأمور الظاهرية من المال والجاه والامارة والعظمة والأثاث ... وزنا ويعتبر المال والثروة حقائق غير مسلمة يمكن أن يكتمل التعليم بدونها ، وأن اعترفت بشئ منها فلن يتجاوز اعترافه أنها أمور ترفهية أو أقدار موهمة " . (١)

بهذا المفهوم ينظر أصحاب المدارس العربية الى الدنيا والعلوم التى تدرس لتحسين ظروف المعيشة فى هذه الحياة العاجلة ، ومن هنا خلت منها جهنم ما يتصل بعلم الأرض وتطورها

المذهل الذى يرون آثاره ويجنون ثماره بأثمان باهظة ، ولعل هذا التجرد ومنع المدارس من تدريس هذا النوع من العلوم مرجعه الى ما يشاهدون من الفساد فى متعلمى تلك العلوم فى جميع ميادين الحياة من الأخلاق والسياسة والاقتصاد مثلهم كمثل مبلصر يغمض عينيه فى وضع النهار خشية أن تتأثر رؤيته من أشعة الشمس ، لكن ذلك الخوف الموهوم غير كاف لتبرير واقعهم الانزوائى وترك القيادة للمفسدين ،

٣ - المادة العلمية التى يدرسها طلاب الدرس النظامى مكثفة ، وعلى حد قول حافظ نذر أحمد : " لا يحصل الطالب شهادة هذه المدارس الا بعد اجتياز عشرين فنا علميا وإن ضمننا بعضها الى بعض فلا تقل عن ثلاث عشرة مادة مفعمة ويمكن للطلاب أن يجيد العربية والأردية والفارسية مع لغته الأساسية بينما توقف شهادة الكلية العصرية على اعادة ست مواد وفى وسع الطالب الحصول على الشهادة بدراسة اللغات دون أن ينش مادة أخرى . (١)

وتلك حقيقة بالنسبة لكلا المنهجين بيد ان الكثافة التى شحن بها الدرس النظامى لا تثصل بما نحتاج اليه اليوم ، اذ المنهج النظامى لم يوضع لهذا العصر بل وضع للمسلمين حين كان يحكمهم الفقه الاسلامى فى جميع شئون الحياة فاستهدف المنهج اخراج فقهاء ورثوا الاسلام ابا عن جد لم تغزهم ثقافة أجنبية ، ولم يحكمهم الا المسلمون ، فجاء منهج التعليم الذى قررته دولتنا الاسلامية آنذاك ، وافيا بحاجة الامة والدولة معا .

٤ - وان دخلت الى قاعات الدرس النظامى وجدت مدرسا الحديث مثلا يمشى اليوميين ، والثلاثة فى ترجيح مسألة اختلفت فيها وجهات النظر فيسمى بكل ما أوتى من قوة الحجة الى ترجيح الرأى الذى يعتقد صحته ، ويمرر الكرام على الأحاديث التى توضح حقيقة الدين أو ترشد الى قواعد الاسلام فى الاقتصاد أو تبين نظام الاسلام السياسى أو تحض على خلق تخلق المسلمون عن التمسك به ، أو تضع الأسس المتينة لنظام الاسلام القضائى أو الاجتماعى ، أو تحدد علاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول كل ذلك لا يعنى المدرس ولا الطالب

فى قليل أو كثير ولا تستوقفهما تلك الأحاديث التى يبنى عليها أسس الحياة الاسلاميه ، وقس على هذا دراسة بقية المواد من التفسير والفقه ...

٥ - جل ما يدرسه الطالب فى الدرس النظامى أو المدارس العربيه من الكتب المقررة وضعت لجيل يتكلم الفارسيه ، ويتعامل بها فى جميع شئون الحياة ، غير أن الوضع أخذ يتحول لصالح الأردية وغيرها من لغات المناطق منذ وقف التعامل الرسمى بالفارسيه ، وكان المفروض أن تتحول لغة المقرر النظامى تمشياً مع متطلبات الامه وما يفهمه الناشئ الجديد غير أن المنهج لم يزل على ما كان فلم يشمر بحاجه الامه ، وعدم وجود الفارسيه خارج القاعه .

وتأخذ الحيرة لب المدرك للمأساة حين يشاهد دراسة المواد العربيه من الصرف والنحو وما شابه ذلك فى هذه المدارس تدور بين ثلاثة أطراف متباينه فلغة القاعه هى اللغه المحليه بينما لغة الكتاب المقرر هى الفارسيه والهدف المراد من الماده المدروسة الوصول الى قواعد الصرف العربى وأصول لغة القرآن .

٦ - الطرف الآخر الذى تقع عليه تبعه هذه المدارس هم الاساتذه الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى ومن المسير اقناع هؤلاء بالفائدة المرجوة من العلوم الحديثه لظنهم أن التطوير مؤامرة تستهدف ما استهدفته المؤامرات المستمرة السابقة ، ثم إن أكثر هؤلاء لا يعرفون من العلوم الحديثه ما يؤهلهم لتدريسها ، والناس أعداء لما يجهلون - وتطلعت الانظار حين أسهمت دار الافتاء بالمملكة العربيه السعوديه ورابطة العالم الاسلامى والجامعة الاسلاميه ، وجامعة الأزهر بإرسال مبعوثين الى بعض هذه المدارس الشهيرة ، ولكن عدم استقرار هؤلاء ونقلهم من مدرسة الى أخرى ، والتشدد فى طلب مواد معينه للتدريس عن حسن نية وعدم التجاوب من المدارس فى ذلك أجل موضوع التطوير الى أمم غير معين .

(١) انظر هندوستان مسين مسلمانون كا ... ج ١٨٣/١

(٢) انظر جائزة مدارس عربيه ص ٦٠٦ .

٧ - ليس للمدارس العربية راية تنضم تحت لوائها جميعا ، ولا منهج موحد يشترك فى تدريسه جميع هذه المدارس ، غير أن المهتمين بها شعروا بهذه الحاجة الاسلامية فوضعوا المبادئ الأولية لجمعها على منصة واحدة فى باكستان عام ١٩٥٨م فخرج الى حيز الوجود "وفى اق المدارس العربية " ولكن السرياح جرت بما لا تشبهى السفن فلم ينضم الى هذا الوفاق الا ١٢١ مدرسة من بين ٩٩٨ مدرسة وذلك فى توحيد دورة الحديث دون غيرها من مواد المنهج (١) وانتج هذا التشتت فقدان المكانة الاجتماعية لمخرجى الدرس النظامى ففقدت شهاداتهم مكانتها العلمية مقابل الشهادات الرسمية ولكن الأمل معقود على الوفاق حتى يحقق أغراضه .

٨ - اتبعت الدول الثلاث المستقلة السياسة الانجليزية تجاه هذه المدارس فخالست بين متخرجيها وبين وظائف الدولة الاصلاحية ومنح المكان اللائق لأمثال هؤلاء مما جعل الأمة تتخلف من ارسال أبنائها الى المدارس العربية فخلت صفوفها من الطلاب الأذكياء ، ولم يطورق بابها الا اب اعجزه مؤنسية ، وغنى أصيب ابنه بتخلف عقلى أو بعباهة خلقية فتنمعه من السورسج مدارس الدولة . ومن هنا يملك ادراك الثمرة التى تجنيها الأمة المسلمة من المدرجات النظامية ، فلا يستطيع حامل الدرجة العلمية النظامية تمثيل الاسلام تمثيلا صحيحا ، وليس فى وسعه ان يطبق أصول الاسلام الخالدة على مشكلات الحياة المعاصرة أو يحل معضلة من معضلاتها الاجتماعية .

٩ - وان انتقلت الى القاعات العصرية ترى أن المادة العلمية المدروسة بنيت لتصل بالمتعلم الى نكران الدين ونبذ كل ما ورثه من الآباء والاجداد ويسلط هنتر الضوء الكشاف على ذلك فيقول : " الواقع الملموس أن طريقة تعليمنا ، ايقظت الهندوس الفاضلين منذ دهور وأثارت فيهم شعور القومية الحاد ؟ غير أنها مخالفة لتقاليد المسلمين وغير آبهة بضروريات الحياة الاسلامية . بل إنها تهين دينهم وتحتقر معتقداته " (٢)

(١) انظر نعيم آسى مولانا مفتى محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حياته وخدماته)

ص ٥٥٣ وجائزة مدارس عربية لعام ١٩٧٢م ص ٦٠٤

(٢) همارس هندوستانى مسلمان ص ٢٥٦ .

ويشير المستر بي لى سكرتير الحكومة الهندية الى السبب الرئيسى لاعتزال المسلمين التعليم الحديث آنذاك فيقول : " لا عجب اذا اعتزل المسلمون مدارسنا وطريقة تعليمنا مهما تكن حسنة لأنها لا تراعى مزاياهم العلمية ولا تقف عند عدم تلبية ضروريات حياتهم الدينية فحسب بل تعارضها معارضة الخصم للخصم وتخالف تقاليد المسلمين العريقة " (١) ويقول المستر جمنز أحد المسؤولين عن محاكمة المجاهدين من اتباع السيد أحمد " أرى شدة تأثير الاصول الوهابية على المزارعين نتيجة حتمية لعدم اعتناء مدارسنا بتعاليم الاسلام " (٢)

وجاءت الثمار حسب القوانين الكونية الالهية بمد تعلم المسلمين العلوم الحديثة على علاقتها - وانك لا تجنى من الشوك العنب - فخرجت العديد من لادارات تحمل الاسماء المغربة كادارة "مطالعة القرآن" لتكذيب القرآن فقدمت بحوثها فى "هو" ما نشئت عليه أيام التعليم فزعت ادارة يشاور مثلاً أن قوله عز وجل : " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم " غير صحيح بالسنة للبشر من نواح مختلفة فلا يصح وصف البيضة بالبيت فضلاً عن الانسان الكائن الحى بل وصول الحياة الى الارض لم يكن للقدرة الالهية دخل فيه وانما هو انتقال وتطور طبيعى من نقطة الى أخرى وممن موضع الى آخر " (٣)

١٠ - اخرج التعليم الحديث طبقة مثقفة أطلق عليهم الغربيون اسم " بانبو " امتازت بالاھانة والاختصار لبنى جلدتهم ، و"بروكش" هؤلاء منذ نموة أغفارهم على هذا التعامل فى المعاهد العلمية وميادين المعرفة وانك لتسمع كلمات السب والشتم ، وما نهى عنه الشرع من البذاءة يتعامل به دون وجل أو استحياء ، بل يتقبل السامع تلك الكلمات وكأنها لا تعنى سوى المداجة والتخاطب . وكلما ارتقى الطالب فى المراحل الدراسية خلا تعامله من الادب والاخلاق وتبلغ الوقاحة حدھا الاقصى فى مدرجات الكليات والجامعات المعصرية ، وكم من رزين ترك الدراسة لعدم تحمله تلك الأوصاف الجارحة (٤)

وتلك نتيجة منطقية اذ كان الانجليز يعاملون الهنود المثقفين بثقافتهم بمثل هذا الأزدراء ،

(١) همار هند ستانى مسلمان ص ٢٢٠ .

(٢) " " " ٢١٩ .

(٣) مجلة صدق جديد عدد ٣١ جولائى ١٩٥٩ .

(٤) انظر تمدن هند ص ٥١٢ .

فتسلسل ذلك فيمن تلقى عنهم ونهج على منوالهم ، فهذا غوستاف لوبون الفرنسي الذى يعترف له العالم الاسلامى بابحاثه ، والذى يحمل أرقى درجة علمية أوربية ، يسجل على نفسه تعامله مع مثقف هندى ركب عربة القطار المخصصة للبيض فيقول : " ركب معى فى عربة القطار هندى مثقف ٥٥٠ فاسند رجليه الى ظهر المقعد ثم أشعل السيفار وهو أفضى ما يتناهى الهندى فما أن وصلنا الى أقرب محطة حتى صعد انجليزى الى حجرى فتكش الهندوسى وأمسك به الانجليزى من أذنه وطرده من مركبتنا قائلا له أخرج " (١)

١١ - يقضى طالب العلم غير الشرعية قرابة أربعة عشر عاما يدرس قوانين الكون على أساس أنها وجدت من غير موجد وتسير من غير مسير وعلى هذا الأساس الالحادى يجرى تجاربه الجديدة ويضى فى أبحاثه واستنتاجاته على هذا الدرب . لا يلتفت الى الهوية الثقافية التى أخذت تتسع لتحجزه عن المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويصور انولد توينبى هذا التعارض البين الذى يحدثه التعليم فى المتدين فيقول : " وما كانت الهوية الثقافية بين المجتمع الهندى والغرب الحديث مجرد تباين بينهما ، بل كانت تناقضا صارخا ، وتفسير ذلك أن الغرب الحديث قد لفق صيغة علمانية لتراء استبعد منها الدين فى حين ما أنكفك الدين يسيطر على المجتمع الهندى حتى أعماقه المسى درجة تعرضه لتهمة التزمت الدينى " (٢)

ويتنفس كارسان دتاسى الصعداء ويفرج عمن نفسه الهموم المتراكمة ازا ما يشاهد من خنق المسيحية فى بلاده فيرجو لها الازدهار بسبب التعليم فى الهند فيقول : " ان ما يقال فى أوربا من علم اللاهوت هو أكثر شبها بالعلم اللادينى ، لكن الذى يبعث على السرور أن أهل الهند لا يعلمون عن أوربا وعلومها اللادينية شيئا وأن هذا المد الثقافى سيزيل غشا الكرب المفروض على المسيحية فى فرنسا وفى الغرب الذى أخذ ينتقص تعاليمها الدينية يوما بعد آخر " . (٣)

١٢ - أنشأ الانجليز المراقيل لقتل الذكاء والقوى المبتكرة من الاساتذ والموظفين فوضعوا المواثق فى باب البحث والتأليف أو التحقيق والتصنيف ، منها أنه يجب على من وجد من نفسه

(١) حضارات الهند ص ٦٩٦
(٢) مختصر دراسة التاريخ ج ٣٠٠/٣
(٣) مقالات كارسان ج ١٥٤/١

القدرة على هذا النوع من العمل أن يأخذ ادنا مسبقا من الجهة التى يرتبط بها وظيفيا ومن وزارة تلك الجهة ، يتعهد فيه بأن التأليف لن يعيق عمله الوظيفى فى جزء من جزئياته ، وما زال هذا الشبح جاثما على صدور المؤلفين حتى اليوم يمنعهم من الاقدام على ما يرغبون الكتابة فيه (١)

١٣ - ومن الأمور المشاهدة المدركة أن نظام التعليم الحديث يمنح متعلميه معلومات مفيدة قد تنفى بحاجتهم فى العاجلة ، وتسد ضروريات حياتهم الفردية والاجتماعية ولو الى حين ، بيد أنه لا يعطى لطلابه الذاتية ولا الاستقلال النفسى ، وانما يطبعهم بطابع التقليد والتبعية فيقف بهم فى صفوف المقتدين لا ^{القادة} المدبرين ولا الرواد المكتشفين وذلك يضمن هذا النظام الواضعيه الصدارة والتقدم من ناحية والتبعية وضحالة مناهج التفكير لمتعلميه ومن يسير على درهم من ناحية أخرى .

١٤ - ومن السمات البارزة للمرافد المعصرى أن أغلب كلياته تخلو من المكتبات والمصادر التى يحتاج اليها الطالب والمدرس على السواء - فيكتفى المشتغلون بالكتاب المقرر ويستغنون عن كل ما سواه ، وتلك مأساة فى هذا المنهج من التعليم ورثها من التخطيط السابق بحجة تخفيف العبء المالى عنه على حد قول الانجليز - وأدى ذلك الى الجهل وعدم معرفة ما يستجد وما يطرأ من التغير على العلوم بعد تصنيف الكتاب المقرر ، كما أدى ذلك الى تعود الناس الكسل وطلب الراحة فى ميدان السباق .

١٥ - وداهية الداهى أن المعلمين تعروا عن أكثر ما يقومون بتدريسه فتأقش قولهم عليهم مناقضة صارخة فدرس المواد الدينية " اسلاميات " يشرح وجوب الصلاة ولا يصلح ويمن أحكام الزكاة ولا يركى (٢) ويحث على الحضور المبكر ولا يلتزم به وكأنه يسلكه هذا المتخاذل يشجع المعلمين على التمرد وعدم أداء الواجبات مع معرفتهم بوجوبها ومعنى آخر يعرّضهم على النفاق المصلحى ويسر لهم سهل الفرار من المسئولية ، فهل يعقل بعدئذ تخرج من يتمثل بأداء الواجبات ويتحمل عبء المسلمين على هذه الأيدي ؟ .

(١) انظر البروفيسور محمد عثمان اسلام باكستان بين " الاسلام فى باكستان " ص ١١٥ .
(٢) والأمر من ذلك أن بعض الكليات يتولى تدريس المواد الدينية فيها من يدين بغير الاسلام .

لذلك اعترف بفضل التربية والتعليم المحليين على التربية الغربية أمثال البحاث غوستاف ليمون حين قارن بين خريج الكلية وخريج المدرسة النظامية بعد أن رأى نماذج من المتخرجين على النظاميين . (١)

بعض مميزات التعليم الاسلامي :

تلك أبرز اسقام المنهجين المعلمين للذين ينخران الأمة المسلمة فى شبه القارة بل فى جميع العالم الاسلامى وبضنيانها يوما بعد آخر ويحيلان أمة القيادة من ضعف الى ضعف ، والتساؤل الاساسى الذى يفرض نفسه هو ما المخرج من هذه الورطة وما المنهج الذى يعيد الى الأمتكانها القيادى وما المظهر الذى يزيل ما لصق بتعليم المسلمين من أحوال ؟

والحقيقة المرة أن نظام التعليم الاسلامى بمفهومه الشامل لا وجود له على خارطة العالم كله ، والأنظمة الموجودة تقصر عما يريد الاسلام من التعليم ، وهذا لا يعنى بطبيعة الحال أن مراد الاسلام خيالى ليس فى الامكان تحقيقه وتجسيده بل أصول الاسلام فى التعليم واضحة يلمسها كل من أراد القيام بهذه المهمة غير أن العملية صعبة وطويلة وقد لا تتحقق فى زمن وجيز محدود ، ولكن الأمل معقود على الجهود الخيرة والقلوب التى يسؤرها تأخر المسلمين واليك أهم النقاط التى سجلها رواد هذا الميدان .

١ - الأساس الأول الذى يجب أن يميز هذا النظام من غيره ويفصله عن نظم الارض جمعاء هو هدفه فى التعليمى فما من نظام من الأنظمة الا وهو يخدم غرضا محدداً ، ويهدف الى تخريج أفراد يتصفون بأوصاف معينة . فالنظام الشيوعى مثلاً يخدم الماركسية ويصب من يتلقى على منهاجه فى قالب يجعله يتوارث الأفكار مع التعليم ليرودى عمل جسر العبور حين يخرج الى المجتمع ويقوم بخدمته وهكذا بقية الأنظمة ، وأما ما يزعم من أن التعليم يجب أن يكون مجرداً من كل هدف يقدم الى الباحث المعلومات فحسب . ويترك له الخيار فى التعمين والأخذ بما يتناسب معه فذلك خرافة يمكن تصورها فى عالم الخيال لا للوجود ، وفى عالم الآلة لا الانسان الذى يملك الارادة والعقل .

اذن هدف التعليم الاسلامى هو الحفاظ على ما جاء من عند الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من الرصيد الموروث عقيدة وتشريعاً اذ لم يترك الاسلام الانسان هملاً يرتج حيث يشاء ويرتوى أنى

(١) انظر حضارات الهند ص ٦٩٦ و ص ٦٩٢

يريد ، بل وضع له هدفاً لحياته وأساساً يتحقق بها ذلك الهدف ، فالإنسان مخلوق محتاج إلى الهداية الربانية في جميع شؤونها في نظر الإسلام ، انتدب ليكون خليفة الله في الأرض يستعمرها لصالحه في ضوء الوحي والأوامر الإلهية .

وهذا التحديد لمفهوم التعليم وغايته يتضح هدف الإنسان من تلقى العلوم ، والغرض الذي يسعى من أجله في اكتسابها ، فالدارس بعد هذا التحديد لا يعدو كونه أميناً لما ورثه من علم الوحي ، يبذل الجهد في حفظ الماضي ، وتغذيته بالجديد في كل حين وأن ، ضماناً لاستمراره وتحديثه في ضوء الأسس الشرعية السابقة^(١) وكأننى بمثل هذا المتعلم قد أصبح همزة وصل بين الماضي واللاحق ، يخدم الكيمياء والفيزياء والاحياء ... بتصحيح مسارها مثل خدمته الكتاب والسنة والفقه واللغة . لذلك نرى المهتمين بالتعليم الإسلامى يوصون " بأن التعليم لا يعنى دراسة بضعة كتب في الرياضيات والكيمياء ... " وأن هذا القدر من التعليم غير كاف للمتعلمين ، بل يجب أن نحول أفكارهم ، واتجاهاتهم إلى الصراط المستقيم " (٢)

وحدد نخبة من العلماء والمفكرين هدف التعليم فقالوا : " إن الوقت قد حان لتغيير اتجاه التعليم والاعلان للبناء أن هدف التعليم لا ينحصر في الراتب والمعاش ، وإنما التعليم وسيلة لتكامل الذات ، وحصول المعارف وازدكاز الذهن وانباء الكفاءات البشرية ، وأن يتهيأ كل فرد لتقديم هذه الخدمة لجميع أفراد العالم " (٣)

ب - يتفق من عالج مشاكل التعليم أن الازدواجية وتقسيم المعارف إلى دينية ودنيوية أمراً لا تغضره الشريعة السمحاء ، وأن العلوم كلها من تفسير وحديث ... والهندسة والاقتصاد والتاريخ ... علوم دينية ، لأن الإسلام دين شامل لجميع أمور الحياة ، يستوى فيه أمور العبادات والمعاملات فمن الخطأ اليوم استمرار التقسيم بين أعضاء الجسد الواحد .

ولكنهم يرون الحل الأمثل لذلك : " أن تقيم كل مدرسة دينية مدرسة مستقلة لكل من مراحلها

(١) انظر البروفيسور خورشيد أحمد نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الإسلامى) ص ٣٥ .

(٢) افتتاحية مجلة أورنتيل كالج ميكرين (مجلة الكلية الشرقية) ج ٣٣/١ .

(٣) نخبة من علماء الشريعة والمفكرين المحدثين " تعليمى تجاوبز بر تبصرة " التعليق على المقترحات التعليمية ص ٤ .

الابتدائية والمتوسطة ، تقوم بتدريس مناهج الدولة ، ويترك لها الخيار فى أن تضيف على المنهج ما تراه مناسباً لسياستها التعليمية ، شريطة ألا تقبل فى المراحل الدينية العليا " الدرس النظامى " إلا من تخرج فى هذه المدارس " (١) وكأنى بهم قد ضحوا بما بقى فى مدارسهم من علوم الشرع ، ولم يدروا أن هذا التحديث لن ينتج إلا ما أنتجته مدارس الدولة .

ج - أول مشكلة عملية ستواجهنا لإقامة هذا النظام ، هى مشكلة الكتاب الإسلامى ، ولن أكون مبالغاً إذا صرحت بعدم وجود مثل هذا الكتاب لفك عقال الطفل المسلم فى صفه الأول ، ولكن ذلك لا يمنعنا من البحث عن ابتكار مثل هذا الكتاب ، طريقنا فى ذلك طريق من يتهياً لبناء عمارة سكنية فى موضع تضم جنباته المواد الأولية لمثل هذا البناء ، فيبدأ بضرب اللبن وإنشاء مصنع فخارى لتحجيرها ٥٠٠٠ ، ولنشمر عن ساق الجد لجميع الشتات ولم الأفراد المبعثرين الذين سلموا من التغريب مع دراستهم فى كلياته ، وظلوا على إيمانهم مع الحاد منهجه .

وتلى مرحلة الجمع مرحلة الإرشاد وتوجيه هذه العناصر الخيرة توجيهها إسلامياً ، وبذلك يهضم الجهود التربوية الحكيمة كقيلة بأن تغير اتجاه المعلومات التى غذى بها هؤلاء أشياء الدراسة ، ولن يستغرق تهيتهم وقتاً طويلاً ، لأصالة معدنهم وسلامة ^{نظ}حكرهم ، ومتى بلغوا مستوى يمكن فيه الركون اليهم فى فهم الأسس الشرعية حولوا الى ابتكار المنهج وصياغته من نقطة البداية وستكون العلوم بصيغتها الجديدة مرشدة الى حقائق الكون ، ومعلنة ~~مستهدفة~~ ^{مستهدفة} لله .

وللوصول الى الصدارة فى هذا المضمار سيقوم الواقفون برهم باختراق حاجز اللغة ، فيترجمون ما وصلت اليه هذه العلوم بعد صبها فى قالب إسلامى ، ومعنى آخر ستبقى النتائج ثابتة على حالها كما أثبتتها العلوم ، اذ الحقائق وقوانين المادة لا تختلف من ^{أمة} الى أخرى ، غير أن التغيير سيلحق طريقة عرضها على المعلمين وعلى النظريات التى استنبطها الغربيون من تلك النتائج ، وهذا ان الأمان يقبلان التغيير فيتحتم على كل أمة تنوى النهوض بأفرادها تلبية هذه الاحتياجات ، فمما ظنك بامة كلفت بقيادة البشرية بما يصلحها ويوصلها الى الفلاح .

ولتطبيق ما قلته أقدم مثالا واقعياً لما أثبتته العلم بتجاربه العديدة ، حتى توصل الى أن

(١) تعليمى تجاوير تبصرة ص ١٣ وقد وقع على هذه المقترحات عشرون مدرسة من كبريات المدارس العربية تحت قيادة المدرسة العربية نيوتاؤن كراتشى .

جميع الأشياء التى تتأثر بالبرودة تنكمش اذا تعرضت للبرد ، ما عدا الماء فتمتد قارب درجة الجمود انتشر وخف وزنه ، ومن هنا يطفو الثلج عن سطح الماء فى الأحواض والآبار والأنهر والبحار ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل فيعرضها غير المسلم فيسند الى الماء هذه الخاصية وانها طبيعة فيسه ، ويتصدى لبيانها مسلم فينظر اليها بمنظار آخر ، فيبرر أن خلق الله لهذه الخاصية فى الماء هى التى مكنت الأحياء المائية ان تظل حية بقدرة الله ومشيئته ، حين يتجمد الماء فى الشتاء ، فلولم يكن الأمر على هذا النحو لنزل الماء الى القاع حين تجمده ولا استحال على تلك الكائنات بقاءها حية تحت تلك الصخور الجليدية .

فالطريقتان تباينتا فى عرض المعلومات ، ورتبتا آثارا مختلفة فى عقل المتعلم ، ففى العرض الأول لم يذكر اسم الخالق ، ولا الصانع المدبر ، وانما الطبيعة هى المتصرف فى هذا الكون بقوانينها المحكمة التى لا تقبل التغيير ، بل يشير من طرف آخر بعدم وجود رب يسيّر الكون حسب قدرته وارادته ، بينما العرض الآخر يحلل تلك الحقيقة ويربطها بخالق يحيط علمه بجميع مخلوقاته ، ما نراها وما لا نراها ، وما طفا على سطح الماء وما استترحتة ، وكذلك يثير تساؤلات فى الأفئدة غير المعترفة بالخالق ويجعلها تعيد النظر فى مسلكها المنحرف ، كما يزيد المؤمنين ايمانا حين يرون آثار قدرة الخالق فى كل شيء .

وما لا مشاحة فيه أن مثل هذه الصياغة ستستغرق وقتا قد يصل الى الجيلين أو الثلاثة ، لأن أم الالحاد قد سبقتنا فى هذا المضمار التجريسي قرابة ثلاثة قرون ، وليس من السهل للحوق بتلك الأم الا بعد هضم ما سبقونا فيه ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ان لم يظهر تفوق المسلمين فى العلوم العقلية اليونانية ابان عهد هارون الرشيد ومن جاء بعده من الخلفاء الا بعد أن ترجموها الى لغتهم ، ونخلوها علما ، فأتقنوا مقدماتها ومن ثم توصلوا الى اثبات أحقية الاسلام بموجب تلك العلوم — التى كان يستخدمها أعداء الاسلام — ولن يختلف المسلك الذى يجب السير عليه الآن عما سرنا عليه آنذاك ، فتمتلكنا من ارتشاف العلوم الحديثة ، وتمت لنا السيطرة على تقديمها فى ثوب اسلامي سهل علينا اقامة المستحبات الجديدة واجراء التجارب غير المسبوقة وأخذ النتائج بما يخدم منهج الاسلام ، فتعود البشرية لترتبط بخالقها من جديد .

د - سيقى الكتاب الاسلامى متحدا مشتركا حتى الصف التاسع أو العاشر ، بين من يريد التخصص فى علوم التفسير والحديث ٠٠٠ أو الهندسة والطب ٠٠٠ ، وذلك تسير العلوم كلها متكاتفه لا ينقض بعضها أصول بعض ، ولا تختلف فى الهدف والغاية ، فترى علوم الطب موافقة لعلوم المفسر وأبحاث الأول تؤيد تفسير الأخير ، وشرح الأخير أساس لأبحاث الأول ، وهكذا تسند العلوم بعضها بعضا ، لا ينفرد متعلم عن الآخر الا فى التخصص الدقيق ، ليحل الوثام جميع ميادين العلم والمعرفة . (١)

هـ - ومن الأمور المسلمة فى هذا النظام التعليمى أن لغة تعليمه هى اللغة العربية ، وتترجم المواد اليها بدقة وأمانة ، وتأخذ الانجليزية حيزا معيناً كلفة تدعو الحاجة اليها للاطلاع على ما يكتب فيها من العلوم ، لكنه لا يعقل أن تنفرد بلغة التعليم ، وتستولى على القاعات باسم العلوم ، فلو انحصرت التقدم واكتساب العلوم الحديثة فى تعلم الانجليزية لما تقدم الاتحاد السوفيتى أو اليابان أو الصين ٠٠٠ ، ولما زاحمتها اللغات الغربية الأخرى ، كالفرنسية والالمانية ٠٠٠ ، والحقيقة أنا لو تصفحنا تاريخ العالم لما وجدنا أمة على وجه الأرض سلكت بأبنائها درب التقدم ونمت مستقبلها على لغة مستعارة ، ليس لها رصيد شعبى ولا تتمتع بجذور تاريخية فى تلك الأمة .

و - ومن المؤسف أن العلوم الحديثة تدرس فى العالم الاسلامى كعلوم نظرية ، ما عدا الطب - الذى هو على مطبوعة الحال - وبصم لمؤرخين فى احدى تلك التخصصات لا يعرف سوى النظريات التى حفظها فى الصفوف الدراسية ، ومن هنا كان المساعد الفنى للمهندس مثلاً أكثر خبره من حامل الدرجة العلمية ، وقلماً انتهت جامعاتنا لهذا الثلم الذى يعمثر كل الطاقات العقلية ، وقد عوض الغرب هذا النقص بالتطبيق فخصصوا حصصاً عملية فى المنهج حيناً ، ويمارس الطالب العمل فى ميادينه خارج دوام الجامعة أحياناً أخرى ، فيجب على النظام المنشود أن يأخذ بعين الاعتبار كلا من النظريات وتطبيقها على الواقع المطلوب ، فلا يفاجأ خريج بالتطبيق العملى حين يتحمل مسئولية خدمة المجتمع ، ولا يشعر باستحياء وخجل حين تقتضى الحاجة انجاز عمل بيده .

(١) ويرى الدكتور بركات دويدار (تخصصات المرحلة الابتدائية) من التعليم .

ز - أثبت التجارب أن الناس يؤدون واجباتهم على الوجه المطلوب حين تضمن لهم متطلبات الحياة ، ويسعون جادين بآداء أكثر مما يطلب منهم متى وجدوا حوافز مشجعة ، فليتخذ نظامنا التعليمي كل سبل التشجيع المادية والمعنوية لاستنهاض الهمم ، وضع جيل من الرواد ، من ذلك مثلا تأمين العيش بجميع متطلباته للعلماء الذين يقفون حياتهم للبحث والتنقيب ، وتقديم منح مالية أو عينية اليهم بين الحين والآخر ليثغروا للعلم لا تشغلهم أمور المعيشة بشئ ، وكان سلفنا رحمهم الله من الخلفاء والملوك يتسابقون الى مثل ذلك باعطاء عالم خراج منطقة معينة ، أو تخصيص مبلغ سنوي من بيت مال المسلمين ، ويختلف التشجيع من شخص لآخر ومن جهة الى أخرى ومن انجاز الى انجاز ، ومراعاة ذلك كقيل بصنع جيل من الرواد يخلف جيلا في حين أنهم لو انشغلوا بمسائل المعاش فلن يركزوا على مسائل العلم التركيز المطلوب ، وصدق أحد العلماء حين قال : " لو فكرت في بصلة ما استطعت حل مسألة " . وذلك تعود ازمة التقدم والتطور العلميين الى أمة التوحيد .

ح - أهم ما يميز نظامنا التعليمي عن غيره من الأنظمة هو دقة نظره عند تعيين مدرسا ، وأخسده بعين الاعتبار صلة المدرس بدينه ، فينظر الى خلقه ومؤله العلمي بمنظار الالتزام بالاسلام ، ولا تخفى أهمية هذه الحقيقة على من يملك أدنى نظر في ميدان التربية ، إذ الطالب يأخذ من الاستاذ أكثر من الكتاب ، وفاسد الاخلاق وسوء المعتقد لن يستطيع تربية الجيل على النهج الذي يريده هذا النظام ، والواقع أن نظامنا هذا هو تعليم وتربية معا ، ولا يقل اهتمامه باحدهما عن اهتمامه بالآخر ، فاذا كانت ضحالة المادة العلمية تؤدي الى ضعف الانتاج فإن تعرى المدرس من تطبيق مبادئ الاسلام ينزع الثقة عنها ، ويحيلها الى مبادئ نظرية غير صالحة للتطبيق العملي في العصر الحديث .

ط - ولتشجيع هذا النظام يجب الحد من مدارس التصوير ، فلا يباح مثلا للطالب المسلم التسجيل فيها ، بل تختص بالطلبة غير المسلمين ، كما لا يصح التساهل معها فيما تمارسه من مخالفات للدين ومثله واخلاقياته ، تجنبنا للعدوى وتنشئة للمجتمع على أسس متينة خالية من التعارض ، فتخدم كل جهة هدف النظام وتسعى الى تحقيق غاياته . (١)

(١) انظر للتفصيل في كيفية الحد مولانا محمد تقى المشائى عصر حاضر من اسلام كيمع نافذ هو " كيفية تنفيذ الاسلام فى الآونة المعاصرة " ص ٢٩١ وما بعدها .

ى - سبق الشيخ المودودى غيره من المفكرين فى تهئية الأسس التى يجب أن يركز عليها التعليم الاسلامى فى مراحل المختلفة ، فقدم جدولا يبين فيه المواد التى يجب التركيز عليها فى كل مراحل التعليم (١) الابتدائية ، والثانوية ، والجامعية ، والدراسات التخصصية . فالجدول عمل مبدئى يمكن قبوله كنقطة بدء وانطلاق ، تهذيبه التجارب اضافة وحذفاً .

وأخر مابقى من مباحث التعليم هو تعليم الفتاة المسلمة ، وهل تنهج نهج الفتى وتترجل معه فى ساحات التعلم ؟ أو أن لها وضعاً معيناً وهدفاً منشوداً من حياتها التعليمية ، وهل الوضع الذى هى فيه يلائم فطرتها ؟ أو ان التفرغ سلبها راحة الحياة ومنعها من الالتزامات الشرعية التى راعت طبيعتها فميزتها عن الرجل فى العديد من مناحى الحياة ، وكلفتها بما يتفق مع جبلتها كانشى ، سواء كانت محاضرة أو معلمة أو عاملة فى المكتب أو زوجة تدير شؤون البيت ... كل ذلك موضوع الحديث فى الفصل الثانى .

*

*

*

(١) انظر الجدول فى تعليمات ١٤٦-١٦٢ و ج ١٩٢-٢٠٩

الفصل الثالث

((أثر الفكر الغربي في مجال القضايا الاجتماعية))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية

التالية

- ١ - تعليم المرأة .
- ٢ - الحجاب .
- ٣ - عمل المرأة .
- ٤ - زواج المرأة (جهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ، زواج من هو دون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد الزوجات ، الطلاق ، تحديد النسل .
- ٥ - القوامة .
- ٦ - دينه المرأة .
- ٧ - ارث المرأة .
- ٨ - سفر المرأة بدون محرم .
- ٩ - شرب المسكرات .
- ١٠ - الاقتصاد ووسائل الاعلام .

الفصل الثالث

الأسرة وحدة اجتماعية مصغرة ، صلاح البشرية مرتبط بصلاحها ، والنظام الذى يستطيع تقويمها يمكنه تقويم الانسانية جمعاء ، فاذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ، واذا فسدت فسدت المجتمع ، وما من نظام الا وقد حاول تعيين حدود ووضع قيود على هذه الوحدة حتى يستطيع تربية الأمة على نهج معين .

والعبء الأكبر من اصلاح الأسرة يقع على المرأة فهى المدرسة الأولى ، والمرسى الأول ، فهى الأم والزوجة والبنت والأخت ، يبدأ تعهدها بالنشء منذ لحظة تكوين الجنين ، ويستمر الى زمن المراهقة وما بعد المراهقة .

ومن رحمة الله بالبشرية أن أرسل اليها خاتم النبيين ، وأنزل عليه أحكم النظم وأعدل الشرائع وما يقوم حياة الأسرة والمجتمع ، وكلف الرجال بأمور ورضى للنساء بأمور وساوى بينهما فى أمور أخرى .

فالرجل المسلم ملزم بالانفاق على الأسرة سواء كان زوجا أو أباً أو ابناً أو أخاً ،
يسمى فى الأرض لا عاشتهم ، والمرأة المسلمة سواء كانت زوجة أو أما أو بنتاً أو أختاً رضى لها خالقها المكث فى البيت ، والقرار داخل دولتها المحصنة ، لا تخرج من مستقرها الا لحاجة (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . . .) (١)

ومن حق المرأة المسلمة التعليم وتلقى المعرفة مما يتلائم مع فطرتها ، ويقوى ما جبلها عليه خالقها عز وجل ، وتنشأ لتكون زوجة صالحة وأما يناط بها تربية الأولاد ، والسهر على ما يطبعه بطابع الاسلام ، وإن احتاجت الى الخروج من الدار للحاجة التزمت آداب الاسلام من الحشمة والوقار والاستحياء والتحجب : " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما " (٢)

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٩ .

" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن . . . " (١)

ولاستقرار البيت عند بناء أسرة اسلامية جديدة شرع الاسلام للمقبلين على النكاح النظر ببعضهما الى بعض ، من الخاطب الى مخطوبته ومن المخطوبة الى من خطبها ، ولا يتم النكاح الا برضا الطرفين ، وقواعد الاسلام وأنظمتها في باب النكاح تكفل للمسلمين الاستقرار في الحياة الأسرية ، فما أعطاء المهر ومنع زواج المسلمة بغير المسلم والمسلم بالوثنية الا عند ذلك الاستقرار .

والزوجة المسلمة هي التي إن نظر اليها زوجها سرته وإن غاب عنها حفظته ، لا تدخل في بيته الا من أباح الله دخوله ، ولا تنفق من ماله الا ما أذن الله في الانفاق فيه ، تراقب الله في كل تصرفاتها ، تمثل أوامره وتقف عند نواهيه .

ومناط صلاح الأسرة ينبنى على تفويض قيادة البيت الى الرجل ، لأنه أعرف بمصلحة الأسرة داخل البيت وخارجه . (الرجال قوامون على النساء) (٢) ويقابل الرجل هذه المسؤولية بالمشورة وتداول الآراء بين أفراد الأسرة ، لا يستبد برأى دون أن يشرك أفراد أسرته فيه .

وسيلغ اعتناء الاسلام بهدوء البيت واستقراره أسمى مراتبه حين يفرض طاعة الوالدين ، والخضوع لهما فيما عدا الاشراك بالله (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفًا . . .) (٣)

وما أن صلاح الأسرة صلاح المجتمع وفسادها يؤدي الى فساد ، سعى أعداء الاسلام الى هدم الأسرة الاسلامية ، وركزوا هدمهم على هدم المرأة المسلمة ، واليك أهم القضايا الاجتماعية التي نفذ منها الفكر الغربي الى المجتمع المسلم على العموم .

(١) سورة النور آية ٣٠ - ٣٦ . (٢) النساء آية ٣٤ (٣) لقمان آية : ١٥ .

تعليم المرأة :

من طبيعة المغلوب اتباع تقاليد الغالب ، لظنه أنها سر القوة والغلبة ، وهذا ما حدث في العالم الاسلامي حين استعمره وتغلب عليه الغرب ، فانقلبت معايير الحياة الاجتماعية ، ودفع بالمرأة المسلمة في هذا الخضم دفعا من غير روى أو ادراك ، فبرز الى حيز الوجود ما يسمى "بقضية المرأة الشرقية" كالمرأة الغربية " فعقدت المؤتمرات وتكونت المنظمات ، وتشجع آخرون بالدفاع عنها في الصحافة والمنتديات ، فأثاروا الضجة تلو الضجة لحقوقها الانسانية ، ظانين أن الاسلام أجحف بها كاجحاف الكنييسة .

من البديهيات المسلمة أن المرأة في الاسلام انسان ، تحمل روحا انسانية من النوع الذي يحمله الرجل : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " (١) اتفاق كل في الخلق والانشاء وفي الحقوق الانسانية فلها حرمة العرض والمال والدم ، فلا تمس كرامتها ولا يتجسس عليها ، ولها الأرث والزواج والعمل ... ، وعليها اداء الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ، وتعاقب كالرجل اذا ارتكبت ما يوجب العقوبة " وكسبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجرح قصاص " (٢)

وأثبتت الكيان البشري في المعمورة متاح للجنسين ، فالمرأة مثل الرجل في الأهلية للملك ، والتصرف في المملوك بجميع الأنواع من بيع وشراء وزراعة واجارة ورهن ووقف " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " (٣) كما تساوت مع الرجل في الجزاء الأخرى فالجنة ان أحسنت ، واطاعت وأمر خالقها عز وجل ، والنار اذا لم تمتثل بما طلب منها : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " (٤)

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٥ .

(٣) النساء آية رقم : ٣٢ .

(٤) النساء آية : ١٢٤ .

ولم يكف الاسلام بهذا القدر من الاتحاد والتساوى وان خالف بينهما فى بعض التكاليف بل طلب منهما التعلم معا . حين كانت البشرية غارقة فى الجهل والظلام ، فقرر أن المعلم ضرورة لجميع أفراد البشر ، وفريضة توصل الى الايمان بخالق الأرض والسماء : " اقرأ باسم ربك الذى خلق " (١) وجاءت السنة النبوية تجسد أمر القرآن ، وتحض على طلب العلم دون تمييز بين الذكر والانثى " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢) فقله صلى الله عليه وسلم " كل مسلم " يدل على العموم يشمل كل من أسلم سواء كان ذكراً أو أنثى ، وبدأ معلم الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم بتنفيذ ذلك فى بيته ، فقد تعلمت حفصة بنت عمر رضى الله عنها القراءة والكتابة قبل زواجها ، وطلب عليه الصلاة والسلام بعد الزواج بها من الشفاء العدوية (٣) وكانت كاتبة فى الجاهلية أن تكمل لها تعليمها (٤) ، وكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الرجال والنساء ما تعلم من أحوال النبى الخاصة والعامة .

ولا يقتصر التعليم على الحرية فى نظر الاسلام ، وانما هو نبع مشاع يشمل الأمة كشمول الحرية لذا ورد التشجيع النبوى على تعليم هذه الفئة الضعيفة من النساء " ايما رجل كانت غسدة وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم اعترفها وتزوجها كان له اجران " (٥) فعنى المسلمون بتعليم المرأة فى ضوء الاسلام وتبعاً لذلك اختلف تعليم المرأة عن الرجل فى عصور الاسلام الماضية ، فقد أراد شرع الله من تعليم المرأة تكوين الاسرة الاسلامية السليمة ، فكانت تهيأ بواسطة التعليم لتكون زوجة تقيّة ، ان نظر اليها زوجها سرته ، وان غاب عنها حفظته ، ولتكون أما متفرغة لتربية أبنائها ، وتدير شؤون بيتها ، تخفف عن الزوج عبأ ادارة المنزل ليتفرغ الأخير بدوره لصراع الحياة فى الخارج ، وتدير شؤون المعيشية .

(١) سورة العلق آية : ١ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه ج ١ / ٨١ . رقم الحديث ٢٢٤ . باب فضل

العلماء والحث على طلب العلم .

(٣) هى شفاء بنت عبد الله بن عهد شمس القرشية العدوية من المهاجرات الأول ، وكان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيم عندها فى بيتها وكانت ترقى من النمل فى

الجاهلية وأقرها الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك . انظر ترجمتها وافية

ابن حجر العسقلانى / الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ / ٣٤١ .

(٤) انظر سنن ابى داود ج ٤ / ١١ . كتاب الطب باب ما جاء فى السرقى .

(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه صحيح البخارى ج ١ / ٢٠ . كتاب النكاح باب اتخاذ السرارى .

وهكذا نقل المجاهدون لزوم تعليم الفتاة الى الهند ، فرفعوا شأنها ، حين فقدت المرأة الهندية انسانيتها ، وتحولت الى متاع من امثثة البيت ، قد يخسرها زوجها في القمار ، ويحرم عليها الزواج بعد موته وقد تضطر لحرق نفسها تقاديا من الالهات والسحريات ففى الحياة بعده (١) وكان الهنود الذين ينادون بتزويج بناتهم ثلاثة ايام ، فان لم يقبلها أحد قتلوها خلاصا من فرد غير مرغوب فيه ، وعلى العكس من ذلك فقد يكون للمرأة الهندية الواحدة عدة أزواج لجمالها أو مالها أو منصبها ، (٢)

أضف الى ذلك ان مبهجات الشهوة والمواد الجنسية لم تدخل في صميم ديانة من ديانات العالم مثل دخولها في الديانة الهندوسية ، فقد عبد اثابها آله التناسل لالههم "مهاديو" ووضعوا لها تماثلا يعبد ، أهل الهلاك رجالا ونساء ، وعكس آخرون الوضع فعبدا نساء عاريات تقربا الى الالهة ، وكان كهنة المعابد يرزقون الراهبات في اعزما عندهن حتى اصبحت المعابد مواخير ينال فيها الفاجر بغيته ويترصدها فيها الفاسق لطلته . (٣)

ولى هذا الخضم من الافراط والتفريط حمل المسلمون مشغل الايمان لانقاذ المرأة الهندية مما آل اليه أمرها من الهبوط والانحطاط ، وأعادوها الى مكانتها الفطرية ، فليست الهيا يعبد ، ولا متاع يباع ويشترى ، ولا أداة للفجور والخلاعة فى أيدي الكهان ، ولا صلاح الأوضاع فتحت أغلب أمهات الملوك وزوجات امراء المسلمين الهنود العديد من المدارس ، ومنهن من تولت تربية يتامى النساء وتعليمهن فى القصور .

وأول فساد خلقى مكشوف شهدته الهند ابان حكم المسلمين جاء على الأيدي البرتغالية حين أغاروا على "جوا" واحتلوها ، فوقعت فى أيديهم بعض نساء المهزومين ، فأجبروهن على اشباع رغبات الجنود الجنسية ، وتلك أول دعاية شهدتها أرض الهند ، وصاحب ذلك الخمر والقمار ، وقلما تنفك هذه الثلاثة بعضها عن بعض ويقترب هذا الوضع المخزى للقسيس

(١) انظر تفصيل ما تدنت اليه المرأة الهندية ، نشأة باكستان ص ١٩ ، والهند فى

العهد الاسلامي ص ٥٤ وماذا خسر العالم ص ٦٠ .

(٢) انظر الكامل ج ٢٧٢/٩ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٨٧٣/٤ .

(٣) انظر ماذا خسر العالم ص ٥٧ .

بركة الله فيقول : " عندما كانت أورها تبنى من جديد كانت جوا قد اكتسبت مكانا مرموقا في العالم لاحتضن شوارعها من العبيد والاماء والمجوهرات ، وما يتمتع به سوقها من الحرية الجنسية التامة والخمر والقمار ، وكسل هذه الأمور زينة جميع المستعمرات البرتغالية " (١)

ويبدو وللمتتبع حركة تعليم الفتاة في الهند أن المسلمين لم يمتثلوا بتعليمها القراءة والكتابة مثل اعتنائهم بالفتى . فلأنجد فصولا منفصلة تخصن فضلا عن مدرسة مستقلة ، فان كان الدرس النظامى يستحق الشكر لنشره خطوطا متشابهة لتعليم الفتيان غطت أرض الهند كلها فلا ينجو من لوم وتقصير فى عدم تثقيفه الجنس الآخر ، وكل ما نحصل عليه فى هذا الباب أن الفتاة المسلمة لقت قراءة القرآن لكسب الثواب دون أن توجه الى فهمه ، أو ادراك مراميه .

ومن هنا وجدت الثغرة وأخذ الغربيون يعمقونها حتى اتسع الخرق على الرافعة ولا سيما بعد دخول الفرنسيين الى الهند ، وجلبهم فتيات متعلقات استطعن القيام بتربية أبناء الأمراء وناتجهم على الأسس الغربية ، ووضحت الهند مفتحة الأبواب بعد استيلاء الانجليز على السلطة ، فاستغلوا نقطة ^{وتقنمها} الضعف بالتثقيف ، فأطلقوا الشعارات البراقة من تعليم الفتاة وتربيتها لصالح المجتمع وإزالة ما تراكم عليها من الجهل لارتباطها بالبيت منذ دهور . وذلك استطاعوا اقناع بعض الآباء بإرسال بناتهم الى المدارس للتثقيف والتعلم .

وما أن تعلم القراءة والكتابة كانا من نصيب البعثات التنصيرية ، والدراسات الغربية سلمت تلك الأعصاب الغضة لتتشأ على ما يريد رجال التنصير ، ويحدد كارسان دتاس على الثمرة الدانية لكلية الطب الكلكية الخاصة بالنساء فيقول : " وأهم تلك المدارس على الإطلاق هى المدرسة لطبية الكلكية التى تم انشاؤها عام ١٨٣٤م وأفخر انتاجها أن من دخلها تخلص عن التعصب المذهبي والعرقية القومية " . (٢)

ومعد حرب التحرير اهتمت الدولة بالنساء أكثر من ذى قبل ، إذ أدركت أن كسب المرأة السى جانبها هو الركيزة الأساسية لتطويل عهد الاستعمار ، والخلص من الحروب الجهادية المهددة بطرده بين الحين والآخر ، فإذا فسد البيت فسد النشء لا محالة ، ولن يسمع الفتى أو الفتاة فى ضوء التعليم الحديث قصص الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من الثواب — التى كثيرا ما سمعها من أمه أوجدته عند النوم ليلا .

لذا ركز كارسان دتاس على أحد

المهمين بالاستعمار في خطبته الحولية عام ١٨٧١م على التعليم النسوى ، وحصر النتائج ^{النهي} في قوله " ان الجديد سيملك السعة في الفكر ، وينجو من ضيق العطن ويلقى جميع التقاليد القبيحة البالية " (١)

واقضى التخطيط تحت ضغط الأسس الاسلامية الموروثة فصل الفتى عن الفتاة في ميادين التعليم ، وفى الوضع على هذا المنوال حتى مستهل القرن العشرين حيث نشاهد تقرير الدولة لعام ١٩٠١م يشكو من وضع تعلم الفتاة بقوله : " ومن العقبات الرئيسية في التعليم أن المسلمين لا يرغبون في تعليم البنات سوى القرآن ، وأن الهندوس يزوجون بناتهم في صغر سنهن ، وأكسب العقبات على الاطلاق عدم وجود المدرسات ، وخلو الهند من معهد يقوم بتخريج ما تحتاجه مدارس التعليم النسوية " . (٢)

لذا رضى المهتمون بتعليم الفتاة من رجال الدولة والتتصير لقوة التقاليد ، فأنشأوا مدارس منفصلة لكل من الذكور والاناث على حدة ، وبلغ عدد مدارس البنات التى تشرف عليها الدولة عام ١٨٦٩م ٢٤٠ مدرسة ، تقوم بتثقيف ٩٠٣٥ تلميذة من مختلف الديانات ، وما يربو على ضعف هذا العدد من المدارس ما اقتصت بفتحة البعثات الغربية لتعليم الفتاة الهندية (٣)

وأول اختلاط في التعليم وجد على أرض الهند يعود تاريخه الى عام ١٨٨٢م ، ويشير تقرير الدولة الى ذلك فيقول : " ان الفتاة والفتى الانجليزيين يواصلان مسيرة التعليم جنباً الى جنب وجوار بعضهم بعضاً ، وأن نفقات هذه المدارس بلغت ٢٣٧٠٥ ربية للعام الدراسى ٨١ - ١٩٨٢م دفع الطلاب منها ٤٦٢٣ ربية كاجور تعليمية " (٤) وذلك أول دمج معلن بين البنين والبنات نفذه الانجليز ، وتتابع الزمن كفّل لهم ما أرادوه ، فلم يغادروا الهند عام ١٩٤٧م حتى تقبل الشعب هذا الاختلاط عن طيب خاطر ، وأصبح من المألوف ان ترى الفتاة بهجسوار الفتى في المراحل الجامعية من التعليم .

(١) مقالات كارسان ج ١٣٥/١ .

(٢) مولوى مرزا مهدى كزينير ممالك محروسة ص ١٣٥ .

(٣) انظر مجلة منشور محمدى ص ٢٦٠ عدد ١٥ شعبان من عام ١٣٠٣ هـ .

(٤) ريمورت مجموعى لعام ١٨٨٢م ص ٣٠٥ .

وأخيراً تبرع بتقديم الأدلة الشرعية للتمثيل المخطط
هو عمر أحمد بن ظفر أحمد العثماني فقد صرح أن المرأة كانت تصل في المسجد أيام عهد
النبوة ، وكانت تختلط بالرجال في الحج ، كما كانت تعقد المؤتمرات المختلطة ، ونفهم من
هنا أن تعليم الفتاة بجوار الفتى يصح شرعاً ، شريطة أن تلتزم الطالبة بالستر والا تظهـر
زيئها ، وأن ترتدى الجلاب الذي يغطي جسدها ٥٠٠ ، وأن يكون للطالبات مقاعد تخصص
للطلاب مقاعد تخصص (١).

وتصرح خطة التعليم الخمسية الهندية ١٩٤٧ - ١٩٥١ م " أن الدولة تبذل الجهد لتلوا الجهد
بواسطة الدعاية التعليمية للقضاء على التعصب المنتشر في الأوساط الريفية ضد التمثيل
المختلط " (٢)

هذا ما يتصل بالمكان الذي تتلقى فيه الفتاة علومها ولننظر الآن الى المعارف التي تكتسبها
لتثقيف نفسها في هذه الصروح العلمية الشامخة .

سعى دعاة المساواة بين الرجل والمرأة الى نبذ كل تمييز بينهما في جميع أمور الحياة ، فالـ
يكن من السهل أن يميزوا الانثى عن الذكر في المواد الدراسية . فعملوها ما يتعلمه شقيقها
في الانسانية ، وحاولوا تأهيلها المثل ما يتأهل به الشق الآخر ، فحاولوا اخداع الفطرة
وقلب معايير الانسانية ولوا الى حين ، لقد تساوت الفتاة بالفتى في تعلم الهندسة ، والكيمياء
والفيزياء والتجارة ، ويأتى التساؤل هنا هل كل هذه العلوم التي زودت بها المرأة اغنتها
عن وظيفتها الطبيعية ، اغنتها عن طلب البيت ، والأولاد والأسرة ، والبحث عن رجل يسكن
معها في البيت ؟ ..

ويتميز النظام الذي يسير دفقة تعليم الفتاة في العالم اليوم بعدم مراعاته فطرتها البشرية
فحاديها عن طبيعتها الانثوية ، فلم يعد يؤهلها للبيت ، وتكوين الاسرة وتربية الاولاد تربية
تمكنهم من تحمل عبء الحياة ، وكل نظام لا يضع في حسابه طبائع الأشياء مصيره الفشل ولو

(١) فقه القرآن ج ٣ / ٢١٦ .

(٢) تاريخ تعليم هند ص ٥٠٠ .

بعد حين • وضياح المرأة المتعلمة اليوم أمر مشهود ، ورغبة الرجل عنها فى صنع الحياة الفضلى أمر لا يتكره أحد •

وشهد تعليم المرأة بعد استقلال باكستان تطورا ملحوظا حيث أخرجها أنصارها من بيتها وأقحموها فى كل الميادين التى تحاشتها أيام الاستعمار ، فطلبوا منها المشاركة لأول مرة فى الفنون ^{الجميلة} وتعلما وتعلما ، وأنشأوا لهذا الغرض مركز الآداب الباكستانية تحت رئاسة وزير الخزانة وماشرف الراقصة آدورى زوجة نزهت محمود ، ولخصتها المشرفة أعمال المركز فى قولها " سيعيد المركز بمساعيهِ التعليمية الرقص المفعولى الهابط الى مكانه اللائق ، ويسمى النى منح باكستان المكان المرموق فى معرض لندن للفنون الجميلة الذى سيقام عام ١٩٥١م ٥٠٠٠ وأن رقص حَتَك (١) الذى بلغ الغاية فى الجودة وحسن الاداء هو رقص المسلمين ، يجب استرداده من الهنود بالبذل والتضحية " . (٢)

وأسمهم أغا خان رئيس الاسماعيلية — فى مسيرة المرأة المسلمة وتسليحها بسلح الفنون الجميلة بكل جهد ممكن ، وتعتبر خطبته أمام رجال الأعمال الباكستانيين عام ١٩٥٠م الركيزة الأساسية فى هذا المضمار فقد تبرع بالتنقيب عن تاريخ الغناء والنساء المساهمات فيه فى العصور السابقة ، حيث قال : " وفى هذا الصدد يمكننا تقديم نموذجين سكينه بنت الحسين ابن على وابنة طلحة — عائشة — رضى الله عنها اللتين شاركتا فى الحياة العربية الاسلامية الاجتماعية والعلمية بالتححر التام ، وفى وسع نساء اليوم قياس أنفسهن عليهما ، وأنا نعلم ما رقى اليه الغناء والطرب فى كل من مكة والمدينة فى أوائل عهد بنى أمية ، ويجب ان نجنب أنفسنا شعور الاحتقار والنفور الذى يحمله الينا ضلال المسلمين تجاه الفنون الجميلة " . (٣)

وتعلمت المرأة تحت اشراف الشرطة المسلمة اغلب الالعب العامة من الجرى والقفز الطويل وسحب الجبل والتمثيل ٥٠٠٠ ، وشهدت مدنية دهاكه عاصمة بنجلاديش أول عرض من هذا

(١) اسم منطقة فى باكستان •

(٢) The Civil & Military Gazette dated: 30/11/1949.

جريدة الجازيت المدنية والعسكرية بتاريخ ٣٠/١١/١٩٤٩م •

(٣) جريدة الفجر بتاريخ ٢/٩/١٩٥٠م ص ١ The daily DAWN dated: 9/2/1950 P. 4.

النوع شاركت فيه كثير من طالبات الكليات والشرطة النسائية وزوجات المسؤولين في الدولة ، وأبدى المسكريون والمدنيون اعجابهم بما شاهدوه من الأعمال النسائية المتقنة ؟ . (١)

وآخر ثمار هذا التعليم المنحرف خروج المئات من المتظاهرات في شوارع لاهور يطالبن بمساواة المرأة بالرجل في الشهادة ، وعدم تنفيذ اللائحة المعدة من لجنة المختصين الذين أعادوا صياغة تشريع الشهادة في ضوء الكتاب والسنة ، وطلبوا الدولة بتنفيذها حالا لأنها مرتكزا العودة إلى الشريعة في التحكيم وفصل الخصومات . وقد تأجل تنفيذ تلك اللائحة إلى الظروف الملائمة . (٢)

هكذا سارت مسيرة تعليم الفتاة المسلمة ، قذف بها في لجة التخريب تحت اسم المساواة لتكون سهلة التناول في المدرسة وفي الطريق وفي المجتمع ، وتصدى لحسم القضية ونخلها نخلا علميا المسلم المرءى الشهير شيخى واستاذى محمد قطب حفظه الله فقال "بمآلهذا الاختلاف الحاسم في المهمة والأهداف اختلفت طبيعة الرجل والمرأة ، ليواجه كل منهما مطالبه الأساسية ، وقد زودته الحياة بكل التيسيرات الممكنة ، ومنحته التكيف الملائم لوظيفته ، لذلك لا أدرى كيف تستساغ هذه الثروة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين ان المساواة في الانسانية أمر طبيعي ومطلب معقول ، فالمرأة والرجل هما شقا الانسانية ، وشقا النفس الواحدة . أما المساواة فـ هي وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها ، ولو أرادتها كل نساء الأرض وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات . هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة ان تبدل طبائع الأشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والارضاع" . (٣)

اذن فمتطلبات الأنثى غير متطلبات الذكر في ميدان التعليم ، واحتياجاتها غير احتياجاته . والنظام التعليمي الذي ينمى القوى الجبلية في الأنثى سينقذها مما ألم بها اليوم ، ويعيد إليها كرامتها المسلمة .

ويأتى الاستفسار هنا عن موقف المصلح من كل ما تتعلمه الفتاة اليوم ، هل هو مفيد فيبقى أو هو ضار فيرمى ؟ ويجدر بالمجيب أن يعود إلى فطرة المرأة فيستغنيها عما يهدبها وينميها

(١) انظر جريدة وقت اليومية عدد ١٦/٣/١٩٤٩م ص ٢ .

(٢) انظر لتفصيل ما طالبت به المتظاهرات جريدة جسارت اليومية عدد ١٤/٦/١٩٨٢م .

(٣) شبهات حول الاسلام ص ١٢١ .

فيحت على ابقائه ، وما يشينها فيطلب نسخة ، وما عدا ذلك من المواد فهو نأفلة إن وجدت الفتاة فسحة من الوقت تعلمتها ، وإن استغرق وقتها في تحصيل المعلوم الجبلية اكتف بها .

الحجاب: =====

وأول عقبة اصطدم بها دعاة المساواة هي الحجاب ، الذي ورثته الهند كائناً عن كائنه ، فلم يكن من السهل اقناع الآباء والأمهات باخراج بناتهم دون ستر ، فأخذوا يفكرون في زحزحة هذا الحاجز ، فسخروا اقلاماً للهجوم عليه والاطاحة به ، فترى ما نورا الهند وكية تنص على أن قيود الحجاب لم تألفها المرأة الهندية الا بعد اصطدام الهندوس بالمسلمين وأن الخوف على سلامة النساء من الغزاة والمغيرين أدى الى التقليل من حرية النساء ، وتطلبت الوقاية أن يقل سماح الأب أو الزوج لابنته أو زوجته بالخروج من المنزل عن ذي قبل ، لأنه لم يكن من المعروف متى ستواجه المدينة خطر المغيرين عليها " . (١)

ويعيد الى الازدهان كارسان دتاسي أن الهندوس يردون احتجاب الهندوسيات الى ما قبله المسلمون من العادات والتقاليد ، وأن الحجاب بموجب تشريعات منسوبة للهندوسية لا يجب ، وللمرأة أن تذهب الى التعليم دون ستر أو حجاب . ولخص موضوع الحجاب أحد كتاب المسلمين الذي زار خمسا وعشرين بلداً اسلامياً للتعرف على حقيقة فقال : " ان ما يلزمه المسلمون اليوم نساء هم من الاحتجاب لا يمت الى الاسلام بصلة وأن المسلمين الهنود أتوا من قبل الهندوس والراجبوت الذين أسلموا مع عائلاتهم التي كانت تحتجب قبل الاسلام فظل الحجاب عندهم حتى اليوم " (٢)

ويسند الفكرة آخر فيصرح : " أن ما نرى من الحجاب في الهند وباكستان لا مثيل له فسى جميع الدول الاسلامية ، بل انه تقليد موروث نتج عن الاحتكاكات المحلية ، وتوسعت دائرته

(١) الهند شعبها وأراضيها ص ١١٧ .

(٢) مقالات كارسان دتاسي ج ١/١٣٩ .

(٣) بيير زاده شمس الدين رسعي برديج نقصانات اور اسلامي برديج نشانات " مضار الحجاب التقليدي وسياء الحجاب الاسلامي ص ٣

حين دالت دولة الاسلام ، وكان أشده وأعمه في الطبقات الوسطى قبل الاستقلال . وأخذ
الوضع يتحول بعده الى نهد التقاليد السيئة فتضائل ورجع القهقري " (١)

هكذا تضاربت آراء الفريقين في أسبقية مصدر الحجاب بدرع الحشمة والحياء - بعد اقتناعهم
أنه سمة عار في جبين الامتين ، فحاول كل فريق تخلص امته منه ، والقاء تبعاته على الأمة
الأخرى . فالهندوس يردون الأخذ به الى المسلمين ، ومدعو الاسلام يرجعون الى ميراث
الهند قبل الفتح .

واتجه الآخرون من أنصار المرأة الى أدلة الشرع فاقتنصوا الرخص والمباحات ، وأعلنوا لأمتهم
" أن منعم النظر في قوله عز وجل : " يا أيها النبي قل لأزواجك ومنااتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " (٢) يتضح له أن التمسك بالجلباب
- العبائة - الى الدوام والأبد لم يكن مقصود القرآن . وإنما الغرض منه تنحية الأماش ومن
يسلك طريق سوء ، ومتى وجدت تلك الظروف ، وتلك الفئة لزوم الجلباب " (٣)

ويجب الاستاذ محمد عثمان عن تساؤل مفاده هل على المرأة تغطية وجهها إن أرادت الخروج
من البيت فيقول : " الذي يحدد هذه المشكلة ويوضح معالمها هو أن الكلام الالهى لا يلزم النساء
بالغطاء في الظروف المعتادة ، كما أن السنة الصحيحة لم تلزمهن بذلك وفي الظروف
التي نمر بها الآن في باكستان أو التي ندعو اليها يجب الانشد في الحجاب ، ولا نضع
التجربة الحديثة على الطرق التي تؤدي الى العسر والضيق ، بل يجب أن نبلغ الى الأمة
ما يهدف اليه القرآن دون زيادة أو نقصان ، فمتى وجد الأماش وشرار الخلق في صفوف المسلمين
وجب الجلباب كدرع وقائي للنساء . . . وليس من الحكمة لعلاج وجع الرأس استعمال الاسبرين -
والمهدئات باستمرار ، بل الحل الأمثل يكمن في البحث عن العلل المسببة لذلك المرض فحاول

(١) شاهد حسين الرزاقى باكتانى مسلمانون رسم ورواج " عادات المسلمين الباكستانيين
وتقاليدهم " ص ٢٧٨ ، وانظر مظهر الدين الصديقى / اسلام أورعورت (الاسلام والمرأة)
ص ٢٠٣ ومحمد ميديوك المسلم الانجليزى تهذيب اسلامى (الحضارة الاسلامية) ص ٢٠٣ .

(٢) الاحزاب : ٥٩ .

(٣) الاستاذ محمد عثمان اسلام باكستان مين ص ٥٣ .

استقصائها . (١)

وفسر صاحب " فقه القرآن " قوله عز وجل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... " (٢)
بأن الأمر بغض البصر من الرجال لا يهدف سوى الاتقاع أبصارهم على الوجوه المحرمة ، فلو كان المقصود الستر والتغطية الكلية لكان الأمر بغض الأبصار عيئاً ، لأن غض البصر ورفع وقتئذ سواء " (٣)
وتلاعب آخرون بمقول الأمة فحصرها جميع عيوب المرأة المسلمة من جهل ومرض ، وعدم مساهمة للحياة الاجتماعية ... في الحجاب ، وسود واحد من اجراء دعاة السفور بضعا وعشرين صفحة في ذلك وكأن الحجاب كيل السوء " (٤) وتقدم الأديب عبد الحليم شرر عن هؤلاء خطوة فوصف الحجاب بأنه " هو الحجاب الأكبر ومن المشكوك فيه محافظته على عفة المرأة وطهارتها ، وأن وجوده على الوجه سهّل للمرأة كل ما استحت من ارتكابه في الظاهر والعلن ، وإن هو الا عقاب تلتزم به زواني النساء " (٥)
وتحدد مجلة " احسان " اللاهورية باتخاذ الاجراءات الكمالية التركية اذا لم تستجب الأمة الباكستانية لآراء دعاة الاصلاح فتقول : " لن يستحكم بنيران الاستقلال ولن تتحد آراء الأمة الا عن أحد طريقين : أن يقود الأمة دكتاتور كمصطفى كمال فيعمل للملأ أنه لن تبقى امرأة متحجبة بمسد اليوم ، وأنها ستكلف بالبحث عن معاشها بنفسها ، ولن تظل حملاً على الرجل بعد الآن ، أو أن يكون في الشعب شعور برقي الأمة فيتفادون التعصبات الشخصية ويضجون بمصالحهم للصالح العام ... وما زال الطريق الأخير مفتوحاً يترقب استجابة الأمة ، فان لم تستجب فسيخرج من بين صفوفها الحاكم المستبد ، ويقودها الى الطريق المنشود أو تذهب قوتها فتعود الى الاستعمار من جديد " (٦)
ويقارن لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان بين المحجبة وغيرها

(١) اسلام باكستان مين ص ٦١ .

(٢) النورانية : ٣٠ .

(٣) عصر أحمد عثمانى ج ٣ / ٣١٨ .

(٤) انظر رسمي برد ص ٣٦ - ٦٥ والقيس الدكتور ج - ه آرسن حقوق وفرائض نسوا .

وحقوق النسوة وفرائضهن " ص ١٢ وغلام أحمد تهويب القرآن ج ١ / ٣٨٤ / ١ وحقائق

باكستان ص ١١٧ واسلام اورعورت ص ١٤٩ .

(٥) بردة (الحجاب) ص ٣ .

(٦) ص ٣ عدد نوفمبر ١٩٥٠ م .

من النساء فيما ستقدمان من الخدمات نحو باكستان فيقول : " على النساء اللائى
تحررن من قيد الحجاب تقع مسئولية وضع الأسس المحكمة لدولة باكستان القوية المهابطة ،
وليكن مستعدات لتقديم كل تضحية عند اللزوم ، وليقد من من خلال تعليمهن وحريتهن أروع
الأمثلة ، ويشبتن للعالم فضلهن على المرأة القابعة بين جدران البيت " (١) وحثت زوجته
فى احدى خطبها العامة النساء على وداع البيت فقالت : " لقد ودعنا تلك الأيام التى
كانت النساء ، تسجن بين حيطان المنزل ولتستيقظن الآن من سبات الغفلة فتخرجن كالرجال
من البيت وتعملن معهن جنبا الى جنب ، لا سيما فيما يحتاج اليه الصالح العام " (٢) ووضعت
هذه السيدة أملها فى التعليم المختلط ليقضى على الحجاب عاجلا أو آجلا ، وأن الجيل
الحديث نتاج الجامعات المختلطة لن يرضخ للحجاب ولن يقبل تلك القيود . (٣)
وزعم آغا خان أن الحجاب المرأة وانفصالها عن الرجل وانزواءها عنه هو من التقاليد الشرقية
الدخيلة على الاسلام . . . ومن هنا لا تعرف المرأة الاسماعيلية الحجاب والانزواء ، بل انها
تشارك الرجال فى المجالس والمعابد ، وتعين بعملها وأباها وأخاها فى جميع شعب الحياة
الاقتصادية . (٤)

وان تتبعتم خطوط حركة السفور وجدتها ترتبط بحركة عليكره منذ نشأتها ، نفسها هو السيد
أحمد خان يستشار فى حجاب المسلمات هل هو حجاب القرآن أولا ؟ ؟ فيجيب قائلا : " نرى
صحافة اليوم تكتب بحوثا عن الحجاب سلبا وإيجابا ، وحسبنا أن نحمل طابع الرجعية فى هذا
الموضوع ، فنخالف رأى أصحابنا ونظل نعتقد أن الحجاب المعمول به فى الأوساط الاسلامية
أمر حسن ، وأن البحث عنه من كونه مطلوب القرآن أولا ؟ أمر سخيف لا يجدى نفعا لأن الرجال
لوامثلوا أحكام القرآن فى الأفعال والعادات كان لهم الحق فى اثاره مثل هذه القضية ،
وما داموا منصرفين عن أنفسهم فالبحث منهم عن حجاب القرآن أمر غير معقول .
" وأما ما يظن : أن رفع الحجاب يقرب المسافة ويهيئ فرص الصداقة والارتباط بالانجليز فهو

(١) Tha Civil & Military Gazette dated: 25/1/1949.

(٢) " " " " : 29/1/1949.

(٣) " " " " : 27/4/1949.

(٤) سيد بركات أحمد روداد برده " محضر الحجاب " ص ٣٥٦ .

خطأ مكشوف لأن ذكرونا لم يوطئوا أنفسهم لمثل تلك الصلات ، هيئوا أنفسهم ثم ابحتوا بعد ذلك عن الأمور الخاصة بالنساء" (١) ويبدو أن قضية السفر لم تكتسب الانتصار والمدافعين إلا بعد أن احتضنتها عليه بترجمة كتاب قاسم أمين " تحرير المرأة " بايحا من محسن الملك الذي تولى رئاسة عليه بعد وفاة السيد أحمد خان (١٨٩٨ - ١٩٠٧ م) فنشر الكتاب على صفحات مجلة " عليه " الرسمية ثم ظهر للعامة في صورة كتاب مستقل ثم تتابعت الصحافة تحض على نزع الحجاب دون هوادة . (٢)

وجاءت الحلقة المكملية في فتوى مشيخة الأزهر عام ١٣٥٥ هـ ، حين استفتى الشيخ محمد مصطفى المراغي في جواز كشف المنبذات عن وجوههن إذا دخلن في الاسلام ، فأفتى بأنه " قد اجمع العلماء على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزال أعمالها خارج البيت ، وأن تمارس لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها كشمريها وجيدها وزينتها . . . ، فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات في المساجد فسي صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة . في الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من ابداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف في أموالها بكل وجوه التصرف بدون توقف نفاذها على زوجها أو ولدها . . . " (٣)

نعم : لا مراة في كون الوجه والكفين ليسا عورة في الصلاة عند الفقهاء ولكن اطلاق الاجماع في غير الصلاة محل نظر ونقاش لوقوع الخلاف بين العلماء في جواز كشف المرأة وجهها وكفيها لغير محارمها في غير الصلاة لأدلة صحت عند بعضهم دون الآخرين ، وسواء ترجع رأى المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي لا يعترف بكون الوجه والكفين من العورة (٤) أو تغلب رأى المفكر الاسلامي أبي الأعلى المودودي رحمه الله الذي لا يستثنى شيئا من جسد المرأة عند الخروج من البيت (٥) فان الجميع متفقون على أن ما عدا الوجه والكفين عورة لا يصح كشفه كما أنهم متفقون على أن الأفضل هو التغطية يقول الشيخ محمد

(١) مقالات ج ٥ / ١٨٦

(٢) انظر موج كوثر ص ٢٥٣ ومجلة خاتون " المرأة " المليكزية ص ١٥٥ عدد أبريل ١٩١٠ م ومجلة جامعة ج ٥١٩ / ٢٠ عدد جون ١٩٣١ م

(٣) مجلة الأزهر المجلد الأول العدد الخامس ص ٣٤٨ وانظر مجلة الفتح ج ٤٧٤ / ١١

(٤) وذلك في كتابه حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة (٥) وذلك في كتابه الحجاب .

ناصر الدين " فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها يبرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات أمر مشروع محمود وإن كان لا يجب ذلك عليها بل من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج " (١)

ويقول الشيخ في موضع آخر " لكن ينهى تقييد هذا بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شئ من الزينة لمعوم قوله تعالى : " ولا يبدن زينتهن " (٢) ولا وجب ستر ذلك لاسيما في هذا العصر الذي تفتن فيه النساء بتزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينة والأصبغة ، مما لا يشك مسلم بل عاقل ذو غيره في تحريمه " (٣)

غير أن دعاة السفور يحملون الحد المباح نقطة الهدى ^{المرور ما حرمه الله} ، فلا يقف الأمر لدى هؤلاء عند إبداء الوجه واليدين بل يتجاوزهما إلى عرض الصدر المسرح وكشف الذراعين إلى المنكب ~~ين~~ والساقين إلى الركبتين ~~جزء من الصدر والظهر ، وستر ما وراء ذلك من محاسن الجسد ومفاتنه بلها من~~ شفايين ~~من كل ما يرضى شهوة الرجال ، وتبلغ الجراءة حداها الأقصى حين يطالب الاتحاد النسائي~~ الباكستاني (ايفا) (All Pakistan Women Association) بالغاء الحجاب وسن تشريع يمنع التحجب البتة . (٤)

ويصف الشيخ عبد الماجد الدريبادي وضع المرأة وتطورها الكشفي فيقول : " رفع الحجاب وبرز كل منظر مشير فكان الهدى يكشف الوجه ثم تبعه رفع البصر فالكشف عن السواعد ثم السيقان فالعموة إلى سترها بقماش رقيق يشبه لون السيقان ، ثم أتى بعدهما شعرية ما خلف الرقبة ثم تقدمت الحضارة فمرت جزءا من أعلى الصدر ، ، ، ، ، وإن سمة الثمدن اليوم أن يكشف عن جزء من أسفل البطن وابتزاز السرة أمام الأعين الجامعة " (٥)

وهكذا تخلت المرأة عن قيمها ، وأصبحت مبتذلة بعد أن ودعت مستقرها الذي تستمد منه سيادتها الحقيقية ، غزاها دعاة السوء في عزها وكرامتها باسم تحقيق المساواة في الحقوق والتحرر من القيود

(١) حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص ٥٣ .

(٢) سورة النور آية : ٣١ .

(٣) حجاب المرأة ص ٤٢ .

(٤) انظر رواد بردة ص ٣٥٤ .

(٥) مجلة صدق جديد للكهنية ج ١/٨ عدد ١٤/٢/١٩٥٨ م .

الموروثة ، فقد فوا بها في المنزلق الذي أعجزهم رؤيتها فيه من قبل ، وهاهى ذى قد تحررت من تبعات العفة والحياء واكتسبت رذائل الغلظة والتهتك وساوت الرجل في غشيان المنتديات والملاهى والفنادق والمسارح وداعت الأجنب ومازحتهم ، وترددت الى الملاعب والسينما كالفتيان سواء بسواء ترجلت وشقيت على حساب المنزل والأولاد دون أن تريح من تخليها عن الحجاب ما منيت به من الرفاهية والتقدم .

ويلبس المقارن الفرق الواضح في مسيرة الحجاب بين ما كان عليه الحال بعد الاستقلال مباشرة وما هو عليه اليوم ، إذ أخذ الوضع يتحول لصالح الحجاب بعد صحة المسلمات ومشاهدتهن الفساد والريازا نتيجة السفور والتهتك فلن تعدم اليوم رؤية المحجبات في كليات الطب ، التى وضعت أسسها على نزع الحجاب ، وهاهى نقابة المحامين تلح على النساء أن يخرجن في مظاهرة للاحتجاج على قانون الشهادة الاسلامى ، الذى جعل شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد فلا تخرج الا مائتان وضع وخمسون امرأة في مدينة لاهور التى يرمو سكانها على ثمانمائة ألف نسمة ، وما ذلك الا دليل على الصحة الاسلامية بين النساء فالمرء ضاعده ، وعودة النساء الى الشرع أمر ملموس ، والخير في حركات البعث الاسلامية وعلماء المسلمين .

عمل المرأة :

الأصل في المسلمات أن يمكن في البيت ، ولا يخرجن منه الا للحاجة لقوله تعالى : " وقرن فى بيوتكن ^(١) وقرئ " قرن " بفتح القاف وكسرهما من القرار والوقار ، ومعنى الآية على قراءة الفتح التزمين بيوتكن واستقررن فيها ، وعلى الكسر عشن فى بيوتكن بالسكينة والوقار ، وعند الحاجة الى الخروج تلتزم آداب الاسلام من الحجاب ٠٠٠ الخ وقد روى أن عمرضى الله عنه رأى سودة أم المؤمنين رضى الله عنها خارج البيت لحاجتها بالليل فعرفها فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له فقال " قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن " ^(٢)

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخارى ج ١٥٩/٦ كتاب النكاح باب خروج النساء لحوائجهن .

ومن هنا كان أداء المسلمة لأعظم فريضة بعد الشهادتين في البيت أفضل منه في المسجد ، وقد ورد عن أم حميد الساعدية أنها قالت يا رسول الله انى أحب الصلاة معك فأجابها بقوله " قد علمت انك تحبين الصلاة معى وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى " (١) كل ذلك تشكيل على للآية ، فلا يرضى الشارع بخروج المرأة من موضع السكن والاستقرار الا اذا دعتها الضرورة .

وتبين مما سبق أن الاسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل في غير الأعمال الضرورية ، مع تقريره لها حق العمل ، وكانت النساء في صدر الاسلام يعملن حيث تقتضى الظروف منهن العمل ، وذلك عند فقد العائل . ومن يقوم بالانفاق على الأسرة . . . مثلاً ، وقد فرض الاسلام نفقة البنت على الأب بكرة أو ثيباً ، وعند فقد ، ينتقل هذا الحق الى الأولياء الأقرب فالأقرب ، ويبقى معلقاً بدمهم حتى تتزوج فينتقل عنهم الى الزوج " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " (٢) ولكن حين عملت المرأة المسلمة من غير حاجة ملجئة تعرضت لعواقب وخيمة ، لا تحمد عقباها وعرضت المجتمع الى نكسات لن ينجو منها حتى تعود الأنثى الى فطرتها الطبيعية .

وما علمت المرأة وأصبح لها دخل مستقر حتى أخذت تدعى الندية لمن ينتمى اليه جبراً للنقص الذى أوحى لها به شعورها بوضعها الاجتماعى المنحط ، فقدف البيت الألفة والأنس وانقطع رباط العواطف والمشاعر المشتركة ، وظهرت الثمرة فى نكول الرجل الجاهلى أو اكراهاها على العمل لتشارك بدخلها فى رفاهية الأسرة .

وقد يكون عمل المرأة فى ظروف فردية هو الصواب ، ولكن حين تعمل كل امرأة فى غير الأعمال النسائية تعطل رجلاً عن العمل ، ومن ثم يتعطل أو يتأخر بناء أسرة جديدة فأى مصلح اقتصادى أو اخلاقى أو اجتماعى يؤيد هذا الاضطراب ؟ ويحدد أرشد أحمد موقف البنجابيين من تشغيل النساء فيقول : " ان أغلبية الرجال يرفضون تشغيل المرأة ولا يدافعون عن عملها البتة وأما العمل المختلط فهو مبعوض لا ينظر اليه الا بعين الكره

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده ج ٣٧١/٦ .

(٢) البقرة آية : ٢٣٣ .

والاشمئزاز وقد أثبت علم النفس أن الزوج التي تكسب يمكنها أن تدعى النذية لأنها شريكة فسى الدخل لذا تسعى للتفوق على زوجها ، مما يذهب راحة البيت وأنسه ويقضى على المودة فسى الحياة الزوجية " . (١)

وللبقاء على هدوء البيت يجب أن يسير كل حسب فطرته من الرجال والنساء وأن يمنح الجميع فرصا للعمل كل فيما يخصه ، فتعليم البنات والتمريض وتطبيب النساء وما شاكل ذلك من الأعمال ينبغي أن تقوم بها النساء وليس من المعقول زج المسلمة كاختها الغربية فى أعمال لم تخلق من أجلها رغم البطالة الفارمة الاطناب فى شبه القارة كلها ، هل استنفدنا كل الأيدى العاملة فوجدنا أن العمل ما زال فى حاجة الى مزيد ؟ هل امتنع المسلم زوجا أو أبيا . . . الخ عن اعالة الانثى وتركها من غير نفقة فاضطرت الى الكد لكى تعيش ؟

ولم يكن من السهل أن تتفادى المسلمة الهندية فى هذه الهيجة ما هوت اليه المرأة الأوروبية فاقتمت كل ميادين العمل سواء كان شريفا أو وضيعا اباحه الاسلام أو لم يبحه تحقيقا للمساواة فى كل شئ ، وكان من بين ذلك المساواة فى التحلل والاباحية ، فان كان عمال شركة الهند الشرقية الفاسدون اعتدوا على حرمت البيوت ، وجاروا على الفلاحين فى أهليهم بالانصالات الجنسية المحرمة (٢) فقد اختصت أسواق بأكملها بعد تحويل الهند الى الحكم المباشر لبيع الأجساد وعرض الفتيات أنفسهن تحقيقا لبدأ " تشغيل المرأة " .

وقد روى الشيخ أبو الحسن الندوى حادثه ذات دلالة واضحة فى الانحطاط الخلقى الذى تردت اليه المرأة المسلمة الهندية آنذاك . فقال : " فقد ساق امرأة تتكسب بالهغاء سائق التوفيق الى مجلس من مجالس الوعظ وندمت على حياتها السابقة وثابت من عملها وما يعت السيد أحمد الشهيد - على الايمان والطاعة ، وحياة الطهر والعفاف " . (٣)

والذى يميز الهغاء الانجليزى عن غيره هو أن الانجليز أحاطوه بسياس التشريع وجعلوا له شرطة تدافع عن المجرمين والمجربات أمام سمع المجتمع ومصره ، حتى تحول الى حرفة تكسب العيش وتجارة تدر الأرباح ، بينما كانت الحكومات المسلمة تحاربه اينما وجد فهذا الملك أورنگ زيب

(١) بنجاب كى عورت " المرأة البنجابية " ص ٦٢٨ .

(٢) انظر مختصر دراسة التاريخ ج ٣/٣٠٤ .

(٣) اذا هبت ربح الايمان ص ٣٨ .

رحمه الله يصدر الأمر الملكى الى البغايا والمشتغلات " بالفن الجميل " أن يتزوجن أو يخرجن من حدود مملكته ^(١) وإن وجد ملوك وامراء فاسدون فى مختلف أحقاب التاريخ فإنك تلحظ عدم تجاسرهم على اظهار الجريمة واتيان الفحشاء علانية فضلا عن تعيين أفراد أو مناطق أو احياء تختص بهذا المنكر كما حصل فى عهد الاستعمار .

ويبلغ السيل الزبيل حين تتحول الوحدات السكنية الطلابية للكليات الى مواخير يشبع منها الفاجر بغيته ويجد فيها الفاسق بغيته ، لذلك يسخف هنتر من وضع الكلية المحدية الكلكتية فيقول " منذ بعض الوقت جلب عدة طلاب بغايا الى الكلية وكان من بين أولئك ستة وعشرون طالبا ممن منح غرفة مستقلة ، وكأن ما منحهم الدولة للسكن الشريف حولوه الى اوكار للفحش والدعارة ، زد على ذلك ما يرتكبه هؤلاء من اتيان بعضهم بعضا ما لا وجود له فى أوروبا بالكلية " ^(٢) غير أنه لم يرض على قوله هنتر بضع وستون طالبا حتى أقر مجلس التشريع الألمانى بأكثرية الأصوات تحليل اللواط ، فلم يعد هذا الفعل جريمة الآن هناك ما دام يرتكب عن رضا الجانبين ، فان كان المفعول به دون سن البلوغ فإضاه بيد وليه ^(٣)

ويشير تقرير الدولة لعام ١٨٦٠ - ١٨٦١ م عن الهنجاى الى أن جرائم الزنا تضاعفت عن العام المنصرم إذ بلغ العدد " ٦٩٠ " جريمة مسجلة بينما وصل الرقم الى ٨٧٣ جريمة فى العام الماضى ، ويعزو التقرير هذا النقص الى تنفيذ الدولة قانون الجلد رغم خلو القانون الهندى العام من العقوبة البدنية لمثل هذه الجريمة ^(٤)

وتعتبر مقاطعة سرحد - بشاور وما والاها - أول مقاطعة هندية تجرأت على تقديم طلب عام ١٣٥٣ هـ الى الدولة بالغاء البغاء الرسمى وتطهير المنطقة من هذا الداء الفتاك ، فوافقت الحكومة الانجليزية بعد تلكؤ ، وأجلت جميع البغايا اللواتى كن يتكسبن عن طريق بيع الأجساد ونشر الأوبئة المعدية ، ثم تبعتها بعض المقاطعات فى هذا الشأن ، غير أن الدولة لم تأخذ طلبهم بعين الاعتبار لأنه يقلل دخل الدولة ، ويجفف ينهوى الضرائب المفروضة على المحترفات ^(٥) وبقي الوضع على ما كان بعد استقلال الدولة المسلمة باستان بضعا وعشرين عاما ، ولم تتمكن الأمة المسلمة من الغاء البغاء الرسمى الا قبل سنوات معدودات .

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٥ . (٢) همارى هندوستانى مسلمان ص ٢٩٥ .

(٣) انظر الحجاب ص ٧٣ . (٥) انظر مجلة الفتح ٧٨٤/٣ بتاريخ

(٤) انظر ريبورت مجموعى ص ١٠ . ١٠ ذى القعدة ١٣٥٣ هـ .

ولم يكن حال النساء العاملات في غير البغاء الرسمي أحسن منهن ، لأن محاربة الفطرة أو تحويلها إلى مسار غير مسارها الطبيعي أمر في غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلا ، فحين خرجت الانثى تطلب العمل لتشارك بإيرادها في زيادة الدخل ، وجدت الإدارات والمكاتب والمصانع وموظفهم فرصة تسقط من نفسها - راضية أو كارهة - فرحبوا بها كل ترحيب فوظفوها لتشغل وظيفة في الظاهر وتلبى حاجاتهم في الباطن ، وكم من مخاز كشف النقاب عنها على صفحات الصحف ، والمستور أكثر وأعظم لا يعلم قدره إلا الله ، وكم من محصنات تخلين عن وظيفتهن أو فصلن منها لعدم رضوخهن لمطالب الشهوة المحرمة .

واختراع موانع الحمل وشيوعها ورخصها قضى على البقية الباقية من المواقب الوخيمة للقاء الجنس المحظور ، فحين أمنت الفتاة العاملة من الحمل استسلمت للفحشاء أكثر من ذي قبل واستطاع الاندال كسر حدة إباءها لوجود هذا العامل الحصين فرضخت لسعار الجنس وأمن روعها من اللوم والمحاكمة الصارمة التي كانت تتوقعها من المجتمع عند ظهور نتيجة السفاح ، لأن المجتمع المسلم مع تحلله لم يزل يعتبر الزنا جريمة خلقية وما زال يرفضه بإباء وشدة . وتلك إحدى دواعي تفضيل البكر على ذات البعل في التشغيل والتوظيف ، أضف إليها أن الحمل والوضع والأرضاع تجبر المرأة على لزوم البيت حيناً وتقلل من نشاطها أحيانا أخرى ، مما حدا بإدارات التشغيل إلى التقليل من العاملات المتزوجات ، وتفضيل البكر عليهن لخلوها من جميع هذه المبطات ، فبرز رد الفعل منهن في التقليل من الحمل وتبعاته حرصا على الاستقرار في العمل ومنافسة للبكر في الاحتفاظ بالخط الأوفر من الأعمال ، فخرجت النتيجة من استقراء الإحصائيات أن نقص المواليد للإمهات العاملات لم يكن أغلبه عن اختيار وانما عن عقم استعصى علاجه ، ويغص نماذج متنوعة من حالات العقم اتضح أنه في الغالب لا يرجع إلى عيب عضوي ظاهر مما دعا العلماء إلى افتراض تبدل طارئ على كيان الانثى العاملة نتيجة انصرافها للمادى والذهنى والعصبى عن مشاغل الأمومة . (١)

وكان من الطبيعي أن تتحول مشاعر الأم العاملة من الحنان والرفقة إلى التصلب والخشونة نتيجة ارتباطها بالإدارات وتعرضها للمصادمات والمنازعات ، وكان أكثر الأفراد تأثرا من جراء هذا التحول هم الأطفال ، فالسويمات التي تقضيها الأم مع أطفالها قلما تكفى لتقدير المود والرفقة اللتين يحتاج الطفل

اليهما أثناء مدة الحضانه ، ولا سيما في السنتين الأوليين على الأقل . فالطفل في هذه المدة يريد اما متفرقة ، لا يشركه فيها أحد ، ولا يشغلها عن تلبية مطالبه حتى ولو كان أخاه الشقيق ومن ثم انحرف الأولاد ، فخرجوا الى المجتمع بعد أن تغلب على عواطفهم حب الصراع ، وامتلات نفوسهم بالعقد والاضطرابات النفسية نتيجة فقد رعاية الأم ،

زواج المرأة :

وهكذا أخذت المسلمة تتردى خطوة اثر خطوة ، ولم يعد في وسعها أن تقف برهة لمراجعة الماضي ، وما جنته من السير وراء الفرييات ، ولعل أخطر انتكاسات هذا التسابق ظهرت في قضايا الزواج . ويتلخص أهمها فيما يلي :-

أولاً : جاءت تشريعات الاسلام في الزواج تلبى حاجة الانسان الجثمانية ، وتخفف عنه مشكلات الحياة الفردية ، والزواج منظور فيه بطبيعة الحال الى تلبية الحاجات الفريزية بجانب المطالب الأخرى الاجتماعية والنفسية والروحية وكرم الاسلام المرأة عند عقد النكاح بالمهر والزم الزوج تقديم هدية للزوجة التي اختارها شريكة لحياته ، " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " (١) "فما استعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة " (٢) غير أن التفریب عكس الوضع إذ أخذ الأزواج يطالبون المرأة أو أوليائها عند العقد وقيله بالمعطايا والمهورات ، ويشترطون للقران شروطا ما أنزل الله بها من سلطان كادب أن تكون عقايا .

فمن طالب سيارة وجهاز تلفاز وفسالة والتنازل عن جزء من عقار اذا كانت الفتاة أو أوليائها يملكون ذلك . ومن طالب ابتعانة الى الدول الغربية لتلقى الدراسات أو تكميلها من نقطة التوقف حين عجزت موارده المالية عن تغطية تلك التكاليف .

ومن طالب ارساله الى الخارج للعمل وتحمل جميع نفقاته ، أو البحث له عن عمل داخل دائرة حكومية أو قطاع خاص يجلب إيرادا يغطي نفقات الحياة المترفة كشرط من شروط العقد بغض النظر عن أهليته لهذه المطالب ، وادت الحال تشبه دفع المهر من الانثى للذكر ، ويطلقون على ذلك اسم " جهيز " ويحمل شاهد حسين الزراقي ما يلي : " هذا المهر الاقتصادي وما يجرع على المرأة

.....

(١) سورة النساء آية : ٤

(٢) سورة النساء آية : ٢٤

.....

وأسرتها من العواقب السلبية فيقول : " أصبحت عادة إعطاء الجهيز واجبا من واجبات الزواج فلا يكتمل العقد الا به ، مع أن هذا الفكاك يحمل في طياته العديد من الاختناقات الاقتصادية والعائلية أضف اليه أنه من مخلفات مجتمع لا يمت الى القرآن أو السنة أو الفقه بصلة ۰۰۰ وترى الناس يبيعون التركات الموروثة ، ويقرضون ويبرهنون ۰۰۰ لتجهيز بناتهم حتى أضحت ولادة - البنت - في كثير من المناطق الباكستانية آفة من الآفات يندم عليها الأولياء ندامة من لا حيلة له في الخلاص والفكاك ، وشر البلية أن يعد مثل هذا السبع النهم شرف العائلة وكرامة الأسرة العريقة " . (۱)

واستشرى هذا النهب بعد استقلال باكستان حتى عم أغلب طبقات الشعب مما حمل المصلحين الاجتماعيين أن يضموا صوتهم الى صوت الرابطة النسائية " ابا " في المطالبة بوضع حد لمطالب الزوج (۲) ، وظل هؤلاء يتابعون القضية حتى لبثت الدولة مطالبهم عام ۱۹۷۶م فصدر تشريع " تجهيزات الزواج " وفي ضوءه ينقسم الناس الى طائفتين ، طائفة ذات قرابة للعاقدين ، وطائفة لا يرتبطون بهما برسائط النسب ، وأجاز التشريع للأولين أن يقدموا هدايا لا تزيد قيمة كل هدية عن خمسة آلاف روبية باكستانية (۳) وسمح للآخرين بالتهادي شريطة ألا تتعد قيمة الهدية مائة روبية ، ولا تتجاوز هدايا الشخص الواحد ألف روبية ، واشترط على موظفي الدولة العاملين في المرتبة السابعة عشرة فصاعدا ألا يقبلوا هدية في الزواج الا ممن ينتمى اليهم بالنسب سدا لاستغلال المنصب . (۴) وحدد التشريع مدة التهادي بستة أشهر قبل الزفاف ومثلها بعده . (۵)

وطالب التشريع المخالف بسجنه ستة أشهر أو غرامة مالية لا تتعدو عشرة آلاف روبية ويجوز الجمع بين العقوبتين ، ولا تعاقب الانثى الا بالغرامة المالية ، ويحق للدولة أن تستولي على جميع ما أهدى للمتعاقدين المخالفين وتتفق ما استولت عليه في تزويج الفتيات الفقيرات . (۶) منذ ذلك ظن التشريع أنه قضى على ظاهرة التجهيز وظهر عقول الأزواج من المطالبات غير المشروعة وشفى المجتمع من

(۱) باكستاني مسلمانوں کے رسوم ورواج ص ۲۷۳ و ۲۷۴ -

(۲) انظر روداد برده ص ۳۵۳ . (۳) جهيزايت (قانون تجهيزات الزواج) ص ۴ .

(۴) جهيزايت ص ۵ . (۵) جهيزايت ص ۵ . (۶) جهيزايت ص ۸ .

هذه العلة بهذا التشريع الملزم ، بيد أن المطالب لم تختف ، وما زال الوضع كما كان ، بل تحول ابتزاز المال الى جهات لا ترتبط بالمتعاقدين بصفة وجزئت العطية الى اجزاء لا تفيد الزوج أو الزوجة .

وكان الأجدر بوضع التشريع أن يجس التفض ويضرب على الوتر الحساس فيذكر المسلمين بشرع الله ، ويعيد الى المرأة كرامتها المسلمة عن طريق الدين لاقوة القانون وسلب لقمة العيش من أفراد رزحوا تحت ثقل التجهيز ، وليس من المستحيل اقتناع الشباب المقرر بالشهادتين عن طريق الدعاية المنظمة ورفع الستار عن حقيقة هذا المال المكتسب من الزواج وبيان حكم الشرع فيه .

ثانيا : حدد التشريع الاسلامي للمرأة المسلمة من تختاره لبيت الزوجية من الرجال فحرم عليها الانضمام الى زوج غير مسلم ، نظرا لعدم استطاعتها امتثال أوامر الشرع في الأعم الأغلب تحت عصمة من لا يؤمن بخاتم المرسلين ، غير أن مصلحة المستعمرين ارتبطت - بنقض هذا التشريع الحصين ، فأباحوا قران المسلمة بغير المسلم ، وساندوا مثل هذه الأنكحة في العلن والخفاء باسم الحرية في اختيار شريك الحياة ، حتى صار زواج المسلمة بغير المسلم أمرا مألوفا ، ولا سيما في المسلمين المثقفين ثقافة غربية .

وأبرز مثال لمثل هذا النكاح هو نكاح ابنة محمد علي جناح مؤسس دلتجاكستان بشاب غير مسلم ويحكى محمد حسن الأعظمي أمر هذا النكاح فيقول :

" انجب جناح من زوجته رتن بتيت بنتا اسماها " فينا " ضمته جدتها لامها لتقوم بتربيته وقد شغلته السياسة عنها ، ونشأت فينا في بيت جدها الفارسي - البارسى (١) وترعرت واتخذت لها أصدقا من الفرس وتزوجت من شاب فارسي زرادشتي (٢)

هكذا حدث التطبيق الواقعي أخيرا في بيت القيادة ، وكانت هذه الظاهرة أعم وأكثر شمولاً بين المسلمات الهنديات عقب الحريين العالميتين ، إذ كان الهنود كبش الفداء آنذاك فهلك مئات الألوف منهم غرقا وقتلا ، وتأخرت أخبار موتهم فترات طويلة ، فلم

(١) نسبة الى طائفة بارس المجوسية عباد النار .

(٢) ض ٦٣ .

يعد أمام المسلمات طريق لفك العقد الا الارتداد وقبول المتنصر زوجا ، فرحب بهذا الوضع القضاء الانجليزى ، ففسخ العقود باسم شرع الاسلام فى رفضه بقاء الصلة الزوجية بين المرتدة وزوجها المسلم ، وصور الوضع رئيس جمعية العلماء الشيخ أنور شاه الكشميرى فى خطابه الرئاسى ببشار عام ١٩٢٧م فقال : " ان الزوج المسلم كثيرا ما يظلم زوجته المسلمة فيعلقها حينما ويكون فاقد الخبر أحيانا أخرى ، ولا تستطيع المحاكم الفصل فى القضية لعدم وجود القضاء الشرعى . . . لذا تضطر الزوجة المسلمة الى الارتداد لتجوز الوضع (١) فان حدث ذلك اضطرارا وكسر هطاف قد ملل اليه النسوة المثقات أخيرا حبا واختيارا لأسباب ليس أقلها أهمية الجانب الاقتصادى والمكانة المرموقة لزوج المستقبل ، وهذه الظاهرة منتشرة الآن فى الغيات اللامسى يسافرون الى الخارج لتلقى التعليم ، فان عادت الى البلاد بزوجها فهو المسلم وجابها المجتمع بشئ من التذكير والتأنيب أو أولياؤها بشئ من الاشميزاز أعلنت برايتها من الاسلام ، وتجد باب القضاء وحصن الدفاع مفتوحا على مصراعيه فلا يعاقبها على ردتها فضلا عن زواجها بغير المسلم .

ثالثا : أباحت المذاهب الفقهية الأربعة زواج من هم دون سن البلوغ ، واستندوا فى ذلك الى استنباطات من نصوص القرآن ، والى وقائع حدثت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) والصحابة والتابعين ، والذى شدهم الى هذا التعامل هو تحقق المصلحة المرجوة من عقد النكاح من صيانة الأبناء والبنات ، وحفظ الفروج والأنساب . وذهب ابن شبرمة قديما (٣) والمتأثرون بالفكر الغربى حديثا الى منع مثل هذه الأنكحة ويعمل غلام أحمد برويز ذلك بقوله " النكاح عقد من العقود ويشترط فى المتعاقدين العقل والبلوغ ولا يصح ابرامة عند فقدان أحد الشرطين ، ولم يعين القرآن بسالتصریح عمر المتعاقدين ، ثم البلوغ يختلف باختلاف البيئات والمناطق لذا

(١) خطبة صدارت " الخطاب الرئاسى " ص ٥٦ .

(٢) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى ج ١٩٠/٩ باب النكاح الرجل ، ولده ، الصفار . صحيح مسلم ج ١٤١/١ .

(٣) انظر الاستاذ مصطفى السباعى المرأة بين الفقه والقانون ص ١٦ .

يوكل تحديد ذلك الى الدولة الاسلامية بروح القرآن " (١)

ولما كان البلوغ يختلف من شخص لآخر ومن بقعة الى أخرى حاول الملك أكبر المغولى لأول مرة فى الدولة المسلمة الهندية التضييق على هذا النوع من الزواج ، فأصدر تشريعا عين فيه سن المتناكحين ، فضع الفتى من النكاح حتى يبلغ السادسة عشرة ، والفتاة حتى تبلغ الثالثة عشرة (٢) غير أن تشريعه طوى بلحده ، وعادت الأمور الى مجاريها الطبيعية حتى عام ١٩٢٩م حين شرع الانجليز قانونا حددوا فيه سن نكاح الهنود مرة أخرى ، فحرّموا على الفتى الهندى الزواج حتى يبلغ الثامنة عشرة ، والفتاة الهندية حتى تبلغ الرابعة عشرة بيد أن الأمة المسلمة بقيادة جمعية العلماء هبت مستكرة هذا التشريع الفاشم واعتبرته تدخلا مكشوفًا فى شئون المسلمين الدينية وقوانينهم الشخصية (٣) وجاء التعدى البين على شرع الله أخيرا فى باكستان على يد الحاكم العسكرى أيوب خان عندما أقر مجلس تشريعه عام ١٩٦١م مودة مسلم عاثلى قوانين " قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية ، وشملت نصوصها مخالفات شرعية عديدة ، فى الطلاق وتعدد الزوجات والميراث ٠٠٠ ، وخصت المادة الثانية عشرة سن الزوج عند النكاح بالثامنة عشرة ، والزوجة بالسادسة عشرة (٤) وعاقبت المخالف بسجن شهر فمادون ، أو غرامة مالية قد تصل الى ألف روبية ، ويمكن الجمع بين العقوبتين اذا اقتضى الأمر (٥) بل نصت المادة السادسة من الشرح على " ان من زوج القاصر والدا أو اما أو متصلا بالقاصر نسبًا أو قضاء أو مديدا فى انجاز هذا الزواج أوسمح باجرائه ، أولم يتمكن من إيقافه لتساهله استحق العقوبة ... " (٦)

وهكذا هدر المشرعون مصلحة الشرع برفع سن النكاح للفتى والفتاة ، وساندوا من طرف خفى الفحشاء وقضاء الوطرن طرق غير مشروعة ، ولا شك أن هذا التحديد قلما يتفق مع

(١) تهذيب القرآن ج ١٣٦٢/٣

(٢) انظر حاضر العالم الاسلامى ج ٣٠٥/٤ - (٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٣٢

(٤) مسلم عاثلى قوانين ج ٣٠٥/١

(٥) " " " ج ٣١١/١ (٦) مسلم عاثلى قوانين ص ٣١

ج - فی ضوء التقاليد الموروثة فی منطقة بلوچستان ترى أن المتوفى عنها زوجها يلزمها أن تنكح أخت الميت أو أحد أقربائه ، وإن تزوجت فی غیر عائلة الميت تحرم ما بقى لها من المهر المؤجل ، ويطلق على هذا التقليد الموروث اسم " بجائی " وأحيانا يطالب أهل المتوفى الغريب بدفع ما أعطى الميت للزوجة من المهر المعجل وتسمى هذه العادة " دلور " أى دفع قيمة الزوجة للنكاح ، وكان المرأة عند هؤلاء تركة من تركات الميت تورث كسائر التركة (۱) هذه القضايا الثلاثة ، ألها جذور تاريخية قبل الاستعمار ؟ أو أنها ثمرة من ثماره ؟ وأن الناس استغلوا فقدان السلطة وفقراء الناس فتحكموا فی الجنس الضعيف وأهدروا كرامته وسلبوا انسانيته . الا أن مثل هذه القضايا لم تبرز كظاهرة من مظاهر المجتمع الا بعد أن أقر التشريع الانجليزى أن يحاكم الناس وفق العادات المطبقة . والتقاليد الموروثة وهذا الاعتراف من السلطة المشرعة اكتسبت مثل هذه القضايا الصفة القانونية الملزمة ، فجاز العمل بها باسم القانون . (۲)

خامساً : تضاربت التقارير حول تعدد الزوجات فی الهند فمن أكثر يبلغ النسبة إلى ۲۹ ٪ فی البنغال ومن يقل يصرح بأن لألف زوج فی الهند ألف زوجة لا غير (۳) والحق بين التقديرين ومن المعروف أن نظام التعدد ظل سارى المفعول فی الهند طوال مدة حكم المسلمين وحكم المستعمرين ، ولم يجرؤ احد على ابعاده عن المجتمع طوال تلك الأحقاب ، وأول ثغرة اقتنصها الغربيون للتقليل من عدد المسلمين تمثلت فی التشجيع على منع التعدد بحجة الرفاهية الاقتصادية للأسرة ، ورفع مكانة المرأة فی المجتمع وما شابه ذلك من الأقوال المعسولة . ولأول مرة وضعت حكومة أيوب خان عام ۱۹۶۱م العقوبات فی طريق التعدد ، وهدفت حسب أقوال مدافعيها الرسميين إلى " ضمان تمتع النساء المسلمات بحقوقهن حسب أحكام القرآن

(۱) انظر باكستانى مسلمانون ص ۲۶۹ .

(۲) انظر السيد امير شاه كستوين آف لاهور [الشيخ القانونى] ۱۷۷۲ و دشافرويد اصول شرع

۶۷۶/۱۵

(۳) انظر الفارة على العالم الاسلامى ص ۷۱ ، ومجلة الفتح ج ۶۷۶/۱۵
(۴) انظر محمد عبد الرحمن عورت نسائيتكم في الانثى فی ضوء المرأة البشرية ص ۱۸۱

وأنها تسمى الى منع استغلال النساء عن طريق التعدد ، والاساءة اليهن به ، وأن —
الاصلاحات تحاول اعطاء تفسير جذرى على قانونى لأحكام القرآن حول هذا الموضوع ^(١)
وينص البند السادس من " مسلم عائلى قوانين " على أنه لا يجوز لأى شخص أن يتزوج
زوجة ثانية دون اذن محرر مسبق من اللجنة الثلاثية ، ^(٢) ولا يسجل أى نكاح ثان فسى
محكمة ما الا بوجود هذا الاثنى .

" يجب تقديم الطلب مشفوعا بالرسم المالية الى رئيس اللجنة مع بيان ذكر الأسباب
التي دفعت الى ذلك ، وهل اذنت له الزوجة أو الزوجات اللاتي تحت عصمته عن رضى
وطيب خاطر ، وعلى اللجنة أن تذكر ما اقتنعت بموجبه فى السماح لبعالزواج الثانى ، ولمن
لهم صلة بالموضوع أن يتقدموا بطلب الرقابة على الزوج الى الجهات المختصة . " ^(٣)
وفى حالة الاقدام من غير اذن يعاقب الزوج بتعجيل المهر المؤجل للزوجة والزوجات
اللتي فى عصمته وعند امتناعه يستوفى ذلك منه قضائيا كحقوق مالية متبقية فى ذمته ،
وعند ثبوت الجرم يسجن لمدة سنة أو يعاقب بغرامة مالية قدرها خمسة آلاف روبية ،
ويمكن الجمع بين العقوبتين " ^(٤) و " للزوجة أو الزوجات اللاتي كن فى عصمته قبل النكاح
الأخير طلب فسخ النكاح بحجة مخالفتة تشريعات الأحوال الشخصية لعام ١٩٦١ م . " ^(٥)
ولم يفض ست سنوات على هذا التشريع فى باكستان حتى تبعتها الهند فيما يخص
المسلمين فى تعدد الزوجات ، فأصدرت وزارة الداخلية الهندية بيانا صرحت فيه
" أنه لا يصح لموظفى الدولة حسب قانون التوظيف فى بنده الحادى والعشرين أن يجمعوا
بين زوجتين فى الحياة الزوجية ، ومن اضطر الى ذلك يجب عليه أخذ الأذن الخاص . ولا يستثنى
من هذا التشريع " الموظفون المسلمون " ^(٦) وهكذا احكمت الحلقة على المسلمين فيما يتصل

(١) حقائق عن باكستان ص ٢٢٢ .

(٢) أى ثلاثة أعضاء ممن يعملون فى هذا الميدان بموجب تفويض الدولة .

(٣) مسلم عائلى قوانين ص ٤ .

(٤) مسلم عائلى قوانين ص ٥ .

(٥) مسلم " " ص ٢٧ .

(٦) مجلة صدق جديد الاسبوعية الهندية ص ٦ مجلد ١٧ العدد الثانى بتاريخ

بتمعدد الزوجات في شبه القارة الهندية كلها .

مفحص القضية وملايسات التشريع في باكستان يتضح أن الذين عملوا في الخفاء وشجعوا على منع التعدد ووضعوا العراقيل في طريقه هم المنكرون للسنة الغريبيون فكرا وثقافة يقول رئيسهم غلام أحمد برويز في هذا الصدد : " المقصود من النكاح ايجاد الألفة والمؤانسة بين الطرفين ، وشهية ظروف تنمو فيها مدارك الذرية والأطفال ، وهذا لا يتأتى الا من نظام الوحدة قسى الزواج ، لأن التعدد يزيل ذلك المقصود بل يحول البيت الى ساحة حامية ، اذن لا يتأتى تزوج الثانية الا عند وفاة الأولى ، والشرط الأساسى لباحة التعدد ما تشمله قوله عز وجل : " وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . . . الآية والشئ الواضح الساطع فيه أن التعدد مشروط بعدم الجور .

" ثم ان جو هذه الآية يشير الى أن عصاة المسلمين الأولى خاضت عدة حروب خذلان بضع سنوات بعد الهجرة مما نتج عنه بالطبع نقص الرجال وزيادة يتامى النساء ، فجاء الحل الأمثل لتلك الظروف الطارئة ومع هذه الطوارئ - نقص الرجال وزيادة النساء - يشترط في التعدد اقامة العدل بين الزوجات ، ومتى خاف المرء على اختلال توازن البيت لا يجوز له الزواج بأكثر من واحدة " (١)

وأخيرا سجله المنكرون للسنة في تأييد هذه القضية ما سجله عمر أحمد العثماني أن الشهداء تشريع طارىء وصورة مؤقتة ، وأن الزوج إن لم يوفى في الاختيار الأول فبان القرآن لا يسمح له بنكاح آخر مع بقاء الأول بل السبيل أن يطلق الزوجة الأولى ليتزوج بالثانية " (٢) ويؤيد رأيه في موضع آخر فيقول : " التعدد حل طارىء لظروف طارئة لا يباح بدونها ، وأنه مقيد بقيد الطوارئ لا انفكاك عنه " (٣)

(١) ظاهرة كنام خطوط ^{مجموعة} رسائل باسم ظاهرة " ج ٨٨ - ٩٣

(٢) فقه القرآن ج ١ / ٤٩١ .

(٣) فقه القرآن ج ٢ / ٥١٥ .

ومن الصعب الاقرار بأن التعدد تشريع للطوارئ لا مـ : -

أ - ان الآية الكريمة : " وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء" مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . . الآية ذكرت أن من أراد الزواج باليتيمة التى فى حجره وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فله أن يعدل الى ما سواها من النساء فأباح الآية له أن يتزوج اثنتين وثلاثا الى أربع ، فإن خشى الحيف وعدم العدل فعليه أن يقتصر على الواحدة ، ولا شك أن الاباحة عامة للمسلمين أجمعين وغير مقيدة بالظروف والأحوال فلا يخص شخص دون شخص ولا ظرف دون ظرف وانما حاجة الرجل المسلم هى المحور الذى يدور عليه تشريع التعدد .

ب - لو اعتبر تشريع التعدد للطوارئ فما الذى يفرق بينه وبين بقية التشريعات الاسلامية وما الذى يميز تشريع القصاص والسرقه وشرب الخمر مثلا من تشريع التعدد ، فإن كان التعدد طارئا يحدث بين الحين والآخر ويأتى أفراد دون أفراد فمثل القصاص والجلد والقطع . . . اذ أنها لا تقام الا بين الغنية والغنية بل إنها اندر من التعدد ، وعلى ذلك يمكن وصف التشريع كله بالطوارئ فلا فرق بين تشريع التعدد وتشريع القصاص وغيره ، فان كانا طارئين فهما معا وان كانا مستمرين وعامين دائمين فهما معا .

ج - سخاء سنة الله الكونية بوجود الأناث أكثر من سخائها بوجود الذكور ، أهف اليه ما يتعرض له الذكور من الحروب وحوادث العمل والطريق . . . كل ذلك ينتج حالة دائمة فى البشرية وهى أن عدد الذكور أقل من عدد الاناث فى العالم أجمع ، ومن هنا فطر الخالق الانسا ن بنوعيه - ذكره وأنثاء - على وضع يخدم كل منهما الأخرى فى تحقيق مهمام الحياة ، فجعل الذكر على استعداد فطرى لأن يلقح أكثر من انثى بينما هى لا تحتاج فى فطرتها الى اللقاء بأكثر من ذكر واحد . لذا جاء تشريع الاسلام العام موافقا لهذا التركيب الفطرى فحكمه فى التعدد كحكمه فى زواج الواحدة سواء بسواء

سادسا : تدخل تشريع ايوب خان فى أبغض الحلال الى الله فصرح : " أن من أعلن

طلاق زوجته يقدم اشعارا الى رئيس المحكمة الأهلية المعنية بذلك لهذا الغرض ، ويرسل صورته الى زوجته المطلقة ٠٠٠ ولا ينفذ هذا الطلاق الا بعد مضي تسعين يوما من تسلم الرئيس لهذا الاشعار ٠٠٠ مالم يكن الطلاق طلبة ثالثة وعلى الرئيس أن يشكل لجنة ثلاثية خلال ثلاثين يوما من وصول الاشعار للاصلاح بين الطرفين وتقوم اللجنة ببذل المساعي ، والأخذ بكل السبل والوسائل الممكنة للجمع بين المتنازعين .^(١)

لا يختلف من له أدنى الملم بالشريعة الاسلامية فى مخالفة هذا القانون لتشريع الاسلام وظلمه للمرأة بتطويل العدة عليها ، ومن الصعوبة أن تنجح مراجعة المحكمة فى محاولة التوفيق ، ثم إن الشرع لا يمنع أن تكون المراجعة والمفاهمة فى مدة العدة ، فإن صادفت التوفيق ردت اليه زوجته فى الحال فى الطلاق غير البائن ، وعاد البيت الى الانسجام والوئام ، وإن كان غير ذلك فالمصلحة تقضى باستعجال تخليصها وقسم عرى الزوجية من رجل يكرهها ولا يرغب فيها ، وما أعدل تشريع الاسلام فى تحقيق مصالح العباد رجالا ونساء ، فى شريعة الله تبدأ العدة منذ لحظة النطق بالطلاق ويظل باب الاصلاح وتجفيف منابع النزاع مفتوحا طوال مدة العدة " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا " (٢)

وفى الهند خرجت مظاهرة نسائية وفيهن نساء المسلمين المتنورات عام ١٩٦٩م وطالبن الدولة وقضاءها فتحهن الطلاق ، وأن يعطى لهن سلاح الفصل وترك الحياة الزوجية كالرجل سواء بسواء ، وأن اختصاص الرجل بالطلاق اهانة للمرأة ومذلة لانسانيتها واحتقار لمكانتها الاجتماعية .

هكذا طلعت التشريعات من التشريع الوضعى حق الطلاق ، وأن يملكن اياه مالم يملكن

(١) مسلم عائلى قوانين ص ٦٥٥

(٢) النساء آية : ٣٥ .

(٣) انظر مجلة صدق جديد ج ١/١٩ عدد ١٩٦٩/٥/٩ . وللشاعر محمد اقبال موقف من الطلاق شبهه بالمظاهرات . راجع تفصيله فى تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ج ١٧٧ ، ١٩٤ .

شرع الله العليم بمصلحة العباد ، وما يقيم الحياة الزوجية ، وما يخل بتوازنها ، ولم كان المشرع حكيمًا حين لم يسهو بالرجل في باب فصل العلاقات الزوجية ، لأن المرأة بطبيعتها مجبولة على العواطف المتقلبة والانفعال السريع ، فالجانب العاطفي لا الفكرى هو الغالب على طبيعتها ، بينما الرجل خلق لعراك الحياة واستخلاص القوت منها الأسرة وحمايتها . . . وهذه الوظائف كلها لا تحتاج الى العاطفة التى تنقلب فى لحظات من النقيض الى النقيض ، بل الى الرؤية والفكر ، فكان من الأنسب أن يعطى حق الطلاق لمن يقدر عواقب الأمور ، ويحسب للمقدمات والنتائج كل حساب قبل الاقدام ، ولا يعطى هذا السلاح الا مقيدا لمن خلق للمواظف والمشارع الرقيقة التى تفيض بأول لمسة .

فالشرع لم يحجر على المرأة طريق الخلاص وقطع عرى الزوجية إن رأت أن الحياة لا تنطاق مع بقائها ولها فى ذلك سبل ثلاثة ،

١ — أن تشترط عند العقد أن يكون عصمتها فى يدها فيكون لها فسخ العقد عند الاحتياج اليه . ولما التفت النساء الى هذا الشرط ، ولكنه حق مشروع ، لها أن تستخدمه عند الحاجة .

٢ — أو ترفع دعوى الخلع بسبب كراهتها عشرة زوجها وشرطه أن ترد ما أخذته عن طريق الزواج وهو شرط عادل لأن احتمال الخسارة عند الانفصال من نصيب الطرف المتسبب والمنطق يقضى بتحصيلها اياها كالزوج حين يقدم على الطلاق .

٣ — أو تطلب الطلاق على أساس سوء المعاملة والاضرار إن استطاعت اقامة الحجة على ذلك ، ولها فى هذه الحالة الاحتفاظ بما تملكه عند الزواج ، ولها النفقة مدة العدة ، تلك طرق الفكك الملائمة لفطرة المرأة وأسلحتها المقيدة .

وأخر سهام أيوب خان تجاه الطلاق جاء فى صورة " أن الزوجة المسلمة اذا ارتدت عن الاسلام أو اختارت عقيدة غير عقيدته لا يفسخ نكاحها . . . ولا يشمل هذا التشريع المرأة غير المسلمة أصلا ، ثم أسلمت ثم ارتدت عن الاسلام " (١)

لا يخفى على السامع لحركة التطور التشريعي في شبه القارة الهندية أن هذا التشريع ليس هو الأول من نوعه ، بل نص القانون الانجليزي على حفظ حقوق المرأة النصرانية بقوله "إن الهندوسية اذا تركت دينها لا يفسخ نكاحها" ^(١) و "ان المسلم اذا عقد على الانجليزية الكتابية لا يملك حق طلاقها لأن نكاحه بها يعتبر نكاحا مسيحيا مؤبدا وان العمل بالشريعة الاسلامية منسوخ في هذا الباب " . ^(٢)

ومن سبر غور القضية لا يفوته أن يدرك كنه التشريع ورماءه ، فمن أولى نتائجه ازالة المراقيل عن طريق حركة التنصير بين النساء ، واللائي كثيرا ما أشهر العلماء أمامهن سلاح فسخ العقد حين بدا منهن ضعف العزيمة ثباته غزو التنصير ، ولما حماهن القانون بهذا التشريع أصبحن نفس مأمن من فسخ العقد ، فالتشريع برمته لى ما كانت تهفو اليه الحركة منذ زمن بعيد تحت شعار حماية المرأة وحريتها العقيدية ضاربا عرض الحائط ما توارثه المسلمون كبرا عن كابر في حكم الارثداد عن الاسلام وأنه موجب لفسخ النكاح. ^(٣) لذا نجد مفتي باكستان الشيخ محمد شفيع يمدى استغرابه من هذه التشريعات بعد أن رفع الستار عن مصادمتها لشريعة الله بقوله : " لا أدري ما هي الأسباب التي دفعت الدولة في استعجال تنفيذ هذه القوانين ٠٠٠ التي تعتبر أسوأ تركة خلفتها الحكومة السابقة " ^(٤) وأمدى الكاتب الاسلامي عبد الماجد الدريابادي رأيه في الموضوع فقال " ولنا أن نقول إن الدولة منحت الجزء الأول من التجديد والتحديث للأمة وتدخلت بصورة مباشرة في تشريعات لم تستطع حكومة الانجليز التدخل فيها رغم طول عهدهما وقوة حديدتهما ، كما أن حكومة الهند العلمانية لم تصل الى ما وصلت اليه باكستان في الأحوال الشخصية " . ^(٥)

(١) أصول شرع اسلام ص ١٤ .

(٢) " " " " ص ٤٢٩ .

(٣) انظر عبد الرحمن الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة ج ٢٢٣/٤ .

(٤) عائلي قوانين يرتبصره " التعليق على قوانين الأحوال الشخصية " ص ٢٤ .

(٥) مجلة صدق جديد ص ٣ عدد ١٩٦١/٣/١٧ م .

سابعاً : وآخر ما يتصل بشمار الزواج وتدخّل فيه الفكر الفرسى للنيل من ثرائه هو الانجاب ، ولأول مرة تدخّلت الدولة الباكستانية ابان عهد أيوب خان فى تنظيم المواليد والحد من كثرة الذرية ، ويوضح الأستاذ أبو شهاب رفیع اللہ ما يعنيه تنظيم النسل فيقول : لا صلة لتنظيم النسل بقطع الانجاب أو المنع منه على الدوام ، بل المشروع بأجمعه يهدف الى ايجاد التناسب بين الوسائل المالية والانجاب ، وألا يحدث أى خلل فى هذه البنية البشرية فلا تبتلى الأمة بالمسرّ وضيق الموارد المالية . (۱)

ويؤيد الأستاذ فضل الرحمن مدير ادارة التحقيقات الاسلاميه براولبندي موقف الدولة ويلوم العلماء وحماة الشرع لمعارضتهم مشروع الدولة فى التحديد فيقول : " من الأمور التى اقلقت العالم الثالث وأزعجت مخططيّه كثرة الولادة ، لذا كلما وجد رئيس باكستان الجنرال أيوب خان فرصة التحدث ذكر امته بها ونص فى مؤتمر لاهور عام ۱۹۶۴م الذى عقد لتنظيم الانجاب على أن أهم مخطط تسعى الى تحقيقه هو التخفيف من الذرية وعدم التكاثر من التناسل لرفاهية الشعب ورفع مستواه الاقتصادى ، غير أنه من المؤسف أن أغلبية العلماء خالفونا فى المشروع ، ولا سيما الجماعة الاسلامية التى حاولت اثاره الفجار واشاعة الضوضاء حوله اذ اتخذت تنظيم النسل هدفاً أساسى ومرماها المقصود ، ولن تستطيع أمة مجابهة الأخطار اذا كان علماءها لا يفرقون بين الخير والشر " . (۲)

فلا غرابة اذا أصبح تحديد النسل جزءاً من الرعاية والمعالجة الطبية المجانية ، وبلغت مراكزه فى عامه الأول سبعمئة مركز يضاف اليها المستشفيات والمستوصفات ومراكز رعاية الأمومة التى لم تكن تخلو منها قرية من قرى باكستان آنذاك ، ويشئ أحد المنضمين الى المشروع على خدمات الدولة فى هذا المضمار فيقول : " وبدأ العهد الجديد أيضاً العمل فى سبيل الحد من التناسل بغية مراقبة النمو السريع لعدد السكان فى البلاد واتخذت ترتيبات لتأمين المشورة والتوجيه اللازمين عن طريق المستشفيات والمستوصفات

(۱) شريعت اسلامى اور خاندانى منصوبه بندي " تنظيم النسل فى ضوء الشريعة الاسلاميه " ص ۱۲ .

(۲) شريعت اسلامى اور خاندانى " ص ۳ .

ومراكز الأمومة والمرخاء الحالية ، وتقدم خدمة تحديد النسل على أساس طوع كجزء من الرعاية والمعالجة الطبية " . (١)

ولم تكف الدولة بمراكزها الخاصة ، بل مدت يد العون الى المنظمات العاملة في خدمة البشرية على أساس غريبي ، فلم ينته عقد السبعين من هذا القرن حتى أصبح لأغلب المنظمات الخيرية مراكز تخصصها بهذا الشأن ، وحظيت " أبوا " بنصيب وافر اذ كانت تدير ثمانية منها في كبريات المدن الباكستانية ذات الكثافة السكانية (٢)

ولم يتخل عن المشروع بتخلي أيوب خان عن الحكم ما زال ساري المفعول ينخر الأمة نخر السوس في الخشب ، ويسرى فيها سريان المرض المعدى وان خفت حدته في أيامنا الأخيرة . ومن نظر الى تحديد النسل من زاوية الشرع يتضح له أن دعاة التحديد والمثثلين لهم فقد واثقتهم برازقهم عز وجل ، وأن اعتمادهم انحصر في وسائلهم المنظورة ، وغفلوا عن صفة التوكل وطلب العون من الله عز وجل ، وانحرفوا عن مقتضى الفطرة السليمة ، وذلك الا يحقق الانسان مطلبها من مطالب الحياة الفردية والاجتماعية الا وفق سنن الله الكونية ، فلا يعطل قوة من قواه ولا ينحرف في استخدامها عن هدى الله .

ومن نظر الى التحديد من الوجهة الاجتماعية لا يشك في مضاره فالبرودة في الحياة الزوجية وفقدان المودة والألفة باكورة أثرها على الحياة المشتركة ، لأن الذرية ، وتربيتهم هما اللذان يمسكان العلاقات الزوجية ، بل يكرهان الأبوين أحياناً على التقيد بذلك القيد وتحمل تبعاته مدى الحياة ، ومن يدرى اذا كان المحدد لنسله يسد الطريق أمام حكيم من الحكماء أو داع من الدعاة أو وفي من الأوفياء . . . لأن الحيوانات المنوية تحمل العديد من المزايا الوراثية ففيها الأغنياء والحمقى ، والمقلان والمخترعون .

ويحلل الشيخ المودودي قضية تحديد النسل وما تجره من آثار سلبية الى الأمة فيقول :

" الانسان وهو جاهل حتى ينتائج عمله كما علمت ، اذا حدثته نفسه بالتدخل في هذا

(١) انظر السيدة نور الصباح بيكم تحريك باكستان اور خواتين " دور النساء في انشاء

دولة باكستان " ص ٣٣٠

النظام الذى ما خلقه الله سبحانه وتعالى الا بمحض مشيئته فلا يكون مثله الا كمثل رجل يدير عصاه فى الظلام ولا يدري هل يقتل بها حية مؤذية أو أحدا من بنى نوعه أو يكسرها شيئا ثميناً فكل شئ ممكن .

" وكذلك إن الانسان عندما يحاول الحد من نسله لا يدري ما إن كان بفعلته يسد الطريق الى عالم الوجود على قائد شجاع أو حكيم مدبر ، وعسى أن يعاقبه الله على هذه الجريمة بأن لا يخلق فى نسله الا الأغبياء والحقى والخونة ، وبالأخص إن امة اذا انتشرت فيها هذا التدخل فى مشيئة الخالق عز وجل فانها لا جرم تعرض نفسها لخطر قحط الرجال " (١)

وللمميز أن يقول إن تحديد النسل وارد فى الاسلام وذلك حين عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالعزل - الانزال خارج الرحم - وبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينههم عنه ، وجواب ذلك أنها حوادث فردية ، وظروف اختص بها كل صحابى بمفرده ، وليست حركة عامة لمنع الحمل ، وتحديد الذرية ، وانما عمل بالعزل نفر من المسلمين لحاجاتهم وضروراتهم الشخصية وقد يحتاج اليها الانسان أو الى ما يشبهه حاجة ملجئة كأن تتعرض المرأة لخطر الموت أو تخاف على رضيعها ضرراً مخيفاً اذا وقع الحمل . . . ، فمن الحيطة فى مثل هذه الأحوال الاذن للمحتاج على قدر حاجته ، ولكن مما يتنافى مع الشرع ويصادم سنن الله الكونية أن يتخذ العزل أو غيره من موانع الحمل خطة عامة ، وتعاملاً مشاعاً تتبناه دولة من الدول .

وأقرب الحلول مثلاً لزيادة السكان فى باكستان هو الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة لزيادة الانتاج الزراعى والصناعى ، أما منع الحمل أو تحديد النسل فهما بمثابة الاعتراف بالهزيمة أمام تلك المشكلة ، فالمنع والتحديد يعنيان اليأس من مواهب الانسان ، واستعداداته العلمية والعملية ، وقطع الأمل من زيادة انتاجه ومغيطاته ، والنظر بعين الشك الى وسائل الانتاج رغم قدرتها على تلبية حاجيات البشر ، وذلك هو الانتحار ، فليس من التعقل اذا كان ثوب المرء قصيراً لا يستر كل أعضائه أن يقلم أطرافه ، بل يبذل الجهد فى تحقيق زيادة حجم الثوب حتى يتناسب مع متطلبات جسده .

والحل الاسلامى الأمثل هو توحيد العالم الاسلامى فى وحدة سياسية ، تسهم كل ولاية بما عندها ، فالولايات ذات الكثافة السكانية تمد يد العون بالطاقات البشرية ، والولايات الغنية تسهم فى المشروعات الانمائية فى الجزء المفقور الصالح للاستثمار ، والولايات الزراعية تقدم الغذاء وتأخذ ما هى فى حاجة اليه . وهكذا نحفظ ثروات المسلمين ، ونوجد المصرف الصحيح لزيادة السكان ، فتعمر تلك البلايين من الكليو مسترات بالحرق والنسل ، وتخف كثافة السكان عن الأماكن التى تكتظ بالبشر فى أرجاء الوطن الاسلامى الكبير ، ولعل ما يمكن تحقيقه تجاه هذه الوحدة هو ربط بلدان العالم الاسلامى فى وحدة فيدرالية ، تشتغل كل ولاية فى شئونها الداخلية وتتضم جميعا فى القضايا العامة المشتركة .

ومتى تحقق لنا شئ من ذلك سيشهد العالم الاسلامى نهضة شاملة من المحيط الى المحيط ومن ثم تبدأ سيطرة الرجل الأبيض فى التقلص والانحصار ، وينتهى نهب الثروات باسم المواد الخام ، ويظهر فى ذريتنا المخترعون والمبتكرون ، فيزول الفقر ، ويزاد حاجة العالم الاسلامى الى النسل ، وتختفى الأصوات والتشريعات المصادمة للقطرة ، وذلك ما يخافه كل أوربى لكى لا تتدنى معيشته المترفة ، ويضطر للعودة الى بلاده التى لا تغنى بمطالبات حياته الضرورية ، فيظل يسعى بكل ما أوتى من مكر ودهاء فى الابقاء على الوضع الحالى الممزق ، وايجاد عوامل تمدده بعنصر الديمومة ، كتقديم أرقام توهم الهلوسة أن الأرض ستضيق بالسكان ، ولن يجد انسان المستقبل موضع قدم على ظهرها ، مالم تنبع طريقة تحديد النسل .

والحقيقة المرة أن دعاية التوحيد الغربية نجدتها فى العالم الاسلامى بين المسلمين وعلي العكس من ذلك نجد تشجيع الانجاب واعطاء منحة عند كل ولادة بين المسيحيين ، وفى الدول المسيحية ، وحسم المسألة أن التوحيد بغض النظر عن يتعاطا ويدعو اليه لا يتفق مع متطلبات الحياة لشعب مستقل فضلا عن أمة يدعو دينها الى ادخال البشرية كلها فى دين التوحيد

القوامة : =====

ومما له صلة بالقضايا الاجتماعية مسألة القوامة ، فقد عرف البشر منذ فجر التاريخ أن الحياة الاجتماعية لا بد فيها من رئيس مسئول والافسد التجمعات السكانية وأصبحت الحياة تمزقا وفوضى ، ومن ثم تعود الخسارة على الجميع ، فاقتضت الحاجة أن يكون هناك مسئول تسند اليه الادارة العامة للشركة المحدودة القائمة بين الرجل والمرأة أو الموسعة بين الجماعات والشعوب وأن يتولى ذلك القيم الاشراف على ما تثمر تلك الشركات من نسل وذرية أو الانتاج والتوزيع أو الكسب والانفاق لحفظ المصالح وإيقاف المعتدى عند حدوده .

والفروض المتصورة أمام طالب الحل لهذه المعضلة ثلاثة : اما أن يكون الرجل هو الرئيس أو تكون المرأة هي الرئيسة أو يشتركا معا في الرئاسة ، والفرض الأخير مستبعد لأن التجارب أثبتت أن وجود رئيسين للعمل الواحد أقرب الى الفساد منه الى الاصلاح : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون " . (١)

والفرض الأولان يحيلان الى التساؤل : أى النوعين أجدر بوظيفة المسئولية ، وما فيها من تبعات الفكر أو العاطفة ؟ إن كان الجواب بالفكر انحلت العقدة ، فالذكر بطبيعته المفكرة لا المنفعلة أصلح من الانثى في تولي القوامة : " الرجال قوامون على النساء " (٢) والادارة الناجحة هي التي تقابل المسئولية بالمشورة والتفاهم فلا يستبد الفرد بمصالح الأمة ، ولا الرجل بمصالح البيت والمنزل .

وحين أغفى الاسلام المرأة من هذه المسئولية راعى حالتها النفسية ورسالتها الاجتماعية فإذا استشرفت الى السيادة في أول عهد ها بالزواج ، لعدم وجود من يشغل وقت فراغها من الأولاد ، فإنها سرعان ما تحس بضيق الوقت وأعباء الجسم والأعصاب بعد الانجاب ، وكلما ثقل حمل التربية ضاق رصيدها من ذلك الاستشراف ، فالحكيم من يرفع عنها عبء المسئوليات التي لا تتفق مع طبيعتها ، تلك ميزة الاسلام إذ لم يكلفها من

(١) المؤمنون آية : ٩١ .

(٢) النساء آية : ٣٤ .

(١) الأعمال الا ما تطيق أداءه : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها "

دية المرأة :
=====

ودية المرأة وثيقة الصلة بقضاياها الجدلية ، اذ نظر اليها أعداء الدين فوجدوا فيها مخمزا لإثارة المرأة ، لعدم تساوى ديتها شرعا بالرجل فى القتل الخطأ ، فاعجبوا ذلك اهانة لانسانيتها وآخر ما اطلعت عليه فى هذه القضية الجدلية ما ورد فى كتاب " فقه القرآن " إن اجماع الصحابة على تنصيف دية المرأة لا نسلم به ، لأنه لم يثبت ان - الصحابة كلهم اجتمعوا فى مكان ما واتفقوا على التنصيف ، اذن نعود الى حكم القرآن العام ، فمن قتل مؤمنا خطأ اعتق رقية ودفع دية كاملة الى أهل المقتول وهو عام يشمل الذكور والاناث فلا يصح تقييده بالرواية أو الاجماع السكوتى لمخالفتها حكم القرآن . (٢)

وهذه الشبهة لا يرددها الا من جهل حكمة التشريع الاسلامى ، فحين تقتل المرأة عبدا يقتص من القاتل اذا لم يقبل وزمتها حلا سواء ، والقصاص متساو من انسان لانسان من رجل لامرأة لتساويهما فى الانسانية ، ولكن دية القتل الخطأ أوثق صلة بجبر الضرر الذى يصيب الأسرة من الانسانية العامة المشتركة بين النوعين ، والتمويض المالى يجب أن يراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة عند العقلاء ، فهل خسارة الأسرة بعائلها الرجل كخسارتها بالمرأة ؟ ..

فالاطفال الذين أصبحوا مثار عطف ليتيمهم ، والابوان العاجزان اللذان فقدوا فلذة كبدهم ، والزوجة التى ترملت بعد مقتل بعلمها خطأ ٠٠٠ كل هؤلاء ، فقدوا معيلهم الذى كان يسعى فى سبيل اعاشتهم ويعدل الجهد لكسب قوتهم ، فهل يتساوى فقد هذا المعيل بفقد الام أو الزوجة أو البنت ٠٠٠ ؟ بل قتل الانثى قلما يؤثر الا فى الناحية المعنوية ولا يقوم المال مقامها ، فالدية اذن ليست تقديرا لقيمة الانسانية فى المقتول ، وانما هى تعويض لقيمة الخسارة المالية التى نزلت بالأسرة عند فقدان ذلك الفرد ، وذلك هو سر التفرقة بين دية الرجل ودية المرأة فى القتل الخطأ .

ارث المرأة :

وصائل الدية الارث ، وما تحصل عليه المرأة من الأموال بعد وفاة أحد مورثيها ، وبزعم أعداء الفطرة أن الاسلام بتقعيده قاعدة " للذكر مثل حظ الأنثيين " ^(١) في التركة ظلم المرأة ، وانتقص انسانيتها حيث عدل نصيب امرأتين بنصيب رجل واحد .

تلك نعمة ترددها الجمعيات النسائية ، وكل من يريد من المسلمة أن تغفوا أثر الغريبة في الشر ، ونظرة مجردة من الميل والهوى تأخذ بيدك الى حقيقة حكم الاسلام ، واتساقه مع ما كلف الرجل والمرأة من الواجبات ، فالرجل مكلف بالانفاق زوجا أو أباً أو ابناً أو أخاً أو ٠٠٠ أو ٠٠٠ ، لأن كل العصبة الذكور مكلفون في ظل النظام الاسلامي بالانفاق على المرأة ، على قاعدة " الأقرب فالأقرب " بينما هي لم تكلف بشئ من ذلك ، ما لم تكن هي العائل الوحيد لاسرتها وتلك حالة نادرة الحدوث في أمة أساسها التعاون ، أهف الى ذلك ما فرض لها الاسلام من المهر ونفقة العدة بعد فسخ عرى الزوجية .

فالمسألة مسألة حساب ، أساسها أسس اجتماعية ، والتزامات اقتصادية لا تتصل بانسانية المرأة ومعدنها بشئ . فحين تترك ثلث الثروة لتنفقها على نفسها وزينتها ، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة ليصرفها عليها وعلى أولاده ، وعلى كل انثى يعتبر هو أقرب عاصب لها ، فايهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق للأرقام والحساب والغريب حقا أن يأتي الهجوم على أعدل تشريع عرفته البشرية حتى اليوم ، من أمة كان وضع المرأة في مجتمعتها قبل قرن فقط لا يعد و وضع المتاع : تنتسب الى من يتزوجها ، ولا تقع عليها المسؤولية اثباتاً أو نفياً . ٠٠٠ ، ويشير السيد أحمد خان الى تلك المكانة المزرية للمرأة الانجليزية فيقول : " تفقد المرأة الانجليزية بموجب قانون انجلترا شخصيتها ، وتصبح مكسلة لاسم زوجها ، ولا تستغل بالمسؤولية في كل توقيعاتها التي وقعت من غير رضى الزوج ، وكل ما كانت تملكه قبل الزواج يصبح ملكا

(١) النساء آية : ١١ .

للزواج بعده . . .

" وإن وضعها شبيه بوضع فاقده العقل ، فلا يصح منها أن تكون مدعية ، أو مدعى عليها ، ولا تملك الاتفاق على نفسها الا فيما يخص الطعام واللباس والسكن ، وما عدا هذا الأمور الثلاثة فلا يصح لها الاتفاق على شيء الا بإذن الزوج " (١)

ولكن انظر الى الاسلام الذى راعى حقوقها سواء كانت موروثة أو مكتسبة ، ففى الموروثة فرض لها حق الارث وهى فى بطن أمها نطفة ، وفى المكتسبة شرع المساواة بين الجهد والجزاء ، سواء كان جهد رجل أو جهد امرأة .

ثم لا يطرد تنصيف الارث فى جميع الحالات ، بل من الحالات ما تتساوى فيه الانثى بالذكر ، كمن مات عن أب وأم وأولاد ، فنصيب الأم من هذه التركة كنصيب الأب ، ومثل الأم الأخوة لأم ، فإن المنفردة منهن تأخذ السدس كما يأخذ أخوها اذا انفرد ، والأمير كله فى توريث الانثى مع الذكر يدور حول التوازن بين الحقوق والواجبات على قاعدة " الغنم بالغرم " وما دامت المرأة لم تكلف بشيء من الاتفاق كان من العدالة أن يكون نصيبها أقل من نصيب الرجل .

سفر المرأة بدون محرم :
=====

والطلب الأخير الذى رغبت فيه المسلمة الهندية ، وألحت على واضعى التشريع تنفيذه هو أن ينسخوا كل قيد يحكم تصرفها فى السفر ، فيجب طى شرط وجود المحرم . بل يطلق لها العنان فى الترحال والرواح دون محرم يرافقها ويحافظ على كرامتها (٢) والمعتقدات من النساء لا يبالين بقيد الشرع ، ولا سيما اللواتى يعملن من أجل زيادة الدخل ، وقد يكون لتكاليف السفر الباهظة - ما لوسافر معها محرماً - وكثرة

(١) مقالات سرسيد أحمد خان ج ١٩٤/٥

(٢) انظر تفاصيل الطلب المقدم من النساء الهنديات الى لجنة التقنين فى مجلة صدوق

جديد عدد ١٩٦٩/٥/١٩ .

المسافرين ، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض دخل في تعدى المسلمة على شرط وجود محرم معها في السفر : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم واحد ليس لها ذو محرم " (١)

شرب المسكرات : =====

ولعل المشاركة الاجتماعية المنحرفة الأخيرة من الانثى للذكر أتت في تتبعها ردائله وانحرافات في شرب المسكرات ، وتماطى ما يزيل أو يخدر التفكير ، وعم البلاء حين فتح النبع النتن على شعب الهند وسلط هذا الداء الفتاك عليه تسليطا ، فقد ابتدأ الانجليز بصنعه وشربه علنا لأنفسهم أول الأمر ، ثم لم يمض وقت طويل حتى شاركهم الشعب في تماطى المسكرات ، وأخذ يتعمد على أن يشرب في وضع النهار ما كان يتحاشى أخذه للعلاج ويصف الداعية أبو الحسن الندوى وضع مدينة كلكتة وما كانت تغص به أسواقها من المواد السالبة للعقل عند نزول السيد أحمد الشهيد بها لأداء فريضة الحج فيقول " وأثرت هذه المواعظ اليومية والمجالس الدينية في حياة البلد . . . فتأبوا من تماطى الخمر والمسكرات . . . وكسد سوق بيع الخمر . . . ومشى أصحاب الحانات وتجارة الخمر الى الحكام الانجليز وقالوا لم نتأخر عن دفع ضريبة الخمر ، ولكن حاناتنا أقفرت منذ نزول السيد في كلكتة . . . وأثر ذلك في تجارتنا . . . وأمر الحكام بالبحث في القضية وعن مدى صدق هؤلاء الخمارين فيما قالوا فتحقق أنه صحيح وأنهم لا يستطيعون ان يدفعوا الضرائب الحكومية ما دام هذا الحال . . . وقرر الانجليز أن ينفقوا عن الضرائب الى أن يفادر السيد وأصحابه المدينة " (٢)

وما دام هدف الاستعمار جمع المادة والاثر فلن يتورع عن فرض ما يراه يخدم ذلك الهدف ولا يهمه بعد ذلك رضا الناس أو سخطهم ، فحين منعت الصين دخول الأفيون

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب المناسك باب المرأة تحج بغير ولي ج ٩٦٨/٢ وحددت المسيرة في رواية أخرى بثلاثة أيام انظر سنن ابن ماجه ج ٩٦٨/٢ وسنن الدارمي ج ٢٨٩/٢ ورواية البخاري حددت المسيرة بيومين / انظر فتح الباري ج ٧٠/٣

(٢) اذا هبت ريح الايمان ص ٤٦.

الى أراضيها عام ١٨٣٩م هبت انجلترا لمحاارثتها - وعرفت هذه الحرب باسم حرب الأفيون - دفاعا عن حرية التجارة وتضريف المنتجات الانجليزية السمنمة وغير المصطنعة من الحشيش والأفيون وأسفرت هذه الحرب عن معاهدة نانكين عام ١٨٤٢م الستى أرغمت الصين على التنازل عن جزيرة هونغ كونغ وتسهيل طرق التهريب أكثر من ذي قبل (١) ويبدو أن صناعة المخدرات فى الهند لم تتقهقر قيد انفسه طوال عهد الاستعمار و لعل أسوأ سنة حالكة أصابت الهند بالجفاف والنوازل السماوية حلت عام ١٨٦١م ويذكر التقرير السنوى للدولة " أن دخل المسكرات والأفيون قد خف عن العام المنصرم وسبب ذلك أن الناس اصيبوا بالجفاف والجوائح السماوية فضاقت ذات اليد عندهم غير أننا عمرنا عشرة أفران جديدة لصناعة الأشربة الكحولية " (٢)

ولو ألقيت نظرة على الأرقام التى نشرت عن المسكرات عن مقاطعة البنجاب وحدها لأخذتلك الدهشة ان خصص ١٠٧٣٠ فدانا من الأرض لزراعة الحشيش والأفيون ومنحت الدولة لهذه المقاطعة ٣٩٢ رخصة رسمية لبيع المسكرات وقبضت على ٣١٥ فردا يتعاملون فيها دون إذن رسمى وأدين من هؤلاء ٣٠٣ بالقرامة والسجن (٣) فان كان هذا وضع مقاطعة دخلت فى السيطرة الاستعمارية عام ١٨٤٩م وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% فكيف يكون وضع مقاطعات دخلها الاستعمار قبل استشهاده دتيو سلطان أو بعده بهضغ سنين ولا تعدو نسبة المسلمين فيها ٢٠% من مجموع السكان .

ويوضح جدول الدخل الهندى الى الخزانة البريطانية من مستعمرتهم الهند (المصفور الذهبى) أن ايراد الأفيون والمواد السالبة للعقل يأتى فى المرتبة الثالثة ويسبقه ايراد الخراج والملح ، وقدر المبلغ المكتسب من المخدرات بمائة وثلاثين مليوناً فى السنة . (٤)

وجرت أول محاولة لمنع الناس عن شرب المسكرات فى ضاحية سالم

(١) انظر لتفاصيل الحرب والمعاهدة مصطفى خالد وعبر فريخ التبشير والاستعمار فى

البلاد العربية ص ١٩٩ .

(٢) رپورت مجموعى بنجاب لعام ١٨٦١ - ١٨٦٢م ص ٤١ .

(٣) رپورت مجموعى عن عام ١٨٦٥ - ١٨٦٦ ص ٨٩ .

(٤) انظر حضارات الهند ص ٦٨٦ .

بمدينة مدراس وأواخر عهد الاستعمار وجمعت صحيفة الفتح ثمار هذا الاجراء فى قولها "إن النتائج التى أسفر عنه منع المشروبات الروحية ^(١) فى ضاحية سالم حسنة جدا وإن الجرائم تناقص عددها وإن الإقبال على العمل والاشتغال فى المصانع وكثرة الانتاج شئ ملموس ، وإن التجربة أنتجت نجاحا عظيما من الوجهتين الأدبية والاجتماعية ، وإن أصحاب مزارع نارجيل قد خسروا خسارة جسيمة ، لعدم نقر الناس أشجارها لاستسالة الشراب المخصوص المدعو تودى " ^(٢)

الاقتصاد ووسائل الاعلام :

وان نظرت الى الاقتصاد ووسائل الاعلام — من الراديو والتلفاز والصحافة والسينما — فى شبه القارة بل فى العالم الاسلامى أجمع وجدتهما يتبعان الفرب خطوة بخطوة أباحوا الربا باسم المنفعة والمصلحة ، وبذلك استحقوا محاربة الله ورسوله :-
 " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فإذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " ^(٣)
 عرضوا مفاتن الجسم البشرى أمام الناس ، وأباحوا النظر الى ما حرم الله ، واضطروا العفيف الى سماع أصوات محرمة من الفناء والموسيقى ، وهيا وأماكن الاختلاط واللقاء بين الفتيان والفتيات ونشروا قصص الحب والغرام ، باسم الأدب والفن ، واكتملت الحلقة المفسدة للاخلاق بأشرطة الفيديو ، فتجمع حولها أفراد الأسرة ، واشتركوا فى مشاهدة ما كانوا يتحاشون الحديث عنه ، وما زالت اليد الاسلامية المصلحة بعيدة عن الميدان .

تلك أهم القضايا التى تأثرت بالفكر الغربى ، فأنحرفت عن الصواب ، والحق أنه ما من قضية لها صلة بالاجتماع والمجتمع الا تجد لها متأثرة بالفرب ظاهرا أو خفيا ، ولا يفوتنى قبل ختام هذا الفصل التنويه بأن من القضايا ما أجلت الحديث عنها كشهادة المرأة الى فصل تال عن " أثر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية " لأنها الصق بالموضوع هناك من هنا .

(١) التسمية الصحيحة هى المشروبات الكحولية (٢) ج ٧٨٩/١٢ عدد ٢٧ شوال ١٣٥٦ هـ .
 (٣) البقرة آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الفصل السابع

قضاء المسلمين في الهند قبل الحكم الانجليزي :

سار المسلمون في تاريخهم الماضي كله من منطلق أن تطبيق الشريعة هو مقتضى كونهم مسلمين ، أى أن مقتضى شهادتهم أنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ومن ثم عاشوا في ظلال عدل الشريعة الربانية ، واشتهر عنهم هذا العدل في الأحكام ، حتى ان الحكومات غير المسلمة في الهند سمحت للمسلمين أن يقيموا على أراضيهامحاكم ، يتقاضى فيها المسلمون بشريعة الله .

ولعل أول حكومة سمحت باقامة مثل تلك المحكمة هي حكومة مليار " كاني كت " فسي أواخر القرن الثالث من الهجرة ، وقد تولى رئيسها بنفسه تنصيب قاض يفصل في المنازعات بين المسلمين ، ولقبه بـ " هنرمند " (١) أى صاحب الخدق والفراسة ، ثم إن التعمين في الحكومات الاسلامية لم يكن خاصا بالحضر والمدن ، بل تجاوز ذلك الى حياة الترحال والسفر ، وذلك بتخصيص قضاة يصحبون أبطال الفتح ، وجيوش الاسلام المجاهدة . ولم تنحصر أعمالهم في الفصل بين الأفراد ، بل تجاوزت الى الفصل بين الدول ، وإبرام معاهدات الصلح ، وحقق الدماء بين الجيوش المتحاربة ، (٢) وكثيرا ما كلفهم الحكام المسلمون بأعمال غير قضائية ، لملء فراغهم الذي خلفه خلوا الساحة الاسلامية من النزاع وترفع الناس عن الخصام .

وظل النظام القضائي الشرعى في حكومات الهند المتعاقبة سارى المفعول ، يحقق العدالة ، ويفصل بين المتخاصمين في ضوء شريعة الله ، ورأه الهنود في أتم صوره ، وأبهى حلله ، في عهد الملك أورنگ زيب رحمه الله اذ كانت العدالة تطرق أبواب العباد قبل أن يطرقوا بابها ، فقد تم تعيين القضاة والمفتين في كل صقع ور يف ، وبلغ من حرصه رحمه الله على تحقيق العدل بين رعاياه أن أصدر أوامره لقضائه بالجلوس في لمحاكم خمسة أيام بد لا

(١) انظر مسعود عالم مجلة الفتح ج ١٠ / ٦٨ .

(٢) " تاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٥٣ .

من يومين في الأسبوع على العرف السابق ، وذلك للأسراع في الفصل بين المتنازعين ، ودراسة قضاياهم بأقصى سرعة ممكنة . (١)

وليس غريبا أن يقع انحراف عن الشريعة في بعض الجزئيات ، لا سيما في تعيين عقوبة الماصين والخارجين على سلطة الدولة ، ولكن من الافتراء غلط الحق أن يوصف قضاء المسلمين برمتهم بأن ملوكهم تدخلوا بحكم منصبهم السلطاني في تشديد العقوبة أو تخفيفها ، ولم يقفوا عند حدود الشرع وما أمر الله به من العقوبات المحددة . (٢)

ولن يعدم الحق أنصارا يقولون أن المسلمين ما أقاموا دولة خلال القرون الاثني عشر الماضية قبل الاستعمار - الا كانت تستظل بظل الشريعة رغم ما حدث من مخالفات جزئية في سياسة الحكم أو سياسة المال ، وذلك ظل نطاق التشريع الاسلامي يتسع باجتهادات الفقهاء في كل قطر من أقطار العالم الاسلامي حسب حاجة البلاد والعباد ، وما توقف نشاط الفقه لحظة حتى احتل الغرب بلادهم في أوائل القرن التاسع عشر ، وان التشريع الجنائي والمدني الاسلاميين ظلا نافذين ، طوال مدة حكم المسلمين في الهند ، وضعة عقود من أوائل حكم الانجليز . (٣)

اتفاقية بكسر وخيانة الشركة في تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء :

وحين وقع الامبراطور شاه عالم اتفاقية بكسر " Baxar " نتجة الهزائم الحربية المتتالية أواخر عام ١٧٦٤م ، تكفل له الانجليز بدفع مرتب يوازي ٢,٦٠,٠٠٠ روميه من دخل البنغال ، وتنازل الامبراطور لهم مقابل ذلك باصدار فرمان يخلو شركة الهند الشرقية ادارة كل من كره " Karrah " واله آباد والبنغال وميهار وأوريسه . وجمع الخراج منها والأشراف على القضاء المدني فيها ، (٤) ونجد هنتر شاهد العيان يبيط اللثام عن حقيقة وضع الشركة

(١) انظر تاريخ المسلمين ج ٢ / ٢٤٦ .

(٢) انظر الاستاذ محمد عبد الحفيظ الصديقي ، برصنير باك وهندمين اسلامي نظام عدل

كستري (نظام القضاء الاسلامي في الهند) ص ٢١٧ ، وتاريخ العالم ج ٦١٧/٥ - ٦١٩ .

(٣) انظر أبا الأعلى المودوي نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ص ١٧٨ .

(٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٢ .

القضائي وسلطتها الفعلية على الهنود الاية فيقول : " عندما استولت الشركة في أول أمرها تركوا الأمور تسير وفق شرع الاسلام فعينوا القضاة والمفتين ، ولم تكن تنفيذ أمرا الا باسم ملك المسلمين . حتى بعد فشل الثورة الاسلامية والقضاء عليها - ١٨٥٧م - ولم تستطع الشركة تنفيذ شيء الا بدعوى أنها ناعبة عن الملك ، أضف الى ذلك - والحق يقال - أننا عندما أسرنا الملك بتخصيص مرتب له كل شهر لم نستطع أن ننفذ أمرا - لشدة الضغط الشعبي - الا باسمه " (١)

ونصت الاتفاقية على حد اعتراف الانجليز على أن تسير الأمور والأنظمة وفق التشريع المعمول به قبل ابرام الاتفاقية ، وأن الشرع الاسلامي سيقى سارى المفعول في المناطق التي خولت الشركة ادارتها (٢) غير أن خبر المعاهدة لم يكد يجف حتى أخذ كلاورئيس الشركة يتصرف في الأمور بما يحقق المردود المالى الوفير ، وفى عام ١٧٦٩م فصل كلاو محاكم الجنايات عن محاكم الأموال وصار من اختصاص الأخيرة جباية أموال الشركة ، وجمع مستحقاتها ، ومحاكمة من يمتنع عن اداء حقوقها كما منع رئيسها لقب " نواب " مخولا ادارته الجديدة حق نقض الأحكام الصادرة من محكمة الجنايات إن رأت في ذلك مصلحة ، كما حول تعيين القضاة والمفتين من الملك الى النواب (٣) ، ثم أصبح المتحاكمون في أراضى الشركة يدفعون ضريبة معينة لكل قضية يظهون فيها الفصل من القضاء ، وذلك أصبحت المحاكم بابا من أبواب جلب الأرباح للشركة . (٤)

بداية التحريف في القضاء وآثاره الوخيمة :

ويمعد بداية التحريف في القضاء الاسلامي علنا على الأيدي الانجليزية الى عام ١٧٧٢م ، حين اسند منصب رئيس القضاة الى ملك انجلترا ، وبدأ التشريع الوضعى يأخذ طريقة السى ساحة القضاء ، وتدخل الملك بمنصبه فأول نصوص اتفاقية بكسر بأن الاحتكام الى الشريعة سيقى خاصا بالمسلمين ، وذلك اذا كان المتخاصمان مسلمين ، ويكون " دهرم شاسترا " - كتاب

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ٢٠٢ .

(٢) انظر همار هندوستانى ص ٢٣٧ .

(٣) انظر سيد أمير شاه كستوتشن آف لا " تاريخ القانون " ص ٢١ .

(٤) انظر طفيل أحمد منكورى مسلمانون كاروشن مستقبل ص ٩٧ .

الهند وسالمقدس — قانون الفصل اذا كان المخاضمان هند وسين ، وان اختلف الطرفان فى
الديانة سيكون القضاء وفق ما يعتنقه المدعى عليه من الديانة (١)

وظل المشرع الانجليزى يهدف الى جمع المال فى كل تشريع يقدمه الى شعب الهند ، وفى عام
١٧٩٠م ألغى الحاكم العام حق الورثة فى المفوع عن القاتل ، ومنع الورثة من أخذ الدية لتخليهم ،
وحول تلك الحقوق الى الشركة بعد أن أوقف العمل بالتشريع الاسلامى فى الجنايات بحجة أنه
قاس فى العقوبة (٢) ، وكذلك أصبحت الشركة هى صاحبة الدعوى حقيقة فى جميع هذه الجرائم ،
تجنب تغريم المجرمين بالمال أكثر من انزال العقوبة الرادعة تحقيقا للمصالح الاستعمارية ،
وأول ثغرة مكشوفة أحس المسلمون الهنود بخطرها ازاء القضاء تمثلت بإلغاء اللغة الفارسية
— لغة القضاء والحكم طوال عهد الحكومات المسلمة بالهند — من منصة القضاء عام ١٨٣٤م .
واتخذت الاجراءات العديدة لخنقها — كما مر معنا فى فصل التعليم — حتى أضحى
تعلمها عبثا على حساب لغة العيش ، والعمل فى الادارات الجديدة ، وحاول المسلمون الخلاص
من الوضع المتأزم بالحركة التحررية الفاشلة ، وخرجت النتيجة بعد مضع سنين على تعبهم هتتر فى
الصورة التالية " الغنى الاعفاءات التى منحتها الدولة المسلمة لرعاياها ، وفرضنا الضرائب وأنفقنا
على بناء الكنائس ، وصرف المرتبات لدعاة التنصير وأبد لنا أمراء المناطق الانجليز بالمسلمين ونحينا
بأمر تشريعى جميع القضاة المسلمين ، وألزمنا القضاء ببلغة الحكام ، وأوقفنا العمل بالقوانين الاسلامية
وفرضنا على الناس وضع طوابع على كل قضية تقدم للقضاء فى جميع أرجاء الهند . . . ، وحكم قضائنا
بالزام المدينين دفع الفوائد المستحقة (الربا) على الدين الذى لم يسدد فى حينه " (٣)

والمتابع لحركة التطور التشريعى الوضعى لا يخفى عليه أن الانجليز ظلوا يهيئون مواد البناء
وينقضون التشريع الاسلامى عروة عروة بدء قرن تقريبا ، اذ وضع حجر الأساس للقوانين الوضعية
بتحديد مجال تطبيق الشريعة الاسلامية ، وبعد قرن انهال المشرعون الانجليز يغمرون الشعب

(١) انظر كشتوتشن آف لا ص ١٧٧٢ وأصول شرع اسلام ص ٤٠

(٢) " " " " ص ٤٥٠

(٣) همارس هندوستانى ص ١٩٠ ، وانظر للتفصيل حول ما أقدمت عليه الدولة فى هذه
الفترة مقالات كارسان ج ٧١/١

بتشريعاتهم الوضعية منذ بداية العقد السابع من القرن التاسع عشر ، على حد مثلهم السائر بطىء ولكنه أكيد المفعول ، وفى خلال بضع وثلاثين سنة من القرن الماضى ، وضعت جل - التشريعات البشرية ، وسرعان ما ظهرت الهفوات فى تلك القوانين ، وأخذ الغرب الوضعى يعطى الثمار الطبيعية حسب سنن الله الكونية التى لا تحيد عن مسارها ، فكشفت تقارير الشرطة " أن القضايا الكاذبة المقدمة الى المحاكم للفصل أكثر من القضايا الصادقة ، وأن أهل البنغال اخترعوا طرقا يكسون بها قضاياهم الكاذبة ثوب الصحة والصدق حتى وصلت الى درجة الحقيقة الثابتة ، وكادت أن تضاهى نتائج العلوم التجريبية " (١)

ويقول جارس ميتكاف أحد شهود العيان الذى مكث فى الهند بضعاً وثلاثين سنة من القرن التاسع عشر ، وشاهد عن قرب تلاعب الخصم على العدالة " إن محاكمنا القضائية ملجأة للفساد وإن القاضى تنسج خوله المؤامرات على كرسى الحكم ، وإن كل شخص يحاول أن يخدعه ، وإن المحامين لا يقيمون للصدق وزناً " (٢)

وما نرى فى التشريعات الوضعية الانجليزية من موافقة للشريعة الاسلامية فهى مما أمد به المسلمون المشرعين الغربين بلفتهم الانجليزية ، كالسيد أمير على وكتابه جامع الأحكام فى المعاملات فى الفقه الحنفى والشيعى ، ومحمد بن عبدالله وكتابه " وقار الاسلام فى تبیین الأحكام " والسيد محمود بن أحمد الدهلوى ومؤلفاته فى الطلاق والشفعة والشهادة ، ومحمد حسين نور وكتابه " شرع محمدى " وولسن المسلم الانجليزى وكتابه " القانون المحمدى الانجليزى " ومجيب الله بن احسان الله الانصارى وكتابه " الوقف على الأولاد " " والافادة فى باب الشهادة " والسيد كرامت حسين وكتابه " الهبة " وتلك بعض المصادر التى اسعفت القانون الوضعى فى بعض تشريعاته فيما يخص الحياة الاسلامية (٣) ، وكثيرا ما كان يعلن فى الصحف عن جوائز مغرية لتأليف كتاب باللغة الانجليزية فى باب من أبواب التشريع ، ولا تمضى فترة حتى تقبس أفكار

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ١٥٥ .

(٢) نقل عن بيندل مون هندوستان مين اجنبى راج (حكم الأجانب فى الهند) ص ٧١ .

(٣) انظر عبدالحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند ص ١٢٢ .

المؤلفات أو تنقل حرفيا وتصب في قوالب تشريعية ، وذلك في الأمور التي حرص الانجليز على ايقائها في حياة المسلمين خوفا من الصدام والصراع معهم .

فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية :
=====

وما أن أخذ القانون الوضعي يحل مكان الشريعة حتى تساءل المسلمون عن حكم التحاكم اليه وتنفيذ المسلم له بصفته قاضيا من قضاته ، وتطلعت الأنظار الى بلد الأزهر لمكانته العلميــــــــــــة فاستفتى مفتي بنجاب نور الدين الشيخ محمد عبده ، فأحال الشيخ الاستفتاء الى السيد رشيد رضا لوحدة مشربهما ازاء مثل تلك القضايا فأجاب السيد بقوله : " ان هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيها .

" واننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار اخذا بظاهر قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (١) ويستلزم الحكم بتكفير القاضي الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلطين الواضعين للقانون فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فإنها وضعت بأذنهم ، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها ويقول الحاكم من هؤلاء احكم باسم الأمير فلان لأننى نائب عنه بأذنه ويطلقون على الأمير لفظ " الشارع " " أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين ، بل لم يقل به أحد قط فان ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقا سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا ، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصي ومنها الحكم بغير ما أنزل الله " واختلف أهل السنة في الآية فذهب بعضهم الى أنها خاصة باليهود وذهب بعضهم الى أن الآية الأولى التى فيها الحكم بالكفر للمسلمين ، والثانية التى فيها الحكم بالظلم لليهود والثالثة التى فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق ، وذهب آخرون الى العموم فيها كلها ويؤيده قول حذيفة لمن قال أنها كلها فى بنى اسرائيل وأول هذا الفريق الآية بتأويلين فذهب بعضهم الى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوى للتخليط لا بمعناه الشرعى الذى هو الخروج من الملة

وذهب بعضهم أن الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة وهو :

أن من لم يحكم بما أنزل الله منكرا له أو راغيا عنه لا اعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحوه ذلك مما لا يجامع الايمان والاذعان ، ولعمري أن الشبهة في الامراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر ، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمنا مذعنا لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكما ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكما آخر بإرادته ، اعراضا عنه وتفضيلا لغيره عليه ، ويعتمد مع ذلك بايمانه واسلامه ...

" وإن الأحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه ، كأحكام العبادات وما في معناها ، كالنكاح والطلاق ، وهى لا تحل مخالفتها بحال ، ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية ، والمنزل من الله تعالى في هذه قليل وأكثرها موكل الى الاجتهاد وأهم المنزل وأكد الحدود في العقوبات ، وسائر العقوبات تعزير مفضى الى اجتهاد الحاكم ، والربا في الأحكام المدنية ، وقد ورد في السنة النهى عن اقامة الحدود في أرض العدو وأجاز بعض الأئمة الربا فيها بل مذهب أبى حنيفة أن جميع القيود^{المفردة} الفاسدة جائزة في دار الحرب ...

" فعلم ما تقدم أن الأحكام القضائية التى أنزلها الله تعالى قليلة جدا وقد علمت ما قيل في اقامتها في دار الحرب لا سيما عند الحنفية ، فإذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلها الى التعزير الذى يفوض الى اجتهاد الحاكم ، والأحكام المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضا ، والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جدا . وإذا رجعت الأحكام هناك الى رأى والاجتهاد في تحرى العدل والمصلحة ، وأجزنا للمسلم أن يكون حاكما عند الحربى في بلاده لأجل مصلحة المسلمين ، فالذى يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم .

وجملة القول أن دار الحرب ليست محلا لاقامة أحكام الاسلام ، ولذلك تجب الهجرة منها الا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة في الدين وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوى أحكام الاسلام بقدر استطاعته ولا وسيلة لتقوية نفوذ الاسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة لا سيما اذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والملل كالحكومة الانجليزية . والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب الى الشريعة الاسلامية من غيرها لأنها تفوض أكثر الأمور الى اجتهاد القضاة فمن كان أهلا للقضاء في الاسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد حسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين

خدمة جليلة . وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والخبرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثما من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم وما تكب المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوشيين الا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة (١)

مناقشة الفتوى في ضوء مصادر الاسلام وأقوال علمائه :

لا يخفى ما في الفتوى من تمويه وخلط ، والمسألة في صورتها التفصيلية كالآتي :-

١ - التشريع من خصائص الألوهية ، ووضع قوانين تحل محل تشريعات الاسلام يخرج المرء من الاسلام ، وينطبق عليه قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (٢) فلا يتحقق اسلام المرء حتى يعطى حق التشريع لله عز وجل ، وقد تحدث القرآن عن هذا الجانب من الألوهية بتفصيل ، لا لبس فيه ، وأمر البشر أن يفوضوا أمر التشريع الى خالق الكون عز وجل ، وعد من يعطى حق التشريع بغير ما أنزل الله الى بنى آدم مشركا مع الله في عبادته وألوهيته - " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء " (٣) " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " (٤) " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من هوى نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء " (٥) " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، وان الهياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون " (٦) فالآيات تنص على أن التشريع من خصائص الألوهية . واختصاصه بذات الله كاختصاص الخلق وإيجاد الكائنات به عز وجل ، لأن التشريع حق لمن يخلق ويملك " ألا له الخلق والأمر " (٧) ، والحاكمة والملك لله الواحد الأحد ، والانسان خليفته في أرضه " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة " (٨) .

(١) مجلة المنار ج ٥٧٧/٧ - ٥٨٠ عدد محرم ١٣٢٢ مارس ١٩٠٤ م ، وأعيدت

الفتوى في المنار ج ٢٦٢/١٧ - ٢٦٥ عدد ديسمبر ١٩١٣ م .

(٢) المائدة آية : ٤٤ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

(٤) الشورى ٢١ . (٥) النحل : ٣٥ . (٦) الأنعام : ١٢١ .

(٧) الأعراف آية : ٥٤ . (٨) البقرة آية : ٣٠ .

ومفهوم الحاكمية في الدين السماوي يعنى الاعتراف بأن الأرض وما عليها والسماء وما فيها ملك لله ، وتدير شؤون تلك الكائنات مختص به عز وجل ، وهو عالم بما يصلحها ومطلع على ما يضرها ، ومن حق العلم بكه الأشياء الأمر والحكم والتشريع ، فلا مجال للإنسان في دائرة الاسلام إلا أن يكون خليفة الله في تنفيذ شريعته ، والخلافة الراشدة لا تتحقق إلا ان يكون الخليفة أحد رجلين : رسولا من عند الله أو رجلا يتبع الرسول فيما جاء به من عند الله وينفذه على عهده الله وقضية التشريع بهذا المفهوم من القضايا الواردة في الكتب السماوية جميعا على اختلاف فني الشرائع ولكنها أوضح ما تكون في الرسالة السماوية الخاتمة .

وشرك التشريع لا يقل خطورة عن شرك العباد ، فقد ورد أن عدى بن حاتم رضى الله عنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قوله عز وجل : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " (١)

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لسنا نعبدهم فقال : " اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت : بلى ، قال فذلك عبادتهم " (٢)
فالمرع بغير ما أنزل الله في ضوء تفسير النبي صلى الله عليه وسلم اله جعل نفسه من دون الله لاعطائه ذاته حقا من حقوق الالهية ، وهذا الوضع يأخذ في الناس مكان الاله المعبود ويستخدم أخص خصائصه . وينتج عن اختصاص التشريع بالله عز وجل في حياة الناس أن مجالس القضاء والحكم لا تخضع في أحكامها للهيئات التنفيذية البشرية ، ولا يربطها بالسلطات الأرضية إلا التنظيم الإداري ، من تولية وعزل ورقابة .

هذا وقد ظل المسلمون في تاريخهم كله يتحاكمون الى شرع الله ، ولا يحيدون عنه اعتقادا منهم بأن هذا هو مقتضى كونهم مسلمين ، ولم يفرض عليهم تشريع مخالف لشرع الله الا مرتين : — أولا هما : في عهد التتار حين غلبوا على بلاد المسلمين ، ولكن المغلوبين لم يخضعوا لتشريعهم وما أرادوا به حكم المسلمين ، وسرعان ما انقضت الغمة وغلب الاسلام التتار ومزجهم بالمسلمين وادخلهم في لوائه ، فزال أثر التشريع المتغلب بثبات المسلمين على دينهم وشريعته .

والمرة الأخرى في عهد الاستعمار الغربي منذ استيلائه على بلاد المسلمين ، وما تزال هذه ممتدة

(١) التوبة آية : ٣١

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ / ١١٤

الى اليوم ، وتختلف عن الأولى بانخراط المسلمين فى التشريعات غير الاسلامية لأول مرة فى تاريخهم واندماجهم فى الغزاة والمتغلبين ، ومد يد العون الى التشريعات الواردة تعلمنا وتعلينا وتنفيذا وابتكارا ...

ومن بحث قضية تطبيق شرع غير اسلامى من المسلمين على المسلمين المفسر الحافظ ابن كثير الذى عاصر عهد التتار ، فبين حكم الشرع فى هؤلاء عند قوله عز وجل " أفحكم الجاهلية يبغون ... الآية ^(١) " بقوله " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم ، المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضع لهم الياسى (الياسا أو السياسا) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا ، يقدّمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير " ^(٢) .

أرأيت الوصف الدقيق للقانون الوضعى من الحافظ المفسر ، كأنه يصف حال المسلمين وقانونهم اليوم فى القرن الخامس عشر الهجرى ، وأما من سبقه من المفسرين والعلماء فقلما قلب أطراف القضية بهذه الوجهة الدقيقة ونظر الى الآية بمنظار نبذ الشريعة كلها ، لأن ابحاث البشر وكتاباتهم تحاط دوما بدائرة ما يلقى مجتمعهم ويشغل بالهم ، ولا وجود لنهذ الشريعة كلها قبل ابن كثير ، لذا اتجهت أبحاث جمهور العلماء الذين سبقوه الى عدول الحاكم عن شرع الله فى جزئية أو جزئيات من الشريعة ، متى يكفر من فعل مثل ذلك ، ومتى يكون فاسقا ، وظهرت نتيجة أبحاثهم رحمهم الله فى كون المتصف بهذه الصفات الثلاثة واحدا ، واعتبارات مختلفة لا تنفك عنه فى حال من الأحوال أو أنهم موصوفون متعددون كل حسب حاله بعد اتفاقهم على أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يكفر الا اذا اعتقد حل تلك الجزئية أو اعتقد ان حكم البشر فيها أفضل من حكم الله ... ^(٣)

(١) المائدة آية : ٥٠ . (٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٦٧ .

(٢) انظر آراء المفسرين فى هذه القضية أبا بكر الجصاص أحكام القرآن ج ٤ / ٩٣ ، ومحمد ابن أحمد القرطبى / الجامع لأحكام القرآن ج ٦ / ١٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٦١ ، ومحمد بن علي الشوكاني فتح القدير ج ٢ / ٤٥ ، وأحمد بن محمد الخفافى حاشية الشهاب ج ٢ / ٢٤٦ ، ومحمود الالوسى روح المعانى ج ١ / ١٤٦ .

وذلك هو مورد وجهات النظر العلمية •

وعند العودة الى مفردات الآية تجد لفظة " من " الشرطية العامة الشاملة وجملـة
الجواب " فأولئك هم الكافرون " تفيد ان العموم وتنطقان بحكم عام خرج من حدود الملابس
والزمان والمكان • يعم الفرد والجماعة والحكم الواحد وجميع الأحكام ، في الحال وفي المستقبل
— فلا يتخلف حكم التفكير عن انصف بعدم تنفيذ شرع الله أو يعرضه يقول شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله : " لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن
استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدل من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر • فإنه ما من أمة
الا وهى تأمر بالحكم بالعدل •

وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم مبل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون
بمبادئهم التى لم ينزلها الله كسواليف البادية وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو
الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر فإن كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا
يحكمون بالمعادات الجارية التى يأمر بها المطاعون ، فهو لا اذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم
الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار " • (١)
ويقول العلامة ابن القيم بعد أن قند آراء العلماء فى الآية : " والصحيح ان الحكم بغير ما
أنزل الله يتناول الكافرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم
بما أنزل الله فى هذه الواقعة ، وعدل عنه عصيانا ، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر
وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر ، وإن جهله وأخطأه
فهذا مخطئ له حكم المخطئين " • (٢)

ويحلل سيد قطب ذلك فيقول : " والملة هى أن الذى لا يحكم بما أنزل الله انما يرفض
الموهبة الله ، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية ، ومن يحكم بغير ما أنزل
الله يرفض الوهبة الله فى جانب ، ويدعى لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها فى جانب آخر ... ،
وماذا يكون الكفر ان لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الايمان أو الاسلام باللسان والعمل
وهو أقوى تعبيراً من الكلام ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟

" ان المماحكة فى هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعنى
الا محاولة التهريب من مواجهة الحقيقة ، والتأويل والتأول —

(١) مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة ص ٤١٣ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل آياك نعبد وإياك نستعين ج ١ / ٣٣٦ .

فى مثل هذا الحكم لا يعنى الا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه وليس لهذه المباحكة قيمة ولا أثر فى صرف حكم الله عن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الاكيد " (١)

وعلى هذا فالصفتان الأخيرتان : " الظلم والفسق " لا تمنيان قوما جددا ، ولا حالة متميزة عن الحالة الأولى ، وانما هما صفتان زائدتان على صفة الكفر يتصف بهما كل من لم يحكم بما أنزل الله من الأفراد والأم فى كل زمان ومكان . يقول فخر الدين الرازى فى تفسيره : " قال : — القفال فى قوله تعالى : الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون . وليس فى أفراد كل واحد من هذه الثلاثة بلفظ ما يوجب القدح فى المعنى بل هو كما يقال من اطاع الله فهو المؤمن ومن أطاع الله فهو البر ، ومن أطاع الله فهو المتقى ، لأن كل ذلك صفات مختلفة حاصله لموصوف واحد " (٢)

ويقول سيد قطب فى الأوصاف الثلاثة : " والنص هنا كذلك على عمومه وإطلاقه وصفة الفسق تضاف الى صفتى الكفر والظلم ، وليست تعنى قوما جددا ، ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى . انما هى صفة زائدة على الصفتين قبلها ، لاصقة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أى جيل ، ومن أى قبيل .

" الكفر يرفض الوهية الله ممثلا هذا فى رفض شريعته ، والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله ، وإشاعة الفساد فى حياتهم ، والفسق بالخروج عن منهج الله ، واتباع غير طريقه فهى صفات يتضمنها الفعل الأول ، وتنطبق جميعها على الفاعل ، ويؤثر بها جميعا دون — تفريق " (٣)

وترتب على فتوى السيد رشيد رضا فى الهند أن أقدم المحججون عن القانون الى اكتسابه تعلما وتعلما ، فلم يعد القاضى المسلم يتردد فى قبول مناصب القضاء ، وتطبيق القوانين الوضعية على الهنود أجمعين .

وكم كان الانجليز واعين تجاه قضية التشريع والتنفيذ حين أبقوا على القضاء

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ / ٨٩٨ .

(٢) التفسير الكبير ج ١٠ / ١٢ .

(٣) فى ظلال القرآن ج ٢ / ٩٠١ .

والقضاة المسلمين فترة غير قصيرة من حكمهم ، فسلموا من مجابهات أمكن تجنبها بسهولة ويسر ، وينصح هنتر داهية الانجليز قومه بالسير على هذه السياسة أطول فترة ممكنة فيقول : " لما ملكنا البلاد أبقينا نظام القضاء على حاله ، بالاعتماد على هؤلاء القضاة ٥٠٠٠ ، والواقع أن وجود القضاة ضرورى للأحوال الشخصية الاسلامية ، والقوانين المدنية ، ومفاد هؤلاء فى مناهبهم يعنى أن الهند دار اسلام وأن تنحيثهم تعنى تحويل الهند الى دار حرب " (١) وكل ما عملته الدولة يعد اعتراض امراء المناطق الانجليز عام ١٨٦٣م على تعيين القضاة من قبل الفئات الاسلامية أن حولت التعيين من تلك الفئات الى الدولة ، (٢)

جهد العلماء فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة :

وقبل الدخول فى تفصيل القوانين الانجليزية التى أخذت تستولى على منصة القضاء منذ عام ١٨٦٥م يجدر التنبيه بأنها ما زالت سارية المفعول مع تعديلات طفيفة تافهة فى كل من باكستان والهند وبنغلاديش ومورما وسيلان ، كما أنها أسس قانونية بشرية وضعها أسنسا س لا يعترفون بالاله المشرع ، ونصبوا من أنفسهم الهة مشرعين أظهر الزمن والتجارب فشل تشريعهم فى أغلب مناحى الحياة ، وظلت مثل هذه القوانين تتمتع بالحصانة طوال عهد الانجليز فلم يجرؤ أحد على نقدها أو تقديم بديل أفضل منها .

وكان المتوقع بعد استقلال باكستان المسلمة أن يرحل قانون الانجليز برحيلهم ، بيد أن الأمل خاب عندما تعلل ولاية الأمور بحدثة الدولة وعدم وجود قضاة متشبعين بالروح الاسلامية القضائية من جهة ، وتوقف التطور التشريعى الاسلامى منذ تسلم الانجليز السلطة من جهة أخرى ، فلم يعد فى مقدور علماء الاسلام تحمل أعباء القضاء فى الظروف المتجددة ، أضف اليه أن أغلب العلماء عارضوا قيام باكستان وفصلها من الهند الموحدة (٣) فى حركة الاستقلال مما كثف الشبهات حولهم ، ولم تزل جماعات منهم تدافع عن نفسها تجاه التهم الموجهة

(١) همار هندوستانى ٥٠٠ ص ٢٧٧ .

(٢) " " ص ٢٧٩ .

(٣) لخوفهم من تضيق مجال الدعوة الاسلامية وانحصارها فى جزء صغير من الأرض .

اليهم حول الاستقلال حتى اليوم ، وكان المثقفون الواعون لمشاكل الحياة الحديثة من خريجي الكليات العصرية ، الذين تربوا على تنفيذ القانون الوضعي منذ نعومة أظفارهم ، ولم يكتسبوا المعارف الا عن طريق لغة المستعمرين ، وكان من غير المستبعد نتيجة هذه العوامل أن يظل القضاء على ما كان في عهد الانجليز .

ويبدو أن جهود العلماء المؤيدة من قبل الشعب ازاء وضع الدستور للدولة المسلمة وأمور التشريع فيها كادت أن تثمر بعد انعقاد مؤتمر البادئ الأساسية لدولة باكستان المسلمة ، ففي ٢١ - ٢٤ يناير من عام ١٩٥١م اثنى واحد وثلاثون عالما من مختلف النزعات على اثنين وعشرين نقطة دستورية ، وأولى هذه النقاط وثانيها وثيقة الصلة بالتشريع حيث نصت الأولى " ان الحاكم الحقيقي من حيث التشريع والتكوين هو الله رب العالمين وحده " .

وتضمنت الثانية " ان يكون قانون البلاد مبنيا على قواعد الكتاب والسنة ، ولا يوضع قانون ولا يصدر أمر اداري يخالف الكتاب والسنة " السنتية " ان كان البلاد نافذا فيها من القوانين ما يخالف الكتاب والسنة فلا بد في الدستور من النص على أنها تنسخ أو تغير وفقا للشريعة الاسلامية تهرجا في مدة محددة " (١)

هذا وقد لبى الدستور رغبة الأمة منذ تكوينه المبدئي عام ١٩٥٢م ، فصرح ان حاكم البلاد يأمر بتشكيل لجنة خماسية من العلماء الواعين تراعى أمور التفنين المبتكرة من أن تنحرف عن الكتاب والسنة (٢) ، وأيده دستور عام ١٩٥٦م ، فنص على تكوين هيئة اسلامية تعمل تحت اسم "الهيئة الاستشارية الاسلامية" للغرض نفسه (٣) وأضاف اليها دستور ١٩٦٢م هيئة أخرى للهدف ذاته ، فبرزت الى حيز الوجود " ادارة التحقيقات الاسلامية " (٤) وتمكن دستور ١٩٧٣ من الاعلان " ان الله هو الحاكم المطلق لجميع الكائنات ، وأن تنفيذ دائرة النيابة مقيد بالحدود الالهية فهو أمانة مقدسة " (٥) و " ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام " (٦) ويسمح بتغيير

(١) نظرية الاسلام وهدية ص ٣٧١ .

(٢) انظر على محمد شاهين آئين اسلامي جمهورية باكستان ١٩٧٣م " دستور جمهورية باكستان الاسلامية ص ١٢ . (٣) آئين اسلامي ص ١٨ . (٤) آئين اسلامي ص ١٨ .

(٥) آئين اسلامي ص ٢٧ . (٦) آئين اسلامي ص ٢٩ .

القوانين الوضعية واستبدال الشرع بها عن طريق الهيئة الاستشارية وان من تمكن من الاطلاع والاخبار بأن القانون القلائى مخالف للاسلام فلههيئة أن تصب ذلك القانون فى قالب الاسلام خلال سبع سنوات " (١)

وفى ضوء الاذن الدستورى ، وحق النصيحة المفروض شرعا " ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله ، قال لله وكتابه ورسوله ، وأئمة المؤمنين وطمئتهم ، وأئمة المسلمين وطمئتهم " (٢) وتتميمًا للهدف الذى ضحى من أجله الشهداء بمهجهم وأموالهم . . . فى سبيل اقامة دولة اسلامية تكون نموذجًا يقتدى به فى عالم الجور والعدوان ، سمحت لنفسى بمناقشة أبرز جوانب القانون الوضعى ، وليس من المستطاع غزلة كل جزئية قانونية من فرد يحصره الزمن فى جامعة من الجامعات ، ولا يغتنى التنبه بأن عملى سيكون جهد مقل فى طريق لم يسده — فيما أعلم — أحد قبلى لمعيرة مسالكه وكثرة تشعباته وأرجو أن يكون باكورة لمزيد من البحوث ، فان أصبت غتوفيق الله ، وان كان غير ذلك فمضى ومن الشيطان .

قانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته : (Pakistan Penal Code.)

من المعروف تاريخيا أن مسودة قانون العقوبات الهندى " Indian Penal Code " تكونت من قبل بعض أعضاء المجلس التشريعى الحاكم تحت رئاسة اللورد ميكاى Macaulay وأبرز من شارك فى التقنين بعد ميكاى هما ميكلود اندرسون وميلت وزفعت المسودة عام ١٨٣٧م الى الحاكم العام ، وبعد تعديلات عديدة على عدة مراحل قدمت عام ١٨٥٦م الى المجلس التشريعى للموافقة عليها ، وفى ٦ أكتوبر ١٨٦٠م قبلها المجلس ونحها الصفة القانونية ، وبعد استقلال باكستان بسنتين تقريبا اكسب قانون العقوبات الانجليزى الهندى الصفة

(١) انظر آئين اسلامى ص ٣٢ .

(٢) الحديث رواه أبوداود فى جمه ٢٨٦/٤ — كتاب الأدب باب فى النصيحة رقم الحديث ٤٩٤٤ .

الشرعية من حكومة باكستان وما زال يحرك منصة القضاء حتى اليوم ^(١) رغم بعض التعديلات السابقة واللاحقة التى أعلن عنها أخيرا باسم "قانون الحدود"

ويضم قانون العقوبات التعزيرى بين دفتيه ثلاثا وعشرين بابا ، جامعا بين ٥١١ بندا ، وفى الباب الأول تنصيص على اسمه ، وعلى الدولة التى تفصل بموجبه ، وبيان لمن يرتكب الجرم داخل البلاد أو خارجه ٠٠٠ ، وفى الباب الثانى شرح وتفسير للألفاظ المستعملة ضمن دفتى قانون العقوبات " Pakistan Penal Code " كعود الضامات وتعريف القضاء والدولة ٠٠٠ ، وفى الباب الثالث نرى أنواع العقوبات من الاعدام والحبس مدى الحياة والحبس المحدد بنوعيه المجهد وغير المجهد ٠٠٠٠ ، واختص الباب الرابع بمن يستثنى من تلك العقوبات ٠٠٠٠ ، وأتى الخامس فيمن يعين فى ارتكاب الجريمة ٠٠٠٠ ، وتبعه السادس فيمن يحاول المساس بأمن الدولة ٠٠٠٠ ، وكان السابع خاصا بمن يحرض جيش الدولة أو بعض أفرادها على التمرد والعصيان ٠٠٠٠ ، وفى الباب الثامن ذكرت الجرائم التى تخل بالآداب العامة ، وجاء التاسع فى الجرائم التى يرتكبها عمال الدولة وانتهى ببيان الجرائم الانتخابية وعقوباتها ، وأتى الباب الأخير المتمم للعقد الأول فيمن يهين السلطات الشرعية لأحد عمال الدولة .

واختص الباب الحادى عشر بشهادة الزور وعقوبتها ، وجاء الباب الثانى عشر فى بيان الجرائم الخاصة بتزوير النقود وأختام الدولة ، وأتى الباب الثالث عشر يوضح جرائم الكيل والـوزن والمقياس ، وجاء الذى يليه فيمن يمس الصحة العامة ، وكان انعقاد الباب الخامس عشر لبيان الجرائم التى تهين المعتقدات والمذاهب ، وجاء الباب السادس عشر فى الجرائم التى تختص بجسم الانسان من القتل والشنق والسجن دون مبرر والاختطاف والوطء من غير رضا ٠٠٠ ، وجاء الباب السابع عشر لبيان الجرائم المالية من السرقة والسطو المسلح والخيانة والغش ، ووضع الباب الثامن عشر لبيان الجرائم التى تتصل بالوثائق والحرف وأمارات الأرض من التزيف فيها وضع ما يشبه الأصل ٠٠٠ ، وجاء الباب التاسع عشر الذى كان يحتوى على ثلاثة بنود ونسخ منه بندان ، ويتصل المتبقى منه بنقض العقود المبرمة لخدمة من لا يستطيع القيام بحاجياته ، واكمل العقد الثانى ببيان الجرائم الزوجية .

وأنت فاتحة العقد الثالث فى بيان من يمس السمعة الحسنة لشخص من الأشخاص ، ومن يباح

له الكلام فى مسئلة الناحية ، ونص الباب الذى قبل الأخير على عقوبة التخويف والأهانة ،
وادخال الحزن على شخص لقصد الجريمة وكان ختام قانون العقوبات الباكستانى P.P.C
بالباب الثالث والعشرين الشبيه بالتاسع عشر ، ويحدد بئذ الوحيد عقوبة من يقدم على الجريمة
ولا يتمكن من اتمامها فتتصف العقوبة الأقصى فى حقه سجنًا أو غرامة ويمكن الجمع بينهما
متنافيتين ^(١) وخاتمة المطاف فى قانون العقوبات تهشربالخير ، اذ اتجهت الحكومة العسكرية
الحالية الى اصلاح هذا الجانب الذى طال انتظار اصلاحه .

بإدارة خير فى اصلاح القانون :

ففى ١٢ ربيع الأول يوم ولادة هادى البشرية محمد صلى الله عليه وسلم من عام ١٣٩٩ هـ
الموافق ١٠/٢/١٩٧٩م أعلنت الدولة تنفيذ التشريع الاسلامى فى كل من حد الزنا والقذف
والسرقة وشرب الخمر ، ولم يشر ذلك الغرس فيما بيد وحتى اليوم ، وما زال نطاق الجرائم
يتسع يوما بعد يوم لتهاون الشرطة والقضاة عن جدية التنفيذ وعدم اعطائهم التشريع الاسلامى
الشفل الذى صاحب الاعلان من جهة ، وسريان ثلاثة قوانين تحكم الشعب فى آن واحد -
القانون العسكرى والقانون الانجليزى والتشريع الاسلامى فى بعض الحد - من جهة أخرى وذلك
فتح باب المساواة أمام الشرطة لتختار تسجيل الجريمة فى قانون من القوانين .

الجوانب التشريعية الحديثة فى القانون وموقف الشريعة منها :

والمطلع على الفقه الاسلامى لا ينكر أن فى قانون العقوبات ما هو جديد على الفقه الاسلامى
ومرد ذلك أن تلك الجرائم التى نص القانون على عقوبتها لا يخلو ظهورها من احدى الحالات
الثلاث :

أ - لم تكن موجودة على الساحة الاسلامية لبساطتها وطهارة افرادها ثم ظهرت كجرائم الانتخابات
وتزوير العملة والوثائق وخطف البشر ومن السمعة الحسنة بمفهومه الواسع ، واهانة أحد عمال
الدولة فى أثناء تأديته وظيفته .

ب - وجرائم كانت موجودة ، لكنها غير بارزة فى الأمة ، ووضمها آنذاك لا يمدو القول -
المشهوره " النادر لا حكم له " وما أن اختلط الغرب الذى فقد كل مقومات الاخلاق والمثل

الروحية بالشرق حتى ظهرت تلك الجرائم على الألفى ، وكونت ظاهرة مخيفه كتطيف الكيـل
والميزان وشهادة الزور واهانة المعتقدات والأديان .

ج — وجرائم وضع المشرع لها عقوبات معينة كجرائم الحدود وما نص الشارع على عقوبته ، وكانت
موضع عناية القضاة والفقهاء ، وبذل هؤلاء رحمتهم الله كل ما فى وسعهم من جهد لايضاحتها ،
وبيان ما يشبهها ، وهذا الجانب من القضاء الاسلامى ترى قلما يحتاج الى جهد جديد ،
وفى وسع المنفذين للشرع أن ينظموا ما حكم به سلفهم وأفتى به المفتون .

فالحالة الأولى موضع دراسة وميدان فسيح لعلماء المسلمين ، ولهم أن يستفيدوا من القانون ان
وافق الأسس العامة لشرعة الله ، ودراسة هذه الجرائم والمعاملات التى لم تدرس أو لم تغط
العناية الكافية فرض عين على المتمكنين من الشريعة الاسلامية والمتخصصين فى فروعها المختلفة ،
وبذلك يتمهد الطريق للفصل فى قضايا الساعة ، وتعود الحلقة المفقودة منذ قرنين الى مكانها
وتسلم سلسلة الفقه من الانقطاع ،

وأما الحالة الوسطى فلن تضى المحنكين حلها ، اذ لا يصعب البحث عن رأى مذكور فى
بطون الكتب ، ولا سيما اذا اتضحت مظانها ، ومن السهل بعد الجمع دراسة تلك الآراء ،
واستخلاص الأسس والضوابط منها فى ضوء مصلحة الأمة والأسس التشريعية الالهية .

نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشرعة :

ومن هنا تتضح خطوط البحث فى القانون ومقارنته ببعض تشريعات السماء — للحكم على ما
يقال أن العقل البشرى شب عن الطوق فلا يحتاج الى تشريع الخالق العليم ، وأن فى وسعنا
أن يشرع ما يحقق مصلحة البشر أجمعين — وذلك يعرض نماذج من تشريعات القانون للتمرف
على مدى تحقيقها لحفظ الحقوق واقامة وشائج الترابط بين أفراد المجتمع الواحد ، وحماية
المساكين من المعتدين .

١ — جريمة القتل :

كبرى الجرائم على الإطلاق هى قتل النفس بغير حق ، ولا تبيح شريعة ازهاق روح بريئة وتحتاط
كل الشرائع والقوانين لمنع وقوع هذا الجريمة وسد طرق الوصول اليها ، ومعاقبة من يرتكبها بما

غفوا عنه عن مقدرة فتلك اسمى صور الانسانية ، وان سلب منهم محاكمة القاتل فذلك لن يمين في استقرار الأوضاع ومنع جريمة القتل ، كما هو الحال اليوم ، قتل يعقبه قتل ويتبعه قتل ، كسد البحر وجزره ، فمتى قوى جانب المعتدى عليه اعتدى ويقف القانون مسلوب الارادة لا يملك ازا ، ايقاف الجريمة وراحة الأمة من الاعتداءات السلسلة غير المتناهية حولا ولا قوة لمحاربتها الفطرية البشرية في نوع العقوبة .

وازداد لهيب الفطرة اشتمالا حين أعطى القانون حق الورثة من لاناقة له في المقتول ولاجل ، فخلوه حق المغوعن المجرم ، أو استبدال عقوبة يعقوبة الاعدام ، ان تنفيذ المادة ٤٠١ من قانون المرافعات الجنائية The Code of Criminal Procedure ان حكومة المقاطعة تملك حق التصرف في الغاء العقوبة ، أو الغاء جزئ منها ، أو العفو عن المجرم في كل عقوبة حكم عليه بها . . . (١) ، وتنص المادة ٤٠٢ " أن حكومة المقاطعة تملك حق استبدال عقوبة باخرى على الترتيب الآتى . . . الاعدام ، السجن المؤبد ، السجن المجهد ، السجن غير المجهد ، الغرامة " . (٢) وتعطى المادة ٤٠٢ ألف سلطات المادتين السابقتين لرئيس الدولة في عقوبة الاعدام (٣) ، وتشرك المادة ٥٤ من "قانون العقوبات" السلطة المركزية في الحقوق السابقة (٤) ، وبذلك يصحح حق الورثة ملكا لجهات ثلاث ، هي سلطة المقاطعة التي صدر فيها حكم الاعدام ، والسلطة المركزية ورئيس الدولة ، وهكذا سلب الحق من أصحابه الشرعيين وأعطى لمن لا يستحقون ، وبمثل هذه التصرفات ذل جانب القانون ، ولان للمجرمين ، وفتح لهم باب الأمل والعفو عن العقوبة المستحقة بعد ثبوت الجريمة ، فكمن حكومة أو حزب سياسى أفرج عن المجرمين ، أو خفف من عقوبتهم نتيجة الاحتفالات ، أو الفوز في الانتخابات .

ولكن انظر الى الاسلام ، ومحاربه لجريمة الاعتداء على النفس ، واعطائه المشاعر الفطرية حق الرعاية والتقدير ، فشرع تحريم القتل ، وان وقع دفع القاتل الى ورثة المقتول ، وهم مخيرون فسي

(١) مجموعة ضابطة فيجدارى " قانون المرافعات الجنائية " ص ٢٢٢ .

(٢) " " " " " ص ٢٢٣ .

(٣) " " " " " ص ٢٢٤ ، وانظر آئين اسلامى جمهورية باكستان ١٩٧٣ م ، ج ١٦ ، ٢٠ .

(٤) مجموعة تعزيرات ص ٢٦ .

قتله قصاصا بمقتولهم ، أو أخذ الدية منه ، أو المغوعنه ابتغاه مرضاة الله " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق " (١) " ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون " (٢) " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا " (٣) " ومن قتل له قتيل فهو خير النظرين ، اما يودى ، واما يقاد " (٤) وهكذا البون الشاسع بين تشريع المخلوق وتشريع الخالق ، فالأول لم يحقق ما تصبو اليه البشرية وتبتغيه منذ آحاد ، من منع القتل وإيقاف سيل الدماء ، ورفع الشحنة والضغينة من صفوف المتقاتلين ، بينما الأخير كفل كل ذلك في الماضي ، ومستعد لتحقيقه في كل مجتمع يطبق تشريعاته القائمة على اعطاء مشاعر الجاني والمجنى عليه حق الرعاية والتقدير دون افراط أو تفريط ، وذلك كفيل بإيقاف هذه الجريمة .

وإن نظرت الى التشريع الاسلامي من منظار الواقع وجدته يمسك بميزان العدالة من منتصفه ، يعطى للفرد حقوقه ، ويحتفظ للجماعة بحماية أمنها وسلامتها ، فإن كان من حق الفرد الا يؤذى في ذاته وعرضه وماله . . . فمن حق الجماعة الا يؤذيها الفرد بما يهدد حياتها وأمنها وأعراضها وأموالها . . . وقد كفل تشريع السماء اقامة التوازن بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة من وجوه .

١ — يوجه الاسلام البشرية الى جمع الشمل ، وإزالة الفرقة من صفوفها ، وذلك باهتمامه بتربية الفرد منذ طفولته على مشاعر الحب والألفة والتعاون ، حتى لا يبقى للضغينة محل في القلوب ، فيتربى مجتمعه على الفضيلة ، يكفل الغنى الفقير ، ويخدم الأجير صاحب العمل بالاخلاص ، ولا ييخل صاحب العمل باعطاء العامل حقوق عمله المشروعة ، وقد يشركه في الربح والانتاج — ويشفق الكبير على الصغير ، ويحترم الصغير الكبير من يستظل بظل الاسلام ، وتكون النصيحة بين أفراد ، محور الإصلاح والتوجيه فسي كل شئ . . . ، ولا شك أن دينا كهذا يتمتع الانسان منذ نعومة أظفاره حتى الموت كفيل بإزالة الجريمة أو تقليلها ، ومن هنا كان المجتمع الاسلامي المتمثل لأحكام

(١) الأنعام آية : ١٥١ .

(٢) البقرة آية : ١٧٩ .

(٣) الاسراء آية : ٣٣ .

(٤) الحديث رواه البخارى في صحيحه ج ٨ / ٣٨ . كتاب الديات باب من قتل له

قتيل . . .

الله أقل المجتمعات الأرضية لجوءاً الى العقوبة ، لأنه خريص على بناء النفس الانسانية على وضعها السليم وصيها في قالب يتنزه عن التحدث بالجريمة فضلاً عن ارتكابها .

٢ - يعالج الاسلام في تشريعاته كل الوسائل المؤدية الى الجريمة ، فيقتلع جذورها ، ويسد المنافذ المثيرة لارتكابها ، فحين حرم القتل مثلاً احتاط بإزالة كل السبل المؤدية اليه ، سواء كانت اقتصادية أو متصلة بالأعراض ، فما تحريم الرها وتحريم الاحتكار وتحريم الزنا ، بل التحدث بالزنا ٠٠٠ الا وسائل تمنع من ارتكاب جريمة القتل ، وما تشريع الارث ، وتقسيم الثروة بعد الوفاة الا اجراءات تحد من ارتكاب هذه الجريمة . وهكذا دواليك في جميع تشريعات الاسلام .

٣ - حين تقع الجريمة من الفرد يصبح من حق المعتدى عليه أن يدافع عن نفسه ، ويماقب المعتدى بما يردعه ، ولكن العدل لا يتحقق حتى تراعى دوافع الجريمة ومبرراتها ، فهل يعقل عقاب السارق اذا حرمه المجتمع من شبع بطله ، لذا لا ينظر الاسلام للجريمة بعين الجماعة المعتدى عليها فحسب ، بل ينظر اليها أيضاً بعين الفرد المعتدى الذي تقع منه الجريمة ، فيقرر للجماعة حقها في حماية نفسها ، ويفرض لها عقاب المعتدى ، ويعترف للفرد بدوافع الجريمة ومبررات ارتكابها ، فيعطيها حقها الكامل من الرعاية والتقدير ، ويجاهد في ازالة كل الدوافع المعقولة قبل أن يفرض العقوبة ، فإن حدثت الجريمة مع قيام المبررات سقط الحد " ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعاً " (١)

ومن هنا لن يرتفع القتل وغيره من الجرائم ما دام القانون يميز بعض الأفراد على الآخرين ، وتختلف نظرتهم من فرد الى آخر ، ومن فئة الى أخرى ، فهذا رئيس الدولة محصن يحرم على القضاء معاقبته طوال فترة الرئاسة ، ومثله الوزراء وبعض رجال الدولة ، يعملون ما يريدون أثناء

(١) الحديث رواه ابن ماجة في سننه كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحد بالشبهات ج ٢/٨٥٠ . رقم الحديث ٢٥٤٥ ، وانظر لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع محمد ناصر الدين الألباني ، ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج ١٠/٣٦٩ .

تمتعهم بالحصانة على كرسى السلطة^(١) ، لا تستطيع يد التأديب الوصول اليهم أو منعهم مما يرتكبون ، بل لا تستطيع اعطاء المظلوم حق تسجيل شكواه ، وقد أصاب على محمد شاهين فسي تحليله لبعض هذه الحصانات ، وعدها من المخلفات البريطانية في قوله : "بالإضافة الى الراتب والسكن والتسهيلات الأخرى لرئيس الدولة فإنه غير مسئول عن أى استدعاء قضائى عن أذاته واجباته ولا يصح اتخاذ أى اجراء مدنى وجنائى طوال مدة المنصب ، ولا يعد من المجرمين البتة ، كما لا يصح اصدار أمر القبض عليه ، وهذه التسهيلات وراثية يعطيها كل دستور لرئيس الدولة ، وهذه التسهيلات يصبح شبيها بملك بريطانيا " (١)

وليس للاسلام عهد بمثل هذه الاعفاءات والحصانات ، وانما قضاؤه صورة حية لما ورد عن ابن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئا اذ اكب عليه رجل فطمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرجون كان معه فصاح الرجل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال فاستقد ، قال : بل عفوت يا رسول الله " (٢)

وما أثر عن أبى فراس قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه ، قال عمرو بن العاص لو أن رجلا أدب بعض رعيته انقصه منه ؟ قال : أى والذى نفسى بيده ، أقصه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه " (٣)

ومن هنا نقل المفسر القرطبى رحمه الله اجماع العلماء على الاقتصاص من السلطان اذا تعدى على فرد من أفراد رعيته فقال : " واجمع العلماء على أن على السلطان أن يقتص من نفسه إن تعدى على أحد من رعيته ، اذ هو واحد منهم ، وانما له مزية النظر لهم كالوصى والوكيل ، وذلك لا يمنع القصاص ، وليس بينهم وبين العامة فرق فى أحكام الله عز وجل لقوله جل ذكره : " كتب عليكم القصاص فى القتلى " (٤) وثبت عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرجل شكك اليه أن عاملا قطع يده : " لئن كنت صادقا لأقيدنك منه " (٥)

(١) راجع للتفصيل للتعرف على من يتمتع من الأفراد بهذه الحصانة آئين اسلامى

ص ١٠٠ ٥١٦ ٥٢٠ ٥٢٤ ٥٤٧ ٥٦١ ٥٧٤ ١٠٠

(٢) الحديث رواه النسائى فى سننه ج ٣٢/٤ كتاب القسامة باب القود فى الطعنة ، ومثله

فى سنن أبى داود ج ١٨٢/٤ رقم الحديث ٤٥٣٦

(٣) الحديث رواه أبو داود فى سننه ج ١٨٣/٤ كتاب الديات باب القود من الضربة ٥٠٠ رقم الحديث ٤٥٣٧

(٤) البقرة آية : ١٧٨ (٥) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠٦/٢

جريمة الزنا : =====

١ - يحصر قانون العقوبات فى بند ٤٩٧ صورة جريمة الزنا فى كل شخص يجامع زوجة شخص آخر دون رضا الزوج أو تسامحه مع علم الواطئ ، أو تملكه سبيلا يظلم بها أنها زوجة فلان ، ولا يصل ذلك الجماع الى الزنا بالجبر وفى هذه الصورة يعتبر الجانى مرتكباً لجريمة الزنا ، ويعاقب باحدى العقوبتين : السجن الذى يبلغ حده الأقصى خمس سنوات ، أو غرامة مالية ، ويمكن الجمع بينهما ، ولا تعاقب المرأة بشئ " (١)

وإذا نظرت الى عقوبة الزنا الاسلامية والانجليزية فى دائرة منع القتل وجدتهما على طرفى نقيض فالقانون لا يفرق بين عقوبة من سبق له الزواج ممن لم يسبق له ، تساوى فى عقوبة سجنه أو غرامته المراهق فاض الحيوة الذى لا يجد مصرفاً لقضاء شهوته ، ومن ملك المصروف الشرعى لقضاها ، بينما أعطى الاسلام الجريمة والمجرم حق الرعاية والتقدير ، فلم يسق المجرمين بسوط واحد ، بل فرق بين عقوبة البكر الذى لم يسبق له الزواج وبين من سبق له الزواج فخفف العقوبة عن الأول بجلده مائة ، ونفى عام لتغلب الشهوة على العقل والزناة فى تلك الفترة ، وغلظ على المحضن الذى سبق له الزواج الصحيح فعاقبه بالرجم لغلبة العقل على الشهوة فى هذه الفترة ، فالأول يعذر ويستحق بعض العطف من التشريع الاسلامى دون الثانى ، وقلماً سلمت روح هذا الأخير من القتل بعد انقضاء عقوبة السجن ، لأن الفيرة البشرية لن تسمح بالحياة لهاتك عرضها ، لعلم المهتوك عرضهم . أن القانون لم يوفهم حق العقوبة ، فيترصدون للجانى حتى القتل ، وهذه - شهادتنا لقضاء تصرخ أن وراء أغلب قضايا القتل عرض مهتوك ، فمن رحمة الله بعباده أن جعل حد الزنا حقا من حقوقه ، ففضى بهرحم الحصن لتصفو قلوب البشرية من التار والحزازات .

وأعلان العفو عن عقوبة المرأة تشجيع من القانون لها بارتكاب الجريمة ، فهى ولا شك مرشدة للجريمة ، غير مكرهة عليها ، ولا مخادعة بارتكابها ، لغد القانون حالة الاكراه والخداع من الزنا بالجبر - كما سيأتى - وكان الأجدر به أن يحتيرها زانية ، ويعاقبها عقاب الزناة ، ان أراد بالمجتمع صلاحاً وأماناً ، وأما أن يطلق للمرأة الحبل على الغارب تغرى وتثير وترتكب ويطلب من الرجال أن يكونوا فى صف الملائكة فذلك استهزاء وسخرية بالعقل البشري .

٢ - الزنا بالجبر :

يعرف السند ٣٧٥ من قانون العقوبات الزنا بالجبر بأنه : " كل ذكر يجامع امرأة في صورة من الصور التالية ما عدا الصورة المستثناة يعد مرتكباً لجريمة الزنا بالجبر .

١ - دون ارادة المرأة . ٢ - دون رضا المرأة .

٣ - مع رضا المرأة حيث أبدت رضاها لخوف الهلاك أو الضرر .

٤ - مع رضا المرأة وعلم الواطئ أنها ليست زوجته وتعتقد الموطوءة أن الواطئ هو زوجها الشرعى أو تظنه زوجها الشرعى .

٥ - مع رضا المرأة أو دون رضاها ما دامت لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها .

شرح : ولتحقيق الجريمة يكفى الايلاج .

استثناء - جماع الرجل زوجته اذا اكتمل لها ثلاثة عشر عاماً ، ولا يعد ذلك من باب الزنا بالجبر " (١)

وينص الهند الذى يليه على عقوبة الزنا الجبرى بأن : " كل شخص ارتكب الزنا بالجبر يعاقب بالسجن على نوعين : مدى الحياة (٢) أو سجن يصل الى عشر سنوات ، وتلزمه الغرامة المالية ، الا أن يكون من ارتكب معه جريمة الزنا بالجبر زوجته ، ولا يقل عمرها عن اثنى عشر عاماً ، وفى هذه الحالة يعاقب المجرم باحدى العقوبتين : السجن الذى يبلغ حده الأقصى سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما " (٣)

فالصور التى جمعها القانون فى الزنا الجبرى لا تخلو عن وطء اكراه ، أو شبهة أو صغيرة لم تبلغ سن القانون للمعاشرة ، ولا شك أن المكروه لا يوجه اليه لوم فضلا عن أن يعاقب فى عرف البشر ، فجاء تشريع القانون موافقا للشرعية فى رفع العقاب عن المكروهات ، ولكن أخطأ المشرع البشرى فى فهم نفسية المرأة حين برأها من العقاب فى كل العمليات الجنسية ، فان كان الرجل يقوى

(١) مجموعة تمزيقات ص ٢٢١ .

(٢) سجن مدى الحياة هو سجن ٢٥ سنة كما نص عليه الهند ٥٧ من مجموعة تمزيقات ص ٢٢٢ .

(٣) مجموعة تمزيقات ص ٢٢٢ .

عليها بالاكراه ، فإنها تفوق في الاغراء ، ولا يستبعد أن تمتلك من الوسائل ما تأثير به الرجل على عمل الفحشاء ، وهذه قصة يوسف عليه السلام أكبر شاهد لذلك : " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك " (١) " قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين " (٢)

وما دام الأمر كذلك فلا مرية أن القانون ناقص في تشريعاته ، وأن العقل البشرى ما زال فى حاجة الى هداية الله ، وأنه لم يشب عن الطوق بعد ، وأن تشريع السماء أوفى وأكمل لتغطية الحاجات البشرية جمعا ، فلا يصح ترك الجبل على غارب الفتنة الهوجاء ، تسير في الطريق تغزو الناشئة بلباسها المشدود ، وزينتها القاتنة ، وشيبتها الجذابة ، فإن وقعت الجريمة والحال كما ذكر كان أمام القاضي شبهة درء الحد عن الرجل الذى غزى في غفته ، وكفى تشريع الله احتياطاً أن يعد المرأة المتعطرة التى خرجت من البيت لتشهد الصلاة بالجماعة مصابة بالجنابة ، فيما قبلها بالاعتسال عند العودة الى البيت كشرط لقبول الصلاة . (٣)

وكذلك الوضع في الصورة الرابعة فإنه وطء شبهة ، فإن خلت الموطوءة بينها وبين ارتكاب الجريمة لشبهة النكاح ، فإن العكس ممكن أيضا ، فإن أمكن خداع المرأة فإن خداع الرجل محتمل كذلك ، بل هو واقع بعد نبذ المرأة كل قيود الاخلاق في المجتمعات المنحلة ، والتشريع البشرى بوضعه الحال يحى المرأة دون الرجل ، وذلك استخفاف بأحد شقى الانسانية ، بيد أن تشريع الاسلام الكامل لم يفرق بين الرجل والمرأة في هذه القضية ، فان وفر للمرأة درء الحد للشبهة فإنه يعطى الحق ذاته للرجل حين يعرف فقهاء الاسلام الزنا بأنه : " كل وطء وقع على غير نكاح ، ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين وهو متفق عليه بالجملة من علماء الاسلام " (٤)

ونضم النظر في الصورة الخامسة لا يخفى عليه معارضتها للصحة العامة ، فالهتوا أهلها ادرى بالصحة

- (١) يوسف آية : ٢٣ (٢) يوسف آية : ٣٢
(٣) وذلك بنص الحكم النبوى ، فمن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " لقيت امرأة وجد منها رجح الطيب ينفع ، ولذيلها اعصار فقال : يا أمة الجبار . جئت من المسجد ؟ قالت نعم . قال وله تطييب ، قالت نعم : قال انى سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة " رواه أبو داود في سننه ج ٧٩/٤ باب ما جاء في المرأة تطييب للخروج . وانظر سنن الترمذى ج ١٩٤/٤ ، ومسند أحمد ج ٤/٤٠٠/٤١٤٤
(٤) ابن رشد بداية المجتهد ج ٣١١/٢

من المَقْن البعيد عن البهية ، فتحدد سن النكاح إن حقق مصلحة في منطقة فقد أخفق في مناطق ، ويبدو أن المشرع البشرى أدرك بعض أبعاد هذه القضية حين اعترف للفتاة بالزواج في اكتمال الثانية عشرة من عمرها ، غير أن التضارب في التشريع بدا واضحا حين منع الزوج من حقوقه الزوجية ، لعدم بلوغ الفتاة السن القانونية المطلوبة وهو أكثر من ذلك غرابة حين يقسم الزوج المخالف للأئحة السن في قائمة الزناة المجبرين ، الذين يستحقون تغليظ العقوبة عن الزناة العاديين .

والقانون بنظريته يحاى الفرد على حساب الجماعة ، والمجرم على حساب المسالمين ، يقدر من حقوقه ، ويهدر حقوقهم ، إذ يحصر الزنا في الاعتداء على حقوق الزوج ، ويعتبر الزنا بالجبر تدخلا مشينا في الحرية الشخصية للمفعول به ، دون أن يعتد بحقوق المجتمع الذي يتمتع الزوج والزوجة والمجرم بأمنه واستقراره ، وكلتا نظريته الغاء لحقوق المجموع ، وشماطف مكشوف مع الجريمة والمجرم ، وتلك نتيجة منطقية للقوانين الأوروبية الرأسمالية ، لأنها تبالغ في تقدير الفرد وتجعله محور الحياة الاجتماعية كلها ، أضف اليه مبالغتها في التحريم على حقوق المجتمع في فرض القيود على الحرية الفردية .

وامتدادا لهذه النظرية المقدسة للفرد أصبح الزنا من بالغ غير مشغول بالزواج جريمة مفتادة في المجتمعات المطبقة لهذا القانون ، ويتكرر وقوعه بمرأى وسماع من الناس دون أن يملكوا لمنعه حولا ولا قوة ، لأن القانون اعتبر الزنا من المسائل الشخصية التي لا تمس مصلحة الجماعة ولا كيان الأمة ، وما دامت الجريمة قد تمت بالتراضى فإن القانون لا يهتم بها ، ولا يعتبرها جريمة ، ونتيجة لهذا التشريع المجحف بحقوق المجتمع كثرت الفحشاء ، ومن ثم كثرا أولاد الحرام الذين مريك مسيرهم الى البعثات المسيحية في فصل أثر النشاط التنصيري السابق ” .

وإذا قارنت بين تشريع الزواج في الاسلام وفي القانون الوضعي في دائرة منع الزنا ، وتطهير المجتمع من أولاد السفاح ، وجدتهما على طرفي نقيض ، فالاسلام يحث على الزواج المبكر ويعين على اتمامه من بيت المال ، إذا حالت الظروف الخاصة دون اتمامه ، ويحرص على تنظيم مجتمعه من كل وسائل الاغراء المثيرة للشهوة و . . . ، بينما القانون يخلق المراقيل في طريق الزواج المبكر بتحديد سن الزواج بشمانية عشر عاما للذكر ، وست عشرة سنة للإثني .

فالطاقة الحيوية الفائضة اذا لم تجد طريقها الى الحلال لا بد أن تتحرف الى الحرام وارتكاب جريمة الزنا لسهولة الوصول اليها .

وقانون المرافعات الجنائي يعين على ارتكاب جريمة الزنا من طرف غير ظاهر ، حين ينص في مادته ١٩٩ على أنه : " لا يصح للمحكمة التحقيق في شكاوى الجرائم المرتكبة ضمن مادة ٤٩٧ و ٤٩٨ (١) من قانون العقوبات الا في الصور التالية :-

أ - أن يكون المدعى زوجا أو من يقوم مقامه في تعهد المرأة ، وصيانتها عند ارتكاب الجرم وأن تكون الشكاوى تحريرية يتقدم بها المدعى الى رئيس الدائرة للشرطة .

ب - أن يتقدم المدعى الزوج أو المتعهد برفع الدعوى بعد اذن المحكمة ، مالم يكن الزوج دون الثامنة عشرة أو مجنونا أو مريضا أو شيخا هربا ، فللمحكمة أن تأذن لشخص ما ينوب عن صاحب الحق برفع الدعوى عنه .

ج - اذا كان الزوج مرتبطا بالجيش الباكستاني ولا تسمح له جهة الارتباط برفع الدعوى شخصيا ولم يتقدم المتعهد بالمرأة بالدعوى أيضا فله أن يستشعب ضمن مادة " ١٩٩ أ " فيتقدم المدعى بالدعوى مشفوعة بوثيقة توكيل من الزوج مصدقة من جهة الارتباط بالجيش " (٢)

فحين لا يسمح قانون المرافعات برفع الدعوى الا من هذه الجهات فقد أمن المجرمون الذين لا يراقبون من هذه الجهات أو لا يتصلون بها ، وفرضه القيود السابقة على المدعى ، وحصر المدعى في دائرة ضيقة النخى حق المجتمع في مراقبة الجريمة ، وأعطى المجرمين وثيقة حصانة قانونية يأمنون بموجبها من مراقبة الميرون الجماعية التي تسهر لخلق مجتمع نزيه من الفحشاء ، فما أن منع المجتمع من اداء دور المراقبة حتى فتحت أبواب الجريمة علنا ، وأصبحت الصحف اليومية تشر العشرات من الأخبار المتصلة بهذه الجريمة أو المفضية اليها .

بعد أن قرر القانون بأن الزنا جريمة شخصية واعتداء على (١) وتنص هذه المادة أن " كل شخص هرب أو راوغ حتى تمكن من تهريب امرأة متزوجة من زوجها ، أو ممن هو متعهد بالمحافظة عليها لغرض أن ترتكب جرما محرما أو يخفيها أو يحبسها لذلك الغرض يعاقب باحدى العقوبتين : بالسجن الذي يبلغ أقصاه سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما " مجموعة تعزيرات ص ٢٩٨ .

(٢) مجموعة ضابطة ص ١٥٦ .

موقف الشريعة فى العقوبة فى هذه الحالة — وكان الأولى الفاء هذا التمييز ، وجمع صور الزنا فى تشريع واحد تمثيلاً مع التشريع الإسلامى طوال القرون الماضية ، ويضاف الى ذلك عدم ايجاب العقوبة التعزيرية على البكر المجرى ، لأن التعزير لا يجامع التعمين والوجوب ، والا أصبح حداً ، كما أن الأولى أن تظل العقوبة التعزيرية دون الحد ، اذ الحد أقصى عقوبة لتلك الجريمة فى الشريعة ، وليكن التعزير دونه .

ب — تنص المادة العاشرة من التعديل ضمن تقسيماتها الفرعية بـ " أن من ارتكب جريمة الزنا المستوجبة للتعزير يعاقب بسجن عشر سنوات سجناً مجهداً ، وجلده ثلاثين جلده ، وتخريمه غرامة مالية " (١) والعقوبة الأخيرة هى محل نظر لأنها لا تتفق مع روح الإسلام ففى عقوبة هذه الجريمة ، ويمكن ربط هذه الجزئية وتفسيرها بالبند ٣٤٥ من قانون المرافعات الذى يشير الى التراضى والمصالحة حول هذه الجريمة ، وتزداد الشبهة قوة عندما لا نرى ذكراً لهذا البند ضمن البنود المنسوخة أو المقيدة ، وقد استقصى المعدل الأخير فأشار الى جميع البنود التى تمت بصلتها الى الزنا ، غير أن حسن الظن يحملنى على افتراض زهول المعدل وعدم استحضاره لهذا البند ، وإن كان غير ذلك فلا شك أنه أحياء للروح الغربية التى قننت جبر الأعراض بالمال . غير أن ذلك الجبر مرفوض فى نظر الإسلام فقد روى زيد بن خالد وأبو هريرة رضى الله عنهما قالا : " إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر وهو أفاقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأئذن لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال :

ان ابنى كان عسيفاً — اجيراً — على هذا فزنى بامرأته ، وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم فاقتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتخريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتخريب عام واغدا أنيس الى

امراة هذا فان اعترفت فارجمها " . (١)

ويقول الشيخ المودودي : "إن هذه الجريمة فى القانون الاسلامى غير قابلة للتراضى وان قصة العسيف ذكرت فى أغلب كتب الحديث ٠٠٠ ولا تنص القصة على أن الترضية لا محل لها فى هذه الجريمة فحسب ، بل نعلم منها أن القانون الاسلامى لا يبيح جبر الأعراض المهتوك بالمال ، ولتخط القوانين الغربية بالتبريك فى جبر تقدير الأعراض وتصويرها على الطريقة الديوثية " (٢) وهذه الناحية العقابية تلائم التشريع الهادف الى جمع المال لا التشريع الذى يقصد تقويم السلوك البشرى .

ج — تنص المادة الخامسة عشرة المعدلة أن : " كل رجل خادع امرأة ليست زوجة له ، بأنها زوجته الشرعية ، فقبلت أن يواقعها تحت هذا الوهم يعاقب بالسجن مدة خمس وعشرين سنة مع الاشغال الشاقة ، والجلد بما لا يزيد على ثلاثين جلدة ، كما توقع عليه غرامة مالية " (٣) فالخادع مجامع امرأة لا تحل له ، فهو زان لاشبهة فيه ، بينما هى مخدوعة اشتبه عليها الزوج بخيره ، فيجب أن يعاقب الرجل بمعقمة الزنا جلدا أو رجما . ولا عقوبة على المرأة

د — يقفوا التعداد الأخير خطوات القانون فى انزال العقوبة القصوى على من خطا المراحل الأولية لارتكاب الزنا ، ويخفف فى المعقمة بعد وقوع الفحشاء ، فمثلا تنفذ المادة ٣٧٢ من قانون العقوبات أن : " كل من باع أو اجر أو رفع يده (يد الولاية) عن شخص لم يبلغ الثامنة عشر لقصد أن يشغله بعمل مشين ، أو جماع محرم مع شخص ما ، أو بأمر غير مباح ، أو يبرم عقد البيع أو الايجار ٠٠٠ لاحتمال وقوع تلك الأعمال من المباع ٠٠٠ يوما ، يعاقب باحدى المعقمتين السجن الذى يصل أقصاه الى عشر سنوات أو يعاقب بغرامة مالية " (٤) بينما عقوبة الزنا لاتعدو سجن خمس سنوات كما مر .

(١) الحديث متفق عليه صحيح البخارى ج ٢٤/٨ ، كتاب المحاربين باب الاعتراف بالزنا ، وصحيح مسلم ج ١٢١/٥ كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣٣٢/٣ .

(٣) مجموعة اسلامى ص ٨ .

ونجد ما يشبه ذلك في التعديل الأخير فمثلا تنص المادة الحادية عشرة أن " كل شخص اختطف امرأة ، أو هرب بها ليكرهها أو يعلم أنها ستكره على خلاف إرادتها بالزواج بشخص ما أو أنها سترغم على الجماع خلاف مشيئتها ، وإن المرتكب يعلم أنه سيجبرها على الوطء غير المشروع أو سيراوغها على ذلك ، يعاقب بالسجن المؤبد وجلده ثلاثين جلدة ، ويعاقب بغرامة مالية ٠٠٠ " (١) بينما عقوبة الزنا المستوجبة للتعزير لنقصان الشهود أو ما يشبه ذلك لا تعدو سجن عشر سنوات سجنًا مجهدًا مع ثلاثين جلدة وغرامة مالية ٠ (٢)

هكذا نجد القانون بعقوباته المتنوعة غير قادر على منع جريمة العرض وردع الزناة عن ارتكاب الزنا ، فإن عجز عن إيقاف الفحشاء وسرقة الأعراض فهو أكثر عجزا عن إيقاف جريمة القتل الوثيقة الصلة بالعرض ، وعقوبة القانون - السجنية وما دونها - للقتل والزنا شبيهتان بالقاء الهشيم على النار لتزداد لهيبا .

وعند العودة إلى شريعة الله وعقوبتها الرادعة نجد أنها تعتبر الزنا بجميع أنواعه من الجرائم الضارة بمصلحة المجتمع ومصلحة الأسرة والفرد معا ، ولهذا جعلت العقاب فيها حقا لله عز وجل ، واعتبرت الاعتماد على العرض اعتداء على حق الله ، فلا تسمح لأحد كائن من كان بالعفو أو التخفيف في العقوبة المحددة ، إذا ثبتت الجريمة في دولة مسلمة ، ولكنها لا تعاقب إلا بعد أن تسد جميع المنافذ المؤدية إليها ، وتهيئ جميع الوسائل الكفيلة بالقضاء على الجريمة حتى تنعدم مبرراتها ، يقول الأستاذ محمد قطب " وحين يحكم الإسلام لن تكون هذه المثيرات الجنونية التي تدفع الشباب دفعا إلى الهبوط ، لن تكون السينما العارية ، والصحافة الخليعة ، والأغاني المتبدلة والفنتا الهائجة في الطريق ، ولن يكون الفقر الذي يمنع الناس من الزواج ، وعندئذ فقط يطالب الناس بالفضيلة وهم قادرون عليها ، وتوقع عليهم العقوبة وهم غير معذورين " (٣)

هـ - ترك التعديل الأخير التخريب ونفى سنة من عقوبة الزانى البكر ، الواردة في صحيح كتب السنة فمن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - " خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢١٩ .

(٢) مجموعة إسلامي ص ٦ .

(٣) مجموعة إسلامي المادة العاشرة ب ص ٦ .

(٤) شبهات حول الإسلام ص ١٦٤ .

جلد مائة والرجم " (١)

وفى قصة العسيف قوله صلى الله عليه وسلم : " أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام " .

وكان الأجدر بالتعديل وهو يسمى الى اعادة الأمور الى نصابها أن يعترف بهذه العقوبة بغض النظر عن خلاف الحنفية رحمهم الله ، وكان الأولى بالمعدل أن يعاقب البكر المجبر وغير المجبر بالنفى والابعاد اتباعا لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتميما للعقوبة التى قضت بها السنة ، ولا سيما أنه أضاف عقوبة تعزيرية واجبة على البكر المجبر بعد الجلد ، وخـيـر المحكمة فى تعيينها حسب نوع الجريمة والمجرم ، غير أن القضاء الباكستانى لا يسمعه معاقبة هذا المجبر - فضلا عن غيره - بالتغريب لأن لائحة العقوبات لا تشمل .

الجرائم المتصلة بالأموال :
=====

يضم قانون العقوبات فى باب جرائم الأموال احدى عشرة قضية رئيسية ، وهى : السرقة والاستحصال بالجبر (الغصب) ، والسرقه بالجبر ، والنهب (الحراية) والتملك الجنائى غير المشروع فى الأموال ، والخيانة الجنائية فيها ، وما يتصل بالأموال المسروقة ، والاحتياى ، واخفاء الأموال تمويها على الدائنين ، واتلاف الأموال للاضرار بصاحبها ، والتعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات .

والذى يهم البحث هو القضايا الأربع الأولى واجزاء من القضية الأخيرة ، وما عدا ذلك فهو خارج عن نطاق البحث ، وقد طرق الفقه الاسلامى بعض تلك القضايا بصورة أوسع وأشمل كاتلاف الأموال ، وأخرى بصورة موجزة كالجنائيات التى تتصل بالأموال المسروقة ، ومنها ما هو جديد على الفقه الاسلامى ، ومحل نظر من علماء الاسلام .

السرقة : تعرف المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات السرقة بقولها : " كل شخص يحرك مالا منقولا
=====

(١) الحديث رواه مسلم ج ١١٥/٥ — كتاب الحدود باب حد الزنا .

بنية أخذه بسوء قصد من حيازة شخص بدون رضاه يعد مرتكباً لجريمة السرقة " (١) وتعاقب
المادة التالية مرتكب السرقة فتص " كل من ارتكب جريمة السرقة يعاقب باحدى العقوبتين :
بالسجن الذى يصل أقصاه الى ثلاث سنوات أو بغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " (٢)

تلك هى السرقة ، وهذه عقوبتها ، اذا وقعت الجناية فى غير الأماكن التى تحرز فيها الأموال
لأن المادة ٣٨٠ حددت السرقة من الحرز بالبنيان والخيمة والمراكب البحرية ، وعاقبت السارق من
هذه الاحراز بسجن يصل الى سبع سنوات ، وغرامة مالية . (٣)

ولا يختلف تعريف القانون للسرقة عن الشريعة الاسلامية كثيرا اذ يعرفها الفقهاء : بأخذ
العاقل البالغ نصابا محرزا أو ما قيمته نصاب ملكا للغير ، لا ملك له فيه ولا شبهة ملك على وجه
الخفية مستترا من غير أن يؤتمن عليه ، وكان السارق مختارا غير مكره . سواء أكان مسلما أم ذميا
أو مرتدا ذكرا أو انثى ، حرا أو عبدا (٤) ولكن شتان بين عقوبة القانون وعقوبة الشريعة ، فلا تحدد
عقوبة القانون لجناية السرقة ، وفى السرقة الصغيرة تخفف العقوبة ، وتشتد فيما اذا وقعت
لمال محرز فى تلك الاحراز الثلاثة ، أو وقعت الجريمة من الخادم فى مال سيده (٥) وتغلظ بسجن
مجهد قد يصل الى عشر سنوات اذا وقعت الجناية عن استعداد مسلح ، أو تخفيف لصاحب المال
بالقتل أو الايذاء . (٦)

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : هل السجن أو الغرامة أو كلاهما مما نجح فى منع ارتكاب
هذه الجريمة ؟ وتجيب على ذلك سجلات الشرطة ، ومنصات المحاكم بالفشل ، واخفاق العقوبة
فى محاربة جريمة السرقة ، وعلّة ذلك أن عقوبة السجن أو الغرامة أو الجمع بينهما لا تخلقان فى
نفس السارق العوامل النفسية التى تصرفه عن ارتكاب الجريمة ، ولأن عقوبة السجن لا تحول
بين السارق وبين الكسب والعمل الامدة السجن ، وليس له حاجة اليمادام موفر الطلبات ، ملبى

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٢٤ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٢٨ (٣) المصدر السابق ص ٣٣٩

(٤) انظر عبد الرحمن الجزيرى الفقه على المذاهب الأربعة ج ١٥٦/٥

(٥) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨١ ص ٢٣٠ .

(٦) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٢ ص ٢٣٠ .

الحاجات ، وما ان يخرج الجاني من محبسه حتى يعود الى السرقة من جديد فى جنائية مشابهة وهكذا يظل الناس وغرف السجن فى دومة لا نهاية لها .

ولكن انظر الى عقوبة قطع اليمنى من مفصل الكف التى حكم بها خالق الكون وعالم دوائله ، - فالسارق حين يسرق يستصفر كسبه الحلال ، ويفكر فى زيادة الثراء وتتميته عن طريق الحرام وجنائته هذه غايتها ابراز قدراته الواسعة على الانفاق ، والارتياح من غناء الكد والعمل ، والدافع اذن جوع أو تكاسل عن الكسب الشريف أو اختلال الميزان الاقتصادى بين أفراد الأمة ، وقد حاربت الشريعة هذه الدوافع فى النفس البشرية بتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً ، وبتقرير عقوبة القطع فما ان تحل بالمجرم حتى تنقض فعالية اليد أو الرجل ، ومن ثم ينقض الكسب والثراء .

يقول عبد القادر عودة فى معرض تحليله العوامل النفسية لمحاربة جريمة السرقة فى الاسلام " فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التى تدعو لارتكاب الجريمة ، بعوامل نفسية مضادة ، فاذا تغلبت العوامل النفسية الداعية وارتكب الانسان الجريمة مرة كان فى العقوبة والمرارة التى تصيبه منها ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة مرة ثانية ذلك هو الأساس الذى قامت عليه عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية ، وإنه لم يبرح أساس قامت عليه عقوبة السرقة من يوم نشأة عالمنا حتى الآن ، وإنه السر فى نجاح عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية قديماً ، وهو السر الذى جعلها تنجح نجاحاً باهراً فى الحجاز فى عصرنا هذا فتحوله من بلد كله فساد واضطراب ونهب وسرقات الى بلد كله نظام وسلام وأمن وأمان " (١) .

وعقوبة السرقة لا تتنوع فى الاسلام ، سواء وقعت الجريمة من حرز محدود كالصور التى ذكرها القانون ، أو من حرز أوسع وأشمل كما يعرفه فقهاء الاسلام ، وسواء سرق الخادم من مال سيده أو الأجير من مال صاحب العمل ، أو العكس ، كل ذلك متساو فى نظر الاسلام ، ويشترط فى ايقاع عقوبة القطع وغيرها من العقوبات - أن تتحقق الجريمة بشروطها المعروفة وأن تتنفي مبرراتها ، وان تخلف أحد الأمرين فلا قطع ، فهذا عمر بن الخطاب الملهم رضى الله عنه يوقف حد القطع عام الرمادة حين حبسوا لمطر فأجدبت الأرض ، واعتبر الجوع شبهة يمنع إقامة الحد (٢) . وقضى

(١) التشريع الجنائى الاسلامى مقارناً بالقانون الوضعى ج ٦٥٢ / ١

(٢) انظر ارواء الغليل فى تخرىج أحاديث منار السبيل ج ٣٩٠ / ١٠

رضى الله عنه فى قصة الغلمان الذين سرقوا ناقة المزنى بتغريم حاطب بن ابي بلتعة سيد الغلمان بالمال ، وعفا عنهم للشبهة أيضا فقد روى " أن رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فأمر عمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم ثم قال عمر أراك تجيئهم ثم قال عمر والله لا غرمك غرما يشق عليك ، ثم قال للمزنى كم ثمن ناقتك فقال المزنى قد كنت والله امنعها من أربع مائة درهم فقال عمر اعطه ثمان مائة درهم " (١)

ويعلق الاستاذ محمد قطب على الحادثين فيقول : " هذه الحادثة كذلك ، قاطعة الدلالة فى أن العقوبة لا تنفذ فى الاسلام حتى يضمنولى الأمر أن مبررات الجريمة غير قائمة ، فاذا قامت المبررات ولو على سبيل الشبهة — سقط الحد ، والرسول هو الذى يقول : " ادرؤا الحدود بالشبهات " فيجعل ذلك مبدأ تشريعا ، لا تصل الرحمة الى أبعد منه فى معاملة الفرد حتى وهو يعتدى على أمن الجماعة وطمانينتها " (٢)

الاستحصال بالجبر " الغصب " : =====

يعرف قانون العقوبات الاستحصال بالجبر " كل من يبعث قصدا فى نفس شخص الخوف من الأضرار به أو بأى شخص آخر ، وذلك يحمله عن سوء قصد على أن يسلم لشخص ما اى مال أو كفالة مال (سند قانونى) أو أى شئ موقع عليه بامضاء أو ختم يمكن تحويله الى سند قانونى يعد مرتكباً لجريمة الاستحصال بالجبر " (٣) وتعاقب المادة ٣٨٤ مرتكب الاستحصال بسجنه ثلاث سنوات أو تغريمه غرامة مالية أو الجمع بين العقوبتين . (٤) ، وتشتد عقوبة القانون حسب نوع التخويف فإن كان قسلاً أو ضرراً بالغاً أمكن عقاب الجانى بما يصل الى سجن عشر سنوات (٥)

ومعنى النظر فى تعريف الاستحصال بالجبر لا يشك انه نوع من الغصب ، والمغالبة لأخذ المال والذى جر الحديث عنه أن قانون العقوبات يربط السرقة بالجبر والنهب بالاستحصال بالجبر وعقوبته المحددة فى القانون جزء من تشريعه العام الرامى الى التخفيف عن يغصب الأموال مع الاحتفاظ بمبدأ تفضيل الفرد على الجماعة ، بينما الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبة معينة

(١) الخبر أخرجه الامام مالك فى الموطأ وانظر جلال الدين السيوطى تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ج ٢٢٠ / ٢ كتاب الاقضية باب القضاء فى الضواري

(٢) الإنسان بين المادية والاسلام ص ٢٠١ .

(٣) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٣ ص ٢٣١ .

(٤) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٢ . (٥) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٦ ص ٢٣٣ .

للغاصب والبتر ، وانما وكلت ذلك الى الأفراد والمجتمع ، فاذا لم يكن للقضية حل الا بالقضاء
فإن الحاكم يعززه بما يحقق مصلحة الأفراد والأمة معا .

وتحدد العقوبة للغاصب في القانون مرجعه فساد التشريع الوضعي ، لخلوه من تشريعات
تحض على التعاون والبر ، وترشد أهل الإصلاح الى الأخذ بيد المظلوم ، والضرب على يد الظالم
الغاصب ، وقد عالج الاسلام الغصب عن طريقين :-

١ - طريق التربية النفسية . وذلك حين حذر المصطفى عليه الصلاة والسلام من عقوبة الله يوم
القيامة " من أخذ شيئا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين " (١) والتحذير
والتخويف للنفس المسلمة اردع من العقاب وانزال الجزاء .

٢ - يأمر القرآن الكريم المسلمين بالتعاون على البر والتقوى ، والامتناع عن المعصية والاعتداء
" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " (٢) وتشكل المجتمع الاسلامي
الأول في ضوء الآية على ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله " انصر أخاك ظالما
أو مظلوما فقال : رجل يا رسول الله انصره اذا كان مظلوما أفرأيت اذا كان ظالما كيف انصره ، قال
تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " (٣) ومثل هذه التشريعات كفيلة برفع الغصب
والضرب على يد الغاصب من فئة المسلمين أفرادا أو جماعة .

ومن منطلق التعاون هذا أجمع العلماء على أنه ليس على الغاصب ، ولا على المكابر المخالف
قطع ألا أن يكون قاطع طريق شاهرا للسلاح على المسلمين مخيفا للمبيل فحكمه حكم المحارب (٤)
وان لم يتمكن العالجان من كبح جماح الغاصب فيد الحاكم والقضاء في الاسلام أقوى من
الأفراد فلها تعزيزه بما تراه مناسبا لردعه عن غيه .

(١) الحديث رواه البخاري ج ٧٤ / ٤ كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين

ومثله في سنن الدارمي ج ٢٦٧ / ٢ .

(٢) المائدة آية : ٢ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ج ٥٩ / ٨ كتاب الاكراه باب يمين الرجل لصاحبه .

(٤) انظر بداية المجتهد ج ٤٤٦ / ٢ .

السرقه بالجبر :

تفيد المادة ٣٩٠ من قانون العقوبات أن كل سرقه بالجبر تتوفر فيها السرقه أو الاستحصال بالجبر و " تكون السرقه سرقه بالجبر اذا سبب الجانى أو شرع فى أن يسبب عمدا ، لأى شخص موتا ، أو أذى أو حجزا غير مشروع أو تسببا فيه ، أو خوفا من موت عاجل ، أو أذى عاجل ، أو حجز عاجل غير مشروع أو تسبب فيه ، وكان ذلك لغرض ارتكاب السرقه أو عند ارتكابها ، أو عند الهرب ، أو الشروع فى الهرب بالأموال التى حصل عليها من السرقه " .

ويكون الاستحصال بالجبر سرقه بالجبر اذا كان الجانى حاضرا عند ارتكاب جريمة الاستحصال بجوار الشخص الذى حصل تخوفه ، ويرتكب الاستحصال بتخويف ذلك الشخص بموت عاجل ، أو بأذى عاجل ، أو بحجز عاجل ، أو إصابة هذه الجنائيات شخصا آخر ، وذلك يحمل الشخص الذى حصل تخوفه على تسليم الشئ حالا وفى المكان نفسه " (١)

وتعاقب المادة ٣٩٢ مرتكب جريمة السرقه بالجبر بسجن يصل الى عشر سنوات وغرامة مالية واذا وقعت الجريمة بين غروب الشمس وطلوعها فإن عقوبة السجن قد تصل الى أربع عشرة سنة . (٢)
عرفت أن تحول السرقه الى السرقه بالجبر مركب من جريمتين جريمة أخذ المال ، وجريمة القتل أو الأذى ، أو التسبب فيهما ، وكذلك الاستحصال بالجبر لا يتحول الى سرقه بالجبر الا -
بتحقق جريمتين الفص ، وارهاب المصوب منه على تسليم المصوب حالا فى حالة الارهاب ، ولا يدخل فى نطاق البحث الا السرقه المحولة الى السرقه بالجبر .

فالقانون حين عاقب الجانى فى السرقه الجبرية بثلاثة أضعاف عقوبة السرقه ، كأنه أغض عينيه عن الجريمة الكبرى ، وهى قتل النفس بغير حق على أعسلى تقدير ، أو التسبب فى الحجز غير المشروع على أقل تقدير ، فالعقوبة فى الحالتين غير رادعة ، لأن الأصل فى العقاب أن يعقّد الجانى التذكر عند معاودة الجريمة ، وهذا غير حاصل بالسجن ، ولا سيما اذا وقع مع جريمة السرقه بالجبر قتل أو أذى بالغ .

فجريمة السرقه بالجبر فى نظر القانون جريمة واحدة ، بينما شريعة الله تفرعها الى جريمة أساسية

(١) مجموعة تمزيقات ص ٣٣٥ . (٢) انظر مجموعة تمزيقات ص ٣٣٧ .

وهى السرقة ، وجريمة فرعية ، ارتكبت من أجل تحقيق الأولى قد تكون قتلا وقد تكون جرحا ، ولكل جريمة عقابها الرادع ، حدا أو تعزيرا . ولا يستسيغ العقل البشرى أن يهدر الدم البرئ من أجل سارق يأخذ المال ، ويقتل من يقف في طريقة لتحقيق جريمته المالية ، فالقانون بتطويل عقوبة السجن في حالة القتل والجرح قصير النظر ، يحتاج للمال ، ويفرط في حفظ حياة صاحب المال ، وذلك يفتح باب القتل من أيسر طرقه ، فللجاني أن يسرق ويقتل ، دون أن يجد يدا تعاقبه بمثل جنايته ، وتحفظ للمسالمين حياتهم وأموالهم .

وإذا أردنا حماية الأرواح والممتلكات وإعطاء الجريمة حقها من التقدير والرعاية فلنعمد الى شرع الخالق ، ونعاقب الجاني بقدر جنايته " وإن عاقبتم فمعاقبوا بمثل ما عوقبتم به " (١) وشرع الله أرحم من المشرع البشرى بسجن تسع سنوات في جريمة سرقة لم تتم ، بعد أن حجز الجاني صاحب المال ، أو تسبب فيه ، وظلم العقوبة الوضعية غير خاف في الحالتين ، ففي السرقة مع القتل نجد المشرع البشرى مجحفا بالدم وأصحابه ، وبقصرا عن إقامة التوازن بين الجريمة والعقوبة ، وفسى السرقة غير المكتملة هو ظالم للجاني بعقوبة عشر سنوات ، إذ يستحق الجاني أكبر قدر ممكن من التخفيف في العقوبة ، بيد أن المشرع البشرى لم يعط الجريمة أو مرتكبها أى قدر من العناية بل تغاضى عنها ، وسوى بينها وبين الجريمة المكتملة ولا تخلو عقوبته والحال هذه من الإفراط أو التفريط .

النهب (الحراية) : =====

تعرف المادة ٣٩١ من قانون العقوبات النهب بأنه : " اذا اشترك خمسة أشخاص أو أكثر في ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع في ارتكابها ، أو اذا كان مجموع عدد الأشخاص المشتركين في ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع فيها ، والأشخاص الحاضرين الذين يساعدونهم على ارتكابها أو الشروع فيها يصل الى خمسة أشخاص أو أكثر ، فإن كل شخص ارتكب الجريمة أو شرع أو ساعد في ارتكابها يعد مرتكبا جريمة النهب " . (٢)

وعقوبة النهب فسى سجن الجانى مدى الحياة أو سجنه سجنًا مجهدا يبلغ أقصاه عشر سنوات مع غرامة مالية (٣) وتشديد العقوبة

(١) النحل آية : ١٢٦ (٢) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٧

(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٩٥ ص ٢٣٨ .

القانونية فيما يظهر يرجع الى تعدد الجناة الحاضرين على أرض الجريمة ، وما يحدث ذلك من ارعاب بالنسبة للمجنى عليه ، ولكن ستظل علامة الاستفهام قائمة أمام القانون الانجليزى فى اتحاد عقوبته بين المجرم وبين من يعينه فى الجريمة ، وذلك وارد فى أغلب تشريعاته العقابية للمعاوين وشتان بين المباشر والمعاون ، فالمعقل يحتم التفريق بين المجرمين لا فى النهب المشترك بل فى جميع الجنايات ، فالقاتل غير المسك ، والمسك غير المتصد لميؤن الأمن ، ولكل جان ، تختلف جنايته عن الآخر ، وسوقهم الى حبل المشنقة أو السجن بالشاوى أمر لا يرتاح اليه العقل ، بل يوجب التفريق بين هؤلاء الجناة جميعا .

لذا لا يتردد القضاء الاسلامى فى التفريق بين المشتركين فى النهب والسرقة الجماعية ، يعاقب السارق المخرج للشئ من الحرز بالحد ، اذا توفرت فيه شروط السرقة ، ويعاقب المعاون — بالتعزير ، والى ذلك تشير عبارة الفقهاء رحمهم الله : " اذا اجتمع المباشر والمتسبب قسداً المباشر على التسبب " وتلك هى العناية الدقيقة لملاءمة العقوبة للجريمة ، وتحقيق التوازن بينهما ، ولشدة تحرى فقهاء الاسلام لهذا التحقيق نجد أنهم اختلفوا فيما اذا سرق جماعة مشتركين ولم يبلغ المال المسروق نصاب السرقة لكل منهم ، فذهب أبو حنيفة رحمه الله الى عدم القطع ، بحجة أن القطع علق بهذا القدر ، لا بما دونه ، فلا تقطع أيد كثيرة فيما أوجب فيه الشرع قطع يد واحدة ، وذهب من عدا الى قطع الجميع ، لأن العقوبة فى نظره انما تعلقت بقدر المال المسروق . (١) كل ذلك ينبك عن حرصهم رحمهم الله فى تحقيق التوازن بين الجريمة والعقوبة .

التعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات :

صلة التعدى الجنائى . . . بالسرقة واضحة ، وتنص المادة ٤٥١ على أن " كل من يتمدى على الأمكة لارتكاب جريمة عقوبتها السجن . يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سنتين ، وتضاف

(١) راجع للتفصيل بداية المجتهد ج ٢ / ٤٤٨ .

اليه الخرامة المالية ، وإذا كانت الجريمة المراد ارتكابها جريمة سرقة فيجوز أن تصل مدة السجن الى سبع سنوات " . (١)

وتعاقب المادة ٤٥٤ كل من ينقب جدارا لارتكاب السرقة يسجن سجنًا قد يصل الى عشر سنوات مع الخرامة (٢) ، وإن ارتكبت الجريمة ليلا بطريقة سرية وكتمان فالعقوبة حينئذ قد تصل الى سجن أربع عشرة سنة وغرامة مالية . (٣)

وعقوبة القانون في هذه الجرائم غير مقبولة عقلا ، غلظة في العقوبة عند البدء والشروع ، ولين ورخاوة بعد الإتمام ، فإن ثقب السارق الجدار ، ولم يتمكن من ارتكاب السرقة عوقب يسجن عشر سنين ، أو أربع عشرة سنة ، وآخر سرق المتاع واكتملت الجريمة على يديه ، لا تعد وعقوبته ثلاث سنوات أو سبع (٤) ، إن العقل ليحтар في تبرير هذا المنطق المقلوب ، قسوة في موضع اللين ، ولين في موضع القسوة .

هفوات قانون الحدود " في جرائم الأموال :

لم تعط تباشير الخير في الحفاظ على الأموال ثمارها حتى اليوم ، ولكن الأمل معقود عليها عاجلا أو آجلا ، فالحد الاسلامي في جريمة السرقة والحرابة هو الحل الوحيد الذي يحد من وقوع هاتين الجريمةتين ، ويخفف عن الناس عبء حراسة ممتلكاتهم ليل نهار ، ويعيد اليهم الثقة المفقودة من التشريع منذ قرنين ، ولكن يلاحظ على التعديل الأخير (تنفيذ الحدود) أمور أهمها :

أ — تصرف المادة الخامسة من التعديل الأخير السرقة المستوجبة للحد بقولها " يستوجب عقوبة السرقة حدا كل بالغ يسرق أموالا تصل النصاب ، أو تزيد عليه ، من حرز بطريق الستر والخفاء شريطة ألا يكون المسروق أموالا مسروقة ، ومع علم الجاني أن قيمة تلك المسروقات تبلغ النصاب أو تقاربه أو تزيد عليه " (٥)

ويفسر التوضيح الثاني طريق الستر والخفاء بأن المراد منه " أن السارق يجزم أثناء السرقة أن صاحب المسروق لا يعلم عن فعلته شيئا ، ويلزم لأخذ المسروق خفية إذا كان الوقت نهارا ويدخل

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٧٢ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٧٣ .

(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٤٥٧ ص ٤٧٣ .

(٤) وذلك ان وقعت الجريمة من الاحراز الثلاثة / راجع المادة ٣٨٠ ص ٢٢٩ .

(٥) مجموعة اسلامي ص ٢٦ .

فى النهار ساعة قبل طلوع الشمس وساعتين بعد غروبها - أن تستمر السرقة على طريق الخفاء حتى اكتمال الجريمة ، وإن كان الوقت ليلاً فلا يلزم استمرارها بعد الشروع فيها بالخفاء " . (١)
ومن المعروف فى الفقه الاسلامى بالنسبة لعقوبة السرقة المستوجبة للحد أن الجانى لا يشترط فيه بل لا يفترض أن يكون عالماً بأن المسروق يبلغ النصاب ٥٠٠ ، وإنما ذلك من اختصاص القضاء الذى يعاقب الجانى ، لذا لم يشترط العلماء فى السارق الا البلوغ والعقل وأن يكون غير مالك للمسروق منه ، وألا يكون له عليه ولاية ، وألا يكون محارباً فى دار الحرب ^(٢) واشترط العلم بالنصاب بمثابة إيقاف الممل بالحد ، لأن العقل لا يتصور اعتراف كهذا من مجرم ارتكب السرقة المستوجبة للحد ، فالأولى حذف هذا القيد الذى لا محل له فى تشريع الاسلام .

وفى التوضيح تجد المقتن قد تجاوز حدود السرقة فى تعيين " طريق السر ليلاً " حيث رفع مسؤولية صاحب المال عن المحافظة على أمواله ، وعاقب السارق فيما يبدو بما لا يستحق ، لأن شرط السرقة أن تتم خفية ، وهنا ليست كذلك اذ شرع فيها خفية واكتملت علناً ، فالعقوبة الى التعزير أقرب منها الى الحد .

ب- ضمت المادة الحادية عشرة العديد من الصور المسقطه للحد منها " صورة ج " وهى قبل أن يتم تنفيذ الحد يسحب صاحب المسروق تهمة السرقة ، أو يدلى بتصريح أن الجانى أقصر كذباً . . . " (٣)

فرفع التهمة عن الجانى بعد بلوغ الحاكم أو القاضى فى الحدود أمر لا تقره سنة المصطفى والمنفذ الأول لخاتمة الشرائع عليه الصلاة والسلام ، وقد جمعت السنة القواعد الأساسية لما يصح التفاضى عنه ، أو ابراء المتهم مما اتهم به فى حديثين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تقول عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود " (٤)

ويروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم " تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب " (٥) وفيما يبدو وأن

(١) مجموعة اسلامى ص ٢٦ (٢) راجع تفصيل هذه الشروط وغيرها فى الفقه على المذاهب الأربعة ج ١٥٤/٥ (٣) مجموعة اسلامى ص ٢٩ (٤) الحديث أخرجه أبو داود فى سننه
ج ١٣٣/٤ كتاب الحدود باب فى الحد يشفع فيه .
(٥) سنن أبى داود ج ١٣٣/٤ كتاب الحدود باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان .

المعدل اعتبر عقوبة السرقة حقاً من حقوق صاحب المال ، له المطالبة به ، أو التنازل عنه ، قبل رفع الدعوى ، وبعد ثبوت التهمة ، غير أن الشريعة الاسلامية تعطيه هذا الحق قبل رفع الدعوى وتسحب منه ذلك بعد الرفع ، وحادثة سرقة رداء صفوان خير دليل في القضية ، يقول رضى الله عنه : " كنت نائماً في المسجد على خيمصة لى ثمن ثلاثين درهماً فجاء رجل فاختمها - استلمها - منى ، فأخذ الرجل ، فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به ليقطع ، قال فأتيته فقلت اقطع من أجل ثلاثين درهماً . أنا ابيمه وانسته ثمنها ؟ قال : فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به " (١)

فالحنان والشفقة تراهما على أتم الوجوه من صفوان رضى الله عنه ، حيث حاول تخية الحد عن السارق رحمة بيده ، فاقترح بيع المسروق وتأجيل الثمن ، باعتبار العقوبة حقوقاً من حقوقه فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك : " فهلا كان هذا ٠٠٠ " فلو صح دفع الحد والاعفاء عن العقوبة المقررة شرعاً بعد رفع القضية الى القاضى أو الوالى لنحى عن هذا السارق . وكذلك قصة المخزومية السارقة التى أهم قريشاً شأنها ، فكلم أسامة رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فتلون وجهه وقال : " يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله " ثم قام فاختم فقال : أيها الناس ، انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٢) فلو كان هناك متسع لدرء الحد بعد ثبوته عند الحاكم أو القاضى لكان أولى الناس بهم هو نفسه عليه الصلاة والسلام ، فهو أرحم بالسارق من صاحب المسروق باخبار الله عز وجل " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٣) لذا يعرف العلماء الحد بأنه " عقوبة مقدرة شرعاً تجب حقاً لله عز وجل " (٤) فالحدود حقوق الله ، وحقوق الله اذا ثبتت يجب صيانتها باقامة العقوبة المفروضة وليس لأحد أن يتنازل عنها بعد بلوغ الحاكم .

(١) سنن أبى داود ج ١٣٨/٤ كتاب باب من سرق من حرز رقم الحديث ٤٣٩٤ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨٦/١١ .

وانظر سنن أبى داود ج ١٣٣/٤ رقم الحديث ٤٣٧٤ .

(٣) الانبياء آية : ١٠٧ .

ومن الغريب وغير المعقول عند العقلاء أن يتولس من سرق منه المال تكذيب اقرار الجاني لرفع الحد عنه ، وتكذيبه في هذه الحالة شبيه بطلاق من ليس في عصته انثى ، فالانحراف عن الاقرار حق للمعترف ، لا لمن اعترف له ، لأنه لا يملك الاقرار حتى يملك الانحراف عنه ، وحتى لو افترضنا أن عقوبة السرقة حق من حقوق المسروق منه ، فإنه لا يملك الا العفو عن العقوبة دون سائر الحقوق التي تتصل بالجناية ، كالمستأجر لا يملك من المين المستأجرة سوى النفقة ، أو ما استؤجرت من أجله ، فلا يعدو وضع المسروق منه وضع المستأجر اذا كانت العقوبة حقا من حقوقه يختص بها وحده ، وليس الأمر كذلك لأن الحدود حقوق الله تقام لمصلحة المجتمع ، لا لفرد بعينه ،

ج - ظل التعديل الأخير مرتبطا بقانون العقوبات الانجليزي في العديد من بنوده ، ففى المادة الرابعة عشرة والعشرين يعاقب السارق ومرتكب جريمة الحراية اللذان لم تبلغ جنائهما الحد بالعقوبات التعزيرية الانجليزية ، التي فشلت في حفظ الأموال ، ومنع عصابات السلب والنهب .

جريمة شرب المسكرات ؛

وقبل أن نترك قانون العقوبات نقف وقفه التفكه عند عقوبته لشارب المسكرات ، حيث تنص المادة ٥١٠ ان " كل من يوجد بحالة سكر في مكان عام ، أو في أى مكان يعتبر دخوله فيه تعديا عليه ، ويسلك فيه سلوكا معيا يضايق شخصا من الأشخاص ، يعاقب بالسجن العادى الذى يصل أقصاه الى ٢٤ ساعة ، أو بغرامة مالية تصل الى عشرينيات ، أو بالعقوبتين معا " (١) ويعلق الشارح على هذه الجريمة وعقوبتها بقوله : " هذه الجريمة هي أصغر جريمة في قانون العقوبات الباكستاني ، وعقوبتها القصوى هي حبس ٢٤ ساعة ، والتي تنتهى على العموم بانتهاء مجلس القضاء اليومى " (٢) بيد أن الاسلام عد هذه الجريمة ضمن قائمة الجرائم الكبرى وفرض على متعاطيها عقوبة حدية .

فالاسلام حين يفرض العقوبة على السكر حدا يعيده الى واقع الحياة ليتحمل مسئولياته

(١) مجموعة تعزيرات ص ٣١١ ، (٢) آيم - أشرف - بيك مجموعة تعزيرات ص ٣١١ .

وتبعاته ، ويحثه على المواجهة والمجادة ، ويغضى اليه الهروب من المشكلات ، بينما تخفيف العقوبة الى الحد السابق أو التشريع الذى يبيح شرب المسكر مطلقا تحييان اليه الهروب واعلان الهزيمة أمام مشكلات الحياة ، فالكأس التى تخدر أعصابه رويدا رويدا تبعده عن تلك المشكلات ، وتخلق له فى الخيال عالما جديدا هو بطله المغوار ، ليس فيه شئ من تلك المعضلات ، ومن ثم يفقد جهازه المجالد والمصارع قدرته على مواجهة وقائع الحياة .

وقد جاء التمديد الأخير يلبى رغبات المسلمين فى التقليل من هذه الجريمة باعلان الحد الشرعى وتطبيقه على من يتعاطى شيئا مسكرا ، ولكن المعدل يستشرف الى القانون الوضعى أكثر منه الى الفقه الاسلامى ، فما عقوبة السجن التعزيرية لشارب الخمر الذى لا تصل جرمته الى الحد بسجن يصل الى ثلاث سنوات الاجز من القانون فى تغليظ العقوبة قبل اتمام الجريمة ، والتخفيف بعده فإيجاد التوازن بين الحد والتعزير أمر مطلوب شرعا ، واقامة التوازن بين ثمانين جلده وسجن يصل الى ثلاث سنوات أمر يخفى على العقل حكمته .

هكذا فشل القانون فى الحفاظ على كليات الحياة ، التى يرتبط استقرار البشر وأمنهم باستقرارها وسلامتها ، فما خيبة التقنين البشرى فى الحد من الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو العقل الا اعلان بالهزيمة أمام هذه الجرائم والتحديات ، فهو لما سواها مما يدانيها أو يصغرها أضعف حولا وأقل مقدرة على مطاردة المجرمين ، واستخلاص المسالمين الأمنين من شباكهم المنصوبة .

قانون الاثبات وبعض محتوياته :

فاذا كان هذا مصير قانون العقوبات ، فما مدى صلاحية قانون الاثبات ، وطرق البينات لاثبات جريمة من الجرائم ، وما هى الشهادة التى يرتضيها هذا القانون لاثبات تهمة من التهم ، وهذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه بإيجاز فى النقاط الرئيسية التالية :-

صدرت الموافقة على قانون الاثبات من مجلس التشريع فى ١٥/٣/١٨٧٢م ، وحل محل طرق الاثبات الشرعية فى أول سبتمبر ١٨٧٤م ، ومع استقلال المستعمرة الهندية اختارته كل من الهند وباكستان ومورما وسيلان بعد تعديلات يسيرة كقانون لاثبات الجنائيات ، والقضايا

المتنازع عليها .

فإن كان الاقرار والشهادة سيدى الاثبات فى الاسلام ، فإن قانون العقوبات الانجليزى قدم عليهما الكتابة فى الوثائق والمعاهدات اذ نصت مادته ٥٩ على : أن ما عداه المقالات والوثائق ففى الدعاوى يثبت بالشهادة التقريرية " . (١)

عدد الشهود بين القانون والشرعية لاثبات قضية من القضايا :

لا شك أن شهود القضية هم الذين يقع عليهم عبء الاثبات ، وكلما كثر عددهم كان جانب الدعوى أقوى وأثبت ، وكلما قل عددهم وهنت الدعوى وضعف الاثبات ، غير أن قانون الاثبات يكتفى لاثبات قضية من القضايا بشاهد واحد حيث ينص فى مادته ١٣٤ على أنه " لا يختص عدد معين من الشهود فى قضية لاثبات حادثة من الحوادث " . (٢)

ومناء على ذلك تثبت الدعوى الجنائية والمدنية فى المحاكم بشاهد واحد ، وذلك اذا وثقت المحكمة بصدق قوله ، فان كان مثل هذا الاجراء لصالح الدعوى فمن السهل أن يتمكن شهود الزور وأصحاب الأغراض الدنيئة من ايقاع الأبرياء فى شباك التهمة ، وهذا ما هو حادث بالفعل ، فان الشهادة كثيرا ما تبتكر على أبواب المحاكم ، وتشترى الدم بالاموال وعرض الدنيا .

وإن قارنت بين طرق الاثبات فى الاسلام وبين قانون الاثبات الانجليزى وجدت بينهما بوناً شاسعاً ، فالاسلام لا يضع جميع الدعوى فى صف واحد ، ولا يجمع الجرائم فى قائمة واحدة وانما تختلف طريقة الاثبات فيه بين دعوى جنائية وأخرى مدنية ، وما يعده القانون من الجنايات الشخصية التافهة كالزنا يثبت بشهادة شاهد واحد يحتاط الاسلام لاثباته بأربعة شهود ، ولا تثبت التهمة حتى يشهدوا الجنائية عياناً كالمرود فى المكحلة ، وإن نقص المدد أو لم تكن شهادة أحد هم شهادة عينية ، جلد الشهود ، وأخلى سهيل المتهم ، وهكذا نجد للاسلام عدداً معيناً من الشهود على قدر عظم الجنائية وخفتها .

وما دامت الجنايات تعظم وتصغر ، والعقوبات تزيد وتنقص ، والناس يختلفون فى درجة الصدق والكذب ، كان من المنطق ألا يتساوى عدد الشهود فى الجنايات والدعاوى المختلفة .

(١) شرح قانون شهادت شرح قانون الاثبات ص ١١٨ .

(٢) ص ١٩٧ .

شهادة المرأة بين القانون والشرعية :

جر قانون الاثبات قاعدة المساواة في تحمل الشهادة وأدائها بين النوعين من البشره فتساوت المرأة بالرجل في أداء الشهادة في القضايا المدنية من طرفي النزاع ، وفي القضايا الجنائية هي أهل للشهادة من الطرف الأضعف المدعى عليه . اذ تنفد المادة ١٢٠ " نفسى اجراءات القضايا المدنية أطراف النزاع وزوج طرف أو زوجته أهل لأداء الشهادة ، وفي الاجراءات الجنائية زوج " المدعى عليه " وزوجته متساويان في أهلية الشهادة وأدائها (١) ومن المعروف غير المثير للجدل أن شهادة المرأة أمر مفروغ منه في الاسلام ، قال تعالى " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فإرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر أحدهما الأخرى " (٢) وفي ضوء الآية سار المسلمون عبر مسيرتهم القضائية ، فقصوا بحكم الله فعادوا لشهادة امرأتين من الوجهة القانونية التشريعية بشهادة رجل واحد في المعاملات المالية ، وما ان انقضى القضاء الاسلاني حتى نفذ المستعمرون قاعدة المساواة في كل شئ واتهموا تشريع الخالق بازدياد المرأة ، وأنها نفس نظره تساوى نصف الرجل ، نظرا لكون شهادتها تعادل نصف شهادته ، دون أن يؤخذوا ^{ببرهان} النظر في فطرة المرأة ، وما جبلت عليه من الانفعال السريع ، أو العطف الأموي المتدفق ... وكل ذلك مظنة لأن تتأثر بملايسات القضية فتضل عن الحقيقة بوعي أو بغير وعي .

لذلك راعى الاسلام أن تكون شهادتها نصف شهادة الرجل ، لتوفير كل الضمانات المطلوبة في الشهادة ، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو عليه ، فالتفاوت هنا لا علاقة له بالرجولة والذكورة ، وإنما مرده اعتبارات فطرية ، والتزامات شرعية .

فالاسلام يعتبر رسالة المرأة الاجتماعية هي السهر على شئون الأسرة ، وذلك كل ما تملكه من نشاط لتربية النشئ الصالح ، وقادة المستقبل ، وهذا ما يقتضى منها لزوم البيت نفس غالب الأوقات ولا سيما أوقات البيع والشراء ، وما دوام خروج المرأة من مملكتها لا يقع الا لحاجة أدركنا سر تنصيب الشهادة ، فليس من شأنها في الغالب أن تشهد المعاملات المالية ، وما يشهد بصرها من ذلك على وجه المصادفة فإنها تمر به عابرة لا تلقى له بالا ، وإذا وقفت في

صف الشهود كان أمام القاضى احتمال نسيانها أو خطئها ووهما ، ولكن اذا انضمت اليها امرأة اخرى وشهدت بمثل مشاهدتها زال ذلك الاحتمال ، وقوى جانب التذكير والتثبت .
وذلك هو المطلوب للعدالة لاحقاق الحق وابطال الباطل .

ثم ان شهادة المرأة فى الاسلام فى القضايا المدنية المتنازع عليها أو الجنائيات ليست على درجة واحدة ، بل تختلف قيمة شهادتها من قضية الى أخرى من واقع طبيعة الانثى ، وعلى قدر تعاملها واتصالها بالقضية ، لذا صنف فقهاء الاسلام شهادة المرأة على مراتب : *
أ - استبعاد شهادة المرأة فى بعض القضايا الجنائية التى ترتفع فيها موجة عاطفتها ، فتطفى على عقلها وعلى الحقيقة معا ، وذلك كشهادتها على حادث يوجب حد الزنا ، فكان ممن الرحمة بها والعدل مع الجناة ان تحتاط الشريعة لمثل هذا الموطن ، فأعفتها من الشهادة .

ب - اعتبار شهادة المرأة نصف شهادة الرجل تمشيا مع التزامات المرأة الشرعية تجاه المجتمع وذلك فى مجال التجارة والتصرفات المالية ، وهو المنصوص عليه فى الآية ^(١) ، لأن المعروف من طبع البشر ان ذاكرتهم تقوى فى الأمور التى تهمهم ويمارسونها ، وتضعف فيما لا يهمهم ولا يكثر اشتغالهم به ، وعلى ذلك كان من المنطقى التثبت والتحقق أن يطالب القضاء بتوفير ثقة أشد فيما يتصل بجانب الضعف وقلة التذكر ، وما أن الاسلام رضى للمرأة لزوم البيت وعدم تبدلها فى الأسواق كان تشريعه فى تنصيف الشهادة فى الأمور المالية مكرما للمرأة ، وملائما لفطرتها كأنثى .

ج - تقديم شهادة المرأة على شهادة الرجل فى بعض القضايا كأساس للاثبات أو النفسى كقضايا الولادة والبهارة والنيومة والميوب الجنسية لدى المرأة التى لم يكن يطلع عليها الا النساء فى العصور الماضية ، ولا تقل شهادتها اليوم عن الرجل بعد مشاركته لها فى هذه الأمور كالأطباء ونحوهم .

د - مساواة شهادة المرأة بالرجل سواء بسواء . وذلك فى قضية اللعان ، فعندما يقذف الزوج

(١) يا أيها الذين آمنوا . . . واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى . . .
الآية ٢٨٢ سورة البقرة .

زوجته بارتكاب الزنا ، ولا يملك شهادة لاثباته ، فالحكم الشرعى أن يلج كلاهما باب الملاعة
ليتم التفريق بين الزوجين : " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادا الا أنفسهم ،
فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين ، ويدرا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، والخامسة
أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين " (١)

ويبدو أن المشرع الانجليزى قد أدرك بعض هذه الجوانب ، وعند شهادة المرأة فيها أضعف
من الرجل ، وأوصا الى ذلك ناصا على مساواة المرأة بالرجل فى الشهادة فى القضايا المدنية
وخص مساواتها بالرجل فى القضايا الجنائية لصالح المدعى عليه دون المدعى ، وهذه التفرقة
فى الجنايات اقرار من المشرع البشرى بعدم مساواة شهادتها فى كل شئ ، وهذا ما قضت به
الشرعية الاسلامية ، وامتازت عن القانون وتفوقت عليه فى تحديد القضايا التى تعد شهادة
المرأة فيها مساوية للرجل أو دونه أو مغضلة عليه ، وأغرب ما نجد فى باب الاثبات فى القانون
ما يسمى بشاهد الملك واليك الحديث عنه باختصار .

شاهد الملك : =====

تقضى العدالة بالتحقيق مع المتهم وعقابه اذا ثبت عليه الجناية ، ومدلول ذلك أن غير المتهم
من شهد الجناية أهل لا بداء ما عاينه أو سمعه ، ولا يتعقل قبول متهم كشاهد فى جناية
هو أحد مرتكبيها ، فلا يملك المتهم الا الدفاع عن نفسه ، وإبراء ساحته من التهمة ، وذلك
هو الذى يتمشى مع منطق التخاصم والمقاواة ، غير أن قانون الاجراءات الجنائية يعطى القاضى
حق عرض العفو على متهم وإبراءه من جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات فما فوق ، وتحويله
من قائمة الجناة الى قائمة المثبتين " الشهود " بشرط أن يفضى الى المحكمة افضاء كاملا وصادقا
عن الجريمة ، وكل الظروف المتصلة بها ، والأشخاص الذين اشتركوا فيها باعتبارهم فاعلين
أو محرضين عليها .

تقول المادة ٣٣٧ " يجوز فى كل جريمة تختص محاكمتها بالمحكمة العليا ، أو بقاضى المديرية

أو في كل جناية تصل عقوبة سجنها الى عشر سنوات ٥٠٠٠ ، أو في جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات ٥٠٠٠ ، لقاضى المديرية ، أو لقاضى الدرجة الأولى في أى وقت أثناء التحقيق أو المحاكمة أن يعد بالعمول لغرض الحصول على شهادة أى شخص يظن أنه شارك بطريق مباشر أو غير مباشر في الجريمة المظلومة ، أو على علم خاص بها ، بشرط أن يكشف كشفًا كاملاً وصادقاً عن كل الظروف التى يعلمها ، وتكون متصلة بالجريمة المذكورة ، مع تعيين الأشخاص الآخرين الذين شاركوا فيها باعتبارهم جناة مباشرين أو مساعدين ٠٠٠ ”

” وكل شخص يقبل عرض العفو طبقاً لأحكام هذه المادة تحرر أقواله أمام القاضى الذى يحاكمه كشاهد من شهود القضية ٠٠٠ ” (١)

وتعطى المادة ٣٣٨ حق عرض العفو وإبراء المتهم لكل محكمة بدأت فيها محاكمة أى جريمة من الجرائم على الشروط المذكورة سابقاً بقصد الحصول على شهادة شخص يظن أنه شارك فى الجريمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، أو أنه على علم خاص بها . (٢)

ويطلق على هذا المتهم أو الجانى فى القانون اسم ” شاهد الملك ” King's Witness ومن المشكوك فيه إيقاف الجريمة بهذا المسلك .

أ — عرض العفو وإبراء المتهم حق من حقوق المجنى عليه ، أو من له صلة به فى ضوء مبادئ العدالة ، وسحب هذا الحق منه وإعطاؤه للسلطة القضائية تعد على حق المظلوم ، فلا تخلو حينئذ ساحة القضاء من الظلم ، ومن ثم لا يخفى مناقضة العرض لما تقوم المحاكمات من أجله ، وما ينتظره الناس من دفع الظلم بالقضاء .

ب — إذا كان حق التنازل عن الجريمة أو العقوبة ثابتاً للمدعى أو القضاء وفق نظرية القانون ، فإن الرعاية والتقدير للجريمة والمجرمين يدعوان الى المساواة بين مرتكبى الجريمة ، ويرفضان التفاوت بين مجرمين اشتركوا فى جريمة واحدة ، فبأى منطق يفضل المتهم ” شاهد الملك ” على أصحابه

(١) مجموعة ضابطة ٠٠٠ ص ١٩٧ ولعل أول من عرض عليه العفو الموعود على أرض الهند هو الشيخ محمد جعفر التهايتسى أحد أعضاء حركة الجهاد التى حمل لواءها السيدان راجع للتفصيل كالاپانى ص ٥٤.

(٢) انظر مجموعة ضابطة ص ١٩٨.

ج — نقل المجرم من صف الجناة الى المدافعين عن القضية أمر لا يقبله العقل ، فضلا عن أن يبرره القضاء ، فان كانت العقوبة تردع الجانى عن أن يعود الى الجناية أو مثيلاتها مستقبلا ، فما الذى يقوم بإداء هذا الدور فى هذه النقلة وخدمة القضية بأخذ الشهادة من أحد المجرمين فسان عدم القضاء لها هذا فى الناس غنى عن مثل هذا الشاهد ، والظلم لا يدفع بمثله ، ولذلك خلت منصات القضاء الاسلامى من مثل هؤلاء الشهود المتهمين بالجناية — فى كل الفترات الممتدة عبر التاريخ .

د — من الرحمة بالمتهم عرضه على التحقيق فى مختلف مراحله ، فإن ثبتت براءته عاد الى المجتمع وهو نقي لم تلوث التهمة جانبه ، وإن ثبت عليه شئ عوقب بما يستحق ، وإن عفا عنه أصحاب الحق أضحى أسير احسانهم مدى الحياة ، وهذا المسلك تتوثق الروابط بين المتنازعين ، واما إن برأته المحكمة ايفاء بوعدها فلن ينجو من عقاب أصحاب الحق ، مهما بذل له من الضمانات أو أحيط بسياج الاجراءات الأمنية شبه الواقية ، لأن محاربة العنصر الفطرى أمر غير مقصور فى النفس البشرية .

الاصلاحات المطلوبة فى القضاء :

=====

وإن أردنا عودة القضاء الى أداء وظيفته من منع الجريمة ، أو الحد منها ، يلزمنا الأخذ بالوجهات التالية :-

أ — الفاء حرفة المحاماة :

=====

يجب تطهير ساحات المحاكم من المحامين المحترفين ، ولو رجعت ببصرك الى تاريخ القضاء فى الاسلام وحاولت أن ترى صناع المحاماة على أبواب المحاكم أو فى قاعاتها لأعياك ذلك ، وبعد استحكام السلطة الاستعمارية فى الهند سمح للمحامين بدخول ساحات المحكمة كترجمين ينقلون الى القاضى الأوربى كلام المتخاصمين ، ويعيد اليهم استفساراته حول القضية ، ويشير تقرير الدولة عن البنجاب لعام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م الى ذلك بقوله " فى محاكم المدن الكبيرة سمحنا للمحامين بالدخول فيها ٥٠٠ ، ونرى أن ذلك سيمين المحكمة ، ويزيل العقبات الكثيرة التى تعترض طريق الفصل بين الناس " . (١)

(١) رپورت مجموعى بينجاب عن عام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م ص ٥ .

ولما كانت الترجمة تتطلب الوقت الكثير تراكمت

القضايا أمام المحاكم ، وشح المترجمون لقلة من يتقن الانجليزية آنذاك ، مما حمل الأوربيين على التفكير مرة أخرى فى الخلاص من هذه الأكدار ، حتى وجدوا الحل الأمثل الموقت فى حث المترجمين فى الإسراع ، وزيادة عدد هم مهما أمكن ، ولوبا عطاءهم نفقات فرضها لهم القانون على حساب المعدل والقضاء ، فاضطر الناس أن يطلبوا ود هم لاسترداد الحقوق المرتبطة بوجود هم ، حتى أصبحوا يشكلون جسر العبور بين المتقاضين والمحاكمة .

ومع رحيل القضاة الأوربيين واحلال من يفهم لغة الشعب مكانهم أمل الناس تطهير المحاكمات من هذا الطرف الدخيل ، ولكن هيهات ، لعدم وجود مصرف لخريجي كليات الحقوق الكثر لدى الدولة ، واحتياج القضاة الى فهم القانون الذى لا يتمتع بأى رصيد شعبى فى الدول المنفذة له ، ويقترح الاستاذ المودودى كحل وسط لمعضلة العدد الهائل من هؤلاء الخريجين فيقول : " لقد قام الحكم الاسلامى فى أكثر من نصف الدنيا فى الأتى عشر قرناً الماضية ، فلا ترى لهذه الحرفة عينا ولا أثرا فى نظامه القضائى . بل كان عندنا بدلا منها منصب الافتاء فعلمنا أن نجدده اليوم مرة أخرى ، والمفتون فى الزمن القديم كانوا يكسبون معيشتهم على أكثر الأحوال بحرفة من الحرف الحرة ، ويفتون للناس بدون نظير شئ من الأجرة ولكن لما قد ازدادت مرافقتنا اليوم يجوز أن نعين عددا كافيا ممن لهم خبرة بالقانون بما يكون فيهم من الاختصاصين فى مختلف شعب القانون ، ونقطع لهم الرواتب المقولة من الخزائنة العامة حسب حاجات كل بلدة ومقاطعة ، وتكون زيارة الخصمين أو " خدمتهما " لهم يثيئ من المال غير مشروع بحكم القانون " (١)

فالمحامية بوضعها الحالى يأبى روح الاسلام وجودها ، ومن المحال أن يسرى تشريع الله فى المنازعات بروحه الصحيحة ، ويؤتى الثمار المرجوة منه ما دامت المحاماة الحرفية قائمة ، بل الذى يجزم به المطلع على أعمال أغلب المحامين أن المسلمين سينسلخون من الايمان بعد مجئ الشريعة الى منصة القضاء إن بقى هؤلاء يتلاعبون بالشريعة الالهية مثل تلاعبهم بالقوانين الوضعية ، وذلك غير مستبعد ممن حرفته أخذ المال كأساس لأحقية المعطى فى القضية ، فكل من يدفع المال من الخصمين فهو على الحق فى نظر المحامى .

وسينتج الفاء المحاماة أمورا محمودة أهمها :-

أ - يقل بين المسلمين عادة التخاصم الذميمة ، التى يرتبط بقاؤها ببقاء المحاماة فى
الغالب ، والفاؤها وسيلة لاحلال الإخاء محل التنازع والخصام .

ب - تصبح المحاكمات مختصرة ، فيتوفر للمتخاصمين ولقضاة الوقت ، وتتهيا لهم سبل
الوصول الى الحق فى أسرع وقت ممكن ، لخلو جلسات المحاكمة من طرف ترتبط مصلحتة
بالتطويل لتبرير " الأتعاب " فيريح قضاء الاسلام الزمن فيسرع فى اصدار الحكم ، وتلك ميزة
الاسلام فى القضاء .

ج - يتوفر للمتحاكمين وللدولة المسلمة الكثير من النفقات ، لأنه كلما أسرع فى الفصل فى القضية
ريح المتخاصمون أجور النقل على أقل تقدير ، فيذلون الوقت الذى ربحوه فى الصالح العام
أو الخاص ، وترتاح أعصابهم من أرهاق المشول أمام القضاء ، وتنعدم الدعاوى التى يرفعها
الجد ويتابعها الأبن بالانفاق ، ولا يفصل فيها الا بعد أن يمجز الحفيد سنا ومالا .

د - تظهر ملابسات القضية على خير وجه أمام القضاء ، اذ الجريمة لا تخفى معالمها مالم يمرن
مركبها على اخفائها ، ومعدانعدام الجهة الممرنة يسهل كشف الجانى ، ودراسة ظروف الجناية
والأسباب المؤدية اليها ، وفى ضوء هذه البساطة يسهل على القاضى اصدار الحكم وتعيين الجناة .

ب الفاء الرسوم انقضائية :

وا لوجهة الاصلاحية الثانية التى لا تقل أهمية عن الفاء حرفة المحاماة هى الفاء رسوم المحكمة
التي فرضها المستعمر لجمع المال - كما مر معنا - من الطرق المتنوعة ، فان كنا مسلمى
الارادة مستعمرين آنذاك فقد عادت اليها الارادة والاستقلال ، وأن لنا أن نصفى المحكمة من
المحدثات الضارة بمصالح العباد التى لا عهد للقضاء الاسلامى بها طوال القرون الماضية
والاسلام بحكم انصاف المظلوم من الظالم يأبى تصور مثل هذه الرسوم ، ولم تكن المحكمة يوما
بقالة لا ينال منها أحد العدالة دون أن يدفع ثمنها ، ولم يكن من نصيب المظلوم الذى لا يملك
قيمة العدالة أن يتنازل عن حقه ، ويتحمل الضيم لعدم قدرته على دفع الرسوم .
وسيتعرض أخصائى الاقتصاد على الالفاء بحجة أن المحكمة لن

تستطيع سداد تكاليفها المتنوعة والوفاء بمطالبها الكثيرة .

ويجب المطلاع على سير القضاء في الاسلام ، بأن النظام الاسلامي متى ساد البلاد لن يكون في حاجة الى هذا الحشد الهائل من العاملين في المحكمة ، وسوف يستغنى عن العديد منهم ، لأن تشريعاته الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ستقلل مما اعتاد عليه الناس من التخاصم ، ومن ثم لن تكون المحكمة بحاجة الى هذه الكثرة العاملة في ساحاتها اليوم ، وذلك يستغنى القضاء الاسلامي عن دفع رواتب العديد من القضاة والنظار والمستشارين والنواب ، الذين تتحمل رواتبهم اليوم كضربة لازب للتشريعات الوضعية التي لا تضمن العدالة ، ولا تمنع الظلم بين الناس .

ويقترح الاستاذ المودودي وسيلة أخرى لسداد نفقات المحكمة بعد الاستغناء عن العديد من عاملها فيقول : " ثم إن ما عسى أن يبقى بعد كل ذلك من تكاليف نظام المحاكم على خزانتنا ، سوف لا نحمله على كل متظلم من أرباب القضايا ، وإنما سوف نحمله على الذين يستغلون وجود المحاكم ويحاولون أن يجنوا منها منافع غير مشروعة ، أو الذين ينالون من وظيفة المحاكم منافع غير عادلة كأرباب القضايا المزورة ، والشاهدين بالزور ، والمتخلفين عن الاجابة اذا دعتهم المحاكم الى حضورها ، وذلك بصورة أن نغرمهم غرامات مالية ، ونلزمهم اداءها .

" كما أنه من الجائز أن تسدد هذه التكاليف بغرامات المجرمين المحكوم عليهم في المحاكم ، أو بأن نضع الضريبة بحسب سعر محدد على كل من ينال من المحكمة مرسومًا ذا مقدار محدد من المال ، على أنه من الواجب أن تسدد ميزانية مصلحة العدالة من الخزنة العامة ، اذا هي لم تسدد بمثل هذه التدابير ، لأن الفصل بين الخلائق وأنصاف المظلوم من الظالم من الواجبات الأساسية لنظام الحكومة " . (١)

وجهة نظر قابلة للأخذ والرد ، يمكننا السير عليها في دور التدرج والانتقال ، دون الاستمرار والديمومة ، لأن تسديد تكاليف المحكمة من جيب الخصوم أو بعضهم مظنة للمساومة والانهياز ، وتخلب أهل المال على الحق ، وعلى من يسعى لاسترداد ما ، ولذلك كاد أن يخلو القضاء الاسلامي في الماضي من العقوبات المالية لصالح الدولة أو المحكمة ، بل الوضع أوسع مدى حيث لم تشرع عقوبة مالية في حد من الحدود ، أو في جريمة تعزيرية معينة ، ولو استقصيت الحوادث التي

عوقب أصحابها في القضاء الاسلامي بالغرامة المالية لما تجاوزت عدد أصابع اليد الواحدة .
وما دام الاسلام لا يجذب تغريم الناس بالمال ، لكونه غير رادع ، أو يخلف آثارا اقتصادية غير
محمودة ٥٥٥٥ ، وجب التقليل من العقوبات التعزيرية المالية ، وترك ما ينحوه القانون الوضعي عند
تذليل معظم بنوده ، بقوله " ٥٥٥٥ وغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " .

ج - ————— تكوين مجمع علمي قضائي :

الأمر الاصلاحى الثالث الذى لا يقل عن الفاء المحاماة والغاء الرسوم القضائية أهمية هو
تكوين مجمع علمي تكون مهمته دراسة الأحكام القضائية بدقة ، واستعراض كل ما تم انجازه على
أيدى اسلافنا من الأعمال في هذا الصدد حتى الآن ، ومن جمع وترتيب ، ووضع فهارس وغاوين فى
اسلوب يفهمه أهل هذا العصر ، وله في ذلك القانون قدوة يمكن السير عليها ، ولا شك أن مثل
هذا العمل مجهد وشاق ، لأن طريقة التدوين لتراثنا التشريعى القديم مختلفة عن طريقة العصر
الحاضر واسلوه ، فلم تكن مسائل التشريع قد ظهرت تحت مختلف العناوين كالتي نراها اليوم ،
كانفراد مسائل القانون الدستورى أو القانون الدولى فى باب مستقل ، بل نجد ذكر ما يتصل
بذلك مفرقا فى أبواب النكاح والخراج والجهاد والارث ، وكالقانون الجنائى نجد مسائله مبعثرة
فى أبواب الحدود والجنايات والديات .

فالحاجة تدعو اليوم الى أن يتفرغ عدد من علماء الاسلام يملكون نظرة تبصر وادراك فى مسائل
القانون الحديث ليسعوا الى ترتيب التراث وتبويبه ، ويستخلصوا مسائله فى أسلوب عصر خال من
تعقيدات الفلسفة والمنطق اليونانيين ، ومن ثم يسهل صلب المواد التشريعية فى قالب قانوني على
غرار كتب القانون المعاصر ، والجهد المتصل الذى بذله الدكتور تنزيل الرحمن فى " مجموعة قوانين
اسلام " خير قدوة لمن أراد العمل على هذا الدرب ، ولكن الحذر الحذر فى اقتفاء أثره فى عقوباته المالية
وكل ما يتم صياغته من المواد التشريعية يجب أن يأخذ طريقه الى التنفيذ ، فيلغى جميع
ما كان قائما مقامه من القوانين الوضعية ، وهذا التدرج وارتباط الجهات بعضها ببعض ضمن اعادة
شرع الله الى مناصات المحاكم من جديد فى مدة غير طويلة ، والتدرج فى التطبيق أمر لا مفر منه
لأن البناء الذى تهدم منذ قرنين تقريبا لا يمكن اعادة صرحه دفعة واحدة فى أسبوع أو شهر أو

سنة أو بضع سنين .

والتدرج سنة من سنن الله الكونية ، تأخذ به كل أمة تريد استبدال شرع بشرع ، أو نظام بنظام وهذه كتب التاريخ تحدثنا عن تدرج الانجليز في التشريعات الوضعية في الهند ، فلم تأخذ مجراها الى الشعب دفعة واحدة في مدة محددة ، وإنما ظل الفقه الاسلامي يتمتع بالتطبيق على الأيدي الحاكمة غير المسلمة مدة غير يسيرة ، وصرف الانجليز قرناً أو ما يقاربه في تبديل نظام الهند وقانونها وسيمضى وقت غير يسير حتى يعود شرع الله بكل جزئياته الى حياة المسلمين ، ولكن ذلك لا يمنع من تنفيذ بعض التشريعات حالا ، كالحقوق والقصاص ، وما انتهى العمل في تجهيزه كالشفعة وقانون الاثبات .

وللإسراع في الانجاز واختصار الطريق أمام عودة شرع الله عز وجل يجب اشراك العلماء وخريجي المدارس الدينية في سلك القضاء — رغم ضحالة معلوماتهم ، وقلة ادراكهم للعمومات الشرعية لأنهم أوسع ادراكا للأحكام الفرعية الشرعية من خريجي الحقوق والكليات القانونية ، وأقل ما يملكه المتخرج في المدارس الدينية فهم النص الاسلامي بلغته العربية ، دون الاعتماد على الترجمة ، وهذه الميزة غير حاصلة لخريجي الحقوق ولا المحامين الذين أضنوا حياتهم في القراءات القانونية .

د — إصلاح التعليم التشريعي في كليات الحقوق والمدارس الدينية :

يجرنا هذا الوضع الهزيل للتعليم القانوني الى الكلام عن اصلاح جذرى لسير الدراسة فى كليات الحقوق والمدارس الدينية معا ، فالتعليم الذى يناله طلبة الحقوق لا يسد الفجوة من وجهة نظر الاسلام لأن المتخرج يجهل الاسلام وتشريعه ، بل تصطبغ عقليته بصبغة النظريات والأفكار غير الاسلامية ويترس على صفات معينة على تنفيذ القوانين الوضعية وتعيق تنفيذ التشريعات الالهية ، فما لم نغير هذا الوضع فلن تنتج كلياتنا رجالا يجدر أن تتاط بهم وظائف القضاء والافتاء فى دولة مسلمة .

وفى المدارس الدينية يشحن عقل الطالب منذ البداية بالفروع الفقهية المختلفة ، ثم يدرس الحديث بعدئذ من هذه الزاوية الفقهية المحددة ، وهكذا القرآن ، فلا يهتدى الا الى الخلاف والنزاع ، دون الوفاق وما اتفق عليه ، وتخيب عنه مقاصد الشريعة ومطالبها العامة الشاملة ، وينحصر الدين عنده فى ترجيح مذهب الفقه على المذاهب الأخرى .

والحل الأمثل أن يلزم الحقوقيون بدراسة تشريع الاسلام دراسة ملمة ، وأن يوجهوا في مزاحلهم التعليمية ما قبل الكلية الى القرآن والسنة ، ليقتبسوا من نورهما الأضواء التشريعية العامة ، ومعد التحاقهم بالكلية يجب أن يدرس لهم أصول الفقه الاسلامي مع مبادئ القانون متقارنين ، وتاريخ الفقه الاسلامي في مختلف اطواره ، ثم يدرس لهم المذاهب الفقهية المشهورة بصدور منشور وقلب حمول .

وبالنسبة للمدارس الدينية يجب تقديم دراسة الكتاب والسنة دون طرق الخلاف على دراسة الفقه وتعطى الأولوية لمسائل الاتفاق والشمول ، ويخفف حمل الطالب أثناء الدراسة من الخلاف ، واختلاف الآراء ، وذلك ضمن ايجاد قضاة على المنهجين يحملون عبء المحاكم ، مع أهليتهم لصياغة أحكام جديدة تتفق مع طموحاتنا الاسلامية في دولة راقية ، فتتسد قنوات الاستيزاد ، ونقل التقنين من الغرب .

وما لم نعمل جاد يناهض قانون الانجليز ، وما بذروه في القضايا الاجتماعية وفي التعليم وفي المعتقدات الدينية سنبقى متأثرين بالغرب تابعين له ، مع تملكنا الاستقلال وتحرير الأرض والشعوب ، لأن الغرب قد احتاط لبقائه مدة أطول بالتأثير في هذه الزوايا الأساسية الأربع ، وتعهد بها بتربية أفراد على منهجه ، وايجاد فرق تحمل لواء الدفاع عن أفكاره في تلك الزوايا ، وتشجيع أخرى محسومة على الاسلام ، وذلك بتجميع أفرادها المشتتين ، وتنظيمهم تحت زعامة موحدة — عجلة قيادتها في الأيدي الأوروبية — تمثل الغرب من واقع الحياة الغربية ، وتحث المنتسبين اليها على السير وراء الغرب حذو القذة بالقذة . . . كل هؤلاء موضوع الحديث في الباب التالي .

الباب الثالث

أثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام))

(الفصل الأول)

الشيعه - الاثنا عشرية ، البهرة ، الاغاخانية - وأثر الفكر الغربى فيها))

ويشتمل

على النقاط الرئيسة

التالية :-

- ١ - ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة .
- ٢ - معنى التشيع .
- ٣ - الشيعه الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربى فيها .
- ٤ - البهرة وظاهرة الإخفاء .
- ٥ - البهرة والاستعمار .
- ٦ - منابذه البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار .
- ٧ - البهرة والربا .
- ٨ - تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج .
- ٩ - البهرة والتعليم .
- ١٠ - مرتكزات الاغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن الموتى ، صدر الدين)
- ١١ - التعاون المسكرى بين جيش اغاخان وشركة الهند الشرقية .
- ١٢ - دور الانجليز فى دعم امامة أغاخان .
- ١٣ - موقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى .
- ١٤ - ولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى الحرب العظمى الثانية .
- ١٥ - بعض الأسس الاغاخانية .
- ١٦ - نشاطات الاغاخانية فى باكستان .

الفصل الأول

ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة :

الفرق المنحرفة عن الاسلام كثيرة ، وتعاونها مع الفكر المناوى لدين الله ممتد عبر التاريخ ، فما من معاد لله ولدينه الا ويجد المساندة من هذه الفرق ، فحين احتل الانجليز الهند وجدوا فرقا تناوى العقيدة الصحيحة ، فاستفادوا من مقاومتها ، ووجهوا جهودها الى ما يقوى جانبهم ويمد فكرهم وسلطانهم بالبقاء أطول فترة ممكنة .

أضف الى ذلك أن المحتلين شجعوا كل فكرة تبعد المسلمين عن دينهم المنزل ، وساندوا كل زعامة تقف سدا بين المسلمين وبين العودة الى شرع الله ، فخرجت الى حيز الوجود فرق بمعتقدات وتشريعات لم يعرفها الاسلام ^{من قبل} ونسبت الى دين الله أموراً ما جاء الا لمحاربتها ، وتمت الحلقة بإنشاء فرق على يد الاستعمار ، تحمل لواءه ، وتدافع عن فكره ، وتنقضى الاسلام باسم الاسلام ، وعلى ذلك يمكننا تقسيم الفرق التى استفاد منها الغرب وفكره الى قسمين : —

أ — فرق كانت موجودة قبل الانجليز ، ففديت ورفعت المراقيل عن تعميم فكرها ، أهمها الشيعة بفرقها الثلاثة — الاثنى عشرية ، البهرة ، الاغاخانية — والصوفية .

ب — فرق لم تكن موجودة فوجدت بايعاز من الفكر الغربى تارة ، وتشجيعها أفكارا وتشريعات لا عهد للاسلام بها تارة أخرى ، أهمها : البريلوية ، وأهل القرآن ، والقاديانية ، واليك الحديث عن كل واحدة حسب تأثرها بالفكر الغربى على حدة .

معنى التشيع :

الشيعة بصفة عامة هم الذين يرون أحقية على من أبى طالب دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم بالخلافة والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الصعب تحديد الفترة الزمنية التى ظهر فيها التشيع بهذا المفهوم ، وإن كنت تراه فى مظهره العملى فى أواخر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولا سيما ابان احداث استشهاد ، وما خلف ذلك من حرب الجمل وصفين والنهروان .

والامامة فى نظر الشيعة أصل من أصول الدين ، لا يصح التصرف فيه من عامة المسلمين ، فلم يلتحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه عندهم الا بعد أن نص على خليفته على رضى الله عنه

من بعده ، وأما سائر المسلمين فيرون الخلافة من المصالح التي يجب على المسلمين اقامتها عن طريق الشورى ، فيقوم المنتخب باقامة الدين وتطبيق العدل بين أفراد المجتمع المسلم وحماية الثغور ، وحفظ الحدود للدولة الاسلامية . . .

ويوجد في شبه القارة الهندية من منطلق النص على الامامة ثلاث فرق شيعية : الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، الشيعة الامامية النزارية ، الشيعة الامامية المستعلية ، ويتفق الجميع في سوق الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في كل من علي ابن أبي طالب ، فالحسن والحسين ، فعلى زين العابدين فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق رحمهم الله .

ويفترق الاثنا عشرية عن النزارية والمستعلية بجعل الامامة بعد جعفر في ابنه موسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلى الهادي ، فالحسن العسكري ، فمحمد القائم وذلك يتم لهم اثنا عشر اماما فسموا بذلك .

وأما النزارية والمستعلية فيسوقون الامامة بعد جعفر في ابنه اسماعيل فمحمد بن اسماعيل . . . ويتسلسلون بها حتى امامهم المستنصر بالله ، معد بن علي عاشر الخلفاء الفاطميين في مصر . ولسوقهم الامامة في اسماعيل وابنه يسمون بالاسماعيلية . واختلفت المستعلية مع النزارية ففى المنصوص للامامة من ابناء المستنصر بالله ، فوثق الأولون أن النص وقع على أحمد بن معد المستعلى بالله ، ويرى الاخيريون أن النص وقع على اكبر الأبناء نزار بن معد المصطفى لدين الله ، وذلك انقسمت الاسماعيلية الى نزارية ومستعلية ، ومقتل نزار ابان الثورة على أخيه دخل أئمة النزارية دور السترة ولم يخرجوا الى مجتمعهم الا بعد أن اقتنصهم الانجليز ، فظهر امامهم أغاخان " الأول " في ايران في الربع الثاني من القرن التاسع عشر بعد الميلاد :

وخلف المستعلى ابنه المنصور بن أحمد الأمر بأحكام الله ، الذي اغتاله النزاريون عام ٥٢٦ هـ ، فخلفه ابنه محمد الطيب أبو القاسم الذي دخل دور السترة عن الأعين في مهده ، ويعترف لأخلافه بالامامة الآن " البهرة الشيعية " بفرقها المتعددة .

وكل ما ذكرت ما يتصل بالامامة وتعاقبها موضع خلاف شديد بين أهل السنة والشيعة من جهة وبين الشيعة الاثني عشرية والاسماعيلية من جهة أخرى ، وبين الطيبيه والنزارية مرة ، وبين اتباع احدى الطائفتين فيما بينهم مرة أخرى .

الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربي فيها :

تشير المصادر الى أن التشيع الاسماعيلي أقدم وصولاً من غيره الى أرض الهند ^(١) ، فلم تطأ أقدام الاثنا عشرية هذه الأرض علناً الا بصحبة همايون بن بابر المغولي ^(٢) وظل ساعده يقوى يوماً بعد يوم ، وسلطاناً بعد سلطان ، ولم يحد أحد من قوتهم الا السلطان أورنگ زيب العكبر رحمه الله ^(٣) ، وازداد الوضع سوءاً بالنسبة لأهل السنة في أواخر الدولة المغولية لتشيع بعض ملوكها ، أو قد يسمهم الحفاية والزعاية للمتشيعين .

يصف هذا الوضع المزي عبد المجيد سالك فيقول : " ازداد نشاط التشيع في الهند أيام انحطاط الدولة المغولية حتى أصبح من العسير التفوه بذكر أسماء الخلفاء الثلاثة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فشمس الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله عن ساق الجد في الرد على هؤلاء مع قلة مؤلفاته ، إذ لا نجد له سوى " تحفة اثنا عشرية " و " عزيز اقتباس " و " ستر الشهادتين " . (٤)

هكذا نجد التشيع الاثني عشري استغل ضعف دولة المسلمين السنية ، فسيطرت سلطانه على منطقة أوده وما جاورها ، متخذاً مدينة لكهنؤو مركزاً لجميع تحركاته ، وساعده على ذلك وجود المستمر الذي ظل يترقب كل تحركات أهل السنة السلمية والمعادية ، وبعد انتقال السلطة الى الأيدي الانجليزية عام ١٢٧٢ هـ لم يكن للاثني عشرية بد من التأثير بما تأثر به أهل السنة ، لذا نجد أغلب الاتجاهات الغربية — سواء كانت عقيدية أو اجتماعية أو قضائية أو تعليمية موجودة فيهم كوجودها بين أهل السنة ، غير أن شعورهم بكونهم أقلية بين المسلمين السنيين ظل يحد من انجرافهم وراء التيارات والأفكار الغربية ، وأهم آثار النفوذ الغربي بالنسبة للشيعة الاثني عشرية تتمثل فيما يلي :-

١ - الاحساس بالتميز والانحياز عن أهل السنة ، فنظموا صفوفهم انطلاقاً من هذا الاحساس ، فمثلاً ترى أن مدينة لكهنؤو ظلت عام ١٩٠٤ م مركزاً مشتركاً بين الشيعة والسنة والهندوس لخراج المحمل العزائي يوم عاشوراء ^(٥) ، وكان يشترك في تلك المسيرة المحرّمية كل أولئك جنباً الى

(١) انظر عبد الحى الحسنى / الثقافة الاسلامية في الهند ص ٢١٧

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٥٦

(٣) انظر تاريخ المسلمين ٠٠٠ ج ٢١٤/٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٩

(٤) مسلم ثقافت ٠٠٠ ص ٦٢٤ وانظر هندوستان مين مسلمانون كا ٠٠٠ ج ٢٢٨/١

(٥) لجهل أهل السنة حكم الشرع في مثل هذا العمل غير المشروع .

جنب ، وفى تلك السنة أخذ خطيب الشيعة مقبول أحمد يثير الحفاظ ، ويلقى المواعظ المليئة بالسب والشتم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلم تبرؤ الأثنى عشرية من خلافة الخلفاء الثلاثة ، رضى الله عن أصحاب رسول الله ، وذلك أول أسفين دق بين أهل الكهنو لتحقيق القول الانجليزية الشهيرة " فرق تسد " سواء أدرك الشيعة ذلك أو لم يدركوه .

وأقصى ما وصل اليه المستعمر لاضرام النزاع بين السنة والشيعة أن اعتبر مدينة الكهنو مدينة شيعية يتعرض فيها أصحاب المصطفى رضى الله عنهم أجمعين للسب والشتم علنا ، ويحرم على أهل السنة تعظيم الصحابة ، وكمن دماء سنية اريقت دفاعا عن عقيدة أهل السنة .^(١) ولولا يد المستعمر الخفية - بعد القضاء والقدر - لكان المجتمع الاثنا عشرى محددا للخلاف ، يرتبط بأهل السنة ولو فى الظاهر .^(٢)

٢ - والأمر الآخر الذى يربنا أثر الغرب فى الشيعة الاثنى عشرية هو فتح مدارس خاصة بهم فى الهند الموحدة ، والمعروف فى تاريخ التعليم الاثنى عشرى أنهم كانوا يتلقون تعليمهم الدينى فى ايران ولم يكن لهم قبل الاستعمار معاهد أو مدارس تستطيع اشباع ما تتطلع اليه نفوس الدارسين وأول مركز تعليمى اقيم لهذا الغرض على أرض الهند هو الجامعة الناظمية فى الكهنو ، التى أسسها أحد أثرياء تلك المدينة عام ١٨٩٠ م ، ثم ظهرت فيها الى حيز الوجود مدرسة "سلطان المدارس" بمساعى رهط من العلماء ورجال الجاه والمال ، وهما أشهر معهدين للامامية الاثنى عشرية فى شبه القارة الهندية كلها .^(٣)

وينقسم نظام المعهدين التعليمى الى قسمين :

١ - القسم الابتدائى ، ويقضى الطالب فيه تسع سنوات من عمره ، يدرس خلالها جميع المواد الابتدائية .

٢ - القسم العالى : ومدة الدراسة فيه أحد عشر عاما ، يتلقى الطالب فيها جميع العلوم الأساسية والالكية ، كترجمة القرآن ، وتفسيره ، والحدیث ، وأصوله حسب التواتر

(١) انظر تفاصيل مثل هذا التشاحن ، وما أنتج من المصادمات الدموية عند أفضل حق فى تاريخ احرار ص ٢١٩ ، ومرزا محمد سلمانان هندكى حیات سیاسى "الحياة السياسية عند المسلمين الهنود" ص ٢٢٢ .

(٢) انظر بعض التفاصيل للدماء المراقاة فى مجلة الفتح ج ٨٩/١٢ - ومسلمانان هندكى حیات سیاسى ص ٢٢٢ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٦٦ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ .

المألف عند الاثنى عشرية ، والفقه الشيعي ، والعقائد ، والنحو ، والصرف ، والمنطق ، وعلم الكلام والأدب العربي ، وشطر من التاريخ الاسلامي فاعلمى (١).

هذا ومنح المعهدان خريجيها ثلاث شهادات : القابل (يكالوريوس) الفضيلة ، ممتاز الأفاضل أو صدر الأفاضل ، ويختصان بطلبة الشيعة ، ولا يسمح بالالتحاق بهما الا للطلاب الاثنى عشرى أضف الى ذلك أنها يقومان باعداد طلبتهما لاداء الامتحانات فى الجامعات الهندية الرسمية (٢) وبلغ عدد المدارس الاثنى عشرية فى باكستان حسب احصاء الحافظ نذر أحمد ثمان عشرة مدرسة (٣) فالتعليم الاثنا عشرى يرمته فى الهند كلها مدين للاستعمار ، ولة من مننه على تلك الطائفة ، هدف من وراءه اعانة الطوائف التى الحرفت عن جادة الحق ، وشغل المسلمين بعضهم ببعض .

البهرة وظاهرة الاخفاء :

تشير المصادر التى بحثت عن أصل كلمة " البهرة " أنها مأخوذة من فيوهار Vahru التى تعنى التجارة فى اللغة الكجراتية الهندية ، فالبهرة هم التجار ، وسموا بذلك لأن السواد الأعظم من تلك الأمة تعمل فى التجارة منذ ارتباطهم بمهد الاسلام (٤) ، ومركزهم الحالى هو مدينـة " سورت " فى الهند ، وتشير رواية البهرة الفريدة أن أحمد المصرى أول اسماعيلى وطئت قدماه أرض كهنبايت فى الهند ، بأمر من المستنصر بالله الفاطمى لنشر الدعوة الاسماعيلية فى تلك الأرجاء . (٥)

ويعتبر البهرة بوضعهم الحالى ورثة الفاطميين المصريين ، وامناء دعوتهم عقيدة وتشريعاً ، ومؤلفات المعهد الفاطمى هى المصادر المعتمدة لباطنيتهن دون ريب ، وإن كنت ترى أن عامتهن قد تأثر بالهندوسية والفكر الغربى معاً فى الأونة المعاصرة ، وأخذ يتخلص من قيود التكنـم

(١) انظر للتفصيل مراكز المسلمين ٠٠٠ ص ٦٤ (٢) انظر مراكز المسلمين ٠٠٠ ص ٦٦٦٤

(٣) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٨ .

(٤) انظر ابيجد العلوم ٠٠٠ ج ٣ / ترجمة محمد طاهر فتني والاستاذ زاهد على البهرى تاريخ فاطميين مصر ج ٨٤ / ٢ ، ومحمد نجم الفنى فى مؤلفيه سلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٤١ ومذاهب الاسلام ص ١٢٣ والسيد أباطفر الندوى كجرات كى تمدنى تاريخ "تاريخ كجرات التمدنى" ص ٨٨ .

(٥) انظر عهد على سيف الدين ، مجالس سيفية المجلس التاسع ، نقلا عن السيد أبى ظفر الندوى عقد الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٣ والثقافة الاسلامية فى الهند ص ٢١٥ ، وسلك الجواهر ص ٤١ .

والانزواء ، وأسرار الدعوة وفلسفة اليونان ، غير أن زعيمهم (الداعى المطلق) ما زال محور الحركة والتكتل ، لذا لا يسهل النفوذ اليهم ، والوصول الى ما عندهم ، وما يحتفظون به من وفاق أو خلاف مع شرع الله ويعود ذلك الى سببين :-

١ - ان قوام الدعوة الاسماعيلية هو الإخفاء ، وعدم العمل فى وضوح النهار ، فإن كان أعداؤهم الأميون والعباسيون فى الأزمنة الفابرة أجبروهم على ذلك السير فقد تمت لهم السيطرة على جزء غير يسير من العالم الاسلامى ، ابان عهد الفاطميين فى مصر ، والصليحيين فى اليمن ، غير أن دعوتهم لم تظهر من وراء القضبان الحديدية ، وما تزال كذلك رغم انتشار العلمانية والاحاد فى الدول التى يسكنونها الآن ، وإنهم اليوم فى مأمن على أرواحهم وأعراضهم - وأموالهم ان أرادوا الكشف عما يبيتون فى ظلم الليل .

فالبهرة كاليهود ، لا يسمحون لأحد باعتناق مذهبهم ، مالم يولد من أصل بهرى ، لذا يقول المرزا محمد سعيد أحد المعتمدين فى وزارة التعليم فى الهند " إن البهرة على العموم امسة محصورة ، لا يصح لفرد غير اسماعيلى الآن اعتناق مذهبهم البتة ، كما أن أوامر النكاح تدور فيما بينهم كالحلقة المفرغة " (١) وفى زنجبار التى قطعت حبل الاتصال بين زعيم البهرة وأتباعه - حاولت كسر هذا الطوق بجر العديد من البهرة الى التكلم عما يدنون فلم أفلح ، وكادوا أن يتفقوا على قولتهم العامة " المذهب كالذهب يجب اخفاؤه " .

٢ - الداعى المطلق هو الحاكم الفعلى لجميع أفراد البهرة الشيعة ، له الأمر والنهى ، والاسود والأبيض بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان ، فلا يصح من بهرى أن يؤم المصلين الا بأذنه ولا يحق له أن يعمل عملا خيرا من بناء مستشفى أو مدرسة ٠٠٠ الا بأمره ، ولا يتعقد نكاح البهرة الا اذا عقده الداعى أو من أذن له من عاله ، كما لا يصح من متبع الداعى أن يدعوا الى المشاركة فى مراسم النكاح والزواج من ليس ببهرى الا بأذنه أو بأذن عامله . (٢) لذا يقول الدكتور زاهد على البهرى - الخبير بما فى البيت ، وما يعانى أهله من أزمات - فى أهم مؤلف نشر عن البهرة المعاصرة حتى الآن : " وما يجدر ذكره أن المذهب الاسماعيلى منذ

(١) مذهب اورباطنى تعليم " المذهب والتعليم الباطنى " ص ٣٢٤ .
(٢) انظر كأمثلة واقعية لهذا الاطار الحديدى فى " عقد الجواهر فى أحوال البواهر " ص ١٢٤ ، ٢٨٥ ، ٣٥٩ ، ٣٨٠ .
ومذهب اور ٠٠٠ ص ٣٢٤ .

وجود الدولة الفاطمية حتى طوى فراشها لم يظهر على الملأ قط ، لأن منظمة الاسماعيلية المسماة بالدعوة أمر مستور ، فالستر والاسرار مما جبل عليه المذهب ، ومن هنا لا تكشف اسراره لكل أحد ، حتى إن الدارس الاسماعيلي لن يتلقى علم التأويل الا بعد عهود ومواقف ، اضا علم الحقيقة فلا يصل اليه الا الشاذ من البهرة ٠٠٠

" وفي الآونة الحالية نستطيع ان نعد اخواننا المارفين بحقيقة المذهب الاسماعيلي على الأصابع ، ولتلك الندرة والقلّة سببان : أولهما : ان لغة كتبنا الدعوية هي العربية ^(١) وثانيهما صعوبة الحصول على الاذن لقراءة كتاب من تلك الكتب " ^(٢)

ومن هنا يجد البهرة منافذ الخروج مما يلزمهم به أهل السنة ، ويتصلون من تصرفات زعمائهم ، وبألكي نواصبيهم إن ألت بهم الملأ ، ولكن نجد من الظواهر ما هو موضع اتفاق بين العاصمة والخاصة من البهرة ، وتخالف شرع الله ، بغض النظر عن أن تكون تلك الظواهر من صميم الفكر الغربي ، أو ترتبط به برساط لا يرى بالعين المجردة ، واليك أهم تلك الظواهر :

* البهرة والاستعمار :

لن استرسل في الحديث عن تعاون البهرة مع الاستعمار الانجليزي ، لأنه من المعروف أن — الاستعمار اينما حل كبت الأغلبية لحساب الأقلية ، وساند المنحرفين على المستقيمين ، وهذا المسلك يستلزم تعاون الاقلية مع المستعمرين ٠٠٠ ، لذا لا نجد مقاومة تذكر من البهرة المالكين لشواطئ الهند تجاه الانجليز المغيرين على سلطة المسلمين مع تعارض مصالح الطرفين بعضهم تجاه بعض في العلن ، وسأحصر بحثي في هذه النقطة بعرض موقفهم من عدة احداث هامة لتصل من ورائها الى النتيجة دون غناء .

أ — في عهد الداعي الرابع والأربعين محمد عز الدين وقعت سرقة ضخمة من مسكن اللورد الفستين المسئول عن شركة الهند الشرقية عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٦م في بومباي ، وكان من ضمن المسروقات سجلات الشركة الرسمية ، وبعض الأشياء الثمينة ، وحاولت الشركة القبض على المجرمين ، واعادة المسروقات فلم تغلق ، فاتصلت بنائب داعي الهند ، والتست منه العون في ذلك ، فرحب

(١) عامة البهرة لا يعرفون سوى اللغة الكجراتية .

(٢) همارت اسماعيلي مذهب كي حقيقت اوراس كا نظام " مذهبنا الاسماعيلي حقيقتة ونظامه " ص ١٢١

بذلك الطلب ، وتمكن خلال بضعة أيام من رد السجلات دون غيرها ، ومنذ ذلك الحين وطدت العلاقات بين الطرفين ، وأصبح فرض عين على كل رئيس للشركة الاتصال بالداعى طلبا لمعونته فى استتباب الأمن ، والمراسل المتبادلة بين الطرفين خير شاهد لهذا التعاون . (١)

ب - قتل العالم . رمضان على السنّى فى حى البهرة بمندسور فى ٢٥ / ربيع الثانى ١٢٣٩ هـ فى عهد الداعى الخامس والأربعين على أيدى حرسه الخاص ، وحاول السنيون أخذ ثأره بمحاصرة مسكن الداعى فاستجد بالانجليز ، فأسفوه بثلاثة كتائب من جيشهم المسلح ، ثم شرعوا له قانونا يخوله إقامة كهبة مسلحة تحفظه وتحفظ اتباعه فى كل نازلة وآفة ، ولما حاول العلامة مظهر على المطالبة بدم الفقيه حكم عليه بالسجن المؤبد من قبل محكمة انجليزية (٢) ، وما زال ذلك الدم البرئ معلقا بدمتهم حتى الآن .

ج - فى عهد الداعى السابع والأربعين عبد القادر نجم الدين (١٨٤٥ م - ١٨٨٥ م) توطدت علاقات البهرة مع الدولة المستعمرة أكثر من كل المجهود السابقة ، نتيجة التعاون الوثيق بين داعى البهرة والحكام وظهرت نتيجة التعاون فى الامتيازات التى وهبت له ، فقد أعتبرته الدولة أعظم رؤساء منطقة دكن على الإطلاق ، واستثنته من قانون حمل السلاح ، وحمته من المثل أمام القضاء المدنى ، ولا زال الدعاة يتمتعون بهذه الميزات حتى اليوم . (٣)

د - أما الداعى الحادى والخمسون طاهر سيف الدين فتعاونه مع المستعمرين مازال حديث الشيخ ومن طال بهم العمر حتى الآن ، فما أن تولى سدة الدعوة الطيبة أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٥ م حتى أعلن ولائه للدولة الحاكمة ، ويمبر الشيخ أبو ظفر الندوى عن هذا الاخلاص المتفانى فيقول : " ظلت علاقاته مع الدولة حسنة على الدوام ، والدولة بدورها أقرت له بكل الامتيازات الممنوحة للدعاة السابقين ، لذا اعترفت له بالامير الممتاز فى ولاية دكن كلها ، وفى الحرب العظمى قدر سيدنا طاهر سيف الدين الموقف حق التقدير ، فظهر بعد نظره

(١) انظر عقد الجواهر ص ٢٤٣ و ٢٦٢ .

(٢) " " " " ص ٢٤٦ و ٢٦٣ -

(٣) انظر عقد الجواهر ص ٢٥٨ .

فى الاخلاص للدولة ، وانقاذها بكل السبل الممكنة ، فوهب لها أموالا طائلة ، وأقرضها أخرى^(١) وحث الاتباع على نهج هذا المنهج ،^(٢) وقد مدت هذه اليد المنقذة الى المستعمرين حين كانت حركة الرسائل الحريرية المسلمة تخطط لطردهم ، وحين كان المسلمون موقنين أن الغرب يريد أن يمزق الخلافة العثمانية — رمز وحدة المسلمين — ويرغب فى الاجهاز عليها ، وتوزيع ثروتها من الولايات المسلمة بين الغاشمين الأوربيين .

مناذره البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار :

لم يتجرأ البهرة الداؤدية على خصام أهل السنة طوال تاريخهم المديد على شواطئ الهند كتجرؤهم بعيد الحرب الكبرى الأولى ، ولم تشهد ساحات المجتمع البهرى نشاطا علنيا يعادى أهل السنة الا فى هذه الفترة ، ودأت المعركة الكتابية بين الطرفين حين الف داعى البهرة طاهر سيف الدين كتابه " ضوء نور الحق المبين " وأمر بطبع خمسة آلاف نسخة منه . وكلف أتباعه بقراءته على جموع البهرة ، وفى مجالسهم الخاصة والعامة .

وان تصفحنا الكتاب نجد المؤلف يكفر جميع أمة التوحيد ، ما عدا أتباع الداؤدية فنراه مثلا يحكم على من لم يؤمن به بقوله " من لم يؤمن بى " ويعترف بأنى داع له يجب عليه اتباعه ، لا يقبل منه توحيد ، أى ليس بمسلم البتة . . . ومن يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة لا تقبل منهم كلمة الشهادة ، بل تضرب بها وجوههم ، وليسوا بمسلمين " .^(٣)

ويحكم على المنشقين عن طاعته بقوله : " ان الجبل الذى أمركم الله الى الاعتصام به أحد طرفيه بأيدىكم ، وهو أخوكم وأقل عبيد امامكم الذى يدعوك اليه ويهدىكم ، والطرف الآخر الذى بيد الله منتهى حدود عالم النفس . . . فمن زعم أن معرفته لنبيه أو وصى نبيه أو امام زمانه^(٤) تكفيه دون معرفة داعيه فقد ضل عن قصد السبيل ، وما بالعداب الويل ، وكلمة شهادته لله غير مقبولة "

(١) عقد الجواهر ج ٢٧٨ وانظر لمزيد من التفصيل عن احداث الحرب وموقف البهرة منها ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٢) انظر عقد الجواهر ص ٢٨١ (٣) ضوء نور الحق المبين ص ٣٣ — ٣٤

(٤) ضوء نور الحق المبين ص ٣٥

فهب المسلمون بالرد عليه أفرادا ، وجماعات ، محاولين التعرف على حقيقة البهرة وخرجت الصحف تحمل العديد من المقالات التى تفضح المزاعم البهرية ، وقد تبرع حاجى أحمد من مدينة سورت بجمع خيرة الردود وطبعها باسم " سيف بردين فى الرد على ضوء نور الحق المبين " سيف الشرع فى الرد على ضوء نور . فخدمت تلك الجذوة ، وعاد البهرة الى التكم من جديد .

البهرة والريا :

من الأمور المسلمة لدى بهرة اليوم أمر الريا ، فقد أباحوه أخذاء واعطاء ، ولم يختلف قولهم عن قول حكام الهند المحتلين ، ومن الصعب تعيين الداعى الذى أباح لهم هذا التعامل " كما أن الصعوبة تكثف الريا فى كونه مستحدا فى عهد السادة الاوربيين ، أو انه تمويل به فى الخفاء دون العلن قبل مجىء هؤلاء ، غير أنه لم يبرز على الساحة علنا كظاهرة تعامل دون - خلاف الا فى عهد الانجليز ، ومن هنا نص الشيخ محمد نجم الغنى ان البهرة يتعاملون بالريا علانية اعطاء وأخذاء . (١)

تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج :

عمدة التقويم الاسماعيلى اتمام شهر محرم بثلاثين يوما ، ونقصان صفر ، واكمال الربيع ، ونقصان أخيه ، واطمام جمادى الأولى ، ونقصان الآخرة ، واطمام رجب ، ونقصان شعبان ، واطمام رمضان ونقصان شوال ، واطمام ذى القعدة ونقصان ذى الحجة مالم تكن السنة سنة كبيسة (٢) وينسبون هذا التقويم الى جعفر الصادق رحمه الله .

ويتبنى على هذا التقويم تقديم يوم أو يومين عن عامة المسلمين فى صيام رمضان ، وعيد الفطر ،

(١) انظر مذاهب اسلام ص ١٢٤ وسلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٧ وعقد الجواهر ص ٣٨١

(٢) السنة الكبيسة هى التى يصبح شهر ذو الحجة فيها ثلاثين يوما ، ويعرف ذلك بأن تقسيم السنة الهجرية التى تود معرفة الكبيسة فيها بعدد الثلاثين فان كان المتبقى (٢٠٨٥٥٠٦١٠٣٦٠١٩٥١٩٥٢١٥٢٤٢٧٥٢٩) تكون السنة كبيسة /٠ انظر محمد حسن الاعظمى ، نظام الصوم عند الفاطميين ص ٨٥ ١٤٥١٣ _____ وعقد الجواهر ص ٨٥ ومذهب أوربا طنى تعليم ص ٣٢٣ .

والوقوف بمعرفة ، ولربما امثل له الاسماعيلية منذ ايجاده فى الخفاء ، ولكنهم لم يظهروا به كمنشقين عن عامة المسلمين طوال احقاب التاريخ الماضية ، ويبدو أن الفرصة لم تواتهم لظهاره الا بعد استيلاء الانجليز على الهند .

ويبرر الشيخ أبو ظفر الندوى موقف البهرة فيقول : " من الأمور المشهورة عند المؤمنين — البهرة — حديث نقصان شعبان على الدوام ، وتمام رمضان الى الأبد ، والآية القرآنية : " ولتكملا المدة " (١) خير شاهد لذلك ، والمراد من الاتمام ثلاثون يوماً ، ومن الناقص تسع وعشرون يوماً ، لذا نجد على العموم أن صيام المؤمنين يتبدى قبل عامة المسلمين بيوم أو يومين ، ومثله العيد ، فإنهم يعيدون قبلهم بيوم أو يومين " . (٢)

وان عدنا الى الحج نجد البهرة يقدمونه أيضاً عن عامة المسلمين يوماً أو يومين بناءً على تقويمهم الخاص ، وينقل الشيخ محمد نجم الفنى عن أحد حجاج البهرة في أداء مناسك الحج فيقول : — " انا وصلنا عرفات قبل الناس ، كما وصل إليها اسماعيلية اليمن ٠٠٠ وقد أدى جميعنا مراسم الحج قبل الناس بيومين ، وحين تجمهرنا في عرفات تحت قيادة عالم اسماعيلي معنى أحاط بنا جمع من أهل السنة ، وسألونا عما نعمل قبل الوقفة ، فأجبناهم بقراءة أدعية مأثورة ، فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج ، ثم انصرفنا الى مزدلفة ، وقضينا فيها ليلتها جوار طريق الطائف الذى يسلكه الحجاج القادمون من هذه المدينة ، وكلما سألنا الجمع السنى القادم الى عرفة عن سبب انصرافنا عنها أجبناهم بأننا قادمون من الطائف ، سننزل مكة ، ثم نقدم منها الى عرفة ، وهكذا قضينا تلك الليلة ، ثم عدنا الى عرفة ، وسرنا شركاء لعامة الحجيج " . (٣)

البهرة والتعليم :
=====

يتبع البهرة فى باب التعليم نظرية افلاطون ، التى فحواها أن التعليم يجب ألا يبتذل ، فلا يستقى منه الا أشخاص معدودون ، ذوو صفات معينة من الذكاء ، وتذوق العلم ، لكى لا تضيع جهود المعلم سدى ولا يتطرق الكساد والتدنس لمستويات التعليم .

(١) البقرة آية : ١٨٥ . (٢) عقد الجواهر ص ٣٤٠ .

(٣) سلك الجواهر ص ٨٢ — ٨٣ . ولم يذكر الشيخ ابن باتوا الليلة الثانية ، انظر للتفصيل عقد الجواهر ص ٣٣٩ .

وما أن نظام الدعوة عند البهرة قائم على غرار نظام الفاطميين المصريين ، فلم يكن لهم بد من أن يقيموا قسماً للنظرية ، ويبدو أن دعاة الهند المطلقين سايروا النظرية بحزم مرة ، ولين أخرى ، حتى عهد الداعي الخامس والأربعين طيب زين الدين (١٨٢١ - ١٨٣٧م) فإنه تمسك بالنظرية تمسك الواجد ضالته ، فوضع لتعليم البهرة الدينى شروطاً وحدوداً ، يجب أن يمثل لها المعلم والمتعلم فنص ضمن الاصلاحات التى نفذها فى باب التعليم على انه " لا يجوز لاستاذ أن يدرس سوى الكتاب المقرر ، ولا يصح منه أن يدرس فوق درجته العلمية التى يحملها ، ولا يطلع على كتب أهل الظاهر الا باذن ، ولا يعلمها لغيره الا بعد استئذان ، ويحرم عليه أن يلحق العلم لغير مستحقه ، كما يحرم على الطالب الاطلاع على غير مقرره " . (٢)

وأشهر معاهد القوم العلمية على الاطلاق هو الجامعة السيفية فى مدينة سورت بالهند ، ويعود تاريخ وجودها الى عام ١٢٢٠ هـ ، ابان عهد الداعي الثالث والأربعين (٣) ويقدر عدد الطلبة الآن بحوالى خمسمائة طالب ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام تشبهاً مع قسمة العلوم عند القوم ، فيقضى الطالب السنوات الخمس الأولى فى دراسة علم الظاهر " علم الفقه " كالنحو والمنطق والأدب ٥٠٠ ، ويصعد سلم الصفوف العلمية كالتالى :-

يسجل مثلاً خمسون طالبا فى الصف الأول ، فيدرسون النحو والصرف والأدب ، فمن عرف عنه قلة الوعى ، أو عدم الاستيعاب أو سوء الخلق يوصد باب التعليم امامه ، وهكذا الى نهاية السنة الخامسة ، فلا يصفو من الخمسين بهذه الطريقة عند نهاية المرحلة الأولى الا النصف أو ما دون ذلك ، فيمنحون شهادة " ملأ " ثم ينقل الناجحون إن أرادوا مواصلة الدراسة الى المرحلة الخمسية الثانية لدراسة " علم التأويل " وتصفو تلك المرحلة على الأربعة أو الخمسة من ذلك العدد ، فلا يصل الى القسم الأخير من علوم البهرة " علم الحقيقة " الا شخصان أو ثلاثة .

(١) انظر تفاصيل النظرية . وحججها فى عقد الجواهر ٥٠٠ ص ٣٧٦ وما بعد ها .

(٢) عقد الجواهر ص ٢٥٢ .

(٣) وهو عبد على سيف الدين وسعى المعهد باسمه .

وسلط المهجرة في باب التعليم ، وعلاية التدريس مدين للانجليز ، لما وفروا لهم من الحماية
الطائف ، ولما ساعدتهم المصالح ، ولعل آخر أسباب المهجرة في باب التعليم هو افتتاح
فرع للجامعة السيفية بمدينة كراتشي الباكستانية في ذى الحجة عام ١٤٠٣ هـ ، وقد شارك
في افتتاحه **زعما** بعض الدول الاسلامية ، كما أن وجودهم خارج شبه
القارة الهندية **ولاد المين مدين** أيضا للانجليز ، إذ هيأوا لهم سهل المهجرة الى كل
بلد استعمروه في أفريقيا أو آسيا ، فوجد لهم اليوم أقليات ذات ثقل اقتصادي في الدول
الأفريقية الشرقية .

مركزات الاغاخانية المعاصرة :

يرتكز بناء **الغزارة المعاصرة** (**الشعبة الامامية الاغاخانية**) في ضوء مصادرها الممتدة
اليوم على شخصيتين تاريخيتين : هما **امام الاغاخانية حسن بن حسن بن محمد بن علي**
ابن نزار الفاطمي ، **والهجير** (**الخليفة**) **صدر الدين** ، الذي حمل عبء نشر الدعوة بين
الهند والسود ، **بلان عهد امام الغزارة اسلام عام** ، **في الرابع عشر من القرن الثامن والاربع**
الأول من القرن التاسع الهجري ، **وكان** **آخر** **سبب** **المهجرة** **في باب التعليم هو** **التسليم**
لرأى **الاغاخانية المعاصرة** **واجب** **فهم** **للعقول** **الدعوتية** ، **والتي** **الحديث** **عنها** **بقدر** **ارتباط**
القيم **بها** **باجاز** ، **بين** **الأزهر** **وعما** **بست** **الدول** **الاسلامية** ، **كما** **أن** **وجودهم** **خارج** **شبه**
القارة الهندية ، **ولم** **يكن** **مدين** **أيضا** **لانجليز** ، **اذ** **هيأوا** **لهم** **سهل** **المهجرة** **الى** **كل**
بلد **استعمروه** **في** **أفريقيا** **أو** **آسيا** ، **فوجد** **لهم** **اليوم** **أقليات** **ذات** **ثقل** **اقتصادي** **في** **الدول**
بعد **حسن** **بن** **حسن** **الامام** **الرابع** **والعشرين** **بن** **أئمة** **الاغاخانية** ، **ويعتبر** **بن** **محمود** **بن** **حسن**
أفريقية الشرقية .

" **على ذكره السلام** " **وهو** **العهد** **في** **وسط** **نهب** **الأئمة** **الثلاثة** ، **الذين** **تولوا** **الامامة** **بعد** **نزار** ،
مركزات **الامامية المعاصرة** :
فبعد **استيلاء** **الحسن** **بن** **الصلاح** **الحموي** **على** **قلعه** **الموت** (**تعليم** **العقاب**) **سنة** **٤٨٣ هـ**
الواقعة **جنوب** **بحيرة** **قزوين** **الإيرانية** **الروسية** ، **هرب** **الروضي** **علي** **بن** **نزار** **اليه** ، **على** **حيد**
الرواية **الاغاخانية** ، **بعد** **أن** **التاريخ** **يجعل** **عن** **تتالي** **عن** **علي** **بن** **نزار** **علي** **فرض** **وجوده** ، **الا**
بعد **علي** **بن** **أول** **ثلاثة** **على** **اختلاف** **في** **الروايات** **الاسماعيلية** **الغزارة** ، **ولا** **تتني** **على** **اختلاف**
المنشآت **والتي** **في** **آثار** **الحكام** **الغزارة** **التي** **مما** **في** **القرن** **والثامن** **والثامن** **والاربع**
الأول **من** **القرن** **الطاسع** **الهجري** ، **وكان** **آخر** **سبب** **المهجرة** **في** **باب** **التعليم** **هو** **التسليم**

النسب فيها نحن بصدد الحديث عنه شيء ، وإن كان ذلك هو الأساس الذى يخضع النزارية بموجبه لسلالة اغاخان اذ الجميع يتفق أن الحسن الكيانى أو النزارى احتفل بتولى الامامة وسمى احتفالاته " بعيد القيام " أو القيامة . (١)

ويقول السجل الرسمى الاغاخانى (نوربين جبل الله المتين) عن خطبة عيد القيام لحسسن " لقد جمع الامام حسن على ذكره السلام المتوفى سنة ٥٦١ هـ جميع أفراد الاسماعيليه فى مملكته ، وبعد أن علا على عرش الامامة والدولة قال مخاطبا اتباعه ومخاطبيه ظهر بواسطتى قائم القيامة ، وإنى امام الزمان ، وإن الأوامر والنواهى عادات وتقاليد اثنى بها الشرع ، وأنسى أرفع عن أهل الأرض كل تلك التكليف ، لأن الزمن زمن القيامة " فاحتفل كل اسماعيلية الموت بذلك اليوم ، وعرف فى التاريخ يومهم هذا بيوم عيد القيام ، ثم قال الامام مفسرا القيامة لاتباعه انى أغفيكم من جميع القيود الشرعية ، وفتحت لكم أبواب الرحمة ، لقد اطلعتكم جميعا فى هذه الدار العاجلة على اسرار الشريعة والقيامة .

" وإنى امام الزمان ، وإن الوضع وضع حرب ، فلا حاجة لكم الى التفكير وشغل البال ، فان ظللتكم مشغولين بالاختلافات ستقتلون ، وما الشريعة الا اصول (نظريات) وان الحرب هى الأعمال ، وان الزلفى الى الله طريقها الأعمال فحسب .

"ثم نزل الامام رضى الله عنه بعد الانتهاء من الخطبة عن العرش ، فبارك مستمعيه قائلا : إن هذا اليوم يوم عيد ، أظفروا (٢) وأقيموا الأفراح والاحتفالات ، فامتثل الاسماعيليه أمر الامام ، وقضوا يومهم المبارك بكل ما يليق به من ابتهاج وسرور وأخذوا يقيمون ذكراء كل سنة ، بعد ان اتفقوا على تسميته " بعيد القيام " .

فمنذ عيد القيام أغفى الاسماعيليه النزارية من التكليف الشرعية ، فلم يعودوا فى حاجة الى الصلاة والصوم والحج ٥٥٥ ، لذا نجد فرع النزارية " الخوجة " سواد الأغاخانية وأغناهم مالا

(١) انظر مصطفى غالب اعلام الاسماعيليه ص ٢٢٩ والاستاذ محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه تاريخها نظمها عقائدها ص ٨١ - ٨٢ ونور بين ٣٣٩ ، ومذهب اور ٥٥٥ ص ٢٩٩ .

(٢) تحدد بعض المصادر هذا اليوم باليوم السابع عشر من رمضان عام ٥٥٨ هـ أو ٥٥٩ هـ /

انظر مذهب اور باطنى تعليم ص ٢٩٩ ، وطائفة الاسماعيليه ص ٨٢ .

لا يلتزمون بالأعمال الشرعية الظاهرية ، ويدعون أن معرفة الامام والمحبة والاخاء بين البشر كافية لنجاة الانسان في هذه الدار العاجلة ، لذا احلوا " جماعت خانة " مقام المسجد ، وعوضوا الصلاة والصوم ٠٠٠ بتقديم هدايا عينية ، أو مالية الى الامام الذى ينتسبون اليه . (١)

البير صدر الدين الاجي : (٧٠٠ — ٨١٩ هـ)

منذ قضاء هولاكو على القلاع الاسماعيلية فى سرخوست والموت عام ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٨ م فقدت النزارية كرسى الحكم فى شمال ايران ، وتحول حكمها وعامة أفرادها الى التجارة والزراعة كافراد مسالمين ، وحقيقة وضعهم فى ايران لا تعدد ما قاله قاضى بومباى ارنولد فى ١٢ / نوفمبر ١٨٦٨م عند اصدار الحكم فى القضية التى حاول بعض الخوجة عن طريقها الفكك — من الالتزامات المالية لاغاخان ، وقد لخص المرزا محمد سعيد حكم ارنولد بقوله : " الشهادات التى قدمت من طرفى النزاع تجيب على التساؤل : من هو اغاخان ؟ وما صلته بالخوجة ؟ وخلاصة جواب القاضى على التساؤل : هى أن الحاكم الرابع لاموت حسن على ذكره السلام كان يدعى الانتساب الى نزار ، وانى لفى شك من ذلك ، وإن حسن واخلافه يذكرون فى نسب اغاخان .

" وقد قضى على الموت عام ١٢٥٨ م غير أن الطائفة الاسماعيلية ظلت فى ايران والشام ومنذ ذلك الحين حتى ظهور اغاخان الأول لا نجد فى التاريخ ذكرا لمن ينتسب اليهم اغاخان ، الا اسلام شاه الذى تعترف روايات الخوجة بامامته ، وكان داعيته البير صدر الدين " (٢) ويبدو أن النزارية منذ تفتيت هولاكو أخذت تبحث عن أرض بكر تفرخ فيها وتكون فى مأمن من هولاكو وامثاله فى المستقبل ، فاحدروا صوب الجنوب الشرقى ، وركزوا دعوتهم فى بلاد كشمير ووادى كلكت وجترال وبلاد السند والبنجاب وسواحل الهند ، وأرسلوا الدعاة اليها بالتتابع .

(١) انظر همارا اسماعيلى ٠٠٠ ص ١٢٢ و ٦١٤ .

(٢) مذهب اور باطنى ص ٣٦٢ .

وانجح الدعاة على الاطلاق وأوسعهم نشاطا هما البير صدر الدين (٧٠٠ - ٨١٩) هـ الذى كلفه امام النزارية اسلام شاه (٧٢١-٨٢٢ هـ) بتبليغ الدعوة الى الهند ، والبير حسن كبير الدين (٧٤٢ - ٨٨٣ هـ) النزاريين الاسماعيليين .

ويلخص محمد على جنارا أعمال البير صدر الدين للدعوة النزارية فيقول : " وتغانى البير صدر الدين للدعوة الى الاسماعيلية فى الهند ، فاشمرت جهوده باسلام الألوف من الهندوس الشاسترية ^(١) فاقروا بكلمة التوحيد وسمى البير جميع هؤلاء المسلمين الجدد " بالخواجة " التى تعنى التاجر ، والرجل المكرم ، وصاحب الدار ، ثم خفت هذه الكلمة ، فأصبحت تنطق بالخوجة " ^(٢) واتخذ هذا الداعى مدينة كوترى بالسند مركزا لدعوته النزارية ، ومات فى بلدة اچ " Uch " البنجابية ودفن بها . ^(٣)

ويمكننا أن نقدر مكانة البير صدر الدين فيما تدين له النزارية من الفرمان (الأمر السامى) الذى أصدره سلطان محمد على شاه (الافاخان الثالث) فى مدينة بونا الهندية مخاطبا اتباعه " ان دينكم أفضل الأديان ، وأصدقها وأعلاها منذ القدم ، وان هذا الدين قد أعطاكم اياه البير صدر الدين بعد بحث وتقييد ، فيجب عليكم حفظه ، وعدم التفريط فيه " ^(٤)

ويتضح من هنا ان معتقدات الافاخانية وتشريعاتهم خليط من فرايمين الأئمة ، منذ عهد الظهور الاخير وأقوال الدعاة التى تنحصر بين دفتى كينان Ginans ، " القصائد الدينية " ^(٥) والذى ينهى التنبيه اليه أن أقوال الدعاة تختلف من منطقة الى أخرى ، ومن داع الى آخر ، لذا نجد العديد من الاختلافات بين بعض الطوائف الافاخانية ، فنجدهم مثلا شبيهين بالهندوس فى العادات والتقاليد فى المدن الهندية الساحلية دون مركزهم فى هنزه ببا كستان ، وما جاورها من المناطق الجبلية ، وهكذا فى كل منطقة يسكنونها نجدهم متلبسين بمحادات الهلاد وتقاليدها .

(١) طبقة من الشعب الهندوسى . (٢) نورميين ص ٤٩٧ . (٣) انظر نورميين ص ٤٩٩ .
(٤) مجموعة فرامين بونا ، فرمان رقم ١٠٢ وتاريخه ١٦/٢٨/١٩٠٨ م نقلا عن مولوى عبيد الله ، مذهب اسماعيلية قرآن وحديث كى روشنى مين (المذهب الاسماعيلى فى ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٢ . (٥) الكتاب هو بمثابة القرآن لدى الافاخانية ، وهو كتابهم المقدس - ويضم بين طياته أقوال العديد من الدعاة اشهرهم البير صدر الدين والبير شمس الدين ، والسيد امام شاه . (٦) انظر كأمثله مشتركة واقعية بين الهندوس والافاخانية أصول شرع الاسلام ص ١٠

وحاصل القول أن المجتمع الاغاخاني الأفريقي غير مجتمع الخوجة في الهند وغير مجتمع كلك والسند ، ورابطة الاتفاق بينهم أمور معدودة كالخضوع للامام واحد وقبولهم أقواله ، واعطائهم له العشر مما يكسبون ، وتقديم الهدايا للامام في العديد من المناسبات .

ويطول الكلام لو درسنا كل مجتمع أغاخاني معاصر على حدة ، وقارنا بينه وبين غيره من المجتمعات الاغاخانية اتفاقا واختلافا ، لذلك سأكتفي بعرض أبرز النواحي والأسس التي لها صلة بالفكر الفريسي ، أو اشاعة المفاهيم المناهضة للإسلام باسم الاسلام .

التعاون العسكري بين جيش أغاخان (١) وشركة الهند الشرقية :
=====

تؤكد المصادر التاريخية أن ايران وقعت فريسة الثورات الداخلية منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، مما هيأت الفرصة للإسماعيلية النزارية لعب دور في سياسة غرب ايران ، ولا سيما في مقاطعة كرمان ، وكانوا قد نزحوا اليها من الشمال " الموت " بالتدريج وما أن اغتيسل امامهم شاه خليل الله على والد أغاخان الأول عام ١٢٣٣ هـ حسب ادعاء المصدر النزاری حتى ثارت الإسماعيلية في البلاد ، وطأوا في مقاطعة يزد المجاورة فسادا ، ولم تهدأ تلك الفتنة الا بعد أن غادر شاه حسن على (أغاخان الأول) ايران بما بقي من رجاله وعتاده ، بعد أن منيت جيوشه بهزائم متتالية على يد الجيوش الإيرانية النظامية . (٢)

وقد عاصرت حروب أغاخان حروب حركة السيد أحمد خان الجهادية ، فما ان الحق المجاهدون برههم حتى ازيلت العقبات التي كانت تعترض طريق الانجليز الى أفغانستان ، فزحفوا اليها بحجة تأمين الحدود الشمالية الهندية ، من الفرس والروس ، محتلين مدينتي كابل وقندهار الأفغانييتين ، ويحدد محمد علي جنارا مساهمات حسن على شاه في هذا الاحتلال فيرى : انه عندما أيس حسن على شاه من عرش ايران ، اتجه الى أفغانستان فكتب الى اللورد ميكاتن أنه سيعين الجيش الانجليزي بجميع أفراد الجيش الاسماعيلي في القضاء على ثورة قندهار ضد الانجليز ، وقد شارك الامام فعلا في القضاء على الثورة اعانة للانجليز ووفاء بما وعد (٣) وكان ذلك عام ١٨٣٩ م . (٤)

(١) أغاخان لقب عائلي لمن ينتسب الى بيت الامامة النزارية الآن ، ولا يختص به الامام وحده

(٢) انظر للتفصيل مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٣٤ وتاريخ الاسلام السياسي

ج ٢٧٧ / ٤ ونور مبین ج ٦٢٢ و ٦٢٥ ونزهة الخواطر ج ١٣٩ / ٧ .

(٣) انظر نور مبین ص ٦٠٧ (٤) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٦٣ ط ٦ / ١٩٧٤ م .

ومعد تمكين الاحتلال في قندهار، وجه أفاخان الأول الى اخضاع السند عن طريق اتباعه فيها ولوضع حد لعناد مير نصير خان أحد ولاة السند، وحاكم مدينة كراتشى الساحلية آنذاك ويشير جنارا الى هذا الترويض، وما جر ذلك من حروب دامية، وموقف أفاخان منها فيقول: "بعد أن غادر الجيش الانجليزي قندهار الى كابل، اتجه الامام الى مدينة سيالكوت (الباكستانية) فوصلها بعد ثلاثة أيام، فحربه أعيان البلد، ثم اتجه الامام منها عن طريق باتلو الى السند، وكان النزاع على تسلم مدينة كراتشى ميناء السند على أشده بين سرجار لس وميجراوت رام (اترام) من جهة، ومير نصير خان من جهة أخرى، فتدخل الامام في المصالحة على أن يعطى المير مدينة كراتشى للانجليزي، ويدفع الانجليزي مقابل ذلك جميع خراجها اليه ٠٠٠

"غير أن الصلح لم يتم، بل ثارت القبائل البلوشية على الانجليزي، مما جعل الامام يشارك في الحرب في صفوف الانجليزي، وذلك بارسال جزء من الجيش الاسماعيلى بقيادة أخيه " سردار محمد باقر خان " الى تلك الصفوف واحتفاظه ببقية الجيش الاسماعيلى لحفظ الحدود بسين كراتشى وجهر كره، وكانت قيادته تضم آنذاك عشرين فرقة من الاسماعيلية الشجعان (١)

وقد كافأه الانجليزي مقابل كل هذه الخدمات بمكافأة متواضعة هي عبارة عن راتب تقاعدى تقاضاه في حياته، واستمر أولاده يتقاضونه بعد مماته، وقد قدره كارسان دتاسى الفرنسى الذى عاصر الأحداث بألف روبية شهريا، ومحمد على جناز " بـ ٢٠٠٠ جنيه استرليني سنويا (٢)

ومن المؤكد أن اقتناص الانجليزي لأفاخان لم يأت عشوائيا، ولا مصادفة، بل جاء نتيجة دراسة مستفيضة للمناطق الشمالية الهندية، ومعد تيقن تام أن أغلب الامم التى تسكن في تلك الجبال، وتزرع سهولها ووديانها تدين لامام يرتبط نسبه باسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق وأن اخضاع شمال شرق أفغانستان وشمال باكستان والهند، وغرب الصين وجنوب الاتحاد السوفيتى مرتبط بامام يسيطر على هذه المناطق دينيا. x

أضف الى ذلك أن المجاهدين السرحدين الذين يتبطنون الشريط الحدودى، الذى يفصل بين المناطق الأغاخانية والهندي

(١) نرويين ص ٦٠٨، وانظر لتفصيل الحروب السندية الانجليزية، اعجاز الحق قدوسى تاريخ سنده ج ٦٢١/٢ - ٢٠٤ مذهب اسماعيلية ج ١٣٥ - ١٣٦ والثقافة الاسلامية ص ٢١٣.

(٢) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ٢٨٩/٢، ونرويين ص ٦١١.

الانجليزية يمكن التخلص منهم عن طريق اتباع أغاخان ، ويصبح وضمهم بين فئتي الكاشية إن استطاعوا مزادة الامام وتطويحه ، لذلك عيّن الانجليز كل السبل المتاحة لربط أغاخان باتباعه بغض النظر عن أن الاتباع يحترفون بامامة أغاخان ولا ؟ بل هيأوا له الجولات الواسعة المؤمنة في كل منطقة عرفوا أن أهلها يعتقدون بوجود امام من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لذا نجد الانجليز يسرعون في نقله من السند الى منطقة بومباي بمجرد الانتهاء من خدماته فيها ، ويهيئون سبل الاجتماع بين أغاخان وبين اسماعيلية الهند في كجه وكاتهيوار وساجاورها من البلاد النائية بعد ان منحوه مقرا في مدينة بومباي يتخذ مركزا لدعوته ، فيكون أقرب اليهم في اصدار القرارات الى الاتباع عند الحاجة . (١)

دور الانجليز في دعم امامة أغاخان :

منذ استقرار أغاخان في أرض الهند ، أخذت الخلافات تظهر في صفوف الامامية وحاولت العديد من الطوائف المثرة بوجود الامام على الأرض ، الانفكاك من التزامات أغاخان ، شاكسين في امامته وانسحابه ، بل منهم من صرح أن اسلامهم جاء على يد البير صدر الدين ، وكان سنيا لذا يجب ابعاد أغاخان من زعامة الطائفة ، وعدم تمكنه من الأوقاف الخيرية ، واليك بمحض تلك القضايا المثارة في القضاء الانجليزي ، وحكم المحاكم الموالي لأغاخان .

١ - في عام ١٨٥٨م وقع نزاع بين نزارية مسقط وولاية أغاخان وجباة خراجة وزكاته (٢) ، واحتلت القضية الى محكمة بومباي العليا ، ويسجل نتيجة حكم المحكمة محمد علي جنارا فيقول : " ان الامام تغلب عليهم بواسطة الدولة ، فعوقبوا وسجنوا ، حتى أقرروا بامال الامام " (٣)

٢ - في عام ١٨٦٦م ، ١٢٨٢ هـ " قدم دايا محمد ، ومحمد سانايان واتباعهما قضية الى محكمة بومباي العليا ، مدعين أنه لا صلة لأغاخان بالخوجة ، وان ما تملكه طائفة الخوجة من الأوقاف لاحق لأغاخان فيه ، وأن على الولاية ومن يقومون بشئون الطائفة ان يقدموا حساباتهم للمشرفين دون أغاخان ، وأن تدخله في شئون الخوجة يجب منعه بالقضاء ، وان البير صدر الدين

(١) انظر الدعوة الاسماعيلية ص ٣٣٦ .

(٢) انظر مذهب اسماعيلية ص ١٣٤ .

(٣) نور مبين ص ٦١٧ .

هو الذى شرفنا بالاسلام ، وكان سنيا ، لذا نحن من أهل السنة وكل من ليس بسنى من أفراد الخوجة يجب إبعاده ، وطرده من زمرتنا " . (١)

وقدمت الشهادات من الطرفين ، وأصر شهود أغاخان ان البير صدر الدين كان اسماعيليا معسقد بامامة آباء اغاخان ، وأن طائفة الخوجة ظلت اسماعيلية طوال احقاب التاريخ ، وأن أغاخان هو امامها دون نزاع ، وصدر حكم القاضى جوزف آرنولد بعد طول الشهادات فى ١٢ نوفمبر ١٨٦٦ م مثبتا امامة اغاخان ، مقويا مكانتها بين اتباعه (٢) كما ألزم خصوم اغاخان بدفع تكاليف القضية كلها . (٣)

٣ — واخطر قضية قدمت الى القضاء الانجليزى بالهند تسمى قضية " حاجى بى بى " أو " قضية الارث " فى محكمة بومباي العليا ، وذلك فى عام ١٩٠٨ م ، حين تقدم أقرباء أغاخان الثالث الى القضاء ، مطالبين بحقهم من ارث أغاخان الأول ، اذ لم تقسم تركته منذ وفاته حتى تقديم الطلب ، والشهادات التى زودت بها المحكمة من أفراد عائلة أغاخان ، ومن لهم حق الارث ركزت على أمرين :

أ — ان أغاخان وجميع أقربائه اثنا عشر يون قلبا وقالبا ، وقد أقر أغاخان أمام القضاء انه ظل بجوار والدته الاثنى عشرية أثناء ادائها بعض الطقوس المذهبية .

ب — ادعت حاجى بى بى ابنة اغاخان الأول ، وعمة أغاخان الثالث ، شقيقة ابيه ان أخاها على شاه لم يسمح لولده سلطان محمد شاه الا بالتقدم على المصلين ، دون غيره من أمور القيادة وأن شقيقها أخبرها بخلو العائلة الاغاخانية من منصب الامامة .

وقد حكم القاضى رسل أن المدعين لم يستطيعوا اثبات اثنى عشرية اغاخان ، أو أنه كان يتنزه به فى الماضى ، ونص على اخراج القضية من المحكمة ، دون فض النزاع الأرضى ، كما ألزم الحاجى بى بى وشريكتها بدفع تكاليف القضية لصالح المدعى عليه . (٤) ونلخص من ذلك

(١) نور مبین ص ٦١٩ . (٤) انظر مذهب اوربا طنى تعليم ج ٣٦٥ — ٣٦٦ نور مبین

ص ٦٥٨ .

(٢) انظر مذهب اسماعيلية ص ١٣١ .

(٣) انظر نور مبین ص ٦١٩ ومذهب اوربا طنى تعليم ص ٣٦٢ .

أن إمامة أغاخان لم ترسخ قواعدها إلا بواسطة القضاء الانجليزي ، ولولا الأحكام القضائية الصارمة لما خضعت هذه الأمم لأغاخان وللانجليز هذا الخضوع الوديع .

موقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى :

يقول ضياء الدين أحمد برنى : " اقترحت صحيفة لندنية أيام حرب البلقان أن يعود الاتراك الى آسيا ، لأنهم أمة آسيوية ، وأن رجوعهم سيقضى على الحروب التى تنشأ يوماً بعد يوم ، وقد أيد أغاخان هذا الاقتراح ، مما حمل محمد على (زعيم حركة الخلافة) على أن يرد عليه ردوداً مفحمة قاسية " (١)

واشتعل فتيل الحرب الأولى عندما كان أغاخان الثالث فى زيارة لاتباعه فى زنجبار ، فوصلت اليه الوف المراسلات على حد قول (جنارا) تطالبه بالحضور الى بريطانيا ، فسافر أغاخان فى أثرها لمديد المساعدة للحكومة البريطانية فى الحرب . وصرح فور وصوله . . . " لو سمح لى بخوض الحرب لدافعت عن بريطانيا حتى آخر قطرة من دمى " وكانت صحيفة " لندن ميل " قد ذكرت آنذاك أن أغاخان يمكنه أن يأمر عشرين مليوناً من أتباعه بخوض الحرب دون أن يراجعه أحد فى ذلك ، فعلى الدولة أن تراعى مقامه ومكانته " (٢)

واعقب ذلك فرمان أغاخان الذى حض أتباعه فى الاخلاص والوفاء للدولة البريطانية " الفريضة الأولى على جميع أبنائنا الروحانيين أن يدردوا عن حمى بريطانيا ، وأن يتماثلوا معها بكل جهد مستطاع ، وأن يخلصوا لها فى كل ما يمكنهم القيام به ، لأن الدولة البريطانية حارسة للدين ، هادفة الى الخير مدافعة عن الحرية لذا يجب عليكم الآن تقديم الخدمات غير المحدودة لهذه الدولة بأمانة وتقان لا يماثلكم فيها بشر على هذه الأرض " (٣)

وليس عسىد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى الحرب المظمى الثانية :-

يسترسل مصطفى غالب فى الحديث عن ولى عهد الامامة الاغاخانية — على خان — سلطان محمد شاه قبل أن يتحول عنه نصر الامامة — وحرره فى صفوف النصارى ضد الاسلام

(١) عظمت رفته (المجد الضامع) ص ٣٨٨ . (٢) نور مبین ص ٦٧٨ .

(٣) كلام امام مبین (مجموعة فرمانات أغاخان الثالث سلطان محمد شاه على) ج ٢٨١/٢ فرمان رقم ٤٤٠ .

فيقول : " والأمير على خان يتعشق الروح العسكرية ، ويحب المغامرات والرياضة وارضاء ليله الغريزي هذا تطوع سنة ١٩٣٩م في الفرقة الأجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم ، وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩م ، ثم عين مرافقا للجنرال (ويغان) ، ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني .

" وبعد احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية والفرنسية الحرة عمل (كضابط ارتباط) بين الجيشين ، ثم حارب في ليبيا بصفوف الجيش البريطاني وراح يتدوج في رتب الجيش حتى نال رتبة زعيم عام ١٩٤٥م ، ومنحه الجيش الأمريكي وساما للخدمات التي أداها كضابط اتصال ، وقد أدى خدماته هذه بكل امانة واخلاص " (١)

تلك بعض الخدمات المكشوفة التي قدمها أفراد اسرة أغاخان للاستعمار والمستور أكثر وأعظم وما زال الأغاخانيون يقدمون خدماتهم له في كل ملعة وازمة ، فاذا كان هذا موقفهم من المسلمين فما الموقف الذي اختاروه لأنفسهم من أسس الاسلام ، وتعاليمه السمحة عقيدة وتشريعا ؟ اليسك طرفا من ذلك دون تعليق لعدم صلتها بالاسلام .

بعض الأسس الأغاخانية : =====

تنص المصادر الأغاخانية أن كلمة توحيدهم هي : " اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن أمير المؤمنين على الله " (٢) وترجم الجملة الأخيرة من كلمة الشهادة : " بأنى اشهد أن عليا هو الله ، أو أن عليا من الله عز وجل " (٣) ويشرح المبشر البابواني كلمة الشهادة الاغاخانية بقوله :

" اشهد أنه لا معبود بحق سوى الله ، وأشهد أن محمدا رسوله ، وأشهد أن رئيس المتدينين

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٢) شكشن مالا بال منك " كتاب المبتدئين " ص ٣ أحد الكتب المقررة للصف الأول في المدارس الاسماعيلية بالهند . واسماعيلى تعليمات ص ١ الكتاب الأول للمدارس الاسماعيلية فىى باكستان ، وانظر المبشر الأغاخانى على نهائى بابوانى مارك درشيك (المرشد) جلد ١٤ أحد الكتب المقررة في المدارس الدينية الاغاخانية الليلية في باكستان ، واغاخانيست كياهى (ماهى الاغاخانية) ص ٤ .

(٣) شكشن مالا ص ٤ للصف الأول .

عليها حل فيه نور الاله ، أى أن عليا من الله عز وجل " (١)

وما أن أغاخان هو الامام الآن ، فقد انثقلت اليه جميع أوصاف على بن ابي طالب رضى الله عنه - وهو منها براء - وقد استحق ان يستفتح قاسم على الاغاخانى كتابه بنقل اعتراف امامه أغاخان أن الزاريين يعبدونه لتفهمه بالامامة الروحية " انى اتصل مباشرة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بنى عشرون مليوناً من المسلمين ، ويعترفون بامامتى الروحية ، ويدفعون لى الخراج ، ويعبدوننى لأن فى عروقى دم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " (٢)

ويذكر الدكتور محمد كامل حسين ضمن ذكرياته مع أغاخان الثالث حول موضوع معبوديته فيقول : " فاستأذنته فى توجيه سؤال ربما أغضبه ، فلما وعدنى بعدم الغضب ، قلت له لقد أدعشتنى بثقاتك وعقليتك ، فكيف تسمح لاتباعك أن يدعوك اليها ؟

" فضحك طويلا ، وعلت قهقهاته ، ولمحت عيناه من كثرة الضحك ، ثم قال : هل تريد الاجابة على هذا السؤال ، إن القوم فى الهند يعبدون البقرة ، الست خيرا من البقرة " (٣) ومن مطلق الالهية والتمتع بحقوق الخالق على المخلوق أعلن اغاخان الثالث للجمع الاسماعيلى عن العفو عما ارتكبته ايديهم قبل الاجتماع به فقال : " ما ارتكبتم من الذنوب الى هذا اليوم قد غفرناها لكم ، وحذار حذار من اقتراف الذنوب فى المستقبل " (٤)

ويشهد هذا الأغاخان منارات الهداية من الصحابة عند تعديد نسخ القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه بتقديم الفاظ فى القرآن الكريم ، وتأخير أخرى ، وحذف جزء ، وضافة غيره اليه " وفى الواقع نزلت التوراة والانجيل والزبور والفرقان على أمم مختلفة ، فى أوقات متفرقة ، وان القرآن كان حقا ، غير أنه أحدث فيه تقديم وتأخير ، وحذف وضافة وابدال وتغيير فى عهد عثمان ، وإن لدينا خلاصات لجميع هذه الأحداث ، وإن سألتمونا عنها سنريك تلك الخلاصات " (٥)

(٢) مارك درشيك ج ١/٤٧ ، وانظر المبشر الاغاخانى نصير الدين هنزى كنج سعادت

يعنى سلسلة نوراً مات (خزينة السعادة) ص ٢٤ .

(٣) المرشد الحى الدائم . M . J . Ever Living Guide / Qassim Ili .

(٣) طائفة الاسماعيليه ص ١٢٦ .

(٤) كلام امام مبين ج ١/٣٣٤ فرمان رقم ١٥٥ .

(٥) كلام امام مبين ج ١/٩٦-٩٧ فرمان رقم ٣٨ .

ويحمل النزارية لفظة الصلاة على معناها اللغوي ، ولا يصرّفون لها معنى سوى الدعاء ،
لذا يجتمعون مرتين في جماعة خانة كل ٢٤ ساعة لثلاوة الدعاء ، ويستهل كتاب الدعاء الذي
يقراه النزاریون في كل معابد تنزانيا اليوم باثبات صلاتين ، (دعاءين) في اليوم والليل ،
مستدلا بقوله عز وجل : " اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ... " (١) الآية ، ويحث
الامام في مقدمة الكتاب ابنائه الروحيين على الحضور الى المعبد عند طلوع الشمس وعند غروبها
كل يوم . (٢)

يقول أغاخان الثالث عن أهمية الدعاء وما ينتج عنه أثر نفسي في الشخصية النزارية " اساس
الدين قراءة الدعاء في الوقت المحدد في جماعة خالة " وان لم تستطع الوصول اليها أيها
الأغاخاني لبعدها في الوقت المميز ، فاقرا الدعاء في الطريق سائرا ، وفي الدكان جالسا ،
وفي القطار مسافرا ، وانك ان أديت الأدعية حقها في وقتها تمكنت من الدين " (٣)

وما ان النزارية لا يعملون بالقرآن ، بل كتابهم وتشريعهم هو أغاخان نفسه فلا تستغرب
ان اخبرتك ان الاغاخانية لا تفرق بين شعبان ورمضان في الصوم ، بل تجد حياتهم لا تختلف
في هذا الشهر المبارك عن غيره ، والصوم الوحيد الذي يتعارفه الاغاخانية فيما بينهم هو
صوم الثامن من رجب كل سنة ، وكان يطلق عليه قديما ساتمي نوروجو " Satmy No Rojo "
ويستمر الاغاخاني صائما منذ فجر الثامن من رجب حتى العاشرة والنصف قبل الظهر منه ، فيذهب
الى جماعة خانة للافطار .

وفي باب النكاح لو تصفحت الدستور النزاری لشرق أفريقيا تجده مستعارا من القانون
الانجليزي الهندي برمته ، لا يلتفت الى الشرع الا في باب تحريم النكاح بالمحارم ، وما عدا

(١) هود : ١١٤ .

(٢) دعاء الامامية الاسماعيلية الاغاخانية ص ٤ .

(٣) دعاء الامامية ص ٣٦ وانظر كلام امام ميين ج ٢٤٠/١ فرمان رقم ١٠١ .

ذلك فالقانون والدستور متشابهان ، ويمكنك أن تطلق عليهما اصطلاح " صورة طبق الأصل " (١)
لذا يصطدم مع شرع الله في العديد من بنوده ، كإباحته الأنكحة التي يصح التعامل بها في الدول
التي يسكنها النزاریون ، " كل اسماعيلي أو اسماعيلية تزوج أو تزوجت ضمن قانون الدولة التي
جرت فيها حفلة الزواج يعتبر ذلك النكاح صحيحا ونافذا ما دام صحيحا ونافذا في نظر ذلك
القانون " ، (٢)

وينبئ على ذلك صحة نكاح الزوجة الوشيية والمشركة بالنزاري ، كما يصح زواج النزارية بغير
المسلم ما دام قانون البلد يسمح بذلك الزواج .

وفي باب قطع العلاقات الزوجية سلب الدستور حق الطلاق من الزوج ، ووضعه في يد المحكمة
المختصة بغض مثل هذه النزاعات وتشرط المادة ٢٧٩ أن التفريق بين الزوجين لا ينفذ الا بعد
مضي ستة أشهر من صحة النكاح (٣) ويجوز في نظر الدستور أن يبيت الرجل والمرأة بعد صدور
حكم التفريق بينهما تحت سقف واحد مدة ثلاثة أشهر (٤) كما أن الجمع بين المتفرقين - ارجاع -
الزوجة أو الزوج مشروط باذن المحكمة ، بغض النظر عن عدد المرات التي وقع فيها التفريق
ونقض النظر عن المدة التي يصح فيها الارجاع دون عقد جديد ، أو يعقد جديد ، أو بتكاح
زوج آخر . (٥)

وهكذا نجد النزاریين لا يشتركون مع المسلمين أو مع الفاطميين المصريين في الأمور
المشهورة ، بل إن حياتهم شبيهة بحياة الأوربيين ، وثقافتهم هي الثقافة الأوربية ، ويمثلونها
بحدافيرها بين المسلمين باسم الاسلام .

(١) كما ألفت في تحديد سن الزواج بستة عشر عاما للأنثى ، وثمانية عشر عاما للذكر . انظر
Thi Constitution of the Shia Imami Ismailis in Africa
P. ٤٩.

دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية في أفريقيا ص ٢٨ المادة ٢٥٠

(٢) دستور الشيعة ص ٢٧ المادة ٢٣٢ .

(٣) " " " " ص ٣٠ .

(٤) " " " " ص ٣١ المادة ٢٨٥ .

(٥) " " " " ص ٣٢ المادة ٢٩٤ .

نشاطات الاغاخانية في باكستان :

من الحقائق المؤلمة أن اقتصاد باكستان في الأيدي الاغاخانية ، ففي أيديهم تجارة باكستان وصناعاتها المتعددة ، وحكم النظم التي كانت سائدة في باكستان لم يكن مفر من بروز هذا الحقيقة لأن المسلم لن يلقى الترحيب في المحافل الاقتصادية الربوية ، فالنظام برمته يمين المتغرب ، ويمرقل ما وسعه متبع شرع الله ، وتلك محنة المسلمين في كل بلد استقل بعد استثمار ، أو وصاية مفروضة ، وتشكلت آخر سهام اغاخان التي أصابت المحزنى أبناء التوحيد في صورة " مؤسسة اغاخان " لمنطقة جترال الباكستانية .

وتستهدف المؤسسة عن طريق المال تحويل المسلمين الى الاسماعيلية النزارية ، وسلخهم من اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم الى قبول تبعية كريم اغاخان ، وطريقها في ذلك أن يدعو المسئولون عن المؤسسة اهل كل قرية الى الانضمام اليهم لتطوير منطقتهم اقتصاديا ، وينتخبون من كل قرية خمسين مندوبا أو أكثر ، ويفضلون أن يكون المندوب ذا صلة بالاسلام في العلن ، فيأخذون من كل من اختاروه خمسا وخمسين روبية باكستانية كرسوم عضوية واشتراك في المؤسسة ، ثم يطلبون من المختارين أن يقدموا مشروعات اقتصادية لرفع مستوى الحياة لقريتهم ، ويقترضون لهذا الغرض ما بين ٢٠٠٠ روبية الى ٣٠٠٠ روبية ، وهكذا يشتررون الدم بثمان بخس لتخلف المنطقة وعدم معرفة أهلها أمور شرع الله . (١)

ولا شك أن هذه الأعمال توطئة للخطوة المرتقبة ، وتهيئة لاستخلاص الأرض لصالح الاغاخانية في تلك المنطقة ، فحين يستحيل سداد الدين في أجله المحدد تتحول الأرض تلقائيا الى ملكية المؤسسة ، وذلك يتحقق جزء من الحلم الذي يتحدث عنه اغاخان أمام المسئولين عن النزارية في العالم " مقومات الدولة أمور ثلاث ، شعب وأرض ، ومال ، وأنا نملك الشعب والمال ، فلنسع لكسب الأرض حتى نقيم دولتنا المستقلة "

والخير بجغرافية جترال ومضائق خنجراب وباسين وجوهس ونيال واشوكن ٠٠٠ الباكستانية يدرك الحصانات الفطرية ، وما هيأته القدرة الالهية من السدود الجبلية الشامخة ، والأنهر

(١) انظر تفاصيل هذه المؤسسة وأعمالها التطويرية والتنمية اغاخان فاوند يشن جترال

(مؤسسة اغاخان جترال) ص ٢

الجارية ، والثلوج المتراكمة على قمم الجبال التي تتحاشاها الطائرات خشية تراكم الثلوج فى
المحركات فى هذه المناطق .

وقد زرت المنطقة بمصاحبة مهندس يعمل فى تخطيط الطرق لربط هذه المناطق ببعضها
ببعض ، فمن أيسر الطرق لقطع هذه المنطقة عن باكستان القاء صخرتين تسدان الطريق البرى
الوحيد ، (شارع ريشم) الذى نحت فى الجبال بجوار مجرى نهر السند ونهر العباسى ، ويربط
باكستان بالصين ، أو هدم جسر من الجسور القائمة على نهر السند أو نهر العباسى ، ويزداد
الوضع خطورة حين ندرك أن منطقة دزمو مضيق خنجراب " منطقة آغاخانية " يشكل الآغاخانيون
فيها الأغلبية المطلقة ، وتمتد هذه الأغلبية الى منطقة الحدود المشتركة بين كل من باكستان
وأفغانستان والصين والاتحاد السوفيتى وأقل نسبتهم فى هذه المناطق المشتركة ٧٢ ٪ ومن
المناطق ما هى آغاخانية ١١٠ ٪ كمنطقة عاصمتهم هنزة .

الفصل الثانى

الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام .
- ٢ - الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة .
- ٣ - علوم الصوفية وصلتها بالشرع .
- ٤ - حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى .
- ٥ - النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى .

طريقة صوفية الهند في الدعوة الى الاسلام :

الصوفية هم الماكفون على العبادة ، المنقطعون الى الله ، المعرضون عن الدنيا وزينتها ، الزاهدون فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، ولا يهم البحث من أمرهم هنا الا ما كان ذا صلة بالغرب ، وفكره المستعمر ، سلبا أو ايجابا ، ومعنى آخر الكشف عن معطيات الفكر الصوفى ، وما أمر به اتباعه تجاه المحتلين من مقاومة أو معاونة .

وحكم توغل الاسلام في الهند على الأيدي الصوفية ، أصبحوا العمدة في تعاليم الاسلام ، ورجع المسلمين في أمور الدين ، ثم إن الناطقين بالشهادتين قبلوا دعوتهم بصد رحب ، اذ وجدوها تجدد نوازع نفوسهم - التي كادت ان تتلاشى وتلبى رغباتهم الباطنية ، فالأجير المحروم ، والمتظلم من ذى السلطة والأيس من حياة الذنوب كل هؤلاء وجدوا فى الدعوة الجديدة خير ماوى ينسيهم ما هم فيه ، ويأخذ بأيدهم الى عالم غير عالمهم المشهود فالساعات التى يقضيها المريد " التابع " أو السالك مع شيخه تيمده عن هذا الكون ، وتنسيه همومه وآلامه .

أضف الى ذلك أن الهند أرض التصوف والتجرد ، من الميزات ومتطلبات النفس منذ القدم ، فالرهينة والانزواء في المعابد ميزة تلك الوثنية التى يدين لها شعب الهند ، وان الهند وسيما قدم متصوف عرفه التاريخ حتى اليوم .

وما أن دخل الصوفية المسلمون هذه الأرض حتى وجدوا أنفسهم أمام اناس يفوقونهم فى المجاهدات والرياضات العسيرة ، فشقوا لأنفسهم سبيلا غير مسبوقه فى الدعوة الى الاسلام ، ويحدد عبد المجيد سالك طريقتهم فى الدعوة الى الاسلام فيقول : " انتشر الاسلام فى الهند بتبليغ الصوفية أكثر من أى طريق آخر ، وكان الصوفية يضمنون نصب أعينهم اىصال صوت الحق دون امتياز ، ولم يكونوا يفكرون فى تفسيق أحدا وتكفيره ولم يكونوا ينطقون بكلمة تسئ الى أحد ، وكانوا يعتبرون الشعب بمختلف نزعاته عيال الله ، ولم يكونوا يثيرون الاختلافات أو يحثون عن مكن الضمف ، بل كانوا يقدمون المشترك المألوف لدى الجميع ، ويدعونهم الى التعاليم

الاسلامية أجمعين " (١)

ولم يقف تساهل بعض الصوفية في باب الدعوة الى هذا الحد ، بل تجاوزوه الى تنظيم حلقات الذكر المشتركة بين المسلمين والهندوس ، لذا تجد بين اتباع الصوفية ومن بايع على أيديهم أفراداً وشيخين ، يعبدون الواحد الأحد عند الشيخ ، والالهة المتعددة عند الكهان (البندت) ويعبدون من مريد الصوفية رغم معتقداتهم الهندوسية .

الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة :

=====

وكان من المنطق أن يسلك بهم الملوك وأصحاب السلطة سواء كانوا وشيخين أو مسلمين مسلك الرفق والرفقة ، فما دام الصوفي يصرف الناس عن السلطان ولا ينافر السلطة أهلها فليعمل ما يشاء ، وليقل ما يريد ، ويقدم الشيخ أبو الحسن الندوي شهادة التاريخ في الموضوع بقوله : " إن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء جريمة قول الحق ، سلكوا بالصوفية في أغلب الأحوال مسلكاً رقيقاً ، وسمحوا لهم بأداء واجبهم الديني ، ومزاولة نشاطهم الاسلامي " (٢)

ولم يتغير هذا المنهج الصوفي المتقبل لكل سلطة في أغلب الأحوال طوال أحقاب التاريخ ، فلا يهيمه أن يتولى كرسى الحكم مسلم أو وثني أو مسيحي أو يهودي ، ولا يبالي أن يلى السلطة أحد أبناء الهند ، أو دخيل متغرب ، ويحكى الشيخ الندوي موقف زاوية من تلك الزوايا ، ويفتخر بعدم حدوث اختلاف في منهجها بعد الاحتلال عما كانت عليه قبله فيقول : " قد احتل الانجليز الهند ، ولما تؤثر حضارتهم وفلسفة حياتهم في مجتمع البلاد ، فترى بقايا من الحياة الدينية الأولى ، ويحدثنا مؤرخ عن زاوية الشيخ غلام علي الدهلوي (م ١٢٤٠ هـ) فيقول : " رأيت بعيني في هذه الزاوية رجالاً من الروم والشام وسفداد ومصر والحشة ، قد بايعوا الشيخ ، وعدوا المثل بين يديه حصنة الدهر ، وسعادة العمر ، أما الوافدون من البلاد القريبة فكانوا كالجراد ، ولا يقل عدد المقيمين في هذه الزاوية عن خمسمائة رجل ، تقوم الزاوية بنفقاتهم " (٣)

(١) - مسلم ثقافت ص ٢٣٦ .

(٢) - المسلمون في الهند ص ١٤٧ .

(٣) - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٥٦ .

وينقل الشيخ محمداكرام عن مصدر موثوق مشهدا من مشاهد المتصوفة فى البلاط السلطانى قبل الاحتلال بقليل فيقول : " اذا حضر المشائخ "بير" عند السلطان ، وجرى الحديث عن تسلط الأعداء ، واحتلال البلاد ، فوضوا الأمور الى السماء ، وأخذوا فى بيان مسائل التصوف ، معددين حسنات العزلة ، مخوفين من اراقة الدماء وقتل العباد ، ثم يعرجون الى ذكر كراماتهم ، واستجابة من يدعون له ، فيمنون السلطان بجيوش الدعاء ، وان رفع اكفهم كفيلة بالنصر والفتح ، وأن الأعداء لن يتجهوا الى دولتك حتى يمزقهم الدعاء اربا اربا فيتكلم على الدعاء ، ويترك اعداد العدة ، ويأخذ فى الراحة والاسترخاء ، فيقوى ساعد الأعداء ويقتطمعون أطراف البلاد ، فتقبل جيوش الدعاء وتدبر السلطة ، ويضع للمجد والسلطان " (١)

هكذا كان جل المتصوفة فى الهند قبيل الاحتلال وتلك مشاربهم فى تهيئة الاتباع للدفاع عن أرض الاسلام ، يؤثرن السلامة على المجابهة والعافية على القتال ، ولم يكن أمثال الشيخ أحمد بن عرفان . . . الاشارة فى صفوف التصوف ، وبلغ الاهتمام بالتصوف غايته عند المسلمين الهنود فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى أصبح العامة يشاركون المتفقهين فى الاقرار بأن التصوف والاسلام متلازمان كتلازم الجنوب للشمال واليسار لليمين فلا يتصور وجود أحدهما الا بوجود الآخر ، وأن اعتناق هذا يوجب الخضوع لذاك ، ومازال الوضع على حاله عند سواد المسلمين فى تلك الديار حتى اليوم ، والمدركون لخطورة الوضع والمريدون لتتقية الاسلام من التصوف غير المشروع حفة من الناس ، يمكنك حصرهم بسهولة ويسر .

علوم الصوفية وصلتها بالشرع :

وما زال التصوف يتمتع بالأغلبية المطلقة بين الجماهير ، مع اختلاف طرقه وتعدد مسالكه ، ويعتبر الناس علومه أشرف العلوم وأعلاها منزلة ، ويطلقون عليها اسم " العلوم الباطنية " تمييزا لها عن علوم الشريعة الظاهرية . (٢) ومستوى فى طلبها خريج المدارس الديونديه والندوية والبرهلمية ، فاعلم ان له شيخ طريقة من طرق التصوف ، يطلقون عليه اسم

(١) رود كوثر ص ٦٠٣ .

(٢) انظر المسلمون فى الهند ص ١١٦ ومراكز المسلمين ص ٢ .

"مرشد" أو "بير" أو "سُجَادَة نَشِيْن" ويروى الشيخ محمد اكرام تصوف مدرسة ديوبند فيقول: "لقد اسهب الشاه ولي الله في الكتابة حول المعيشة والاقتصاد، والاجتماع، واتى بنظريات ايجابية فيها، غير انه لم يسر بايجابيات هذه الحياة، ولم يفرح بمعطياتها"

"وقد سلكت ديوبند منهجه، فلن تشم رائحة الراحة العاجلة في جنباتها، وتعمق هذا الاتجاه في عصر الحاج امداد الله، فقد ظل مولانا رشيد أحمد منسلخا عن الدنيا كل الانسلاخ، بينما وجدت فرص الاتصال باهل الثراء والمال لمولانا محمد قاسم، غير أن الرجل لم يكن عالما فحسب، بل كان عارفا بالله ٠٠٠، وقد أثمرت جهود هؤلاء الاطهار في ديوبند في صورة يجمع سورة المحيط به اليوم بين معهد لتلقى العلم، وزاوية لأهل الله ٠" (٢)

ولو تتبعنا ما يشتغل به أغلب الصوفية نجده بعيدا عن لب الاسلام حيناً، ومتصادم حيناً آخر، ففي التوحيد مثلاً تجدهم أحد رجلين: وجودى أو شهودى، فالوجودى يرى أن الاله حال في كل مخلوقاته، من الحجر والشجر والحيوان والنار، والماء والهواء والانسان نفسه ٠٠٠، ومتحد معها بذاته أو روحه أو صفاته، فمن عبد شيئا من هذه الخلائق فقد عبد الله عز وجل، لأن الاله موجود فيها، ولا وجود لشيء غيره عز وجل، نعوذ بالله، وينتج هذا التصور في باب التوحيد صورتين منافيتين للاسلام:—

أ — العالم خيال محض، واوهام مختلفة اذ لا وجود الا لله ٠

ب — العالم المشاهد هو الحقيقة والله سبحانه وتعالى هو الخالق، ولكنهم صرفوا صفاته وقايلته عنه الى بعض مخلوقاته، وتعقل هذه الصورة اسهل من تعقل الأولى، وعليه غالبية المنتسبين الى الاسلام غسسي حياتهم العملية، اذ المشائخ والأضرحة، والقبور والأولياء والتائب والأشجار والأحجار ٠٠٠ تعبد وتستنفع وتخاف وتستترزق ٠٠٠ كل ذلك يعمل المنتسب الى الاسلام عن اعتقاد مبناه أن هذه المخلوقات تملك ما يطلبه منها من النفع والضرر ٠

والشهودى — وحدة الشهود — لا يختلف عن الوجودى في باب التوحيد الا باختلاف زيد عن بكر في الانسانية، فالنظريتان تناقضان حقيقة التوحيد الذى جاء ت —

الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ودعا اليه الكتاب المجيد ، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا قطع المتخصص في تعاليم الشاه ولي الله " انه لا فرق بين النظريتين في النتيجة ، وإن الوضع لا يعدد وكونهما تعبيرين لمسمى واحد ، فلا ينبغي توجيه نقد لطرف دون آخر أو تأييد هذه دون تلك " (١)

وإن عدت الى نظرية " تصور الشيخ " تجدها تصرف أغلب لوازم العبادة من الخضوع والهيبية والوضوء واستقبال القبلة وإخلاؤه الذهن من كل شيء . . . الى الشيخ دون الخالق عز وجل ، فالنظرية تجسد وجود معبود في العقل ، وخلق مثيلات اللات والعزى تعبد من دون الله من وراء ستار الباطن .

وإن عدنا الى اذكار الصوفية ، وترانيمهم الخفية والجهرية ورقصهم وطربهم وسجدهم وسجدهم والحائهم الموسيقية وحفلاتهم السنوية على قبور المشائخ نجد هاركانا من أركان الاسلام الصوفى مع أنها دخلت الى دينه من الامم التي جاورها عبر التاريخ شمس أصبحت جزءا من دينه ، لا يتم اسلام المرء عنده حتى يتحلل بها . (٢)

حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى :

ويصف صاحب " موج كوثر " الوضع السلبي الذي وصل اليه المسلمون كنتيجة منطقية لهذه المعتقدات ابان القرن الثالث عشر الهجرى فيقول : " كان القرن الثالث عشر أهم منقطع في حياة المسلمين الهنود ، ففيه تم اكتمال تحطيمهم سياسيا ، واحتاط بهم الانحطاط الدينى احاطة السوارب المعصم ، لقد تركوا الهندوسية ، غير أنهم لم يتخلوا عنها من الناحية المعنوية فان كانوا من قبل يسجدون للأصنام فقد أخذوا ينحنون للمشائخ والقبور الآن ، ويطلبون منهم قضاء حوائجهم ، فاحلوهم مكان البراهمة في العبادة ، ولم يعد الامثال لأحكام القرآن ، وسنة سيد الانام ، واتيان الأعمال الحسنة ضروريا للتربية الروحية ، بل أصبحت هذه الغاية تطلب عن

(١) غلام حسين جيلاني ، شاه ولي الله كي تعليم " تعليمات الشاه ولي الله " ص ١٣٦ .
ومن الناس من يرى تناقضا بين النظريتين كالدكتور برهان أحمد في اطروحة الدكتوراه
انظر للتفصيل مجلة معارف ج ٢٢٣/٥

(٢) انظر للتفصيل مجلة برهان ج ١٣٩/١
٥١٥٠٢٤٢ ٥٢٤١ ٥٢٣٩ وسلم ثقافت ص

طريق المراقبات وقراءة الاذكار والمخصوصة والتفات المرشد واهتمامه بأمر المسترشد .
 " وكانت التمام والمعلقات فى الأعناق والأعضاء نافقة الاسواق ، فاذا ألم بالمرء مرض
 أو أراد الحصول على أهداف معينة ، سعى فى جلب أكبر قدر ممكن من هذه العينات ، —
 فيخط له اليوكيون (الكهان) الهندوس ومشائخ الصوفية (بير) خطوطا مبهمه ، وذلك
 يمنعونه من الطرق الشرعية المظلومة فى مثل تلك الاحداث " . (١)

تلك هى الصورة المجملة التى كان عليها التصوف عند دخول الانجليز ، زهد فى الدنيا
 وانصراف عن سنن الله الكونية ، واعتزال عن أمور الحياة ، فالدنيا فى نظر الصوفى أضحت
 دائرة عذاب ، والمرء يمثل فيها دور المسجون ، الذى صدر الحكم القضائى فى حقه ، وأمثلة
 الطرق للمودة الى مكانه الرفيع أن يترفع عما تحتاج اليه نفسه وتدعو اليه ضروريات الحياة ،
 فليشق على نفسه وجسمه بالرياضات والمجاهدات العصبية ، حتى تتحرر روحه من سلطة
 الجسم والنفس .

النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى :

وهذه النظرة السلبية الى الحياة ينسى المسلم حقيقة وضعه على هذه الأرض ، وأنه
 خليفة الله فيها ، ويظن أنه القى به فى أحوال هذا العالم ، وأوساخه المادية ، وأن النجاة
 فى البعد عنها والهروب من احداثها ، فينظر الى الأمور نظرة مشدوه مسلوب القوى ، لا يعنيه
 الانجاء نفسه ، فلا تتحمل أعصابه أعباء التحضر والتمدن فضلا عن اقامة الخلافة الالهية فى الأرض
 وتنتج هذه النظرة السلبية الى الحياة فى القادة والشعب نتائج مقلقة ، يصل
 بأصحابها الى القنوط واليأس ، وعدم اصلاح هذه الحياة تجتمع أهمها فيما يلى :-
 ١ - تنتزع الرهينة الصوفية خيار البشر من الامة ، وتشغلهم بالمجاهدات والرياضات وحمل
 المشقات عن أمور الحياة ، وتضنى قواهم فيما لا علاقة له بهذا المجتمع الأرضى على الاطلاق
 فتخلو الساحة للإشرار يفسدون ويعبثون وتؤول اليهم أمور الناس دون منازع ، فيوجهونها
 الى الشر دون الخير وإلى الفساد دون الصلاح .

ب - ينسلخ الصوفى من المسئولية الجماعية ، فلا يهتم الا بترقية نفسه ، ولا يزعجه الا نجاة ما بين جنبيه ، فلكأنه لم يخلق الا للفردية المؤلمة ، لا يهمه من فساد المجتمع أو اصلاحه شيئ ، ويحقق القولة المسيحية الشهيرة " دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله " ، وينسبى أو يتناسى قولة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (١)

ج - تهين الصوفية نفوس العامة لتحصل الظلم ، والصبر غير المشروع ، وتسلب منهم قوة المقاومة والوقوف في وجه الظلم والظلمة ، فتصبح الامة لقمة سائغة للظلمة والمتجبرين يخضعون لكل سلطة وحكم ، يرتبطون بالغيب ارتباط المتواكل وتارك الأسباب ، فلا يسمعون الى تحية الظلم ونصرة المظلوم ، وذلك هو السر الذى جعل الصوفية لا تصطدم بأصحاب السلطة عبر التاريخ .

د - يستولى اليأس والقنوط على الحياة ، وتتوقف عجلة التقدم والنمو البشريين ، وتجف منابع الابتكار ، وتتعمد الاكتشافات ، ويحبب الى الناس الفرار من التمدن والتسابق الى الأفضل والأعلى ، ومن ثم يفقد نظام السعى فى الأرض ، واكتشاف سنن الله الكونية فيها جدواه . فيقل الانتاج وتصح الامة عالة على غيرها من الأمم إن شاءوا اعطوها ، وإن شاءوا منعوها . وهذه النظرة السلبية الى الحياة كانت خير عون للمستعمرين للاحتلال وسلب خيرات البلدان الاسلامية ، فالغربيون مثلهم كمثل من سبقهم من الملوك لم ينشئوا الصوفية انشاء ، كما أنه ليس لهم فضل فى ايجادها ، وانما وجدوها قائمة على أسس تخدم النزعة الاستعمارية ، وتؤمن لهم مقاليد الحكم دون عاء ، فغذوها ، وأنفقوا على مشاهدتها وزواياها ، بعد أن فرضوا لها المرتبات فحققوا هدفين فى آن واحد : هدف الحفاظ على التقاليد الدينية الموروثة فسى نظر الناس ، وهدف صرف الانظار عن الاستعمار واستغلال البلاد .

لذا قضت المصلحة الأوربية ان يشجعوا الصوفية ماديا ومعنويا أيضا وجدت ، وسهلوا لها طرق انتزاع البشر ، لقتل الحيوية المسلمة الجاهدة ، فاعتنوا بمشائخها وقدموهم على أبرز رعايا مستعمراتهم ، وعلى الذين قضوا حياتهم فى المصالح الاستعمارية ، وقضلوهم على الحكام

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ج ٢١٥/١ كتاب الجمعة باب الجمعة

المحليين في الابهة والاجلال . . .

كل ذلك التشجيع جاء ليظل شرع الله وأحكامه الجهادية متوارية عن الناس ، وليبقى المسلم منصرفا عن العمل بحقيقة دينه يطول ليله ، ويقصر نهاره ، ويشتغل عن الجد والكد ، ويصرف قواه فيما لا يمت الى هذه الحياة الأرضية بصلة ، فاجتهد المستعمرون عن طريق الصوفية أن يهجر المسلم هذا العالم ، ويتنازل عنه ، زهدا فيه ، وخوفا من خطره ، فحققت لهم طرق الصوفية المتنوعة كل ذلك بالمزلة والانزواء ونزع خيار البشر .



الفصل الثالث

}} السبريلوية وأثر الفكر الغربي فيها {{

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - مؤسس البريلوية أحمد رضا خان .
- ٢ - تعاون البريلوية مع الاستعمار .
- ٣ - تكفير البريلوية المسلمين .
- ٤ - أهم الأسس للفرقة البريلوية .
- ٥ - تأثير الفكر البريلوي لصالح الفكر الغربي في الأمة .

مؤسس البريلوية أحمد رضا خان (١٢٧٢ هـ / ١٣٤٠ هـ)

=====

تجرع الانجليز مرارة القتال أثناء اشتباكهم مع حركة الجهاد السرحدية ، التي حمل لواءها الشهيد أحمد بن عرفان ، وأدركوا أن الاسلام يطبع اتباعه بطابع الشريعة والعقيدة ، وأن حركات المسلمين وسكانهم في العسر واليسر تنطلق من مركز ما ينسب الى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبحثوا عن أفراد يخدمونهم في تنفيذ السياسة الاستعمارية في بني جلدتهم باسم الدين ، لأنه الطريق الوحيد لتحقيق أهدافهم في البلد الاسلامي من أقصاه الى أقصاه هذا وقد اختلفت طرق كسب هؤلاء الأفراد ، فمنهم من جاءهم فرارا من الفقر ، ومنهم من أثارهم لاكتساب الجاه ، والمكانة المرموقة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومنهم من بذلوا له المال حتى رضى بخدم مشهم ،

ومن هؤلاء الذين خدموا الاستعمار عن حسن نية ، أو سوء قصد الشيخ أحمد رضا خان (١٨٦٥م - ١٩٢١م) زعيم الطائفة البريلوية ، ولفظ البريلوي يعني الانتساب الى مديونة "بانس بريلي" في ولاية اترابرديش في وسط الهند مسقط رأس أحمد رضا خان ، ولا يهمننا في شأن دينه ودين من ينتسب اليه الا أمران : تعاونه المكشوف مع الاستعمار وتكفيره المسلمين الذين لا يستسلمون لبدعه وانحرافات عن شرع الله عز وجل تحقيقا لبدأ المستعمرين " فرق تسد "

تعاون البريلوية مع الاستعمار :
=====

أدلى أحمد رضا خان يد لوه في البحوث التي اثيرت حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام في الهند ، وهده تفكيره الى تصنيف كتب اسما "اعلام الأعلام بأن هند وستان دار الاسلام وأتبعه بآخر باسم "أحكام الامارة والجهاد" وثلاثهما بـ "دوام العيش في أن الأئمة من قریش" وجميعها تدور حول عدم فرضية الجهاد على المسلمين الهنود ، وأن الهند دار اسلام ، ولا جهاد في دار تنتسب الى الاسلام .

والعودة الى الكتيب الأول نجده مقسما الى قسمين : قسم بين فيه كاتبه أن الهند المختصة ما زالت دار اسلام ، لوجود الحرية الدينية في اداء الصلوات والصيام ، وخص القسم الأخير

بتفكير من يسعى في إعادة الهند الى أصحابها وطرده الدخلاء المسيحيين " إن الوهابيين (١) مرتدون ، يجوز استرقاق نسائهم ولا يجوز إعطاء الامان المؤبد لهم ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، ولا تحل مناكرتهم (٢) ولا تؤكل ذبائحهم ، وإن الصلاة على ميتهم حرام ، وإن مخالطتهم ومجالستهم ومحادثتهم ومشاركتهم في أمورهم حرام شرعا ، فاثبتهم الله أنى يؤفكون " (٣)

ويحسم النقاش في دوام العيش فيملن بمل فيه أنه " لا جهاد ولا قتال على مسلمي الهند في ضوء الشريعة الاسلامية " (٤) ويرد على حركة الخلافة التي أوجدها المسلمون كوسيلة ضغط على الانجليز لحفظ الخلافة العثمانية ، ورمز وحده المسلمين : " إن التفتيح بحماية الأتراك ضد اع محض ، وإنما المقصود الحقيقي من وراء حركة الخلافة تحرير الأراضي الهندية دون شيء آخر " (٥)

وحيث احتج العلماء على هذه الفتوى سافر البريلوى الى أرض الحرمين ، فنزل ضيفا على الشريف حسين بمكة - حرسها الله - الموالى للانجليز ، وصر له الخروج على العثمانيين بعد أن كفر الأتراك وأخرجهم من دائرة الاسلام ، وصنف كتابا بهذا الصدد أسماه " حجة داخرة " وخلص فيه الى القول : " أن الأتراك يدخلهم الحوب . . . الانجليز خالفوا الآية " لا تفسدوا في الأرض " فيجب قتالهم والخروج عليهم بحكم القرآن " (٦) واستوثق لفتوى من علماء البلاط الشريفى ومدرسى الحرمين .

وأعقب حركة الخلافة حركة المقاطعة التجارية ، التي استجاب لها جميع أفراد الشعب الهندى ، وتسبب عنها الكساد والفساد في البضائع المصنعة في بريطانيا ولم يجرؤ أحد على كسر هذا الطوق الا أحمد رضا بفتاوة " المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة " فاستفتح به بقوله " ان المقصود من الوهابية عند الاطلاق في لسان هذه الطائفة المسلمون المخالفون لهم في جزئية من الجزئيات .

(٢) انظر قضية من قضايا فسخ النكاح ، في صورة مناظرة جرت بين البريلوية والد يونبندية لمدة ثلاثة أيام . منظور أحمد سنبهلى الديونبندى ورحم الهى البريلوى صاعقه آسمانى برفقة رضا خانى " الصاعقة السماوية على الفرقة الرضاخانية " حين عقد ديوبندى على بريلوية .

(٣) اعلام الاعلام بأن هندوستان دار الاسلام ج ١١ - ٢٠ .

(٤) دوام العيش في أن الأئمة من قريش ص ٤٦ .

(٥) دوام العيش ص ٩٥ .

(٦) نور محمد ، بريلوى فتوى ص ٢١ .

المعاملة الدينية التي لا تضر الدين ليست ممنوعة مع أحد ، سوى المرتدين مثل الوهابية والديندية وأمثالهم " ثم وصل الى الهدف فصرح " أن النقص من هذه الحركة هو الحصول على الحرية من الانجليز لا غير " وقطع الشك باليقين حين قال : " إنه لاجهاد علينا مسلمي الهند بنصوص القرآن العظيم ، ومن يقل بوجهه فهو مخالف للمسلمين ، ويريد الاضرار بهم " . (١)

ويشرح المعروض الذي قدم في حفل وداع مايكل فرانسس ادوارد حاكم البنجاب من قبل علماء البريلوية ما تكن صدورهم حيث يقول : " قبل كل شيء نهني معاليكم بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الضروس ، وقد انتهت بكل خير في حكم معاليكم الموقر ، وقد عادت الدولة البريطانية ذات البركات الالهية أكثر عظمة من ذي قبل ، كما صرح بذلك الملك المعظم : إن سيوف الدولة البريطانية ما دخلت غنودها حتى نال العالم الحرية والأمن ، وعم الخير والرفاهية بين الشعوب المستضعفة ... " ولا ننسى ذلك الفضل الذي منته به علينا حكومتكم الرشيدة ، حين أيد سفهاؤنا الأتراك ، وساندوهم فيما يبتغون ، كل ذلك أتى نتيجة عدم وعيهم واعطاء الأمور حقها من الفهم والادراك ومع ذلك فقد ^{أكدنا} ملكنا المعظم بعدم انتهاك مقدساتنا الاسلامية ، وإن هذه الروح الفياضة جددت فينا حب الولاء والوفاء ...

" ونرجو من معاليكم بعد العودة الى بريطانيا أن تؤكدوا للملك أن وفاءنا وولائنا لن يتغير أبدا ، مهما قامت الإحن والثروات ، وأنا على ثقة أن اتباعنا في الجيش سيكونون أوفياء لملكنا المعظم دوماً وأبداً ...

" وأنا نأسف على أعمال أولئك الأعداء ، أعداء الوطن الذين نظموا الاضطرابات والتجمعات غير الشرعية ، وشوهوا وجه منطقة بنجاب الجميل ، ونعود فنؤكد لمعاليكم انا ننكر تلك الأعمال بشدة ، لأن كتابنا العظيم يوصينا بالابتعاد عن ذلك " (٢)

ويسجل شاهد الانجليز فرانسس رونسن شهادته في أحمد رضا خان فيقول :-
" إن البريلوي كان عمله حماية الحكومة الانجليزية ، فإنه أيد الحكومة في الحرب العالمية

(١) جميع هذه الأقوال وغيرها من الأقوال البريلوية المؤيدة للانجليز يمكنك مشاهدتها في مؤلف احسان الهى ظهير / البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٠ - ٤٤ .

(٢) مجلة جتان ص ١٢ عدد اكتوبر ١٩٦٦ م .

الأولى ، واستمر في هذه الحماية والتأييد للحكومة حتى أيام حركة الخلافة سنة ١٩٢١ م ، وعقد المؤتمر في بريلي وجمع فيه العلماء الذين كانوا يخالفون ترك موالاة الحكومة ، والذين كان لهم أثر كبير في نفوس العامة المثقلين والدارسين المسلمين " (١)

ويصل باحث الفرق الباكستاني احسان الهى ظهير الى انه " لا يمكن لمنصف أن يعرض عن القول بأن كل وزن البريلوى والبريلوية وثقلهم كان في كفة المستعمر الغاصب ، ان لم يقلل بمعاملتهم وجاسوسيتهم وعملهم على حسابهم (لحسابهم) ، لأنه أمر الناس بمقاطعة الجهاد والمجاهدين وترك موالاتهم ضد الاستعمار والمستعمرين ، بل خلاف ذلك أمر الناس بولايتهن وموالاتهم ، فالمسلمون يقاطعون ويخاذلون ، والنصارى المستعمرون يؤلون ويناصرون " (٢)

ولا غرابة في صدور مثل هذه الأعمال والفتاوى من رجل أشرف على تعليمه وتشقيقه المرزا غلام قادر — الابن البكر لـ غلام مرتضى ، الشقيق الأكبر لـ غلام أحمد زعيم القاديانية — منذ نعومة أظفاره . (٣)

تكفير البريلوية المسلمين :

=====

من الصعب أن نجد كتابا أو كتيباً أو فتوى ، أو خطاباً عاماً ، أو خطاباً خاصاً لأحمد رضا خان يخلو من تكفير واحد من المسلمين ، وتبعه في خطوته هذه جميع علماء البريلوية ، وما زالت تلك الآلة غير الواعية تصدر أحكام التكفير كل يوم ، وآخر انتاجها تكفير أئمة الحرمين ، وان كذب الفرق والتاريخ عاجزة عن ذكر جماعة تماثل البريلوية في باب التكفير ، فان كانت الخوارج كفرت مرتكب الكبيرة فإن هؤلاء كفروا من لا يقيم المولد ، أو من لا يؤذن على القبر بعد دفن الميت فيه ...

(١) نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤ وانظر قاضي أفضل حق اقبال في مدح علماء

" العلماء الذين مدحهم اقبال " ص ١٨ .

(٢) البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤ .

(٣) انظر بدر الدين أحمد قادري سوانح أعلى حضرت " سيرة أحمد رضا خان " ص ١٥ والبريلوية ص ١٩ .

وما أن محمدا صلى الله عليه وسلم جزء من الاله ، فلم يكن للبريلوية مندوحة أن يصفوه بما يختص به الخالق عز وجل فقالوا إنه يعلم الغيب ، ويعلم ما كان وما يكون في هذا الكون الواسع " وأن الله عز وجل منح صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم علم جميع الموجودات ، وعلم ما كان وما يكون ، وعلم جميع ما في اللوح المحفوظ ، وإن اللوح المحفوظ باخبار السنة مسجل فيه كل كائن من البداية الى النهاية ، بل الى دخول أهل الدارين دورهم ومنزلهم ، فهو عبارة عما كان وما يكون " (١)

وما دام محمد صلى الله عليه وسلم نورا من نور الله ، فلا بد أنه يتصرف تصرف الخالق والمالك في هذا الكون ، فبه عند البريلوية يستعان ويستفتى ، لأنه الحاكم المطلق في المخلوقات والموجودات " إن النبي صلى الله عليه وسلم نائب مطلق عن الله عز وجل ، وإن العالم كله تحت تصرفه ، يفعل ما يشاء ، يعطى من يشاء ما يشاء ، يومنح ما يشاء عن يشاء ، فلا محق لحكمه في العالمين ، ومن لم يجعله مالا حرم من حالة السنة .

" إن الأرض وما عليها كله له ، والجنة وملوك السماوات في قبضته ، مفتاح الجنة والنار في يده تقسيم الأرزاق والأموال في تصرفه صلى الله عليه وسلم ، الدنيا والآخرة جزء من عطائه ، وإن الأحكام التشريعية مفوضة اليه ، يحرم ما يشاء على من يشاء ، ويحل لمن يشاء ما يشاء ، ويسقط أى فريضة عن يشاء " (٢)

ومن معتقداتهم " حاضر وناظر " العيان والمعانيه ، ويعنى هذا المعتقد في عرف الشرع البريلوى " أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل رؤيته كفه من مكان وجوده ، ويستطيع سماع الأصوات القريبة والبعيدة ، كما أنه يطوف بالعالم في لمحة بصر ، فيغيث المضطرين ويوجب الداعين ، كل هذه التصرفات تصح جسما وروحا ، وهى ثابتة للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، بل ثابتة للأولياء والصالحين بنصوص الكتاب والسنة " (٣)

(١) أحمد رضا خان خالص الاعتقاد ص ٣٣ .

(٢) أمجد على الأعظم بهار شريعت (ربيع الشريعة) ج ١٦/١ -

(٣) أحمد يار جاء الحق وزهق الباطل ج ١٦٠/١

أما في باب العمل فنجد البريلوية يركزون على إقامة الموالد ، والبناء على القبور ، وعلى تجصيصها وتنويرها ووضع الستور والعمائم والثياب عليها ، وعلى التعميد عندها كل سنة ، وقراءة القرآن على الأموات وعلى قبورهم ، وتكليف أهل الميت بجلب الأطعمة الى مشايخ البريلوية لمدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأربعين يوما . . .

وأغرب ما نشاهد عند القوم هو جبر الأعمال الشرعية المتروكة كالصلاة والزكاة والصوم . . . بالأموال والأقوات بعد الوفاة ، ويسمون ذلك حيلة الاسقاط (اسقاط الواجبات) ويشرح طريقتهما أحمد يار فيقول : " مقدار الصدقة عن كل صلاة أو صوم متروك هو مقدار صدقة الفطر المعروفة ، فمثلا من مات تاركا صلوات سنة كاملة يتصدق عنه بالقدر السابق ، بعد أن اخراج مثل هذا المقدار لا يسع كل أحد ، ولا يستطيع كل انسان أن يتصدق بهذا القدر ، وأمثلة الطرق لذلك أن يأخذ ولي الميت مقدار صدقة شهر فيتصدق به على الفقراء ، ثم يرد الفقراء الى الولي ما تملكوه ، وتكرر هذه العملية حتى تبلغ المدة المتروكة ، وهذا هو الاسقاط الجائز شرعا " (١)

تأثير الفكر البريلوي لصالح الفكر الغربي في الأمة :

وهكذا شجعوا الأتباع على ترك العمل ، وحرصوهم على عصيان أوامر الشرع حتى هان على عامة البريلوية ترك الصلاة والصوم . . . التي عليها مدار النجاة حسب تعاليم الشريعة السمحاء وبرزوا لافقات الكفر والتكفير أمام كل من خالفهم في هذه المبتدعات التي لم يأذن بها شرع الله . ومالا شك فيه أن الاستعمار لم ينشئ هذه الفرقة ، ولم يضع أسس هذه المبتدعات ، لتناقض فكر البريلوي والبريلوية مع فكره الملحد ، فلن ينشئ فكرا يقضي الى الاشراك في تسيير أمور العالم مع انكاره وجود الخالق عز وجل ، فالقول بايجاد هذه الطائفة ، أو ايجاد أفكارها قول لا يعتمد على دليل ، أضف الى ذلك أن أغلب أفكار البريلوية لها امتداد تاريخي في تلك البلاد ، وقد يصل الى عدة أحقاب فيما مضى من الزمن .

فإن كان الاستعمار لم ينشئ البريلوية فإنه قد استغل أفكارها لصالحه كل الاستغلال ،

(١) جاء الحق وزهق الباطل ج ٤٦٨/١ - ٤٦٩ وانظر تفاصيل هذه الحيلة والأعيان التي تجوز بها البريلوية عقائد وتاريخ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

فوجهها لضرب العقيدة الصحيحة ، وخال بها بين المسلمين وبين ما يأمرهم به دين الله ،
وتلك خدمة لا تدانيها خدمة ، فحققت آماله المعلقة التي كان يسعى اليها الغربيون منذ
الحروب الصليبية ، فحل غير شرع الله مما لا يتنافى مع المصالح الاستعمارية مكان شرع الله ،
وتجسدت آمالهم في صورة أمور ثلاثة ما زالت الامة تعاني الالمها ، ويتجرع المصلحون مرارتها
اليوم ، كتجرع اخوانهم الذين عاصروا الاستعمار بالأمس .

١ - تهوين أمر العلماء في نظر العامة ، والاستخفاف بهم ، لأنهم كفار لا يستحقون أى تقدير
أو احترام ، وبذلك انقطعت الصلة بين العلماء الزهانيين وعامة الناس .

ب - فقدت القيادات المقتدرة - التي حملت السيوف في وجه الانجليز وفي وجه كل معتد
على شرع الله - مراكزها القيادية ، وحل محلها علماء البريلية الموالين للفكر المستعمر في صورة
تشجيع الناس على عصيان أوامر الله وارتكاب منهياته .

ج - شغلوا الامة بإبراز خلافات تبعد عنهم عن قضيتهم الأم ، قضية طرد الدخلاء والفكر الدخيل ،
لذلك نجد الوثائق السرية البريطانية - التي فقدت جدواها الآن ، وأصبحت من معروضات
المتحف البريطاني - " أن الشيخ أحمد رضا خان كان يتقاضى خمسمائة روبية شهريا من
بريطانيا عن طريق أمير زامبور كعب على خان مقابل تكفيره علماء المسلمين الذي يقودون حركات
تحرير الهند " (١)

ويشغل البريلويون اليوم حكومة باكستان التي أعلنت تطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد بقضية
دية المرأة ، ويريدون لها دية مساوية بدية الرجل تبعا للغرب في المساواة بين الانثى والذكر ،
وسبب ضجتهم هذه في الصحافة تأجل تنفيذ قانون القصاص والدية الاسلاميين ، وكان من المفروض
أن يأخذ طريق العمل مع قانون الشهادة الاسلامي في غرة صفر ١٤٠٥ هـ من هجرة المصطفى
صلى الله عليه وسلم .

الفصل الرابع

(((القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربي)))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ - السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين .

أ - مفهوم النبوة •

ب - مفهوم الوحي وطريقته •

ج - شروط السيد لقبول السنة •

د - مفهوم الجهاد •

هـ - مفهوم الموالاة الشرعية •

٢ - القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب •

٣ - إبراز الزعماء القرآنيين

٤ - نماذج من التنغريب •

أ - حركة التدين (الارتداد)

ب - توريث غير المسلم من المسلم •

ج - حرية التصرف في المال عند الوفاة •

د - أحكام القرآن في التركة مؤقتة •

هـ - قواعد الحجب مجحفة •

و - نظام القرآن الاقتصادي (الاشتراكية في الأموال)

ز - نزع التأبيد من أحكام الاسلام •

السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين :

قبل الكلام عن الفرقتين — القرآنية والقاديانية — ينبغي التعرف على أفكار السيد أحمد خان في أمور خمسة (النبوة ، الوحى ، السنة ، الجهاد ، المولاة الشرعية) إذ أنها الأسس المعتمدة في فكرهاتين الفرقتين . (١)

١ — مفهوم النبوة :

ينكر السيد أحمد خان أن تكون النبوة منحة الهية ، أو اختيارا ربانيا خاصا ، ويخطئ العلماء الذين فهموها على هذا المنوال فيقول : " لقد فهم الملما المتقدمون النبوة كمنصب من المناصب يعطيه الله لمن يشاء ، أو ينتخب أفرادا لحملها ، كالملوك الذين ينتخبون الوزراء ويختارون عمال الدولة ، غير أنى لا أهم النبوة على هذا الوضع ، بل النبوة أمر فطرى — والنبي نبى ولو كان في بطن أمه ، يولد نبيا ، ويموت نبيا — توجد تلك الملكة في الأنبياء بمقتضى فطرتهم كوجود أى ملكة إنسانية أخرى ، فمن يوجد فيه تلك الملكة يكون نبيا ، ومن يكون نبيا يوجد فيه تلك الملكة كبتية الملكات البشرية التى تتصل بتركيب الانسان وأعضائه من القلب والعقل .

" ملكة النبوة هذه شبيهة في صلتها بصله أعضاء الجسم بعضها ببعض ، فمن ثم لا اختصاص فيها بعدم اختصاص الوف الصلات والملكات الكامنة في النفس البشرية ، فقد يكون الانسان بمقتضى فطرته مالا لقوة في فن من الفنون ، ويعتبر فيه اماما ونبيا ، كالحداد فهو امام ونبي في فنه ، والشاعر فهو امام ونبي في فنه . . . " (٢)

وهذا الزعم أتفه من أن يرد عليه ، ويكفي في كشف زيفه قوله تعالى في منح النبوة لموسى عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة والسلام : " فلما آتاه نودى ياموسى ، انى أنا ربك فاخلف نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى " (٣)

(١) وجع هذه الأمور هنا لا معنى سوى اعطاء صورة واضحة عن الرجل ، وتجزئتها بسين فصلين يفوت المقصود .

(٢) مقالات ج ١٣/٦٦-٦٧ . واعتبر السيد أحمد خان ايدى سن وستيل الانجليزيين من

الأنبياء على هذا الأساس . انظر مقالات ج ١٣/١٩ ، ٢٩ .

(٣) سورة طه آية : ١١-١٢-١٣ .

٢ — مفهوم الوحي وطريقته : =====

يتمتع عند السيد أحمد خان وجود ملك ينزل بالوحي من السماء الى الأرض ، بل الوحي عنده شبهه بالاتصالات اللاسلكية المعروفة لدينا اليوم ، يكتسب النبي الايحاءات الربانية المنعكسة على قلبه ، فيسمع ويرى بملكة النبوة الداخلية امورا لا وجود لها في خارج كيانه ، نتيجة اتجاه جميع قواه الى المرئيات والمسوعات الداخلية ، فتترامى له صورة ما في قلبه ممثلة في الخارج فيخبر عنها بالوحي والالهام ، واليك رأيه بنصه : " لا توجد واسطة بين الله والنبي لا يصل الوحي الا هذه الملكة ، وهي التي يقال عنها الناموس الأكبر ، وفي لسان الشرع جبريل .

" فقلب النبي هو المرأة التي تترامى له فيها التجليات الربانية ، وذلك هو الرسول الذي يجلب الرسالة الالهية ، وتلك المضة المجسدة هي التي تخرج منها الأصوات الالهية ، وهي ذاتها الأذن التي تسمع تلك النبرات غير الصوتية ، ومن ذلك القلب يخرج الوحي كخروج الماء من النافورة ، وعليه ينزل ، ويرى صاحبه صورة الوحي فيه ، فيخبر عنها بالايعاء والالهام ، دون أن يكلمه أحد ، يتكلم عن نفسه ، ويقول عن نفسه ، وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى .

" وهذه الحوادث والأمور الواردة على القلب فطرة بشرية ، لا يتخلف قانونها ابدا ، ويسمع النبي كلامه النفس بأذنيه الخارجيتين ، كأن شخصا يخاطبه من الخارج ، ويرى بعينيه الخارجيتين ، كأن شخصا يقف أمامه ، ومع فارق التشبيه نثبت أن الالسوف منا من رأى حالات فاقدى العقل يسمعون أصواتا دون متكلم ، ويرون أشخاصا في الخارج مع انفرادهم عن البشر ، وتلك كلها أوهام من أوهامهم ، لارتكاز كل قواهم واتجاهها الى شيء معين " (١)

ومفهوم السيد هذا للوحي وطريقته مختلف عن المفهوم الذي أورده الشرع ، واتفقت عليه سائر الامة الاسلامية ، ويؤكد أن يتحد بالتحليل النفس عند العلماء لبعض الحالات المرضية ومرد ذلك أنه تكفل بشرح الاسلام في ضوء ما يقبله الغرب ، وتقره علومهم التجريبية ، ومادام الوحي غير معترف به في المعامل الغربية فليكن شبهها بحالة من الحالات النفسية المعترف بها لدى السفسرب :

٣ — شروط السيد لقبول السنة :

يشترط السيد أحمد خان لقبول السنة شروطا ثلاثة :

- ١ — أن يكون الحديث المروى قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالجزم واليقين .
- ٢ — أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التى أتى بها الراوى هى الكلمات النبوية بمعناها .
- ٣ — ألا يكون للكلمات الواردة فى الحديث معان سوى ما ذكرها الشراح ، فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة لا يصح عنده نسبة القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسـه حديث من أحاد يثـه (١)

وهذه الشروط لا تتوفر الا فى المتواتر اللفظى دون سائر السنة الصحيحة المتواترة تواترا معنويا ، أو السنة الأحادية التى عليها مدار الأحكام الشرعية عند المسلمين .
ومناء على موقفه هذا جمل الأحكام الواردة عن طريق السنة بوجه عام أحكاما لا يجب على المسلمين اتباعها ، ولا يلزمهم العمل بمقتضاها " وأن ما استنبط العلماء من نصوصها الحالية من الأحكام انما هى أحكام اجتهادية ، لا نصية فيها ولا حتمية ، لا احتمال ألا يكون ذلك مقصودا عليه الصلاة والسلام . (٢)

٤ — مفهوم الجهاد :

ابان السيد مفهوم الجهاد الاسلامى فقال : " لا يبيح الاسلام الفساد والفدر والثورة ، تجاه من منح الأمن والسلام ، سواء كان معطى الأ من مسلما أو كافرا ، بل يرشد الى طاعته والاعتراف له بالايادى البيضاء ، ويوجب ايقاف العهود المبرمة بينه وبين المسلمين ، ولا يسمح لأحد بالحرب أو باراقة الدماء للسلطة أو فتح بلاد لم تدخل بعد فى الاسلام . ولا يرتضى ايصال صوت الحق بمهاجمة الناس والتغلب عليهم .

" ولم يعط حق رفع السيف الا فى صورتين :

- ١ — عندما يهاجم الكفار المسلمين لعداوتهم للاسلام والرغبة فى ازالته من الوجود — لا لعرض التملك (الاستعمار) لأن الحروب التى تقع للتملك سواء كانت بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين الكفار فإنها حروب دنيوية لاصلة لها بالدين .

ب — عندما يسلب الأ من من أموال المسلمين وأرواحهم ، ويظلمون لكونهم مسلمين ويمنعون من اداء الواجبات الدينية ، وفي هذه الحالة أيضا لا يسمح الاسلام لاتباعه المظلومين المقربين بالحكومية علانية أو ضمنا لدولة ما رفع السيف في وجهها ، بل طلب منهم تحمل الظلم أو الهجرة من أراضى هذه الدولة • ومن عدا هؤلاء من المستقلين أو غير الحكوميين من رعايا دولة أخرى — له رفع السيف لانقاذ المسلمين الذين يتحملون الظلم لاتسامهم بالاسلام ، أو لاعادة الحرية الدينية المسلمة أو الأمن المنقود ، ولكن متى دخلت شائبة التملك ، أو غرض دنيوى آخر في تلك الحرب فان الاسلام لا يسمح بنسبتها اليه (١)

ويفسر قوله تعالى : " وقايلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " (٢) بقوله " من الخطأ أن يفهم من هذه الجملة قتال المسلم لاعلاء دين الله حتى لا يبقى دين سواء ، لأن ذلك أمر غير معقول كما أنه لم يقع من السلف فيما مضى ، ولن يقع فيما يأتى ، بل معناه الظاهر البين أن القتال يحدد برفع العوائق التى يقيمها الكفار في وجه اقامة دين الله ، وتخليصه منها حتى يقيم المسلم ويمثل له دون ايداء " (٣)

ووجهة نظر السيد هذه حول الجهاد الاسلامي مرفوضة بمسيرة الجهاد طوال الاحقاب الماضية فقد جاهد المسلمون منذ فجر الاسلام لبلاغ دين الله الى الناس ، أضف اليه انهم قاتلوا لرفع الظلم عن المسلمين ، وغير المسلمين ، ولم يستخ مفهوم السيد للجهاد الا من ربط مصلحته بالاستعمار ، أو من أراد مخادعة نفسه عن الشعور بالاثم الذى سيلحقه لعوده عن الجهاد المفروض عليه لاسترداد بلاد المسلمين ، وذلك هما السببان الرئيسيان لتوجيه الجهاد وتفسيره بهذه الوجهة المنحرفة •

٥ — مفهوم الموالاة الشرعية :
=====

قلما نجد بحثا شرعيا أو اجتماعيا للسيد أحمد خان الا وتتخلله جمل تحت المسلمين على التعامل السلمى ، والاستسلام لحكم الانجليز ، ولا يجه غضاضة في تحميل النصوص ما لا تحتله فمثلا يقول في شرح الأثر الذى أورده في مقالاته " إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أن السلطان

ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم . . . الحديث ، فقد ورد لفظ السلطان في هذا الحديث دون قيد أو وصف لذا يجب عليه سواء كان مسلما أو يهوديا أو مسيحيا أو عابدا نارا أن يعامل الرعية كما ورد بيانه في الحديث .

" ولنعد الآن الى التفكير في وضع المسلمين الذين استأمنتهم الحكومة الانجليزية في الهند وتسعى لاقامة العدل بينهم حتى المستطاع ، ووضعت للفصل بينهم قوانين مفصلة ، حتى إن المرء يعرف نتيجة فعله قبل وقوع الفعل ، أضف اليه أنها منحتهم الحرية الدينية ، وتكفلت بحفظ أموالهم وأرواحهم — ما عدا حرية البغى والشر — لذا يجب على المسلمين وفق هذا الحديث شكر الحكومة الانجليزية ، وما أن نهتم رعاياها يجب عليهم الامتناع عن البغى والفساد واثارة الفتن قولاً وعملاً .

" وكتب السنة تروى العديد من الأحاديث التي حث فيها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على طاعة امرائهم ، سواء ظلموهم أو عدلوا بينهم ، وتلك الأحاديث لا تقيد الأمير بقيد ، ولا تشترط فيه وصفا معينا ، فيتمتعين أن الحاكم أو الأمير يصح أن يكون من حملة أى دين ، وعلى المسلمين امتثال أوامره طبقا لهذه الأحاديث ، ومن ثم يجب على جميع المسلمين الهنود الذين يستظلون بظل الحكومة الانجليزية طاعتها ، بصورة تكشف عن الانتماء والمشاركة المميشية " (١) ويشرح الآيات التي تنهى عن اتخاذ اليهود والنصارى وأعداء الله وأعداء المسلمين أولياء فيقول : " ويجب أن نفهم بالنسبة لهذه الآيات أن الموالاة عموما ليست ممنوعة ، وإنما الموالاة الممنوعة هي ما كانت دينا وشرعا ، وهي أن تحب المرء لدينه الذي اختاره ، وتمتد أنسه دين صحيح وحق ، فمثل هذه الموالاة محرمة شرعا ، وأما ما عداها فلا منع عنها " (٢)

وختم السيد كتابه " احكام طعام أهل الكتاب " بالموالاة التامة للانجليز فكتب باللغة العربية يقول : " الآن نختم هذه الرسالة على بيان أمر يليق ببيانه في هذا المقام ، فاعلم أن بعض علمائنا رحمة الله عليه قد منع من تعظيم الكافر من سبقة الاسلام وغيرها ، كما هو عادة أهل ديارنا ، واستدلوا على منعه بما هو مذكور في " التهذيب " أن كل فعل فيه توقيير الذي فهو حرام كالقيام والسلام والمصافحة والمعانقة ، لأن الجزية عليهم للاهانة ، والسلام توقييرهم ، وفيه نظر على وجوه

" الأول : انه لا يوافقها الأدلة الشرعية ، لأن الله تعالى قال : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم " (١) وقال الله تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (٢)

" الثانى : إن الرواية المذكورة فى التهذيب " ليس يلائم حالنا ، ومن سكن ديارنا ، لأن المشركين أو النصارى فى ديارنا ليسوا بأهل ذمتنا ، بل نحن معاشر المسلمين فى رعييتهم ، وفى جوارهم ، وتسكن فى امانهم ، ونعمر فى ديارهم ، وهم احسنوا الينا بوجوه كثيرة ، يحكمون علينا بالعدل على ما يمكنهم ، ثم لا ينعمون اداء الفرائض كالصلاة والصيام ، وهم يحكمون علينا فى القضايا التى تتعلق بالمذهب خاصة كالنكاح والطلاق والميراث وغيره على ما هو مأثور فى شريعتنا ، فكيف لا نؤثرهم على أنفسنا ونختارهم "

" وما روى فى التهذيب عن منح السلام والمعاملة والمجانقة فهو متعلق بأهل الذمة ، كما هو مصرح فيه ، لا بالحكام والسلاطان ، فعلى أن نتفكر فى حالة يكون أهل الاسلام محكومين ، وغيرهم عليهم حاكما ، فما كان طريق معايشة المسلمين فعلى أن نعمل بذلك الطريق ، وتلك الحالة وجدت فى ثلاثة أقران : الأول كان بنو اسرائيل عبيدا لفرعون ، وهو عليهم سلطان قاهر ، والثانى كان المسلمون بمكة قبل الهجرة ، والثالث هاجر المسلمون بأرض الحبشة ، فكان هؤلاء اطاعوا من كان له سلطنة عليهم ما استطاعوا "

" فعلى أن نفعل ذلك اتباعا لهؤلاء ولا نفع فى المهالك " (٣)

هذا وقد تمخضت عن أفكار السيد السابقة ، وغيرها فرقتان بين المسلمين حتى اليوم — ومازال فكره يتسع لظهور فرق جديدة تتبنى انحرافات فى العديد من مناحى الحياة ، أو تنفرد بفكرة معينة ظلت جزءا مهما من فكره العام — تحمل الأولى رسالته فى تفسير الاسلام على النظريات

(١) السجدة ٣٣-٣٥ (٢) الفرقان : ٦٣ .

(٣) مقالات ج ١ / ٣٢٨ - ٣٨١

الغربية والأسس المادية ، ومبدؤها الأساسي انكار السنة جملة وتفصيلا ، وتأويل القرآن تأويلا يطابق هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم ، ويسمون بالقرآنيين ، نظرا لرفضهم السنة ، واكتفائهم بالقرآن لتشكيل الحياة الاسلامية .

والثانية هي القاد يانية وافترى زعيمها على الله بنسخ الجهاد خدمة للاستعمار وساداته الأوربيين واليك الحديث عن الفرقتين بإيجاز .

القرآنيون وصلية فكرهم بالغرب :
=====

قبل الحديث عن منكرى السنة يجدر التنويه أن بحث الماجستير الذي تقدمت به لنيل الدرجة العلمية جاء تحت عنوان " فرقة أهل القرآن بباكستان ، وموقف الاسلام منها " وقد فصلت الحديث هناك عن هذه الفرقة ، وعن الأسس التي تقوم عليها ، وعن امثالهم للتشريعات الاسلامية في ضوء انكار السنة ، مع مناقشة شبهاتهم حول ثانی مصادر التشريع في الاسلام
واما هنا فساكتفى بمرض أبرز جوانب التأثير ونتائج المباشرة ، وما استجد من الأحداث على ساحة هؤلاء .

تقول دائرة المعارف الاسلامية الأردنية " لقد تغلب العقل على النقل في الآونة المعاصرة فأخرج الى حيز الوجود اناسا أنكروا حجية السنة ، فمنهم من نادى بسلب حق التشريع من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من فسر الرسول بالقرآن ، ومنهم من جعل أحكام النبی صلى الله عليه وسلم حينية خاصة " لعصره ولعن خاطبهم " ، ومنهم من أقر بحق التشريع لسه غير أنه رد السنة لأن روايتها غير ثابتة ولهذه الطائفة اعتماد كلي على المستشرقين في ترديد الشبهات الواردة على السنة النبوية " . (١)

ومن المؤكد أن فكرة انكار السنة أو انكار حجتها كلها ليست وليدة الهند ذاتها ، سواء سلمنا أن السيد أحمد خان اختلق الشبهات لنزع الثقة عن ثانی مصادر التشريع في الاسلام بعد عودته من أوروبا ، أو اعتنق القرآنيون الفكرة نتيجة غزو تنصيري ، مركز بيد أن الدراسات تشير الى تعاون العاملين في تعميم هذا الاتجاه الهدام ، فمثلا يرى محمد على قصوري : " إن

الحكومة المستعمرة لها يد في الفرقتين ، القاديانية ، والقرآنية ، وإن المشروع الانجليزى فى تلك الآونة اتخذ نوعا جديدا من المناورات المناوئة للإسلام ، فضمت صفوفه السياسية كثيرا من القساوسة المنصرين ، مما مكها من اصطياذ بعض الشخصيات الاسلامية ، وإيقاعها فى شبكة التحريف ضد الاسلام .

” كما انضم الى هؤلاء بعض من يريد الدنيا ، فحرضتهم السلطات الانجليزية على أن يقدموا بأعمال تبعد الثقة عن النفوس تجاه الحديث الشريف ، ويستغلوا الضمائر المنافقة من المسلمين وكان على رأس هؤلاء جميعا عبدالله جكرالوى ، وقد اختاره المسيحيون لاداء هذه المهمة ، ورفع صوته بانكار السنة كلها ، وأخذ يدعو الى هذا المشروع الهدام ، فأخذت كتب التأييد والرسائل تصل اليه من دعاة المسيحية ، وتعد به المساعدات المالية وتشكره على هذا المجهود الجبار .

” وقد عرفنا كل ذلك من قبل أحد أصدقائنا الصادقين ، الذى كان يقوم بدور الترجمة لهذه الرسائل ، لعدم معرفة عبدالله باللغة الانجليزية . ولو بذلنا قليلا من الجهد لامكننا الحصول عليها ” (١)

ومن هنا نصل الى أن فكرة إنكار السنة أو انكار حجيتها كلها فكرة غريبة ، نقلها دعاة التنصير أو السيد أحمد خان ومن يماثله من الغرب الى الهند ، وتبناها القرآنيون واحدا تلو الآخر ، ويمكنك أن تتصور غموض مكانة السنة فى الاسلام آنذاك — لكثافة الشبهات الغربية التى نسجت حولها — مما كتبه الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام الذى لم ينبج من نتائج ذلك الاعصار الغربى المدمر تجاه السنة التشريعية : ” والطريقة التى يتبعها النبى هى أن يعلم أمته طريقة معينة ويتخذ منها نواة البناء وشريعة عالمية ، وهو فى هذه الحالة يؤكد المبادئ التى تنهض عليها الحياة الاجتماعية للبشر جميعا ، ويطبقها على حالات واقعية ...

” واحكام الشريعة الناتجة عن هذا التطبيق — كالأحكام الخاصة بمعقبات الجرائم — هى أحكام يمكن أن يقال أنها تخص هذه الأمة ، ولما كانت هذه الأحكام ليست مقصودة لذاتها فلا يمكن أن تفرض بحرفيتها على الأجيال المقبلة ، ولعل هذا هو السبب فى أن أبا حنيفة ... لم يكد يعتمد على هذه الأحاديث . (٢)

(١) مجلة الاعتصام اللاهورية الاسبوعية ص ٦٥ — ٦٦ العدد الخاص بحجية السنة فبراير ١٩٥٦م
(٢) تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ١٩٧ .

أبرز الزعماء القرآنيين :

وتتبع الخطوط المتشعبة لهذه الفرقة يوصلنا الى أن فكرة الاعتماد على القرآن دون السنة في الاسلام بدأت تغزو الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر على أثر تعميم الأفكار التي ثبتها حركة السيد أحمد خان ، غير أن مفعولها الأكيد انصب على منجانب بأواسط الهند الموحدة ، فبدأ غلام بنى الشهير بعبد الله جكر الوى (١٨٢٥م - ١٩١٢م) نشاطه الهدام بانكار السنة وانكار حجيتها جمعا ، متخذاً من مسجد " جينيان " بـلاهور مقراً لحركته تلك .

وشارك محب الحق العظيم أبادى عبد الله فى بث الشبهات حول السنة لدى البهاريين فى شرقى الهند ، كما انضم اليهما فى العقد الثانى من القرن العشرين الخواجة أحمد الدين (١٨٦١م - ١٩٣٣م) متخذاً مدينة أمرتسر مقراً لبث أفكاره (١) .

ويمكن القول فى ضوء الدراسة التى قمت بها فى بحث الماجستير أن الخواجة يعتبر أول الخلفاء والوريث البكر لفكر السيد أحمد خان عند هذه الطائفة ، فى ابتكار جسر العبور للأفكار الغربية على أسس السيد المادية ، ومرد ذلك أن الرجل كان نابغة فى علم الاقتصاد والجغرافيا والفلك والرياضيات والتاريخ والمنطق ، فحاول ايجاد التوافق بين نظريات الغرب حول هذه العلوم وبين حقائق الاسلام (٢) .

وخلف الحافظ محمد اسلم الجراجبورى (١٨٨٠م - ١٩٥٥م) الخواجة أحمد الدين فى حمل راية نقد السنة وهدم العلوم التى بنيت عليها كالفقه وعلم الرجال ، وأهم نقطة فى فكر هذا الداعية المنكر الحجة السنة هو صبغ البهادى الاسلامى بالأفكار الاشتراكية ، كتحويل ملكية الأرض من الأفراد الى الدولة ، واختراع منصب " مركز الملة " ليحل محل مجلس التشريع الحاكم عند الاشتراكيين ، ومن هنا فسر كلمة الشهادة المكونة من النفى والاثبات على البهادى الروسى فقال : " إن الملة الروسية جددت العمل الاسلامى الذى وجد فى العهود الاسلامية السابقة بل أجود منه ، إذ أطاحت بالرأسماليين وملاك الأرض ، وأصحاب الامارات الصغيرة ، وهذا معنى (لا) من كلمة " لا اله الا الله " وهى أول لبنة فى الاسلام ،

(١) ولمزيد من المعلومات عن هذه الشخصيات / راجع بحث الماجستير ص ٢٤٣ .

(٢) انظر محمد حسين عرشى قرآن - قرآن تك " من القرآن الى القرآن " ص ١٦ .

وأن عليها هذا هو عين الامثال لبدء الشهادتين " (١)

وتتلمذ غلام أحمد برويز (١٩٠٣م - ١٩٨٥م) (٢) على الحافظ محمد أسلم ، فورث منه مخلفات الخواجة ومختلقات الحافظ ، ويشير داعية الاسلام الشيخ المودودي الى خطورة الفلام فيقول : " ما أن حل القرن الثالث عشر الهجري حتى دبت الحياة في هذه الفتنة ٥٠٠٠ فكانت ولادتها في العراق (٣) ، وترعرت في الهند وإن بدايتها في هذه البلاد تعود الى السيد أحمد خان ، ومولوى " شيخ " جراغ على (٤) ، ثم كان فارسها المقدام عبدالله جكرالوى ، ثم استلم الراية مولوى أحمد الدين الأرتسرى ، ثم تقدم بها مولانا أسلم الجراجهورى وأخيرا تولى رياستها غلام أحمد برويز الذى وصل بها الى ساحل الضلال " . (٥)

نماذج من التغريب :

هذا وقد أحدث الغاء السنة من الدين تطابقا بين فكر الغرب الملحد ، وفكر هؤلاء المنحرفين في أمور كثيرة أهمها :-

أ - حريية التدين " الارتداد " =====

أول ما يمتغيه الغرب من الزم نفسه بنشر التغريب بين المسلمين أن يطالب بالحرية المقدية وأن يكون المسلم مختارا في تغيير عقيدته ، إن شاء استمسك بها ، وإن شاء غيرها الى المسيحية أو الهندوسية ٥٠٠ أو نفي الأديان جميعا ، من غير أن يجد رادعا يحول دون تحقيق

(١) نوادر ص ١١٥ .

(٢) توفي في ٢٤/٢/١٩٨٥م .

(٣) والصواب في مصر ، لأن التاريخ الثقافي العراقي خلو من مثل هذه الأفكار ، أما مصر فنعم فقد كادت أن تها هي الهند أو تسبقها ، وأول الداعيين الى هذه الفكرة علانية فيها هو الطيب محمد توفيق صدقى فكتب عنه مقالات تحت عنوان الاسلام هو القرآن وحده " انظر مقالاته في مجلة المنار المصرية - العدد التاسع والثاني عشر من عامها التاسع ١٩٠٦ ، ١٣٢٤ هـ .

(٤) أحد أعضاء حركة السيد أحمد خان البارزين ، وتعتبر كتاباته حول الجهاد والشرق وتعدد الزوجات أكثر جرأة من كتابات السيد نفسه .

(٥) سنت كي آئينى حيثيت (مكانة السنة التشريعية) ص ١٦ .

تلك النعمة ، وتبرع الخواجة أحمد الدين بهذه المطالبة في تفسيره فقال : " لا وجود لكتاب الهامى فى عالم الانسان أصدر حكمه بقوله " لا اكراه فى الدين " (١) " وما أنت عليهم بجبار " (٢) " لست عليهم بمسيطر " (٣) الا القرآن ، وقد جاءت تعليماته لمحو الالتزام بديانته ما ، فقد قدم الدلائل والبراهين المقنعة لهذا الاتجاه " (٤)

وزيد برويز موقف القرآنيين وضوحا فيقول : " انعم النظر تجد القرآن لم يقل ان هؤلاء هم الذين تضرب أعناقهم ، وأنهم سيمرفون عقوبتهم اذا ارتدوا عن الاسلام " (٥) ، بل حكم القرآن الواضح فى هذه القضية هو أن الاعراض عن الاسلام لا يتأتى الا ممن لا يحسن التدبير ولا يملك البصيرة السليمة " ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ... الآية (٦) وماثلهم فى العقوبة من يسلم ثم يعود الى سابق عهد ... " وقد رأيت أن القرآن لم يفرق فى هذا الباب بين من لم يؤمن أصلا ، ومن آمن بالاسلام ثم رجع عنه ، ولذا أخبر أن السبب فى الاثنين واحد " طبع الله على قلوبهم " (٧) . وقد اتضح لك من الآيات السابقة حكم القرآن الجلى ، وأن اختيار التكريم بالاسلام ليس جرما ، وأن المرء فى حل من أن يبقى مسلما ، أو أن يتحول عن الاسلام الى الكفر ، وذلك تعين أن الارتداد ليس جرما فعلم العقوبة عليه ؟ " (٨)

ويكفينا فى دحض هذا الافتراء ما ورد فى السنة التشريعية الثابتة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من بدل دينه فاقتلوه " (٩) وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث بكفر بعد ايمان ، أو بزنأ ، بعد احصان ، أو يقتل نفسا بغير نفس فيقتل " (١٠)

(١) البقرة آية : ٢٥٦ (٢) ق آية : ٤٥ (٣) الفاشية آية : ٢٢

(٤) تفسير بيان للناس ٣٦٠/٢ (٥) يقصد متهمكا أنه لا عقوبة على الارتداد .

(٦) البقرة آية ٦-٧ (٧) النحل آية : ١٠٨ ، ومحمد آية : ١٦

(٨) دواهم مسائل قتل مرتد غلام اولونديان " مسألان مهمتان قتل المرتد والأرقاء "

ص ٣٥-٣٧ ويرى الراى نفسه كريم بخش سكهانى فى كتابه قرآن كريم أورمروجة

اسلام " القرآن والاسلام المعاصر " ص ٢٠٠ ، والسيد يعقوب شاه فى كتابه قوانين

اسلامى نفاذ كامسئلة قرآن اور سنت ككروشنى مين (تنفيذ القوانين الاسلامية فى ضوء

الكتاب والسنة) ص ١٢٨ .

(٩) الحديث رواه أبو داود فى سننه ج ١٢٦/٤ كتاب الحدود باب الحكم فيمن أرتد .

(١٠) " " " الداربي " ج ١٧١/٢ " ما يحل به دم

المسلم ومثله فى سنن أبى داود ج ٢٦/٤ كتاب الحدود باب فيمن ارتد .

ب : توريث غير المسلم من المسلم :

نظام الارث وقسمة التركات في الاسلام واضح لا لبس فيه ، ويندر وجود الاختلاف بين مسائله الكثيرة المتنوعة ، غير أن المنكرين للسنة تعرضوا لنقد بعض مسائله المجمع عليها ، حتى تواتى الوجهة الغريبة من ذلك :

توريث غير المسلم من المسلم • يقول الخواجة : " اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث ، لأن القرآن اباح نكاح الكتابيات ، فالمسيحية تحت عصمة المسلم تعتبر زوجة ، والزوجة ترث بنص القرآن ، ولو كان اختلاف الدين مانعا من الميراث لما جاز أن تصبح الكتابيات امهات وزوجات للمسلمين " (١)

وعند غرلة هذا الزعم تجده سلاحا ذا حدين ، يخدم حركات التنصير من جهة ، ويقضى على سلاح العلماء الشرعى الذى كثيرا ما سئل في وجه من تسول له نفسه الارتداد عن شرع الله من جهة أخرى ، وأقل ما يقال فى رده أن حل الزواج بالكتابيات لا يستلزم احقيتها في الارث ، والآنطبق عليها سائر أحكام الاسلام ، فتعامل معاملة المسلمات ، ثم إن الذى يثبت هو صحة التوارث بسين الزوجة الكتابية من زوجها المسلم ، وتلك حالة ضيقة محدودة من حالات الميراث ، فكيف يصح أن يستنبط منها قضية " اختلاف الدين لا يمنع من الميراث " سواء كان المخالف كتابيا أو غيره ، زوجة أو غير زوجة ، وعدة المنع قول النبى صلى الله عليه وسلم " لا يرث المسلم الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم " . (٢)

ج — حرية التصرف فى المال عند الوفاة :

شملت نظم الاسلام اقامة التوازن فى حياة الانسان فردا أو جماعة ، طوال مدة بقاءه على هذه الأرض ، من ذلك اشتغالها على تلك الأسس المقسمة لتركه المسلم بعد وفاته ، واعطاؤه حرية

(١) معجزة القرآن در بيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن في بيان توارث المسلمين) ص ١٧ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ج ١١ / ٨ — كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم

الكافر ، ولا الكافر المسلم ، ومسلم فى صحيحه ج ٥ / ٥ — والدارى ج ٢ / ٣٧٠

كتاب الفرائض باب فى ميراث أهل الشرك وأهل الاسلام •

التصرف فى جزء من ماله قبيل الوفاة ، يوصى به لمن يراه أهلاً ممن لا يرث من تركته ، حفظاً للاموال ، وصيانة لحقوق الورثة ، غير أن القرآنيين يرون تبعاً للنظرية الغربية أن الانسان حر فى تصرف ماله حيثما يحلوه ، فله أن يقسم تركته بالوصية إن شاء ، كما له أن يوصى بها كلها لمن شاء ، يقول السيد أحمد خان " الوصية غير مقيدة فى القرآن ، فيجب أن تنفذ كما أوصى بها ، حتى لو استغرقت المال كله ، ولا اعتبار لقول قائل أيا كان " (١)

ويقول الخواجة " والأمر العجيب أن الشخص لو وهب لأحد أبنائه ما يملكه فى حياته صحت هبته ، ولا ذنب عليه ، ولكن وصيته الواهبة كل ماله لأحد لا تنفذ بعد وفاته ؟ " (٢)

ويقول برويز : " يجب على كل مسلم بروج القرآن أن يوصى ان ترك مالا ، وتأتى أهمية هذه الوصية وتأكيد ها من تكرارها مرتين فى آية واحدة ، دون أن يخبر عنها أنها تصح فى كذا لا فيما يعلوه ، ودون أن يمين أنها تجوز لفلان دون فلان ، بل كل شخص مختار فى وصية تركته ... ويجب أن تحتوى على جميع ما يتصل بالتركة ، ولكنه إن صادف أن المتوفى لم تتح له فرصة للإيصاء ، أوبقى مال بعد وصيته ، ففى هاتين الحالتين تقسم التركة حسب ما عهده القرآن " (٣)

وللمسلم المقر بالكتاب والسنة أن يفهم هو لا يقول النبى صلى الله عليه وسلم " ألا إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا يجوز وصية لوارث " (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص حين مرض فى مكة وعاده النبى صلى الله عليه وسلم فيه : " يرحم الله ابن عفرأ قلت يا رسول الله أوصى بمالى كله ، قال : لا : قلت فالشطر ، قال : لا ، قلت الثلث : قال فالثلث والثلث كثير ، إنك أن تدع ورثتك أغنياً خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس " (٥)

د - أحكام القرآن فى التركة مؤقتة :
=====

لحمل الاسلام على النظرية الاشتراكية فى الاموال يرى برويز أنه " عندما يصل نظام القرآن الاقتصادى الى غايته لن تبقى هنالك أملاك فى التركة ، فلذا كانت الأحكام الواردة فى

(١) مقالات ج ١ / ١٢٩ - (٢) معجزة القرآن ص ٧ .

(٣) تبويب القرآن ج ٣ / ١٣٩٠ ، وانظر الحافظ محمد أسلم نكاحات قرآن ص ١٨ وعبدالله

جكر الوى تفسير القرآن بآيات الفرقان ص ٣١٥ .

(٤) الحديث أخرجه الدارمى فى سننه ج ٤١٩ / ٢ كتاب الوصايا باب الوصية للوارث .

(٥) الحديث أخرجه البخارى ج ١٨٦ / ٣ كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياً خير

من أن يتكفوا الناس .

التركة والوصية أحكاما انتقالية لا يسرى حكمها الا في الفترة التي تتصل بها قبل وصول ذلك النظام الى كماله وظايته " (١)

هـ — قواعد الحجب مجففة :

حمل المنكرون للسنة حملة ضارية على قواعد الحجب ، ومنع الميراث عن وارث ما ، لقيام سبب أو أكثر يمنع من الارث ، كوجود من هو أقرب منه الى الميت ، ، ، ، ، وجماع قولهم في ذلك أن قواعد الحجب ومنع الميراث مخالفة لفطرة البشر ، بل إنها تورث القطيعة ، وقد تؤدي الى القتل واهتم هؤلاء بمسألة توريث الحفيد مع وجود عه اهتماما بالغا ، حتى استصدروا من حكومة باكستان تقنيا اعترفت له فيه بأحقية الارث تحت شعار المطف المزيف (٢) ، فأصبح الحفيد منذ ذلك اليوم وارثا نصيب أبيه من تركه جده (٣) مع وجود سبب المنع في نظر الاسلام ، وذلك نقضوا أوثق عرى الميراث تحت شعار الشفقة والرحمة ، وتقديم العقل على النقل تبعاً لمنهج السيد في تفسير الاسلام ، مع أن شرع الله لم يوصد أبواب الارث في وجه هذا اليتيم ، بل إن الوصية الشرعية في الثلث ما دونه هو الحل الأمثل لأمثال هؤلاء ، وفي مثل هذه الظروف .

و — نظام القرآن الاقتصادي " الاشتراكية في الأموال " :

أقحم برونز نظرية " اشتراكية الأموال " الغربية في القرآن ، وأسماها " نظام القرآن الاقتصادي " ويتحدث عنها في الموضع المناسب وغير المناسب ، ويخضع آيات الكتاب حتى تسوغ تلك النظرية " الأساس في وسائل الانتاج هو الأرض والقيام بمهمة ايتاء الزكاة الى الشعب من أوليات فرائض المملكة الاسلامية ، ولا يسع هذه الدولة القيام بهذا الواجب الا بنقل

(١) تهويب القرآن ج ٣ / ١٣٨٦

(٢) وجرى التعديل ١٩٤٩م حيث نص على اعطاء الحفيد حصة أبيه من الأراضي الزراعية ، وفي عام ١٩٥٣م ضمت اليه الحفيدة / انظر تعديل النصين عند الاستاذ تنزيل الرحمن فـ مجموعة قوانين اسلام ج ١٩٨٠ / ٥ ويرى صاحب هذه المجموعة لحل هذه القضية " أن يجبر الورثة على تقسيم التركة على يد المحكمة ، ولها أن تأخذ ثلث التركة وتعطيه لمن لا يرث من الورثة ، على أن الميت (الجد) قد أوصى بذلك ، ما لم يكن الميت قد أوصى في الوصية في حق هؤلاء لتشاخن أو بغضاء أو نحو ذلك " . مجموعة قوانين اسلام ج ١٩٨١ / ٥ .

(٣) انظر الحافظ محمد اسلم محجوب لإارث ص ٣ و ٢٥ وإدارة بلاغ القرآن عاظمي قوانين / (الأحوال الشخصية) ص ١٦ وفلام أحمد برونز قرآني فيصلى (الأحكام القرآنية) ج ١١١ / ٢

هذه الوسيلة الانتاجية من الأيدى الفردية الى الأيدى الجماعية ، فتحول ملكية الأرض الى الدولة وتتصرف فيه بما تراه مناسباً لتغطية متطلبات المحتاجين ٥٠٠٠ ، وفى ظل نظام الاسلام لا يمكن ترك فضول الأموال فى أيدى أصحابها ، ولا نتصور الملكية الفردية ممن يستظل تحت ظل هذا النظام بل تعمم الأرض والأموال والمصانع والتجارة ، وتوضع تحت تصرف الملكية المشتركة حتى تتمكن الدولة من تلبية حاجيات الشعب " (١)

ز — نزع التأييد من أحكام الاسلام :

وأخر نزع غرسها هؤلاء المنكرون أن هياؤا أفرادا بين الصف الاسلامى مهمتهم نزع التأييد عن التشريعات الاسلامية الثابتة ، ودفعها الى عجلة التغيير والتحويل ، كتشريعات القانون ، يقرها مجلس وينسخها آخر تلبية لرغبات الشعب .

وهز هذا الجانب عند القرآنيين المحدثين فى صور أهمها :

١ — فى الطلاق :

حيث يرى عمر أحمد العثمانى انه " لا يستثنى من قوله عز وجل " ومولتهن أحق بردهن ٥٠٠ " (٢) الا المستطلقات " المخالعات " فلا يصح منهن العودة الى أزواجهن السابقين حتى ينكحن زوجا آخر ، واما من عداهن من المطلقات الرجعيات والبائنات والمبتوتات والمغلطات فيصح لأزواجهن أن يرجعوهن دون أن ينكحن زوجا آخر ، شريطة أن يتوقع من رجوعهن الاصلاح فى المجتمع الاسلامى النزيه " (٣)

٢ — فى الرجم :

وأقرب النتائج مثلا لهذا الاتجاه هو ما حكمت به المحكمة الاسلامية الكبرى أخيرا بتاريخ ١٩٨١/٣/٣١م تجاه عقوبة الرجم الاسلامية ، فقد فسرها أغلب قضاة المحكمة بأنها عقوبة تعزيرية ، لا صلة لها بالحد (٤) ولا زالت هذه الحرية التفسيرية للتشريعات الاسلامية مستساغة

(١) قرآنى قوانين ص ١٥٩ . (٢) البقرة آية : ٢٢٨ . (٣) فقه القرآن ج ٢/٢٧٣ .

(٤) انظر المحكمة الشرعية الكبرى بباكستان ، رجم ص ١١٤ .

لدى أغلب القضاة في المحاكم حتى اليوم .

٣ — في قطع السارق :

.....

وأخر حد اسلامي تعرض للتحويل وعدم الثبات هو حد قطع السارق ، وأوله المستغربون بأن ما ذكره القرآن هو أقصى عقوبة لتلك الجريمة ، وأن المجتمع المسلم في حل من وضع عقوبة لهذه الجريمة . (١)

٤ — ومنهم من يرى وجوب فصل التشريعات الدينية عن التشريعات القانونية ، ويجد اعادة النظر في النكاح المدني " نكاح المحاكم دون شهود أو أولياء " وفي طلاق المحاكم ، ودمج الزكاة في ضريبة الدخل ، وحل التأمين بكل صوره ، والموافقة على جميع قوانين الشركات الأوروبية لأن العصر قد اختلف وأثبت أشياء لا وجود لها في الاسلام ، فيتمتعين مراعاة ذلك . (٢)

ويؤكدك تصور غموض الاسلام ومبادئه الخالدة عند هؤلاء^{آنذاك} ما كتبه الشاعر محمد اقبال " والرأى عندي هو أن ما ينادى به الجيل الحاضر من احرار الفكر في الاسلام من تفسير أصول البادية التشريعية تفسيراً جديداً على ضوء تجاربهم ، وعلى هدى ما تغلب على حياة العصر من أحوال متغيرة هو رأى له ما يسوقه كل التسويغ " (٣) وتراجع محمد اقبال عن هذا الرأى ، ودافع عن رأيه دفاعاً متحمساً ، ودواوينه المقيدة التي نظرها بعد هذا الرأى تشهد بذلك .

(١) انظر مجلة صدق جديد ج ١٩ / ٨ — عدد ٢٢ أغسطس ١٩٦٩ م .

(٢) انظر آصف على فيضى هندوستان مين مذهب اسلام برنظر ثانی کی ضرورت " حاجیة الهند الى اعادة النظر في الاسلام " ص ٢٧ — ٢٨ ،

(٣) تجديد التفكير الديني ص ١٩٣ ويرى الرأى ذاته صاحب هندوستان مين مذهب ...

فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام :

كثيرا ما يتحدث الناس عن القاديانية ، وعن زعيمها المتنبئ وعن مناهضتها لعقيدة ختم النبوة ، ونسخ الجهاد ، . . . لخدمة الاستعمار ، وكثيرا ما جرت المناقشات في هذه الموضوعات على الساحات العامة والخاصة ، ولكن قلما نجد تحليلا ، أو ربط مسبب بسبب — يوضح تلك الخطوط التي خنقت الاستعمار ، وضيق عليه سبل الاستغلال . . . حتى اضطر الى ايجاد نبوة تساند غلبته وسيطرته ، وتهدي غضب أهل الهند على السادة البيض .

لوعدنا الى الوراء قليلا ، وحاولنا تتبع الأحداث والمواقيل التي وضعت في طريق الانجليز لمنعهم من الاستيلاء على الهند ، نجد اغلبها جاثمت للقاعدت الاسلاميًّا المعلنية في النفي العام — الجهاد ومقاتلة الكفار — فيها لاجماع لأنه من اغاثة الملهوف والمظلوم " (١) لذا يقول القرطبي :

" اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر ، فاذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا ، شبابا وشيوخا . . . ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكتر ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة . . . وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم . . . ولا خلاف في هذا " (٢)

فلم تكن حرب بلاس وكمر وحروب حيدر علي وابنه تيمور سلطان وحركة السيد أحمد الشهيد الجهادية وانتفاضة ١٨٥٧م الاحلقات من تلك السلسلة الحاضرة ، التي أقامها المسلمون لمنع تحويل الهند من دار الاسلام الى دار الحرب .

وما القضاء على الانتفاضة الهندية خيل الى الانجليز أن الهند وقعت فريسة في شباكهم ، لن تملك حولا ولا قوة لطردهم أبدا ، غير أنهم سرعان ما شاهدوا نهوض حركة الجهاد من جديد تقلق مضاجعهم ، وتهدد مستقبلهم في تلك البلاد ، ومن غير المستبعد أن تقوى الحركة بانضمام المجاهدين الفارين من المحاكمة أو من رغبوا في معاودة الجهاد عقب الهزيمة ، وذلك هو

سر كثرة القوة المجاهدة التي اعترف الانجليز بنشاطها وحيويتها في هذه الفترة ، ووصفوها بأنها أقوى وأصلب عودا من عهد مؤسس الحركة . (١)

والكشف عن خطوط التموين ، ومراكز التدريب الجهادية في المناطق الخاضعة للانجليز عام ١٨٦٩م اختفت الحركة في العلن ودخلت في دور السرية والاختفاء بعد أن حوكم كل من حامت حوله شبهة الجهاد أو اعانة المجاهدين ٠٠٠ ، واجتهد الانجليز أثر ذلك في جمع فتاوى العلماء ، ونشرها بين المسلمين خوفا من حركة جهادية أخرى ، وكتابات العلماء والفتاوى التي وجهوها الى الأمة في هذه الفترة أغلبها يمنع الجهاد ، ويوعز الى المسلمين بالخضوع والاستكانة ٠٠٠ ، ومرد ذلك قوة اليد الحديدية الخائقة والمشانق المتدلية من الأشجار على مفترق الطرق .

وان عدت الى الفتاوى وجدت أن محورها يدور حول وضع الهند السياسى ، وهل هى دار حرب يجب حمل السلاح على كل مستطيع لاستردادها ؟ أو أنها ما تزال دار اسلام لبقاء بعض الأحكام الاسلامية منفذة فيها على أيدي الحكام الجدد .

ونكاد نعدم فتوى تمنع الجهاد قبل الانتفاضة ، بل كانت فتوى الشاه عبد العزيز — التي صرحت ان الأجزاء المحتلة من الهند دار حرب — هى الأساس الذى يفتى فى ضوءه كل مفت وعالم (٢) ولكن الوضع اختلف بعد المحاکمتين (١٨٥٧م — ١٨٦٩م) واستشهاد أغلب العلماء البارزين على أرض المعركة أو على حبل المشنقة ، ولم يحدث تغيير فى الفتوى الا بعد القضاء على مخيم المجاهدين ، وعلى أثره أصبح المنع عن الجهاد هو الشغل الشاغل للمفتين والعلماء يستوى فيه من اعتبر الهند دار حرب ، ومن لم يعتبرها كذلك ، ولم يشذ عنهم الا من حمل السلاح فى يده ، وجالد الانجليز سيفه وسانه .

تقول فتوى الحجاز المكية شبه الاجماعية فى الاجابة على الاستفتاء الهندى ما نصه :
” ما قول علماء الاسلام فى الهند التي حكامها مسيحيون ، لا يتدخلون فى آراء الفرائض الدينية كالصلوات اليومية والعيدى ٠٠٠ ، غير أنهم يبيحون لأنفسهم ترك بعض أحكام الاسلام ،

(١) انظر همارى هند وستانى مسلمان ص ٤٥ و ٤٩ .

(٢) انظر باقى هند وستان ص ٢٥٨ .

كثوريث المرتد المنتصر ٥٠٠٠ ، أهى دار اسلام أم لا ؟

" وأجاب على الاستفتاء مفتى الحنفية الشيخ جمال بن عبدالله قائلا : ما دام بعض أحكام الاسلام سارى المفعول فالهند دار اسلام . ونصت اجابة مفتى الشافعية أحمد بن زيني ولهم على أن جريان بعض الخصائص الاسلامية كقيل باعتبار الهند دار اسلام . وأجاب مفتى المالكية الشيخ حسن بن ابراهيم بقوله : لقد ذكر فى شرح الدسوقي أن دار الاسلام لا تتحول الى دار الحرب بمجرد غلبة الكفار عليها ، بل تصبح كذلك اذا توقف العمل بجميع أحكام الاسلام " (١)

وقدم الاستفتاء الى علماء مدينة لكهنؤ فى الصورة السابقة بعد اضافة الجمل التالية : ان المسلمين لا يملكون القوة الكافية من العتاد والسلاح لمقاومة الحكام المسيحيين ، وان قُهرت هؤلاء فالهزيمة متيقنة فى الكفة الاسلامية ، وفى ذلك ذهاب عز الاسلام ، فأجاب على الاستفتاء كل من المفتى محمد على ، وعبدالحى ، وفيض الله ، ومحمد نعيم ، ورحمة الله ، وقطب الدين ، وأسعد الله اللكهنؤيين ، والمفتى لطف الله ، وفلام على الرامبوريين قائلين : " فى هذا الموضع فى الهند — يتمتع المسلمون بالامان ، ولا يجب الجهاد فى موضع يأمن فيه المسلمون ، بل يلزم للقتال فقد الامان وسلب الحرية ، ولا وجود لمثل ذلك فى الهند ، أضف الى ذلك ان من لزوم الجهاد أن يغلب على الظن غلبة الاسلام ، ورفع لوائه ، وان لم يكن الوضع كذلك فلا جهاد ولا قتال " (٢)

وأوصى أعضاء مجمع علماء مدينة كلكتة وأعضاء الهيئة التدريسية بالكلية المحمدية الكلكتية فى مؤتمريهم فى تلك المدينة بأن الهند ما تزال دار اسلام ، وأن الجهاد حرام على أرضها ، ولا يصح القيام به ، لأن الشريعة لا تسمح بالقتال فى دار الاسلام ، وهذا الأمر أوضح من أن يستدل عليه ، فلو عزم ضال ، أو فاقد وعى على الجهاد ضد حكام الهند الانجليز عبرت حربه حرب بهفى وفساد ، وثورة ضد حكومة شرعية ، لا يميزها الفقه الاسلامى ، ولو افترضنا وجود مثل هذه الحرب فإن المطلوب شرعا من المسلمين هو تأييد حكاهم للقضاء على البغاة " (٣)

(١) انظر همار هندوستانى مسلمان ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٢) همار هندوستانى ص ٣١٤ وقد أرخت الامضاءات بـ ١٢٨٦/٤/١٧ — ١٢٨٧/٧/١٧ م
(٣) " ص ٣١١ و ٣١٢ — وطبعوا توصياتهم فى كتيب أسماه جلسات مؤتمر المجمع

المسلم المنعقد فى ١١/٢٣/١٨٧٠ م ويملك رؤية ملخصها عند السيد نواب صديق حسن خان فى " ترجمان وهابية " ص ٩٥ .

ويلخص هنتر كتيب الشيعة الذى شمل أفكارهم حول الجهاد فى هذه الفترة فيقول :-
ركز الكتيب على الايمان بالائمة الاثنى عشر . . . وخلص الى القول ان الثورة أو الحرب أو أى
جهاد بشري ، يعتبر غير ذى جدوى فى الآونة الحالية ، وإن الدعوة الى الجهاد أو القيام به
دون وجود الامام معصية لله عز وجل ، وإن كل من لم يوافق أصحاب الكتيب على رأيهم فهو
مبتدع ومحدث فى دين الله عز وجل " . (١)

ويروى الشيخ نواب صديق حسن خان المحدث جواب الشيخ محمد حسين بتالوى أحد أبرز
علماء أهل الحديث - السلفيون - فى الموضوع فيقول : " فى عام ١٨٧٥م أجاب الشيخ
محمد حسين بتالوى على سؤال فحواه هل يصح رفع السلاح بموجب الشرع فى وجه الانجليز أو لا ؟
فأجاب بأن الجهاد ورفع السلاح فى وجه الدولة التى رفعت شعار حرية التدين لا يجوز شرعاً . . .
وأن من فعل ذلك فهو باغ يجب عقابه . . . ثم أرسل الشيخ فتواه الى أطراف الهند فوافقها
العلماء على ذلك منوهين أن الجهاد مخالف للسنة والايمان . . . وأن الموحدين لا يصح منهم
رفع السلاح فى وجه الدولة ، ومن أتى شيئاً من ذلك خالف المعتقدات الايمانية " (٢)

ويسم السيد نواب صديق حسن خان الحركة الجهادية والمتمثلين بفرضية الجهاد "بأنهم لا
يفهمون من الاسلام الا قشوره . . . وأن ما ادعوه من الجهاد لم يكن يعدو الفتنة قط ، ولن
يؤيدهم فى ذلك ذو عقل سليم أو بصيرة نافذة . . . وإن العلماء مختلفون فى شأن الهند
أهى دار حرب أم دار اسلام ؟ فأغلبية الأحناف تحكم باسلامها ، فإن كانت الهند كذلك فما
الجهاد . . . بل عقد النية عليه فى مثل هذه الحالة أن هو الا كبرى من الكبائر ، والذين
نسبوا الهند الى دار الحرب كأهل دهلئ فهو لا يجيزون الحرب أيضاً ما لم يسلب الأمان ،
ويهاجر المجاهد الى خارج الهند .

" والحاصل أن البقاء فى دار الحرب وإقامة الجهاد على الحكام فيها لا يجوز عند المسلمين
سلفاً وخلفاً " (٣) .

(١) همارى هندوستانى ١٧٢ و ١٧٧ .

(٢) ترجمان وهابية ص ١٢٠ ومؤلف البنالوى الاقتصاد فى مسائل الجهاد " الذى أله
عام ١٢٩٢ هـ فيه المنع عن الجهاد ونسخ أحكامه انظر المجاهد محمد جعفر تهنائى
" حيات سيد أحمد شهيد " ص ٢٥ .

(٣) ترجمان وهابية ٢٨ - ٢٩ وقد أفرد السيد مؤلفه " مؤائد الموائد لمنع الجهاد
وتحريم رفع السلاح فى وجه الانجليز / انظر ترجمان وهابية ص ٩٦ .

ولو تتبعنا كتابات العلماء في هذه الحقبة نجدها تتسم بالاستسلام والاعتذار والفكاك من تهمة الجهاد قولاً وعلاً ، سواء كانوا أفراداً مستقلين ، أو زعماء جماعات اسلامية ، ولعل قوله السيد نواب صديق حسن خان " وانه لا يوجد من أهل الحديث من أقام الحرب على الدولة في هذه البلاد " (١) و " إن المسلمين الهنود لا يكون أى عداً للحكام الانجليز ، سواء اتهمهم الأعداء بالوهابية أو لا ؟ " (٢) خير عرض لذلك الواقع .

ويعلق هنتر على هذه الفتاوى ، وما تحدثها من آثار سلبية في الأمة ، مقدراً مكانة العلماء فيمن يقود ونهم فيقول : " ومن حسن الحظ أن الفتاوى التي أفتى بها المفتون أنت لصالح المحافظة على الأمن ، وتوطيد أركانه ، واطاعة الدولة والايفاء بمجهودها ٥٠٠٠ ، فلوات لصالح الثورة لكنا مهددين باخطار حالكة مهلكة ٥٠٠٠ ، وإنها ذات الفتاوى التي أحدثت الثورة ضد الملك أكبر المنزلى ووزلزلت كرسية ، فلم يثر جنود البنغال الا على أساس الفتوى ٥٠٠٠ ، وما أجمل هذه اللحظات حيث نرى ان المنطقة التي أفتت بالثورة على أكبر انجبت هي ذاتها عالماً أفتى بتحريم الثورة ، وايدنا كل التأييد " (٣)

وإن عدت الى النصوص الفقهية التي بحثت موضوع دار الحرب ودار الاسلام تجد الهند في ضوءها دار حرب لا محالة ، لأن الدار تنسب الى الاسلام أو الكفر بغلبة الأحكام ، فالدار التي يغلب عليها حكم الاسلام تكون دار اسلام ، والدار التي يغلب عليها حكم الكفر تكون دار كفر (٤) ومن هنا كانت الهند دار اسلام في نظر العلماء حين احتل الكفار المراهنة اجزاء من الهند قبل الانجليز في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، لأن أحكام الاسلام ظلت على منصة الحكم ولم يختلف وضع القضاة والمفتين عن العهد السابق ، بل الكفار أنفسهم حكموا بالشرع ، وعاقبوا بمقاماته . (٥)

غير أن تغلب المسيحيين كان مختلفاً عن العهود السابقة ، ففي عهدهم أضحت الفلبسة

(١) ترجمان وهابية ص ٤٠ .

(٢) " " ص ٧ .

(٣) همارت هند وستاني ص ١٧٢ .

(٤) انظر السرخسى شمس الأئمة المبسوط ج ١٠/١١٤ والقاضى أباً يعلى الحنبلى

المعتمد في أصول الدين ص ٢٧٦ .

من نصيب غير الاسلام ، وقد أدرك هنتر هذه الحقيقة دون جمهور العلماء فنص على : " أن الشروط التي وضعها أبو حنيفة ، ومن جاء بعده من السلف في تحويل البلد من دار الاسلام الى دار الكفر تنطبق على الهند ، وإنها في ضوء تلك المصادر الفقهية القديمة هي دار حرب لا دار اسلام ، بينما كتيب علماء كلكتة يصرح بعدم انطباق تلك الشروط رغم استيلاء الكفار وذهاب دولة الاسلام ، ومغلوية أحكامه " . (١)

غلام أحمد القادياني ودعاواه :
=====

تلك هي الخلفية التاريخية والاجتماعية للأمة الاسلامية ، التي ظهر فيها أمثال غلام أحمد بن غلام مرتضى (١٨٣٥م - ١٩٠٨م) زعيم القاديانية ، ولو تتبعنا حياة الغلام وتطور مراحلها المختلفة نجدها تتسلسل كالتالي :-

١ - ظهر الغلام على شاشة المجتمع المسلم عام ١٨٨٠م ، كداع يبلغ دعوة الاسلام ، ويقف سدا منيعا أمام كل الضربات التي تهدف الى النيل من دينه ، وتمتد هذه الفترة الى نهاية سبتمبر عام ١٨٨٨م ، وإن كنت لا تعدم فيها للغلام أقوالا وادعاءات يصعب على المسلم تجاوزها دون نقاش كادعائه في مارس ١٨٨٢م بأنه ملهم ومأمور من الله عز وجل .

٢ - وفي ديسمبر عام ١٨٨٨م أعاد الادعاءين - ملهم ومأمور من الله - وبدأ بأخذ البعثة من اتبعه ، وفي أواخر عام ١٨٩٠م زعم - بناء على الهام - أن عيسى بن مريم لم يمت على الصليب ، كما أنه لم يرفع الى السماء بل أنزله الحواريون من الصليب مجروحا ثم شفى وهاجر الى كشمير ، ومات بها مائة طبيعية ، وفي أوائل عام ١٨٩١م ادعى أنه المسيح الموعود ، والمهدى المنتظر " ظلت في غفلة منذ اثني عشر عاما عن ان الله جعلني في " البراهين " (٢) المسيح الموعود ، غير أنني تشبثت بحقيقة عودة المسيح الرسمية (الاسلامية)

(١) همارج هندوستانی ص ١٨٦ .

(٢) أول مؤلف للغلام يتكون من أربعة أجزاء بدأ بتصنيفه عام ١٨٨٠م .

ومعد مضي المدة السابقة كشفت لى تلك الحقيقة ، وأخذت الالهامات تتواتر فى أنى المسيح الموعود " وفسر عقيدة عودة المسيح بأنه يعنى أن شخصا كميى بن مريم فى الصفات والاخلاق الحميدة سيولد فى هذه الامة ، وان ذلك المهدي قد انجز بوجود غلام أحمد ، فإنه كميى والمسيح الموعود .

٣ — وفى عام ١٩٠٠م أخذ خواص اتباعه يدعونه بالنبي ، ويمثلون لأقواله كإمتثال المسلمين للقرآن والسنة ، وفى ٧ أغسطس من السنة نفسها صرح الخطيب عبد الكريم فى خطبة الجمعة التى استمع اليها الغلام بقوله " ما لم تجعلوا المسيح الموعود حكما بينكم ، ولم تؤمنوا به كإيمان الصحابة بمحمد صلى الله عليه وسلم تصبحون كغير " الأحمديين " (١) الذين يفرقون بين رسل الله " ووثق الغلام ذلك المفهوم فقال : " ذلك ما أدين الله به " ومعد بضعة أشهر أعلن الغلام نبوته وزعم أنه مرسل من الله ، ولم يعد يقيد الفاظه ، ولا يؤول فى معناها كما كان يفعل فى السابق كتقيد النبوة والرسالة بالناقص والجزئى . (٢)

٤ — وفى عام ١٩٠٤م ادعى الغلام فى محاضرة عامة بمدينة " سيالكوت " انه " كرشن " الهند والهنود عباد البقر من ويلات الاستعمار وتقلبات العالم وزعم أنه الهم " ولقد كتبنا مجدك فى " كيتا " (٣) انك " كرشن " الذى يدفع السيئات ويجلب الخيرات " (٤)

الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام :

تلك هى التقلبات والدعاوى الغلامية البارزة ، والمودة الى مراجعتها وانعام النظر فى مراميها نجد أن صاحبها تقنع بها لخدمة هدف معين ، وهو تحويل القلوب الهندية من

(١) نسبة الى غلام أحمد القاديانى .

(٢) انظر تطورات هذه الأحداث بمصادرها الوافية المعتمدة فى مؤلف نشرته الحكومة

الباكستانية باسم " ريبورت " تحقيقا تى عدالت فسادات پنجاب عام ١٩٥٣م "تقرير

المحكمة عن اضطرابات البنجاب ١٩٥٣م" ص ٨ - ٩ ، وسجلة ريو يواف ريلجنز القاديانية

ص ٣٤٦ و ٣٤٨ — عدد سبتمبر ١٩٠٢م ، والمودودى قاديانى مسئلة ص ٩١ - ٩٥ .

(٣) كتاب الهندوس المقدس .

(٤) راجع الالهام بأكمله فى ريو يواف ريلجنز ص ٤٠٥ عدد نوفمبر ١٩٠٤م .

التشاحن والبغضاء تجاه الانجليز الى الوثام والحب ، وصرفها من حمل السلاح والجهاد الى
المعيشة بالمحكومة والاستسلام .

وحدد الغلام بداية هذه الخدمة في عام ١٩٠٢م فقال : " منذ عشرين عاما (أى منذ عام
١٨٨٢م) تجدنى مشغولا فى تأليف الكتب ونشرها بالفارسية والعربية والأردية والانجليزية -
ذكرت فيها المرة تلو المرة أن فريضة الاسلام على المسلمين التى يأثم تاركها عند الله أن يكونوا
أوفياء لهذه الدولة ، ويضخوا من أجلها خير تضحية ، وأن يسلاوا من سويداء قلوبهم عقيدة
المهدى السفك ، وما يشبهها من المعتقدات غير الملائمة ، التى لا يستطيع أحد اثباتها من
القرآن " (١)

وكثيرا ما ربط القاديانى وأتباعه دعوى المهدية . . . بانكار الجهاد ، فها هو يقول :
" وانى مؤمن أنه كلما ازداد اتباعى سينقص اتباع من يعتقد بالجهاد ، لأن الايمان بمهديتى
ومسيحيتى انكار للقتال والجهاد " (٢) ويقول اتباعه " وليس من الصحة بمكان أن أصحاب هذه
الفرقة (القاديانيين) اناس مختلفين ويتساوى مع المسلمين البله بل من يتوهم ذلك فهو مخطئ "
دون ريب . . . ومن المسائل مسألة الجهاد التى ما زال المسلمون يعتقدون بها ، وأنهم
يؤمنون بمجئ المهدى السفك الذى سيقا تل جميع الفرق . . . ، غير أن امانا يعلمنا
ان الجهاد والقتال حرام . . . ، ومن شروط البيعة عنده أن البايع يجب عليه أن يقبح تلك
الأمور ويعداها من كبائر الذنوب والآثام " . (٣)

وتتبع الاحداث يظهر أن الغلام أراد من كل تلك الدعاوى الجمع بين أمرين ، وضرب عصفورين
بحجر واحد ، تثبيت الهمم وأغامد السيوف المجاهدة فى منطقة سرحد ، وتهيئة القلوب الأفغانية
للتقبل الاحتلال البريطانى لأرضها ، ولذا نجد أن دعاة القاديانى النشيطين لم يكلفوا بتبليغ الدعوة
الا فى المناطق المشتعلة ، أو التى تجاور الهند المحتلة من الشمال ، ولم يستغ شعبيها الخضوع
والاستسلام ، فما اعدام عبداللطيف صاحب زاده ، وملا عبد الحليم جهار آسيانى ، وملا نور على
القاديانيين فى أفغانستان الا حلقة من تلك السلسلة الطويلة .

يقول المزرا بشير الدين محمود أحمد بن غلام أحمد الخليفة الثانى للزعامة القاديانية عن قتل

(١) غلام أحمد ترياق القلوب ص ٣٠٧ . (٢) غلام أحمد تبليغ رسالت ج ١٧ / ٧ .

صاحب زاده ما نصه " صدقة وجد كتاب في احدى المكتبات ٠٠٠ صنفه مهندس ايطالى ، شغل منصبا حساسا في حكومة أفغانستان ، وقد سجل بينانه أن استشهاد صاحب زاده جاء نتيجة تعليمه العلنى ضد الجهاد ، وقد خشيت أفغانستان أن شعبها بهذه التعاليم سيفقد شعور الحرية فيتغلب عليهم الانجليز ، وإن هذا الاستشهاد بهذه الرواية يوصلنا الى أن الشهيد لو مكث ساكنا ، ولم ينطق بكلمة تنسئ الى الجهاد لما شمرت حكومة الأفغان بضرورة الخلاص منه " (١)

وظل الغلام طوال حياته وفي جميع مراحلها المتنوعة مشغولا ينسخ الجهاد السرحدى ، ففي حفلة تتويج ايدورد قيصر أشار الى " أن مؤلفاته لم تعط التأثير المطلوب في المسلمين فلم تبرز النتائج المرجوة ، وأن سرحد لم تزل مشتعلة ، وفي تضحية علمائنا وجهودهم المتوالية تكمن النتائج المظلمة ٠٠٠ ، ففي مقدورهم أن يثبتوا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة أن رفع السيف في وجه الدولة حرام لا يصح العمل به " (٢)

لذا تمنى مسئول مدينة بشاور الانجليزى نشر التعاليم القاديانية في منطقة الحدود ، وخطب الغلام بقوله " عندما أعيد النظر في تعاليم الاسلام ، أرى أن ما يشرح به الخواجة (الغلام) تلك التعاليم هو عين ما يهدف اليه الاسلام ٠٠٠ ، وإنى سأفصح أكثر حين أرى كتيك وفتوك عن عدم الحاجة الى الجهاد ينتشران في منطقة الحدود الشمالية " (٣)

وقبيل الوفاة بسنة نرى القاديانى ينشر ملصقات حائطية تتنوع في عباراتها وتتحد في مفاهيمها من كون الجهاد قد نسخ ، وأن أهل سرحد لا يؤمنون الا بالمهدى السفاك ، رغم ما بذلنا من المساعى والجهود . (٤)

والذى أرى أن محور ادعاءات القاديانى المختلفة لم تعد نسخ الجهاد ، وثر روح الخضوع

(١) جريدة الفضل القاديانية ، خطبة الجمعة لمحمود عدد ٦ أغسطس ١٩٣٥م ، والمقارنة

بين تاريخ الاعداء وتبؤ القاديانى بمقتل حواربيه يظهر أن الخبر وصله قبل غيره ، فألقى

محاضرة عامة وتبأ فيها بذلك النبأ / انظر ريويوآف ريلجنز ص ٣٢٤ عدد سبتمبر ١٩٠٤

(٢) ريويوآف ريلجنز ص ٢٠ عدد يناير ١٩٠٣ .

(٣) " " " " ص ٩٨ عدد مارس ١٩٠٤ .

(٤) " " " " ص ٢٣٨ " يونيو ١٩٠٧ .

بين الصف المسلم ، فلو اطمأن الغلام الى وجود تلك الروح فى الفترة التى كان يتقنع فيها بالدفاع عن الاسلام لما اعتبها دعوى المسيح والمهدى المنتظر ، وإن الأخيرتين لوحقتا ما أوقف الغلام حياته من أجله لما تجرأ على فض ختم النبوة ، ولما ادعى الرسالة الالهية ، وإن انحرافات الرجل سواء كانت عقدية أو تشريعية كلها تسلسلت فى الظهور كنتيجة انتقال من دعوى الى أخرى واحتكاك مستمر بينه وبين المخالفين له فى خدمة الاستعمار واطفاء شعلة الجهاد .

فحين خيب القول والتبليغ والكلمة المكتومة الغلام فى اخماد جذوة الجهاد استغل الرجل عقيدة المهدى المنتظر الاسلامية ، وحاول من خلالها اضافة الشرعية على ذلك الزعم ، ولما أيس من تحقيق مطمحه من تلك العقيدة ارتقى سلم النبوة والرسالة ، فالغلام لم يحدد لحياته هدفا سوى ما ذكرت ، وما عدا ذلك جاء تبعا وناقلة لاساسا ومتبوعا ، بصرف النظر عما أن التابع كان أهم وأخطر ، ومغض النظر عن أن الذين انضموا الى نحلته أو الذين تولوا الزعامة بعده جعلوا التابع هو الأصل ، والمتبوع وهدف حياة الغلام هو الفرع ، فالمتسلكان هذا وذاك فى صورتيهما السابقة واللاحقة يخدمان افساد الدين ، طالما لا يؤمن اتباعهما بحقائق القرآن وما آمنت به امة الاسلام .

موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام :

وان حاولت تتبع موقف القاديانية فى مساعى استقلال الهند بعد موت الغلام تجده موقفا سلبيا ، فقد ظلت قيادة القاديانيين تتبع خطى غلامها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، فحين كانت حركة الرسائل الحزبية فى أوجها غضب الخليفة بشير الدين محمىود على اتباعه الذين لأن جانبهم لتبنى نظرية استقلال الهند الاسلامية ، كالخواجه كمال الدين القاديانى وأمثاله ولم يسترح ضميره حتى كتب حلقات متتابعة فى صحيفة " الفضل " تردع الخواجة وأمثاله ولم يصف الجوالا بعد تدخل حاكم الهند شخصا ، وعقد مصالحة بين الطرفين . (١)

الغلام وادعاء النبوة :

ودعوى نسخ الجهاد هذه جرت الغلام الى ادعاءات أخرجه وأخرجت اتباعه من دائرة

الاسلام باتفاق المسلمين من ذلك :

١ - ادعاء النبوة والرسالة الالهية ، وهو أعظم دعاويه على الاطلاق ، يقول الغلام قبل وفاته بثلاثة أشهر ما نصه " وإنى أدعى أنى رسول ونبى " (١) ويعلن فى الخطاب الذى أرسله قبيل وفاته بثلاثة أيام الى صحيفة " أخبار عام " اللاهوتية ، ونشرته الصحيفة يوم وفاته فى ٢٦ مايو ١٩٠٨م بأننى نبي بالحكم الالهى ، وإن ابين ذلك اثبت فكيف يصح منى انكار التسمية الالهية لى بالنبي ، وإنى سأغل عليها حتى أرحل عن هذه الدار العاجلة " (٢)

تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " :

وفسر الغلام كلمة " خاتم النبيين " الواردة فى قوله تعالى " ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٣) بقوله " الختم المحمدى هو المعيار الصحيح لنبوة البشر وإن الورقة اذا ختمت أصبحت وثيقة وسندا ، ولن تكون أى نبوة حققة حتى تصدق بالختم المحمدى " (٤)

وفسر اتباع الغلام " خاتم النبيين " فقالوا : " الخاتم هو الختم ، فالنبي محمد اذن هو الختم فكيف يكون ختماً إن لم يكن فى امته نبوة من نوع ما ؟ وعلى أى شئ يوضع ذلك الختم إن لم يكن فى الأمة نبى ؟ " (٥) " وأنا لا ننكر كون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ولكن معنى الختم يختلف عندنا عن معنى الختم عند سواد أمة " احسان " (٦) وان تفسيرهم له ينافى عظمة الرسالة المحمدية ويحرم امة محمد من نعمة النبوة ، بل معناه ان محمداً ختم للأنبيا وسيكون النبي الآن وما بعد الآن هو الذى يصادق على نبوته محمد صلى الله عليه وسلم وأنا نفهمه خاتم النبيين بهذا المفهوم " (٧)

(١) صحيفة بدر القاديانية عدد ٥ مارس ١٩٩٨م .

(٢) ريبوبوات ريلجنز ص ١١٠ العدد الثالث المجلد الرابع عشر .

(٣) الأحزاب آية : ٤٠ . (٤) قاديانى مسئلة ص ١٢ .

(٥) صحيفة الفضل ص ٣ عدد ٢٢ مايو ١٩٢٢م .

(٦) مجلة اسلامية جعلت صفحاتها وقفاً لمن يرد على القاديانى واتباعه .

(٧) الفضل ص ٢ عدد ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩م .

ويقول التقرير السرى الذى صدر من القاديان عام ١٩٣٢م بعنوان " أحمد رجل الساعة ونبي آخر الزمان " انتهزنا تلك الفرصة لنحمل الى العالم البشارات السعيدة ، بأن ننبئ هذه الأيام المباركة تنبأ بمجيئه الأنبياء العظماء ، وكان ظهوره فى تمام الوقت المناسب فى شخصية حضرة مرز اغلام أحمد القاديانى (١)

اذن باب النبوة مفتوح عند السيد أحمد خان وعند القاديانية ، يلجج من يجد من نفسه قدرة على ذلك ، لذا ادعى جراح دين ابا ن حياة المتنبئ عام ١٩٠٢م الرسالة ، وزعم أنه رسول الى أهل جمون وكشمير ، أنزل عليه الكتاب باسم (دعوى رسالت) وطلب التصديق من المسيح الكذوب ، فجاء الرد فى صورة الهام يوعده مدعى الرسالة بالهلاك وكان " جراح قبل هذه الفترة من اتباع الغلام يشاركه فى أفراحه وأحزانه . (٢)

وحى الغلام :

جمع وحى القاديانى فى كتاب سعى " تذكرة " سجل على صدرها " مجموعة الهامات وكشوفات ورؤيا " اشتملت على بضع مئات من الصفحات ، وتصفحك بضع صفحات منها يظهر لك ان ما أوحى - على حد زعمه - الى الغلام يجمع بين العربية الركيكة (٣) والأردية غير المنضبطة بالقواعد والأصول (٤) والانجليزية القصيرة الجمل ، - المكتسبة بالأحرف الأردية (العربية) فى السابق (٥) المعدلة الى الاحرف اللاتينية الآن - والهنجارية المتداخلة بين الجمل للتظرف (٦) ، والفارسية (٧) ، وتلك لفات خمس اشتمل عليها خليط التذكرة .

ويدرك قارئ التذكرة بعد قراءة بضع صفحات ان أغلب محتوياتها منبر من القرآن الكريم ، أو سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو اشعار العرب وأمثالها المشهورة :- " واما بنعمة ربك فحدث " (٨) " رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره " (٩) " ان المنايا لا تطيش سهامها " (١٠)

- (١) ص ١ مطبوع على ستسل اطلعت عليه فى القسم المحظور من مكتبة رهوة .
- (٢) انظر تفاصيل هذه الرسالة والالهامات الرادعة فى ريبوآف ريلجنز ص ١٦٥ عدد مايو ١٩٠٦ .
- (٣) انظر كيثال لذلك ، تذكرة ص ٢ - (٤) انظر كيثال لذلك تذكرة ص ٤٢ .
- (٥) انظر ص ١١٥ لان الغلام لم يكن يعرف الانجليزية كما صرح بذلك فى التذكرة ص ٥٥ . (٦) انظر كيثال لذلك تذكرة ص ٩ . (٧) انظر كيثال لذلك تذكرة ص ٣٨ .
- (٨) تذكرة ص ٤٦٥ . (٩) تذكرة ص ٢٩٠ . (١٠) تذكرة ص ٥٦٥ .

ومعد تصفع التذكرة يستنتج المرء أن الهامات الغلام وكشوفاته رؤى منامية ، لم يأت إليه الوحي يقظة طوال حياته ، أضف الى ذلك أن باب الوحي والالهام واتصال متبع الغلام بالملوك العلوى مفتوح أمام كل القاديانيين ، وقد روت مجلة " أحمدية كزت " القاديانية الكندية وحي الخليفة مرزا ناصر أحمد فنسبت إليه قوله : " لقد أوحى الى أن غلبة الاسلام ووصوله الى الاتفاق سيكون اشمل من الخلافتين السابقتين " (١) وقوله " بشرى لكم " (٢) كما كان وحي : " ياد اود انا جعلناك خليفة فى الأرض " (٣) مشتركا بين كل من الغلام وفضل عمر والمرزا ناصر أحمد .

ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام :

وأخطر ما الهم الغلام طوال حياته كلها هو : " أن من لم يتبعك ، ولم يدخل فى بيعتك بل خالفك فهو عاص ، لله ولرسوله ، أو انه من أهل النار " (٤) ونسب إليه ابنه وثانى خلفائه قوله : " من الخطأ ان نقول ان اختلافنا مع مخالفينا ينحصر فى وفاة المسيح وفى عدة مسائل أخرى ، بل انا نختلف معهم فى ذات الله وفى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن وفى الصلاة ، والصوم والحج والزكاة ، والحاصل انه (أى الغلام) ذكر لنا بالتفصيل اننا نختلف معهم فى كل شئ " (٥)

ومن هذا المنطق لا تصح صلاة القاديانى مأموما خلف امام غير قاديانى ولا يصح لاتباع الغلام أن يصلوا صلاة الجنازة على من لا يؤمن بنبيهم حتى ولو كان المتوفى طفلا ، ويجب عليهم وفق التعاليم الغلامية ألا يزوجوا بناتهم الا من يمتدح معتقد هم ٥٠٠٠ ، وحاصل القول ان اتباع الغلام يجب عليهم أن يعاملوا المسلمين مثل معاملة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للنصارى أيا ن حياته . (٦)

(١) ص ١ عدد أغسطس ١٩٨٠ م (٢) أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١ م

(٣) انظر أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١ م

(٤) تذكرة ص ٣٣٦ وتاريخ هذا الالهام هو عام ١٨٩٩ م

(٥) الفضل ص ٤ عدد ٣٠ يوليو ١٩٣١ م

(٦) انظر ما تختلف به القاديانية عن الاسلام فى الأمور التشريعية ، قاديانى مسئلة ص ١٦-٢٠

وأخر ايا دى الفكر الغربى على هذه الطائفة أن نقلتها من الهند الى أغلب بلدان العالم ،
واعانتها فى نشر دعوتها بين سكان المستعمرات البريطانية ، ويرتكز نشاطها الحالى فى دول جنوب
غرب أفريقيا المظلة على المحيط الأطلسى ، ولا سيما فى غامبيا وغانا وزائير وسيراليون وساحل
العاج ، اذ تكاد أن تستولى فى هذه الدول على رافدى التعليم والصحة .

كلمة أخيرة

لم أقصد من وراء هذه الدراسة ، وهذا العرض الواقعى الأسود بمتح روح اليأس
والقنوط فى نفوس المسلمين ، كما لا أرمى الى القول بأن ما وصلت اليه حالهم لا يمكن التغلب
عليها ، ولكنى أردت كشف النقاب عن الحقائق والوقائع لتتعرف من خلالها على الملل التى
تنتاب المسلمين ، والمشكلات التى تواجههم فى اقامة الحياة الاسلامية ، فالمستقبل للاسلام
وللمسلمين .

فلا ينبغي أن يتسرب إلينا روح اليأس رغم كل الأوضاع السابقة ، لأن وسائل علاجها والتغلب
عليها ليست من الأمور المستعصية ، وانما قد يستغرق العلاج فترة طويلة من الزمن ، وقد
لا يكتمل النجاح المرجو فى جيل أو جيلين .

والمؤشرات الدالة على العودة الى الاسلام آخذة فى التكاثر يوما بعد آخر ، ولا يسمنى
حصرها ، وانما اكتفى بذكر بعض منها كدليل على عودة المسلمين الى دينهم القويم .

١ - فى باب نشر المسيحية وتنصير المسلمين إن كانت الدولتان المسلمتان - باكستان
وبنجلاديش - قد غضتا طرفهما عن دعاة التنصير وعن نشاطاتهم فان من لا سلطة

له من المسلمين أخذ يقاومهم ويواجههم فى أعمالهم كل حسب استطاعته ، فالعالم بالنصح
والارشاد ، والجمعيات والمنظمات بجميع التبرعات وارسالها الى المناظر المنكوبة ، أو المصابة
بالكوارث الطبيعية ، ولا أكشف عن سر اذا قلت إن " جمعية هداية الأمة " فى بنجلاديش
التي لا يعرف عن أعمالها المختصون فضلا عن غيرهم - تعمل فى مقاومة التنصير منذ عام ١٩٥٤م

وان مقاومتها لا تعد شيئا اذا قارناها بمقاومة الأمة بكل قطاعاتها وطاقاتها المتاحة ، فخطر التصير لم يعد له وجود اذا قارناه بعهد الاستعمار وفرض المسيحية بقوة الحديد .

ب- وفي التعليم نجد العديد من الظواهر لصالح العودة الى الاسلام ، منها :-

١ - يتم فتح العديد من المدارس المربية (الدرس النظامي) كل سنة مع عدم وجود دخل ثابت ، وموارد مالية معينة ، وانما تجمع المدارس نفقاتها من عامة المسلمين ، وما يتبرع به أهل الخير منهم ، فازدياد مثل هذه المدارس سنويا مبشر خير ، وللحكومة العسكرية الحالية في الدولتين يد في تشجيع هذا الرافد من التعليم ، حيث اعترفتا بشهادته ، وسواتها بدرجة علمية من درجاتها المعترفة ، ومدت يد العون الى بعض هذه المدارس ، وذلك بمنحها منحا مالية مقطوعة وحمل رواتب بعض المدرسين العاملين فيها .

٢ - تعمل العديد من المنظمات الاسلامية الطلابية في الدعوة الى الاسلام في الزايف المصرى من التعليم ، أشهرها الجمعية الاسلامية للطلاب (اسلامى جمعيت طلبة ، اسلامى جهاتسرو شبير) والجمعية الاسلامية للطالبات (اسلامى جمعيت طالبات) ومنظمة الطلاب الاسلامية (جمعيت طلباء اسلام) وهيئة الطلبة الاسلامية (انجمن طلبة اسلام)

ج - كثر الضغط على الفرق المنحرفة عن الاسلام ، بالأوامر الرسمية حيناً ، وعامة المسلمين أحياناً اخرى ، كعدم السماح للقاديانيين بنشر معتقداتهم ، أو الدعوة اليها ، أو تسمية معابدهم بالمساجد داخل الأرض الباكستانية ، وكنخصص بعض العلماء في الرد على هذه الفرق خطابة وتأليفا ، كالشيخ عبد الستار التونسوى حفظه الله ومن يسلك مسلكه في الشيعة الاثنى عشرية ، والشيخ عبيد الله وعبد الرحيم الجتريين والطبيب نزار على بنجوانى فى النزارية الاغاخانية ، ويفوق الأخير على الشيخين فى أنه ينتمى الى اسرة عريقة فى الاغاخانية ، وقضى شطرا من حياته فيها ، ويتمتع فى المنتمين اليها بمكانة عالية ، لذا كان تخليه عنها الى الاسلام بمثابة ضربة قاصمة للمجتمع الاغاخانى فى مدينة كراتشى ، وقد تمكن من اخراج بضع مئات من الاغاخانية وتوجيههم الى الاسلام من جديد .

د - تعمل كثير من الجماعات والهيئات لنشر الاسلام بين عامة الشعب ، بالموعظة والكلمة المكتوبة ، أقواها أثرا في المثقفين والوظفين الجذوة الاسلامية (جماعات اسلامى) وفى الطبقة العاملة والأميين جمعية علماء الهند (جمعية علماء هند) التى يطلق على فرعها الباكستانى اسم (جمعية علماء اسلام) وهناك العشرات من الادارات الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية كلها تدعو الى الاسلام ، ويرتكز نشاطها فى فرع من فروعها •

هـ - اثبتت نتائج الاستفتاء الذى أجري فى ١٩ / ديسمبر / ١٩٨٤م فى باكستان أن العودة الى الاسلام . وتأييد الجنرال محمد ضياء الحق فى أعماله الاسلامية هو ما يطمح فيه الشعب ، حيث جاء ٩٧,٧١ ٪ من الأصوات لصالح تطبيق الاسلام ، وقد أدلى ٦٢,٦ ٪ ممن يستحقون التصويت بأصواتهم فى هذا الاستفتاء ، رغم الحاح الأحزاب السياسية كلها على الشعب بمقاطعة الاستفتاء ما عدا الجماعة الاسلامية " . (١)

و - أعلنت الحكومة الباكستانية فى الالة الأخيرة أنها عازمة على تنقية الاقتصاد الباكستانى من الرشا ، وأنذرت البنوك بانهاءمعاملاتها اليومية قبل نهاية شهر يونيو ١٩٨٥م نسأل الله للمسئولين ولعامة الشعب التوفيق والثبات والعودة الصادقة الى الاسلام عقيدة وتشريعا •

(١) انظر تفاصيل هذا الاستفتاء ونتائجه التفصيلية ، صحيفة جنك اليومية ص ١ عدد

﴿ الخاتمة ﴾

وفى الختام أود أن أذكر أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث .

أولاً :- أغلب أرض الهند فتحت بالدعوة الى الاسلام ، دون الحرب والقتال ، والفضل بعد الله فى ذلك يعود الى الصوفية ، الذين تفاعلوا فى نشر الدعوة الاسلامية ، وثبتت أقدامها فى أرض الهند .

ثانياً :- إن الاسلام ظل رائد المسلمين حكاما ومحكومين فى الدول التى حكمت الهند قبل الدولة المغولية ، وأن المظاهر المنحرفة عن شرع الله قليلة ، اذا قارناها بنظام الاسلام الشامل الذى ساد حياتهم الفردية والاجتماعية .

ثالثاً :- أعز الفترات الاسلامية فى الهند وأكملها وقوفا عند أحكام الاسلام هى فترة حكم فيروز تغلق وفترة حكم اورنگ زيب عالمكير رحمهما الله .

رابعاً :- أظلم الفترات وأتمسها للاسلام هى فترة حكم الملك أكبر المغولى .

خامساً :- شركة الهند الشرقية لم تمتثل على الهند الأعلى اشلاء المجاهدين ، وإن - الدعاية كانت أخطر سلاح به المستعمرون فى العامة ، لفصل التلاحم المقدى بينهم وبين المجاهدين .

سادساً :- ما زال التبشير فى الدولتين المسلمتين - باكستان وبنجلاديش - يتمتع بحرية الحركة ، يفسد على المسلمين دينهم وعقيدتهم ، ومن أهم أسباب نجاحه فقر المنطقة وحاجة المسلمين الى لقمة العيش ومواساة الأيتام .

سابعاً :- فى باب التربية والتعليم نجد المنهجيين - الدينى العصرى - قاصرين عن تلبية أسس الاسلام التعليمية .

ثامناً :- ما تزال الحياة الاجتماعية فى أغلب شعبها تتطلع الى الفكر الغربى ، وتعتبره القدوة فى حل مشاكلها المتنوعة .

تاسعا : " القانون وما يسود الحياة القضائية محتاجان الى تنقية شاملة ، والى وقفـة صالحة ، لا تتأثر بالمواصف الغربية ، ولا تهاب تلك الاكدا س القضائية المصانة ، كما ان تنفيذ الحدود غير كاف لتحويل القضاء من القانون الوضعى الى شرع الله عز وجل .

عاشرا : الفرق المنحرفة عن الاسلام ما تزال تؤيد الوضع القائم على التفریب والفكاک من مسؤوليات الاسلام ، وتسعى الى ابقاءه أطول فترة ممكنة .

الحادى عشر : مبشرات العودة الى الاسلام آخذة فى الأزديار يوما بعد آخر ، ولا أرى ذلك اليوم بعيدا حين يمثل المسلمون بشرى للعفى كل شعب الحياة .

وفى ختام هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أزعـم أنى اتيت بما عجز عنه غیری ، ووصلت بالموضوع الى درجة الكمال ، فكم رائد فكر يكتب بحثا اليوم ثم يراجعه غدا فاذا هو يقترح تقديم هذا ويستحسن تأخير ذاك ، وانه لو أضاف كذا لكان أجمل ، ولو حذف كذا لكان أسلم .

وخاية القول : انى بذلت جهدا ، وقضيت فترة امتدت الى ثلاث سنوات موضعة أشهر ، حاولت فيها اخراج الموضوع على أحسن صورة ، فإن وفقت فهو ما قصدت ، وإن كان غير ذلك ففترائى فى قوله عز وجل : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها . . . " الآية ، والله أسأل أن يجعل عيلى خالصا لوجهه الكريم .

المصادر والمراجع

- ١ القرآن الكريم
- ٢ أبجد العلوم الوشى المرقوم فى بيان أحوال العلوم / السيد صديق بن حسن القنوجى
دار الكتب العلمية / بيروت
- ٣ أحسن البيان فى تنبيه الفرق والأديان (عبد الشكور ميواتى / طبع كيتل برنشتك
ورك دهللى
- ٤ أحكام القرآن لـ أبى بكر الجصاص / مطبعة عبدالرحمن القاهرة / نشر دار المصحف .
- ٥ أحمد رجل الساعة وشي آخر الزمان / تقرير سرى للقاديانيين / مسحوب على سثسسل
عام ١٩٣٢م
- ٦ اذا هبت ريح الايمان لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مؤسسة الرساله ١٣٩٤
- ٧ أردو دائرة معارف اسلامية لـ نخبة من العلماء والمفكرين / طبع مطبعة بنجسب
يونيو رستي ١٩٦٦م
- ٨ ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألبانى / الطبعة
الخامسة ١٩٨٢م نشر المكتب الاسلامى / بيروت
- ٩ اسلام اور عورت (الاسلام والمرأة) / لـ مظهر الدين الصديقى / طبع سودليتهو
بريس دهللى ١٩٦٥م
- ١٠ اسلام باكستان مين (الاسلام فى باكستان) لـ الاستاذ محمد عثمان / طبع
جديد بريس لاهور ١٩٦٩م
- ١١ اسلاميات لـ لمقاطعة بنجاب ١٩٨٢م
- ١٢ اسماعيلى تعليمات / المدارس الاسماعيلية الاغاخانية فى باكستان / نشر اسماعيلية
ايسوس ايشن كراتشى باكستان
- ١٣ الاصابة فى تمييز الصحابة لأحمد بن حجر المسقلانى / الطبعة الأولى ١٣٢٨ /
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر
- ١٤ أصول شرع اسلام لـ دنشا فريد / طبع معظم برنسترز / لاهور / ١٩٧٩م
- ١٥ أعلام الاسماعيلية لـ مصطفى غالب / منشورات دار اليقظة العربية / بيروت / ١٩٦٤م
- ١٦ إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الاسلام لـ أحمد رضا خان / مطبعة البريلى / الهند .
- ١٧ أفاخان فاوندیشن جنرال (مؤسسة أفاخان فى جنرال) / لـ نخبة من العلماء ..

- ۱۸ آغا خانیت کیاہی (ماہی الاغا خانیت) — مؤلف مجهول / نشر دار القلم بشارور /
باکستان
- ۱۹ اقبال کی مدوح علماء — القاضی افضل حق قریشی / نشر المکتبۃ المحمودیۃ لاہور
۱۹۷۷م
- ۲۰ اندیاسندے سکول یونین (اتحاد مدارس التبشیر فی الہند) / — السیدۃ ای —
اینت / طبع مشن پریس الہ آباد
- ۲۱ الانسان بین المادیۃ والاسلام / — محمد قطب / الطبعة الرابعة بیروت ۱۹۶۵م ..
- ۲۲ انگریزوں کی لسانی پالیسی (سیاست الانجلیز لللفویۃ) / — السید مصطفی علی
بریلوی / انجمن پریس / کراتشی ۱۹۷۰م
- ۲۳ الأمن والعلی — أحمد رضا خان / طبع دار التبلیغ / لاہور ^{فیتۃ الشرف انڈوزی ترجمت}
- ۲۴ اورتک زیب خطوط کی آئینے میں (اورتک زیب فی ضوء مذكراته) / — شمس بریلوی /
طبع مشہور آفست کراتشی ۱۹۷۰م
- ۲۵ اورتک زیب عالمگیر برائیک نظر (نظریۃ فی اورتک زیب) — شبلی نعمانی / طبع
مشہور آفست پریس / کراتشی / ۱۹۴۹م
- ۲۶ آئین اسلامی جمہوریۃ پاکستان (دستور جمہوریۃ پاکستان الاسلامیۃ) — علی محمد
شاہین / نشر مکتبۃ فریدی کراتشی / ۱۹۷۵م
- ۲۷ آئینۃ تثلیث (مرآۃ التثلیث) / — مولانا کوثر نیاز / شیخ غلام علی ایندہ سنز
لاہور الطبعة الرابعة
- ۲۸ باد شاہ نامہ / — عبدالحمید لاہوری / طبع ایشیاتک سوسائٹی کلکتہ بنغال /
۱۸۶۷م — ۱۸۷۲م
- ۲۹ باغی ہندوستان " الہند اٹاثرہ " / — محمد فضل حق / طبع اردود دائجست
برنستز / لاہور / الطبعة الثانية / ۱۹۷۴م
- ۳۰ پاکستان میں مسیحیت (التصیریۃ فی پاکستان) / — الاستاذ محمد نادر رضا
الصدیقی / المطبعة العربیۃ / لاہور / ۱۳۹۹ھ
- ۳۱ پاکستانی مسلمانوں کی رسوم ورواج (عادات المسلمین الباکستانیین وتقالیدہم) /
— شاہد حسین الرزاقی / طبع دین محمد پریس / لاہور / ۱۹۶۵م
- ۳۲ ہدایۃ المجتہد / — ابن رشد / دار المعرفۃ بیروت / الطبعة الخامسة ۱۹۸۱م ..
- ۳۳ ہدایۃ والنہایۃ / — للحافظ ابن کثیر / مکتبۃ المعارف / بیروت / الطبعة الثالثة ۱۹۸۸
- ۳۴ بردۃ (الحجاب) / — الأديب عبدالحلیم شرر / مطبعة الجامعة الملکیۃ دہلی ..

- ۳۵ برصغیر پاک و ہند میں اسلامی نظام عدل کستری / لہ استاد محمد عبد الحفیظ الصدیقی (نظام القضاء الاسلامی فی الہند) / طبع نورارت پریس راولپنڈی ۱۹۶۹
- ۳۶ بریلوی فتویٰ / لہ نور محمد / نشر أنجمن ارشاد المسلمین / لاہور / ۱۳۹۹ھ
- ۳۷ البریلویہ / عقائد و تاریخ / لہ احسان الہی ظہیر / طبع مطابع الرشید بالمدينة المنورة ۱۴۰۳ھ
- ۳۸ بنات الصلیب / لہ قمر الدین أحمد / انجمن پریس / کراتشی
- ۳۹ بنجاب کی عورت (المرأة البنجابیة) / لہ أرشد أحمد / نشر ظفر سنز برنترز لاہور ۱۹۷۶م
- ۴۰ بہار شریعت (ربیع الشریعة) / لہ أمجد علی الأعظمی / نشر مكتبة اشاعة الاسلام دہلی
- ۴۱ تاریخ ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون / نشر دار الكتاب اللبنانی ۱۹۵۷م
- ۴۲ تاریخ احراز / لہ أفضل حق / أشرف پریس لاہور ۱۹۶۸م
- ۴۳ تاریخ ادبیات مسلمانان پاک و ہند (تاریخ أدب المسلمین فی پاکستان والہند) لہ ممتاز منگلوری / مطبعة جامعة بنجاب / لاہور ۱۹۷۱-۱۹۷۲م
- ۴۴ تاریخ الاسلام السیاسی والذینی والثقافی والاجتماعی / لہ لدكتور / حسن ابراہیم حسن مكتبة النهضة المصرية : الطبعة السابعة / ۱۹۶۵م
- ۴۵ تاریخ بشارت الہند و پاکستان / (تاریخ التبشیر فی الہند و پاکستان) لہ المبشر خورشید عالم / نشر بنجاب ریلجنز پک سوسائٹی ۱۹۴۹م
- ۴۶ تاریخ التعلیم ایست انڈیا کمپنی کی عہد میں (تاریخ التعلیم فی عہد شركة الهند الشرقية) / لہ میجر دی باسو / طبع ایجوکیشنل پریس / کراتشی / ۱۹۷۶م
- ۴۷ تاریخ تعلیم و تربیت اسلامیہ (تاریخ التعلیم و التربية) لہ لأحمد شلبی / ترجمة / محمد حسین خان زبیری / ادارة ثقافت اسلامية / لاہور ۱۹۶۳م
- ۴۸ تاریخ تعلیم ہند (تاریخ التعلیم فی الہند) / لہ نور اللہ وج ب نائک / ترجمة / مسعود الحق / مطبعة أحمد برادر سنز برنترز کراتشی الطبعة الثانية ۱۹۸۱م
- ۴۹ تاریخ الدعوة الاسلامیہ فی الہند / لمسعود عالم الندوی / نشر وتوزیع دار العربية
- ۵۰ تاریخ الدعوة الاسماعیلیہ / لہ مصطفى غالب / دار الاندلس للطباعة والنشر بیروت / الطبعة الثانية ۱۹۶۵م
- ۵۱ تاریخ دیوند / لہ محبوب رضوی / الطبعة الثانية ۱۹۷۲م ازاد پریس دیوند / الہند
- ۵۲ تاریخ سندھ / اعجاز الحق قدوسی / کاروان پریس / لاہور / الطبعة الثانية ۱۹۸۰م

- ٥٣ تاريخ الشعوب الاسلامية / لكارل بروكلمان / دار العلم للملايين / الطبعة السابعة
١٩٧٧م
- ٥٤ تاريخ العالم / لجون - أ. هامرتن اشرفت على الترجمة ادارة الثقافة بوزارة التربية
والتعليم / نشر مكتبة النهضة المصرية
٥٥ تاريخ العرب العام امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية
والادبية للمستشرق ل - أ - سيدو / ترجمة عادل زعيتر / عيسى البابسى
الحلبى الطبعة الثانية ١٩٦٩م
- ٥٦ تاريخ فاطمين مصر / ل - الاستاذ زاهد على البهرى / مطبعة ايجو كيشنل بريس /
كراتشى / الطبعة الثانية / ١٩٦٣ - ١٩٧٥م
- ٥٧ تاريخ فيروز شاهى / ل - ضياء الدين برنى / ترجمة الدكتور السيد معين الحق
طبع ش - م - شفيق ١٩٦٩م
- ٥٨ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ل - الدكتور أحمد محمود
الساداتى / المطبعة النموذجية / نشر مكتبة الجييزات
٥٩ التبشير والاستعمار / ل - مصطفى خالد وعمر فروخ / الطبعة الرابعة ١٩٧٠م
- ٦٠ تبليغ رسالت / ل - غلام أحمد القاديانى / فاروق بريس قاديان ١٩٢٢م
- ٦١ تبليغى جماعت كاتارىخى جائزة (استمرار تاريخى لجماعة التبليغ) / ل - محمد
أيوب قادرى / طبع انجمن بريس كراتشى ١٣٩١ هـ
٦٢ تبويب القرآن / ل - غلام أحمد برويز / على برنتك / لاهور ١٩٧٧م
- ٦٣ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام / الشاعر محمد اقبال / ترجمة عباس محمود ومراجعة
عبد العزيز المراغى والدكتور مهدى غلام / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٥٥م
- ٦٤ تحريك باكستان اور خواتين (دور النساء فى انشاء دولة باكستان) / ل - نور
الصباح بيكم / على برنتك بريس / لاهور / ١٩٧٠م
- ٦٥ تذكرة / ل - غلام أحمد القاديانى / طبع ضياء الاسلام بريس ربوہ باكستان / الطبعة
الرابعة
٦٦ تراجم علماء حديث هند / ل - أبى يحيى امام خان نوشهروى / طبع جيد برق بريس
دهلى ١٩٣٨م
- ٦٧ ترجمان وهابيه / ل - السيد صديق حسن خان / ثنائى برق بريس امرتسر ١٩٣٠م
- ٦٨ ترياق القلوب / ل - غلام أحمد القاديانى / مطبعة ضياء الاسلام قاديان ١٩٠٢م
- ٦٩ التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى / ل - عبدالقادر عودة / دار التراث
القاهرة / الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

- ٧٠ تعليمات / لـ أبى الأعلى المودودى / مطبعة الله والا برنترز / لاهور / الطبعة
السابعة ١٩٨٢م
- ٧١ تعليمى تجاوبز بربصرة (التعليق على المقترحات التعليمية) / لـ نخبة من علماء
الشريعة والمفكرين المحدثين / طبع مشهور آقست كراتشى / نشر المكتبة المربية
نيوتاون
- ٧٢ تفسير بيان للناس / لـ الخواجة أحمد الدين / امرتسر / الهند
- ٧٣ تفسير الجن والجان على ما فى القرآن / لـ السيد أحمد خان / مطبعة اسلامية
سيتم / لاهور
- ٧٤ تفسير القرآن بآيات الفرقان / لـ عبد الله جكر الوى / مطبعة بنجاب سيالكوت ١٨٩٩
- ٧٥ تفسير القرآن العظيم / لـ أبى الفداء اسماعيل بن كثير / طبع دار احياء الكتب
المربية نشر عيسى البابى الحلبي
- ٧٦ التفسير الكبير لـ فخر الدين الرازى / المطبعة البهية المصرى ميدان
الأزهر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٨م
- ٧٧ تفهيم القرآن / لـ أبى الأعلى المودودى / طبع مطبعة اردو دائجست / الطبعة
العاشر ١٩٨٠م
- ٧٨ تمدن هند (التمدن الهندى) / لـ الدكتور لي بان الفرنسى / ترجمة سيد على
بلكرامى / مطبعة شمس الأنوار ١٩١٣م
- ٧٩ تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك / لـ جلال الدين السيوطى / طبع مكتبة
ومطبعة المشهد الحسينى / القاهرة / ١٣٥٣ هـ
- ٨٠ تهذيب اسلامى (الحضارة الاسلاميه) / لـ محمد ^{مارماد} هيد بوك المسلم الانجليزى /
ترجمة الشيخ عطاء الله / طبع تعبير برنتتك بريس راولپندى / الطبعة الثالثة ١٩٦٥م
- ٨١ تأويل الأحاديث / لـ شاه ولى الله تحقيق / غلام مصطفى الأعظمى / مطبعة
الحيدرى / حيدرآباد / السند ١٩٦٦م
- ٨٢ الثقافة الاسلاميه فى الهند / لـ عبد الحى الحسنى / مطبوعات المجمع العلمى دمشق
١٩٥٨م
- ٨٣ الجامع لأحكام القرآن / لـ محمد بن احمد الانصارى القرطبى / دار احياء التراث
بيروت
- ٨٤ جامع البيان عن تأويل آى القرآن / لـ محمد بن جرير الطبرى / طبع الحلبي / الطبعة
الثالثة ١٩٦٨م
- ٨٥ جاهلية القرن العشرين / لـ محمد قطب / دار الشروق / طبعة ١٩٧٥م

- ٨٦ جاء الحق وزهق الباطل / لـ أحمد يارخان النعمي / نوري بك دبو كانفور / الهند ٠٠
- ٨٧ جائزة مدارس عربية اسلامية (استعراض المدارس العربية الاسلامية / لـ حافظ نذر أحمد / طبع انجمن حمايت اسلام بريس / لاهور ١٩٦٠م)
- ٨٨ جماعت مجاهدين (الطائفة المجاهدة) / لـ غلام رسول مهر / علمي برنتنك بريس لاهور)
- ٨٩ جهيز ايكت (قانون تجهيزات الزواج) / ترتيب ملك ارشاد أحمد أرشد / طبع بروسس برونتر / لاهور)
- ٩٠ حاشية الشهاب / لـ أحمد بن محمد الخفاجي / نشر المكتبة الاسلامية ديار بكر / تركيا
- ٩١ حاضر العالم الاسلامي / لـ لوثروب ستوارز ترجمة / عجاج نويهض مع تعليقات الأمير شكيب ارسلان / دار الفكر / الطبعة الثالثة / ١٩٧١م)
- ٩٢ الحجاب / لـ أبى الأعلى المودودي / ط دار الفكر)
- ٩٣ حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة / لـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الاسلامي بيروت / الطبعة الرابعة)
- ٩٤ حركة تحديد النسل / لـ أبى الأعلى المودودي / مؤسسة الرسالة / ١٩٧٥م)
- ٩٥ حضارات الهند / لـ غوستاف لومون / ترجمة عادل زعيتري / دار احياء الكتب العربية مصر / ١٩٤٨م)
- ٩٦ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / لـ آدم متر ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الرابعة ١٩٦٧م)
- ٩٧ حقائق عن باكستان / لـ محمد حسن الأعظمي / نشر الدار انقومية للطباعة والنشر
- ٩٨ حقوق وفرائض نسوان (حقوق النسوة وفرائضهن) / القسيس ج — ه — آر — سن / نشر بنجاب ريلجن بك سوسائتي لاهور ١٩٢٨م)
- ٩٩ سوانح أحمد ك / المجاهد محمد جعفر تهانيسري / صديقي انترنيشنل بريس لاهور ١٩٦٨م)
- ١٠٠ حيات شيخ الهند مولانا محمود حسن ديوندي لـ للمحدث / السيد أصغر حسين الطبعة الأولى / وفاق بريس / لاهور)
- ١٠١ خالص الاعتقاد / لـ أحمد رضا خان / مطبعة أهل سنت والجماعات بريلي الهند ١٣٢٨هـ
- ١٠٢ خطبة صدارت (الخطاب الرئاسي) لـ أنور شاه كشميري / جيد برقي بريس دهللي ١٩٢٨
- ١٠٣ دعاة الامامية الاسماعيلية الأغاخانية / نشر المنظمة الامامية الاسماعيلية / طبع اموجا برنتر دار السلام تنزانيا)
- ١٠٤ دوام العيش في أن الأئمة من قریش / لـ أحمد رضا خان / طبعة لاهور / باكستان

مؤلفہ لکھنؤ

- ۱۰۵ دوام مسائل قتل مرتد غلام آورلوندیان / (مسألتان مہمتان قتل المرتد والارتقاء)
 لـ غلام أحمد برویز / الطبعة الثانية ۱۹۶۷م
 ۱۰۶ الدول الاسلامیة / لستانلی لین بول مع اضافات بارتولد وخیلید اُدھم الترمکی ترجمہ
 محمد صبحی فرزات / مطبعة الفلاح دمشق / ۱۹۷۴م
 ۱۰۷ دین حق کی تحقیق (البحث عن الدین الحق) / لـ المبشر سکندرہ ارفنج / مشن
 پریس الہ آباد ۱۹۰۵م
 ۱۰۸ دیونند بریلی تک (من دیونند الی بریلی) لـ اُبی الأوصاف الرومی / نشر
 ادارة اسلامیات لاہور / ۱۹۸۰م
 ۱۰۹ رپورٹ تحقیقاتی عدالت فسادات پنجاب ۱۹۵۳م / (تقریر المحكمة عن اضطرابات
 پنجاب ۱۹۵۳م) / لـ مقاطعة بنجاب
 ۱۱۰ رپورٹ مجموعی (التقرير الشامل) عن الأعوام (۱۸۶۰-۱۸۶۱) (۱۸۶۲-۱۸۶۳)
 (۱۸۶۵-۱۸۶۷) / الحكومة البريطانية / طبع ہوب بریس / لاہور
 ۱۱۱ رجال السند والہند الی القرن السابع / لـ القاضي اُبی المعالی اُطہر المبارکفوری
 المطبعة الحجازیة / بومبائی / ۱۹۵۸م
 ۱۱۲ رجم / لـ المحكمة الشرعیة الکبریٰ بباکستان / طبع اومنی برنٹرز لاہور ۱۹۸۱م
 ۱۱۳ رحلة ابن بطوطہ / لـ محمد بن ابراہیم المعروف بابن بطوطہ / دار بیروت للطباعة
 والنشر ۱۹۸۰م
 ۱۱۴ رسائل ومسائل / لـ اُبی الأعلى المودودی / طبع شفیق برنٹرز / لاہور / الطبعة
 السابعة
 ۱۱۵ رسمی بردی کی نقصانات اور اسلامی بردے کی نشانات (مضار الحجاب التقليدی
 وسیماء الحجاب الاسلامی) / لـ بیر زادہ شمس الدین / مطبعة کواہر تیو لاہور
 ۱۹۵۵م
 ۱۱۶ روح المعانی / لـ محمود الألوسی / ادارة الطباعة المنیریة / لبنان
 ۱۱۷ روداد بردہ (محضر الحجاب) / لـ السید برکات أحمد طبع کلیم پریس کراتشی ۱۹۵۱م
 ۱۱۸ رود کوثر (نہر کوثر) / لـ الدكتور شیخ محمد اکرم / مطبعة السعدیة لاہور
 العاشرة ۱۹۷۹م
 ۱۱۹ سرسید اور اصلاح معاشرہ (سر سید اُحمد خان واصلاحاتہ الاجتماعیة) / لـ شاهد
 حسین الرزاقی / دین محمدی پریس / لاہور / ۱۹۶۳م
 ۱۲۰ سرسید کی کہانی انکی ابنی زبانی (حکایت السید الشہید لہجاء) / روایۃ
 الطاف حسین حالی / تألیف ضیاء الدین / طبعة لاہور

- ١٢١ سفينة الأولياء / لـ داراشكواه ترجمة محمد على لطفى / مشهور بريس كراتشى / الطبعة الخامسة ١٩٧٥م
- ١٢٢ سلاطين دهلئ كئ مذهبئ رجحانات (المبول الدينئ عئد سلاطين دهلئ) / لـ خلىق أحمء نظامئ / الجمعئئ بريس دهلئ / ١٩٥٨م
- ١٢٣ سلاطين هئدكئ علمبرورئ (احتفاء سلاطين الهئء بالتعلئم) / لـ محمد حفىظ اللسه طبع برقئ آرء بريس بئته / الهئء / الطبعة الرابعة / ١٩٥٦م
- ١٢٤ سلك الجواهر فئ أحوال البواهر / لـ محمد نجم الفئئ / مطبعة العلوم واخبار هز أعظم مراد آباء ١٩١٤م
- ١٢٥ سنء كئ آئففئ حئث (مكانة السنة التشريعبئ) / لـ أبئ الأعلى الموءوءئ / مطبعة نور عالم لاهور / الطبعة الرابعة / ١٩٧٧م
- ١٢٦ سنئ ابن مائه / لـ محمد بن فزء القزوءئ / ءحقق محمد فؤاء عبء الباقسئ / دار احفاء التراث العربئ ١٩٧٥م
- ١٢٧ سنئ أبئ ءاوء / لـ سللمان بن أشعث الأزءئ / طبعة الحلئ ١٩٥٢م
- ١٢٨ سنئ الترمذئ / لـ محمد بن عفسئ الترمذئ / دار الفكر
- ١٢٩ سنئ الءارمئ / لـ عبء الله بن عبء الرحمن باعءناء محمد أحمء ءهان / نشر دار احفاء السنة النبوءة / القاهرة
- ١٣١ سنئ النسائئ / لـ أحمء بن شعفب النسائئ / المكئبة العلمئئ / بفروء
- ١٣١ شاه ولى الله كئ تعلئم (تعلفمات الشاه ولى الله) / لـ غلام ءسفن ءلفهانسسئ / طبع سنءه فونفوء رسسئ بريس ١٩٦٣م
- ١٣٢ شاه ولى الله كئ سفاسى مكئوات (رسائل الشاه ولى الله السفاسىة) / ءمع وءرءفب خلىق أحمء نظامئ / طبع كاسموبرنءرز / لاهور ١٩٧٨م
- ١٣٣ شفهاء ءول الاسلام / لـ محمد قطب / مطابف الشروق / بفروء / نشر دار الشروق الطبعة السادسة
- ١٣٤ شرح قانون شهاءاء (قانون الاثباء) / ءرءمة م اشرف بفك / طبع ونشر مكئبة م محمد سللمان / لاهور
- ١٣٥ شرح النورئ على صففء مسلم / لـ الامام النورئ / المطبعة المصرئئ ومكئبتها
- ١٣٦ شرفمء اسالمئ اور ءانءانئ منصوءه بنءئ (ءنظفم النسل فئ ضوء الشرفمء الاسلامئئ) لـ الاسءاء أبئ الشهاب رفففء الءفن / طبع سبرآرء بريس / كراتشى / ١٩٦٧م
- ١٣٧ شكفن مالا بال منك (كئاب المءءءفن) / لـ المءارس الاسماعفلئئ الأعافانئففة بالهنء / نشر اسماعفلئئ افسوسئ افشن برائئ هئء / بوبائئ

- ١٣٨ صاعقة آسمانى برفرة رضاخانى (الصاعقة السماوية على الفرقة الرضاخانية) / لـ
منظور أحمد سنهلى الديوندى ورحم الهى البريلوى
- ١٣٩ صحيح البخارى / لـ محمد بن اسماعيل / مطبعة دار الطباعة العامة استانبول ...
- ١٤٠ صحيح مسلم / لـ مسلم بن الحجاج القشيري / نشر مكتبة الجمهورية العربية / القاهرة
- ١٤١ صلاة الصلوة فى نور المصطفى ضمن مجموعة رسائل / لـ أحمد رضا خان / طبعة كراتشى
- ١٤٢ ضوء نور الحق المبين / لـ داع البهرة طاهر سيف الدين / طبع برتشر انديا
جهايه خانه بومباي ١٩١٩م
- ١٤٣ طاهرة كى نام خطوط كامجموعة (مجموعة رسائل باسم طاهره) لـ غلام أحمد برويز
مطبعة أشرف لاهور / ١٩٧٢م
- ١٤٤ طائفة الاسماعيليه تاريخها نظمها عقائدها / لـ الدكتور محمد كامل حسين
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ١٩٥٩م
- ١٤٥ طبقات نورية در أحوال نوربخشيه / لـ محمد بن ملا / ترجمة محمد سليمان كيلانى
طبع أشرف بريس لاهور
- ١٤٦ العالم الاسلامى / لـ عمر رضا كحالة / المطبعة الهاشمية / الطبعة الثانية / دمشق
١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م
- ١٤٧ غاالى قوانين بر تبصرة (التعليق على قوانين الأحوال الشخصية) / لـ مفتى محمد
شفيح / طبع سعيدى قرآن محل كراتشى
- ١٤٨ عرب أور هندكى تعلقات (صلة الهند بالعرب) / للسيد سليمان الندوى / طبع
سنده آفست برنترز كراتشى ١٩٧٦م
- ١٤٩ عظمت رفته (المجد الضائع) لـ ضياء الدين أحمد برنى / طبع نشاط بريس /
كراتشى ١٩٦١م
- ١٥٠ عقد الجواهر فى أحوال البواهر / لـ السيد أبى ظفر الندوى / طبع جاويد بريس كراجى
- ١٥١ علماء حق أوران كى مجاهدانه كارنامى (العلماء الربانيون وأعمالهم البطولية) /
لـ محمد ميان / نشر مكتبة شيخ الاسلام برحيم يارخان باكستان
- ١٥٢ علم حديث مين باك وهند كاحصه (سهم الهند وباكستان فى خدمة السنة) / لـ
الدكتور محمد اسحاق / ترجمة شاهد حسين الرزاقى / طبع حمايت اسلام بريس لاهور
١٩٧٧م
- ١٥٣ على برادران (الأخوان العليان محمد على ء شوكت على) لـ السيد رئيس أحمد
الجعفرى / اشرف بريس لاهور / ١٩٦٣م
- ١٥٤ الفارة على العالم الاسلامى / لـ ا - ل - شاتليه تعريب محى الدين الخطيب ء
ومساعد الياقى / المكتبة السلفية ومطبعتها / القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ

- ۱۵۵ فتاویٰ عزیز / لہ شاہ عبدالعزیز / ترجمہ عبدالواجد نولوی / ترتیب وتبویب الحاج محمد زکی ایجوکیشنل پریس کراتچی ۱۳۹۶ھ
 ۱۵۶ فتح الباری / لہ أحمد بن علی بن حجر / المطبعة السلفية / القاهرة / ۱۳۸۰ھ
 ۱۵۷ فتح القدير / لہ محمد بن علی الشوکانی / مطبعة الحلبي / الطبعة الثانية ۱۳۸۳ھ
 ۱۵۸ فتح البلدان / لأبي الحسن البلاذري / مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان / دار الكتب العلمية / بيروت / ۱۹۷۸م
 ۱۵۹ فقهاء هند / لہ محمد اسحاق بهتی / الحمرا آرت بزنٹر / لاہور ۱۹۷۹م
 ۱۶۰ الفقه على المذاهب الأربعة / لہ عبدالرحمن الجزیری / دار احیاء التراث / الطبعة الثالثة
 ۱۶۱ فقه القرآن / لہ عمر أحمد بن ظفر أحمد العثماني / طبع فضلی ایند سنز کراتچی ۱۹۸۰م - ۱۹۸۲م
 ۱۶۲ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / لہ الاستاذ محمد البهي / نشر مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ۱۹۷۵م
 ۱۶۳ فی تحقیق ما للهند من مقولة مقبولة فی العقل أو مرذولة / لہ محمد بن أحمد البیرونی / دائرة المعارف العثمانية / دکن / الهند / ۱۹۵۸م
 ۱۶۴ فی ظلال القرآن / لہ سید قطب / دار الشروق الطبعة السابعة ۱۳۹۸ھ
 ۱۶۵ قادیانی مسئلہ / لہ ابي الأعلى المودودي / مطبعة اميرت لاہور / الطبعة العاشرة ۱۹۸۲م
 ۱۶۶ قرآن سی قرآن تک " من القرآن الى القرآن " / لہ محمد حسین عوشی / مطبعة نامی / لاہور / ۱۹۷۵م
 ۱۶۷ قرآن کریم اور مروجہ اسلام (القرآن والاسلام المعاصر) / لہ کریم بخش سکھانی / نوید برنتک پریس کراتچی ۱۹۸۰م
 ۱۶۸ قرآنی فیصلی (الأحکام القرآنية) / لہ غلام أحمد برویز / مطبعة أشرف لاہور / الطبعة الثالثة ۱۹۷۳م
 ۱۶۹ قرآنی قوانین / لہ غلام أحمد برویز / مطبعة علی برنتک لاہور / ۱۹۷۸م
 ۱۷۰ قصة الحضارة / لہ ول دیورانت / ترجمہ زکی نجیب محمود / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / الطبعة الثانية ۱۹۵۷م
 ۱۷۱ قوانین اسلامی کی نفاذ کا مسئلہ قرآن اور سنت کی روشنی میں (تنفيذ القوانين الاسلامية فی ضوء الكتاب والسنة) / لہ السيد یعقوب شاہ / طبع دین محمدی پریس / لاہور ۱۹۷۱م

- ١٧٢ قوسى اسبلى مين اسلام كامعركة (المعركة الاسلامية فى البرلمان) / لـ مولانا
عبدالحق شيخ الحديث/ نشر مؤرخ المصنفين / الطبقة الثالثة
١٧٣ كالابانى (منبر جبرائيل) / لـ محمد جعفر تهانيسرى / تقديم محمد أيوب قادرى
طبع اسود أفست بريس فيصل آباد ١٩٧٧م باكستان
١٧٤ الكامل فى التاريخ / لـ على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير / دار الكتاب
العربى / بيروت / الطبعة الثانية ١٩٦٧م
١٧٥ كجرات كى تمدنى تاريخ / لـ السيد أبى الظفر الندوى / مطبعة معارف أعظم
كره / الهند / ١٩٦٢م
١٧٦ كزيتير مالك محروسه (تقويم المستعمرة البريطانية) / لـ مهدي على خان/
مطبعة ابراهيم اكره / الهند ١٩٠٨م
١٧٧ كلام امام مبین / لـ سلطان محمد شاه على (أغاخان الثالث) / نشر اسماعيلية
ايسوسى ايشن بوبائى / الهند
١٧٨ كليساوى تواريخ (تاريخ الكنائس) / لـ رينفرد / طبع تائمز بريس لاهور ١٩٥٨م
١٧٩ كنج سعادت يعنى سلسلة نورامات (خزينة السعادة) / لـ المبشر نصير الدين
هنسزى الأغاخانى / عباس ليتهو بريس / كراتشى / ١٩٥٧م
١٨٠ كستوتشن آى لا (تاريخ القانون) / لـ السيد أمير شاه / مطبعة مصطفى لاهور
١٩٧٩م
١٨١ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى /
مطابع على بن على الدوحة الطبعة العاشرة / ١٣٩٤ هـ
١٨٢ مارك درشيك (المرشد) / لـ المبشر على بهائى بابوانى الأغاخانى / نشر اسماعيلية
أيسوسى ايشن بوبائى / الهند
١٨٣ الميسوط / لـ السرخسى / مطبعة السعادة / مصر / ١٣٢٤ هـ
١٨٤ مجموعة اسامى تعزيرى قوانين (مجموعة قوانين تنفيذ الحدود) / نشر محمد سليمان
قريشى / لاهور
١٨٥ مجموعة تعزيرات باكستان (قانون العقوبات الهاكستانى) / ترجمة ايم اشرف بيك
طبع غفور سنزير نثرز / لاهور
١٨٦ مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة / لـ شيخ الاسلام ابن تيمية ء وشيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب / دار الفكر / القاهرة / ١٩٧٨م
١٨٧ مجموعة ضابطه فوجدارى / حبيب الله خان / نشر م محمد سليمان قريشى لاهور
١٨٨ مجموعة قوانين اسلام / لـ الاستاذ تنزيل الرحمن / جديد ارد وئاب بريس لاهور ١٩٦٥

- ١٨٩ محجوب الارث / لـ الحافظ محمد أسلم / فيض عام عليكره ١٣٤٢ هـ
 ١٩٠ محمدين ايجوكيشنل كانفرس (مؤتمر التعليم المحمدي) / مجموعة من المحاضرين
 نشر جامعة عليكره / طبع مفيد عام اكره ١٨٩٢م
 ١٩١ مختصر دراسة التاريخ / لـ أرنولد تويني / ترجمة فؤاد محمد شبل مراجعة محمد
 شفيق غريال ، وأحمد عزت / لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤م
 ١٩٢ مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين / لـ ابن القيم الجوزية / مطبعة
 السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ
 ١٩٣ مذاهب الاسلام / لـ محمد نجم الغنى / طبعة لاهور / ١٩٥٤م
 ١٩٤ مذهب اسماعيلية قرآن وحديث كى روشني مين / (المذهب الاسماعيلي فى ضوء
 الكتاب والسنة) / لـ الشيخ عبيد الله الجترالى / نشر دار العلوم سرحديشاور ١٩٨١م
 ١٩٥ مذهب اورياطنى تعليم / لـ محمد سعيد الدهلوى / كيلانى اليكترك پريس لاهور *
 ١٩٦ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند / لـ مهدي الحليم الندوى /
 مطبعة نوري / مدراس ١٣ الهند
 ١٩٧ المرأة بين الفقه والقانون / لـ مصطفى السباعى / ط الرابعة / بيروت / المكتب
 الاسلامى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م
 ١٩٨ المسالك والممالك / لـ عبيد الله بن عبد الله ابن خزيمة / نشر مكتبة المثنى / بغداد
 ١٩٩ مسلمانان هندكى حيات سياسى (الحياة السياسية عند المسلمين الهنود) لـ مرزا
 محمد / برقى پريس دهلى / ١٩٣٤م
 ٢٠٠ مسلمانون كاروشن مستقبل (مستقبل المسلمين المضيئ) / لـ السيد طفيل أحمد /
 طبع بدر رشيد برنترز / لاهور
 ٢٠١ مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الاسلامية فى الهند) / لـ عبد المجيد سالك
 دين محمد پريس / لاهور
 ٢٠٢ مسلم عاثل قواين (قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية) / طبع محبوب پرنيتك -
 كاريوريشن / لاهور
 ٢٠٣ المسلمون فى الهند / لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مطبعة ندوة العلماء *
 لكهنؤ ١٣٩٦ هـ
 ٢٠٤ مسند الامام أحمد / لـ أحمد بن حنبل / دار الفكر / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٨
 ٢٠٥ مطالعة باكستان / لـ الصف التاسع والعاشر للعام الدراسي ١٩٨٢م
 ٢٠٦ معالم تاريخ الانسانية / لـ هـ - ج ، ولز ترجمة عبد العزيز توفيق / لجنة التأليف
 والترجمة والنشر / الطبعة الثالثة / ١٩٧٢م

- ٢٠٧ المعتمد فى أصول الدين / لـ القاضى أبى يعلى الحنبلى / تحقيق الدكتور وديع زيدان / دار الشروق / بيروت
- ٢٠٨ معجزة القرآن در بيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن فى بيان توارث المسلمين) لـ الخواجة أحمد الدين / مطبعة اسلامية سيتيم / لاهور
- ٢٠٩ مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة (نظرة فحصى فى فلسفة التعليم الغربىة) لـ الاستاذ السيد محمد سليم / شركت برزخ / لاهور / ١٩٨١م
- ٢١٠ مغربية سلطنت اور مسيحيت (التبشير والدولة المغولية) / لـ بركة الله القسيس / بنجاب آرت پريس / لاهور ١٩٧٠م
- ٢١١ مقالات سرسيد أحمد خان / لـ سرسيد أحمد خان / جمع وترتيب محمد اسماعيل / زرين آرت / لاهور ١٩٦٢م
- ٢١٢ مقالات کارسان / لـ کارسان دتاسى الفرنسى / ترجمة الدكتور يوسف حسين خان والاستاذ عزيز أحمد والدكتور اختر حسين / انجمن پريس کراتشى ١٩٦٤م — وديال برنتک پريس دهلى ١٩٤٣م
- ٢١٣ مقدمة مفتاح كنوز السنة / لـ السيد رشيد رضا / طبعة ١٣٥٣هـ / القاهرة
- ٢١٤ مكاتيب / لأبى الأعلى المودودى / جيلانى برنتک پريس / لاهور ١٩٧٢م
- ٢١٥ ملفوظات (الأقوال) لـ الشيخ محمد الياص / ترتيب محمد غنظ / عمانى تنوير برقى پريس لكهنوا الطبعة السادسة
- ٢١٦ الممالك الاسلامية / لـ لين بول
- ٢١٧ مستخبات التواريخ / لـ عبد القادر ملك شاه الهداينوى / كلكته ١٨٦٨م
- ٢١٨ — ٢١٩ منتخب اللباب / لـ محمد هاشم المعروف بـ خافى خان / طبع ايشياتك سوسائتى كلكته / الهند ١٨٦٩م
- ٢٢٠ موج كوثر / لـ الدكتور شيخ محمد اكرام / مطبعة فالكن پريس / لاهور / الطبعة العاشرة ١٩٧٩م
- ٢٢١ موسوعة تاريخ العالم / لـ وليام لانجر وتمت الترجمة تحت اشراف الدكتور محمد مصطفى زياده / مكتبة النهضة / القاهرة / ١٩٦٢م
- ٢٢٢ مولانا مفتى محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حيات وخدماته) / لـ نعيم آس / طبع جاويد رياض برنترز / لاهور
- ٢٢٣ ميزان الحق / لـ المبشر فندر / المطبعة التبشيرية الأمريكية ١٨٦١م الهند
- ٢٢٤ ميكالى كانظريه تعليم / لـ اللورد ميكالى / ترجمة عبد الحميد الصديقى / طبع ايجو كيشنل پريس كراتشى ١٩٦٥م

مرجان

- ٢٢٥ ميلاد اشتاس (كحل معرفة الاله) / لـ محمد قاسم نانوتوى / فهرسة حسين أحمد نجيب / طبع مشهور بريس / كراتشى ١٩٧٧م
 ٢٢٦ نزهة الخواطر وهجة المسامع والنواظر / لـ عبدالحى الحسنى / مطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية / حيدرآباد / الهند / ١٣٧٨ هـ
 ٢٢٧ نشأة باكستان / لشريف الدين بيرزاده / ترجمة / عادل صلاحى / الطبعة الاولى جدة ١٩٦٩م
 ٢٢٨ نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الاسلامى) / لـ البروفيسور خورشيد أحمد / شركة برنتك بريس / لاهور / الطبعة الثالثة ١٩٨٢م
 ٢٢٩ نظام الصوم عند الفاطميين / جمع وترتيب / محمد حسن الأعظمى / نشر فى عهد أيوب خان
 ٢٣٠ نظرة عابرة حول التعليم الاسلامى فى باكستان / لـ محمد تقى عثمانى / قريشى بريس ناظم آباد / كراتشى / ١٣٩٩ هـ
 ٢٣١ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور / لـ أبى الأعلى السبزوئى مؤسسه الرسالة / بيروت / ١٩٦٩م
 ٢٣٢ نفس الفى عن انارينوره كل شىء ضمن مجموعة رسائل / لـ أحمد رضا خان / نكات قرآن / لـ الحافظ محمد أسلم الجراجورى / يونين برنتك دهللى ١٩٥٢
 ٢٣٤ نوادرات / لـ حافظ محمد أسلم الجراجورى / يونين برنتك دهللى ١٩٥١م
 ٢٣٥ نور مبين جبل الله المتين / لـ على محمد جان جنارا
 ٢٣٦ همارے اسماعیلی مذہب کی حقیقت اور اس کا نظام (مذہبنا الاسماعیلی حقیقتہ ونظامہ) / لـ الاستاذ زاهد على البهرى / نامى بريس / حيدرآباد / دكن / الهند ١٩٥٤م
 ٢٣٧ همارے ہندوستانی مسلمان / لـ ولس — ولیم — ہنتر / ترجمة صادق حسين / نشر اقبال أكید مى لاهور / الطبعة الثانية / ١٩٥٥م
 ٢٣٨ الهند خلال العصور / لـ أحمد بن ابراهيم البشيشى
 ٢٣٩ الهند شعبها وأرضها / لـ مانوراموداك / ترجمة محمد عبدالفتاح / ومراجعة الدكتور عز الدين / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٤م
 ٢٤٠ الهند فى العهد الاسلامى / لـ السيد عبدالحى الحسنى / مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد / دكن / الهند / ١٣٩٢ هـ
 ٢٤١ الهند القديمة حضارتها وديانتها / لـ محمد اسماعيل إندى / طبع دار الشعب ١٩٧٠م

- ۲۴۲ ہندوستان میں اجنبی راج (حکم الأجانب فی الہند) / ل۔ بیندل مون /
مطبوعة س - ب - ر کجرات
۲۴۳ ہندوستان میں مذہب اسلام برنظر ثانی کی ضرورت (حاجۃ الہند الی اعادۃ
النظر فی الاسلام) / ل۔ اصف علی فیضی / نشر مکتبۃ جامعۃ دہلی ۱۹۵۵م
۲۴۴ ہندوستان میں مسلمانوں کا نظام تربیت و تعلیم (نظام التربیۃ والتعلیم عند مسلمی
الہند) / ل۔ مناظر احسن کیلائی / یونین پرتتک پریس / دہلی / الطبعة
السادسة ۱۹۶۶م
.....

الصحف والمجلات

- ۱ احسان
۲ أحمد یہ کزت
۳ اردو دائجست
۴ اسلامی تعلیم
۵ اشاعۃ السنۃ
۶ الاعتصام
۷ اورنٹیل کالج میگزین
۸ پدر
۹ برہان
۱۰ بشری
۱۱ جامعہ
۱۲ جتان
۱۳ جسارت
۱۴ جنک
۱۵ حکمت قرآن
۱۶ خاتون
۱۷ الرشید

..... ريميو آف ريلجنز	١٨
..... صدق جديد	١٩
..... الفتح	٢٠
..... الفضل	٢١
..... مجلة الأزهر	٢٢
..... المحور	٢٣
..... معارف	٢٤
..... مجلة المنار	٢٥
..... المنبر	٢٦
..... منشور محمدى	٢٧
..... نوائى وقت	٢٨
.....	

ملاحظة : من المصادر ما اشرت اليها فى اماكنها من الرسالة •

المصادر الانجليزية

- (1) The Civil & Military Gazette. (Pakistan.)

جريدة الجازيت المدنية والمسكوية .

- (2) The Constitution of the Shia Imami Ismaili in Africa. Printed at East African Printers Ltd. Nairobi.

دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية في افريقيا .

- (3) The Daily D A W N. (Pakistan.)

جريدة الصبح .

- (4) In the Land of Sindhi and Blochi. Alvin Van Miltenbury Rt. Rev Rotti Press Karachi. 1947.

في ارض السندى والبلوحي لـ الكونون .

- (5) Report Enquiry Committee on Christian Missionary Activities. Govt. of Madhia Pradesh India. 1956.

تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحيين لـ حكومة مدهية برديش الهندية .

- (6) Secondary Stage English Book One. Printed at Sind Offset Printers Karachi. 1982.

كتاب اللغة الانجليزية الاولى للمرحلة الثانية .

- (7) A short History of Muslim Rule in India . Ishwari Prasad . Indian Press Allahabad.

مختصر تاريخ الهند في العهد الاسلامي لـ ايشوري براساد .

- (8) Ever Living Guide . Qassim Ili . M . J . Din Muhammad Press Karachi .

المرشد الحي الدائم لـ قاسم علي م . ج .

- (9) History of India from the Earliest Time to the Present Day . Dunbar. G. H . London . 1936 .

تاريخ الهند بين الماضي والحاضر لـ دنبرج . ه .

- (10) Religious Policy of Mughul Emperors / Shre Ram Sharma . Oriental Publisher. Lahore . 1975 .

سياسة المنول الدينية لـ سري رام شرما .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	٢
	كلمة الشكر	
١ - ز	المقدمة	
٥٢ - ١	* الباب الأول (المجتمع المسلم في الهند قبل الفكر الغربي)	
٢٦ - ١	— الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
١	دخول الاسلام الى الهند	١
١	الهند في الخلافة الراشدة	٢
٣	فتح السند في العهد الأموي	٣
٥	جهاد الغزنويين في فتح الهند	٤
٧	مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الغزنوية ..	٥
٩	المظاهر المميّزة لعهد الغوريين والمالوك	٦
١٦	مميزات عهد الخليجين وبنى تغلق	٧
٢٠	فيروز تغلق وعهده الميمون	٨
٢١	مميزات عهد الامارات المستقلة	٩
٢٧ - ٤٢	— الفصل الثاني (المجتمع المسلم في عهد المغول) ..	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
٢٨	سياسة المغول في الحكم	١
٢٩	الملك أكبر ونتائج انحرافه	٢
٣٠	مرسوم العصمة وآثاره	٣
٣٢	التنصير وموقف أكبر منه	٤
٣٤	مقاومة انحراف أكبر ونتائجها	٥
٣٥	مميزات عهد جهانكير وشاهجهان	٦

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٣٧	أورك زيب وميزات عهد الميمون	٧
٣٩	" " فى نظر أعدائه	٨
٥٢-٤٣	— الفصل الثالث (المجتمع المسلم فى عهد شركة الهند الشرقية ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : — ...	
٤٤	ميزات المجتمع المسلم بعد عهد أورك زيب ...	١
٤٦	موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية	٢
٤٦	أ — الموقف الرسمى	
٤٧	ب — الموقف الشعبى (حركة الشيدىين الجهادية انتفاضة ١٨٥٧م وأثارها فى المسلمين ...	
٥١	محور اتجاهات النواب البريطانيين فى حكم الهند	٣
٢٣٥-٥٣	* الباب الثانى (أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين	
٨٠-٥٣	الفصل الأول : أثر النشاط التصيرى فى الأفكار والمقائد	
٥٤	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	
٥٤	التصير فى عهد المنول	١
٥٥	التصير أثناء الحكم الانجليزى المباشر	٢
٥٦	طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال (الجامعات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، — التطبيب ، الاعانة المالية ...)	٣
٦٩	السبل الحديثة لهث الانجيل (التوظيف ، المشافى دور الأيتام ، معاهد التعليم ، الصحافة ...)	٤
٧٤	الطرق المعاصرة لنشر المسيحية	٥
٧٩	أسباب نجاح التصير فى المنطقة	٦

رقم الصفحة	الموضوع	٢
	— الفصل الثانى (أثر الفكر الغربى فى مجال التربية والتعليم —	
١٣٦—٨١	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : —	
٨٢	موقف الدول الاسلاميه فى الهند من التعليم	١
٨٦	الدرس النظامى	٢
٨٧	طرق القضاء على الدرس النظامى	٣
٩١	دار العلوم ديهند ومنهجها التربوى والتعليمى ...	٤
٩٦	" " ندوة الملما ومنهجها التعليمى	٥
١٠٠	بداية التعليم المصرى	٦
١٠٢	توصية اللورد ميكاى التعليمية	٧
١٠٤	موقف السيد أحمد خان من التعليم	٨
١٠٨	أهداف التعليم عند الانجليز	٩
١١١	محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم	١٠
١١٢	دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية ..	١١
١١٥	التعليم بعد الاستقلال	١٢
١١٨	نظرة فحص فى المنهجين (الدينى والعصرى) ...	١٣
١٢٥	بعض مميزات التعليم الاسلامى	١٤
	— الفصل الثالث (أثر الفكر الغربى فى مجال القضايا الاجتماعية) —	
١٣٦—١٣٧	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : —	
١٣٥	تعليم المرأة	١
١٤٣	الحجاب	٢
١٤٩	عمل المرأة	٣
	زواج المرأة (جيهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ،	٤
	زواج من هودون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد	
١٥٤	الزواج ، الطلاق ، تحديد النسل)	

رقم الصفحة	الموضوع	م
١٧١	القوامة	٥
١٧٢	دية المرأة	٦
١٧٣	ارث المرأة	٧
١٧٤	سفر المرأة بدون محرم	٨
١٧٥	شرب المسكرات	٩
١٧٧	الاقتصاد ووسائل الاعلام	١٠
١٧٨ — ٣٣٥	— الفصل الرابع (أثر الفكر الغربي في مجال التنظيم التشريعية)	
	ويشتمل على :-	
١٧٩	قضاء المسلمين في الهند قبل الحكم الانجليزي ...	١
	اتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية في تنفيذ	٢
١٨٠	بندها المتصلة بالقضاء	
١٨١	بداية التحريف في القضاء وأثاره الوخيمة	٣
١٨٤	فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية	٤
١٨٦	مناقشة الفتوى في ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام	٥
	جهود العلماء في وضع دستور اسلامي لدولة باكستان	٦
١٩١	ارث المرأة المسلمة	٧
١٩٣	قانون العقوبات الباكستاني ومحتوياته	٨
١٩٥	مبادرة خير في اصلاح القانون	٩
	الجوانب التشريعية الحديثة في القانون وموقف الشريعة	١٠
١٩٥	منها	
١٩٦	نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة	
١٩٦	أ - جريمة القتل	
٢٠٢	ب - جريمة الزنا	
٢٠٧	ج - عقوبات قانون الحدود في جريمة الزنا	
٢١١	د - الجرائم المتعلقة بالأموال / المشرقة /	
٢١٤	هـ - الاستحصال بالجبر	

رقم الصفحة	الموضوع	م
٢١٦	— السرقة بالجبر	}
٢١٧	— النهب	
٢١٨	— التمدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات	
٢١٩	هفوات قانون الحدود فى جرائم الأموال	
٢٢٢	د — جريمة شرب المسكرات	
٢٢٣	قانون الاثبات ومضى محتوياته	١١
	عدد الشهود بين القانون والشرعية لاثبات قضية من	١٢
٢٢٤	القضايا	
٢٢٥	شهادة المرأة بين القانون والشرعية	١٣
٢٢٧	شاهد الملك " " "	١٤
٢٢٩—٢٣٥	الاصلاحات المطلوبة فى القضاء	١٥
٢٢٩	أ — الفاء حرفة المحاماة	
٢٣١	ب — الفاء الرسم القضائية	
٢٣٣	ج — تكوين مجمع على قضائى	
	د — اصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق	
٢٣٤	والمدارس الدينية	
	* الباب الثالث (أثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة	
٢٣٦—٣١٣	عن الاسلام)	
	— الفصل الأول (الشيعة — الاثنا عشرية ، البهرة ،	
٢٣٦—٢٦٣	الأغاخانية — وأثر الفكر الغربى فيها)	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
٢٣٧	ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة	١
٢٣٧	معنى التشيع	٢
٢٣٩	الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربى فيها	٣
٢٤١	البهرة وظاهرة الإخفاء	٤
٢٤٣	البهرة والاستعمار	٥
٢٤٥	مناذرة البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار	٦

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٢٤٦	البهرة والريا	٧
٢٤٦	تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج	٨
٢٤٧	البهرة والتعليم	٩
	مرتكزات الأغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن الموتى)	١٠
٢٤٩	صدر الدين	
٢٥٣	التعاون العسكرى بين جيش أفغان وشركة الهند الشرقية	١١
٢٥٥	دور الانجليز فى دعم امامة أفغان	١٢
٢٥٧	موقف أفغان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى	١٣
	ولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى	١٤
٢٥٧	الحرب العظمى الثانية	
٢٥٨	بعض الأسس الأغاخانية	١٥
٢٦٢	نشاطات الأغاخانية فى باكستان	١٦
٢٧٢-٢٦٤	الفصل الثانى (الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها)	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
٢٦٥	طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام	١
٢٦٦	الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة	٢
٢٦٧	علوم الصوفية وصلتها بالشرع	٣
٢٦٩	حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى ...	٤
	النظرة السلبية للصوفية الى الحياة وتناغمها لصالح	٥
٢٧٠	الفكر الغربى	
٢٨١-٢٧٣	— الفصل الثالث (البريلوية وأثر الفكر الغربى فيها)	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	
٢٧٤	مؤسس البريلوية أحمد رضا خان	١
٢٧٤	تعاون البريلوية مع الاستعمار	٢
٢٧٧	تكفير البريلوية المسلمين	٣
٢٧٨	أهم الأسس للفرقة البريلوية	٤
٢٨٠	تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الامة ..	٥

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٢٩٨-٢٨٢	الفصل الرابع (القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربي)	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : -	
	السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين	١
٢٨٩-٢٨٣	والقاديانيين	
٢٨٣	أ - مفهوم النبوة	
٢٨٤	ب - مفهوم الوحي وطريقته	
٢٨٥	ج - شروط السيد لقبول السنة	
٢٨٥	د - مفهوم الجهاد	
٢٨٦	هـ - مفهوم الموالاة الشرعية	
٢٩٧-٢٨٩	القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب	٢
٢٩١	أبرز الزعماء القرآنيين	٣
٢٩٧-٢٩٢	نماذج من التغريب	٤
٢٩٢	أ - حرية الدين (الارتداد)	
٢٩٤	ب - توريث غير المسلم من المسلم	
٢٩٤	ج - حرية التصرف في المال عند الوفاة	
٢٩٥	د - أحكام القرآن في التركة مؤقتة	
٢٩٦	هـ - قواعد الحجب مجففة	
٢٩٦	و - نظام القرآن الاقتصادي (الاشتراكية في الأموال)	
٢٩٨-٢٩٧	ز - نزع التأييد من أحكام الاسلام	
٢٩٧	١ - في الطلاق	
٢٩٨	٢ - في الرجم	
٢٩٨	٣ - في قطع السارق	
	الفصل الخامس (القاديانية واخلاصها	
٣١٣-٢٩٩	للفكر الغربي)	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :-	
٣٠٠	فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام	١

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٣٠٥ غلام أحمد القادياني ودعاؤه	٢
٣٠٦ الهدف الرئيسي من دعاوى الغلام	٣
٣٠٩ موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام	٤
٣٠٩ الغلام ودعاء النبوة	٥
٣١٠ تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " ..	٦
٣١١ وحي الغلام	٧
٣١٢ ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام	٨
٣١٣ كلمة أخيرة	
٣١٦ الخاتمة ونتائج الدراسة	
٣١٨ المصادر والمراجع	
٣٤٢-٣٣٥ الفهرس	

٣١٦ الخاتمة ونتائج الدراسة	
٣١٨ المصادر والمراجع	
٣٤٢-٣٣٥ الفهرس	

الصفحة	السطر	الخطأ	الاصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الاصواب
د	٣	وان	وان	١٢٢	٧	علائقها	علائقها
هـ	٩	البريطانيين	البريطانيون	١٢٢	١٠	بالسنة	بالسنة
ز	١١	الفصل	الفصل	١٢٢	١٥	الاختصار	الاختصار
١٢	٩	بضم	بضم	١٢٦	٧	تحدثه	تحدثه
١٥	٢١	أذ	أذ	١٢٧	١٠	ظالموا	ظالموا
١٤	٨	للكسب	للكسب	١٢٧	١٣	خطرهم	خطرهم
١٥	١٤	فقال أ	فقال أن	١٢٨	٢	عن	عن
٢١	١٥	عاش	عاش	١٢٩	١٣	مستقبلها	مستقبلها
٢٢	١٥	منفسا	منفسا	١٣١	١٠	الثاني	الثاني
٢٣	١٩	اصحابه	اصحابه	١٣٣	١٦	بما	بما
٢٤	١٥	الطيه	الطيه	١٣٣	١٨	يطعمهم	يطعمهم
٢٢	٥	انها	انها	١٣٤	٥	للقبليين	للقبليين
٢٣	٨	أذر	أذر	١٣٤	١٨	جاهدك	جاهدك
٢٧	١٣	الماه	الماه	١٣٦	١١	شارع	شارع
٢٨	١٥	الاقا	الاقا	١٣٨	٢٢	النش	النش
٢٨	١٧	سيرهم (٤)	سيرهم	١٣٩	١	المهتمين	المهتمين
٢٨	٢٧	للحصول	للحصول	١٣٩	١٧	١٩٨٢	١٩٨٢
٢٩	١٦	نظر	نظر	١٤١	٢٤	ص	ص
٤١	٦	الجهاد	الجهاد	١٤٣	٢	تعلتها	تعلتها
٤١	٣	ثاني	ثاني	١٤٣	١٣	حجاب	حجاب
٤٤	١٤	غزرو	غزرو	١٤٣	١٧	اليوم (٢)	اليوم (٢)
٤٥	٩	الهندوس	الهندوس	١٤٤	١٠	لزم	لزم
٤٥	١٨	الشؤون	الشؤون	١٤٥	٧	الحجاب	الحجاب
٤٦	٢٦	انظر وليس	انظر وليس	١٤٥	٩	لا	لا
٤٧	٢	جمع	جمع	١٤٥	١٢	فيملق	فيملق
٤٧	٤	لشئ	لشئ	١٤٥	١٢	وا تها	وا تها
٤٧	٤	العملية	العملية	١٤٦	٢٤	(٢) حقائق عن باكستان	(٢) حقائق عن باكستان
٤٧	١٩	أحد	أحد	١٤٦	١٣	يؤمنون تزويج	يؤمنون تزويج
٤٨	١٣	الشيخ	الشيخ	١٤٦	٦	ومن الصعب تحديد هذه	ومن الصعب تحديد هذه
٤٩	٧	الزواج	الزواج	١٤٦	١٣	البنغال غير	البنغال غير
٥٧	٩	وزاد	وزاد	١٤٦	١٨	الأخرى	الأخرى
٥٨	٢١	مركز	مركز	١٤٦	١٣	التفت	التفت
٦٣	٣	الطيب	الطيب	١٤٦	٥	تخصصا	تخصصا
٦٥	٣	بنيت	بنيت	١٤٦	٢٢	(١) حقائق عن ص ٢٥١	(١) حقائق عن ص ٢٥١
٦٥	١٦	هذه	هذه	١٤٦	١٢	وليس	وليس
٦٥	٢١	المالي	المالي	١٤٦	١٩	مقابلة	مقابلة
٧٢	١٥	٢٩٥٩	٢٩٥٩	١٤٦	٥	البلايين	البلايين
٧٤	١٣	الدولة	الدولة	١٤٦	١٩	تخاطبا و	تخاطبا و
٧٦	١١	منها	منها	١٤٦	١٤	المقيدة	المقيدة
٧٨	٤	السنوات	السنوات	١٤٦	٤	بنصب	بنصب
٨٣	٢٠	صف	صف	١٤٦	٥	تقفوا	تقفوا
٩٣	١٥	فنا (٢)	فنا (٢)	١٤٦	٥	خسارة	خسارة
٩٣	١٦	مغنية	مغنية	١٤٦	٢٣	من	من
٩٦	١٤	النور تضيق	النور تضيق	١٤٦	٧	يقرون	يقرون
٩٧	١٦	ليبت	ليبت	١٤٦	٢	تنفذ	تنفذ
٩٧	٢١	تا مين	تا مين	١٤٦	٨	الاعيان	الاعيان
٩٧	٢٣	المكة	المكة	١٤٦	٢	نحو	نحو
٩٨	١٣	المسلمين	المسلمين	١٤٦	٦	يحدث	يحدث
١٠٠	٣	غيرها	غيرها	١٤٦	١٢	المقود	المقود
١٠١	٢١	نحو	نحو	١٤٦	١٤	فعلما	فعلما
١٠٣	١٩	الفتوات	الفتوات	١٤٦	٥	شع الله كله	شع الله كله
١٠٥	٤	جزء	جزء	١٤٦	١٥	الكافرين	الكافرين
١٠٥	١٣	عدد	عدد	١٤٦	٥	التفكير	التفكير
١٠٥	٩	اختط	اختط	١٤٦	٣	ثلاثا	ثلاثا
١٠٧	١١	علائقها	علائقها	١٤٦	٢٥	(١) انظر ايم اشرف بيك	(١) انظر ايم اشرف بيك
١٠٨	١٠	صادقة	صادقة	١٤٦	١	مجموعة تعزيرات باكستان (قانون المقومات الباكستاني)	مجموعة تعزيرات باكستان (قانون المقومات الباكستاني)
١١٠	٢٢	قرية	قرية	١٤٦	٥	تصبا	تصبا
١١٣	٩	ويبدو	ويبدو	١٤٦	٢١	(٢) (x) تصبو	(٢) (x) تصبو
١١٥	١٩	أفراد	أفراد	١٤٦	٢١	أين اسلام ص ٥٥٠	أين اسلام ص ٥٥٠
١١٨	١٩	أعترف	أعترف	١٤٦	١٩	الخاصة وما بعدها	الخاصة وما بعدها
١١٨	٢١	هذا	هذا	١٤٦	١٤	النظرة	النظرة
١١٩	١٤	سوى	سوى	١٤٦	٣	القصة	القصة
١١٩	٩	توقف	توقف	١٤٦	١٨	(٣) (٤)	(٣) (٤)
١٢٠	٢٢	يحد فان	يحد فان	١٤٦	٢٣	المهاش ٤٣٢١	المهاش ٤٣٢١
				١٤٦	٦	تصبا	تصبا

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢١١	٨	تعيينها	تعيينها
٢٢١	٩	حقها	حقها
٢٢٥	١٣	يقوموا	يدققوا
٢٢٥	٢١	دوا	دوا
٢٢٦	١٣	التثبت	التثبت
٢٢٦	٢	التذكير	التذكير
٢٢٧	١٤	ثبت	ثبت
٢٢٨	١٣	السلك	السلك لا هو
٢٣٠	٣	مرة	مرة بمقد
٢٣٠	١٥	مراقبتنا	مراقبتنا
٢٣١	١٣	مرتكبها	مرتكبها
٢٣١	٢٣	سيعترض	سيعترض
٢٣٣	١٥	عصر	عصر
٢٣٩	٥	لتجميع	لتجميع
٢٣٩	١٥	١٢٧٢	١٢٧٢
٢٤٤	٢١	ظلت	ظلت حتى
٢٤٤	١٦	الطبية	الطبية
٢٤٦	٢١	الجواهر	الجواهر ص ٣٤١ وسلك
٢٤٦	١٩	تقسم	تقسم
٢٤٧	٢١	التعليم	التعليم (٤)
٢٤٨	٢١	(١)	(١)
٢٤٩	٩	ها	ها
٢٥٠	١٨	القيام	القيام (٣)
٢٥٠	٢٢	٣٩٩	٣٩٩
٢٥٠	٢٢	ص ٢٥٤ - ٢٥٥ تاريخ	ص ٢٥٤ - ٢٥٥ تاريخ
٢٥٠	٢٢	١٧٦ / ٢ - ١٧٧	١٧٦ / ٢ - ١٧٧
٢٥٠	٧	تعدد	تعدد
٢٥٧	٢١	ضد أبناء	ضد أبناء
٢٦١	١٦	المشهورة	المشهورة
٢٦٣	٣	بصاحبة	بصاحبة
٢٦٥	١٨	الرياضات	الرياضات
٢٦٧	١٠	يؤثرون	يؤثرون
٢٦٨	٩	مصادفا	مصادفا
٢٦٨	١٥	مختلفة	مختلفة
٢٦٨	١٦	حرقوا	حرقوا
٢٦٨	١٧	المنتسبين	المنتسبين
٢٧٠	١٧	يصل	يصل
٢٧٥	١	بتفكير	بتفكير
٢٧٥	١٣	لفتوا	لفتوا
٢٧٦	١٢	أكد لنا	أكد لنا
٢٧٧	١	استمر	استمر
٢٧٨	٢١	نفس	نفس
٢٧٩	١٠	يمنع	يمنع
٢٨١	١٤	الذي	الذي

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٨٢	١٤	حركة	حركة
٢٨٣	١٣	ملكة	ملكة
٢٨٤	١٢	يتكلم عن	يتكلم من
٢٨٦	٢	لا شأنه	لا شأنه
٢٨٦	١٧	ذلك	ذلك
٢٩٠	٥	يقوموا	يقوموا
٢٩١	٣	ثبتها	ثبتها
٢٩١	١٧	الحجبة	الحجبة
٢٩٢	٢٠	الطبيب	الطبيب
٢٩٣	٢٨	٢٦	٢٦
٣٠١	٩	أراء	أراء
٣٠٢	٩	فتيل	فتيل
٣٠٣	٢٣	البنالون	البنالون
٣٠٤	٦٢	ظلت	ظلت
٣٠٥	١٨	بأنه يعني	بأنه يعني
٣٠٦	٢	كرشن	كرشن
٣٠٦	١٢	بساوي	بساوي
٣٠٧	١٢	لا راضيتها	لا راضيتها
٣٠٨	٧	نسخ	نسخ
٣١٠	١٤	النبيين	النبيين
٣١٥	١١	تنقية	تنقية
٣١٦	١١	للأسلام	للأسلام والمسلمين
٣١٩	١٥	باكستان	باكستان ١٩٧٣
٣٢١	١٤	الا ستعمار	الا ستعمار في البلاد المصرية
٣٢٦	١٢	بخشية	بخشية الطبقات النورية
٣٢٨	٧	تاريخ	في احوال النور بخشية تاريخ كجرات التمدني
٣٣٥	١٤	الخليجين	الخليجين
٣٣٦	١٠	السيدين	السيدين
٣٣٧	٢٢	الزواج	الزواج
		ملاحظة : من الاخطاء ما تركاها لا دراك	
		لها بسهولة ويسر كنقط التاء	
		المروطة ونقطش (شيء) وما	
		شابه ذلك.	